



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المثنى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

أناشيد الطفولة في العراق

١٨٨٠م — ١٩٤٠م

دراسة موضوعية فنية

رسالة تقدم بها الطالب

حسين عطية علوان السلطاني

الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إشراف

أ. م. د. علي هاشم طلاب الزيرجاوي

٢٠١٥م

١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ)

سورة الحج : ٥

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (أناشيد الطفولة في العراق ١٨٨٠م - ١٩٤٠م ، دراسة موضوعية فنية)
التي تقدم بها الطالب (حسين عطية السلطاني) جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
/ جامعة المثنى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / أدب .

الإمضاء :

المشرف : أ . م . د علي هاشم طلاب الزيرجاوي

التاريخ : ٧ / ١٠ / ٢٠١٥م

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح الرسالة المذكورة أعلاه للمناقشة

الإمضاء :

رئيس قسم اللغة العربية

أ . د عايد جدوع حنون

التاريخ : ٧ / ١٠ / ٢٠١٥م

إهداء

أهدي الرسالة للأطفالِ إنْ كَبَرُوا

وللذين رَضِيَ في حُبِّهم شَعَرُوا

بَكُرٍّ فما افترعتها كَفُّ باحثِ

لا بل ولا باحثٍ قد مسَّه الظفرُ

زَفَّتْ فصولَ هواها للورى حُلًّا

من بعد ليلٍ طواها واختفى القمرُ

كالبحرِ يعزفُ أَلحاناً لمن سَهَرُوا

وإنْ أَحَبُّوا ففي أحشائه الدُّرُّ

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة :	٧ - ١٠
الفصل الأول : الأناشيد وجذورها في الشعر العربي	١١ - ٨٢
المبحث الأول : الأناشيد في الشعر العربي القديم	١١ - ٣٣
الأناشيد لغة ، اصطلاحاً :	١١ - ١٤
المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث وتطورها	٣٤ - ٥١
المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق وتطورها	٥٢ - ٨٢
الفصل الثاني : المضامين الموضوعية في أناشيد الطفولة	٨٣ - ١٥٦
المبحث الأول : المضمون الحماسي	٨٤ - ٩٥
المبحث الثاني : المضمون الوجداني	٩٦ - ١١٠
المبحث الثالث : المضمون الترفيهي	١١١ - ١٢٣
المبحث الرابع : المضمون التعليمي	١٢٤ - ١٣٥
المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي	١٣٦ - ١٤٥
المبحث السادس : المضمون النفسي	١٤٦ - ١٥٦
الفصل الثالث : أناشيد الطفولة - دراسة فنية	١٥٧ - ٢٠٠
المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة	١٥٨ - ١٧٢
المبحث الثاني : الصورة الشعرية	١٧٣ - ١٨٦

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة	١٨٧ - ١٨٩
الموسيقى الخارجية	١٩٠ - ٢٠٩
الوزن	١٩١ - ٢٠٠
القافية	٢٠١ - ٢٠٩
الموسيقى الداخلية	٢١٠ - ٢١٩
الجناس	٢١١ - ٢١٥
التكرار	٢١٦ - ٢١٩
موسيقى الريادة والأوزان المستعملة وغير المستعملة	٢٢٠ - ٢٣٣
الخاتمة	٢٣٤ - ٢٣٦
مسرد بأسماء شعراء الطفولة في العراق	٢٣٧
المصادر والمراجع	٢٣٨ - ٢٤١
الرسائل والأطاريح	٢٥٠ - ٢٥١
الدوريات والمجلات	٢٥٢
الترجمة باللغة الإنكليزية	٢٥٣ - ٢٥٧

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى رسوله الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد:

إنَّ النصوص الشعرية، التي خرجت عذبة من أفواه شعراء الطفولة في العراق، لتصب في مسمع أطفالنا الأعزاء لحريةً بالدراسة والتمعن ، لمعرفة المضامين التي سلكوها ، من أجل تغذية النشء الجديد الذي يعد الركيزة الأساس لقوام كل مجتمع من المجتمعات تغذية روحية ، وعقلية صالحة ، تنهض بفكره صغيراً وتعينه كبيراً .

ونتيجة لشعورنا بأهمية مثل هذه الأناشيد الطفلية في تنمية ذائقة الطفل ، وحيازتها على رغبته وعنايته ، اقترحنا أن يكون عنوان رسالتنا (شعر الطفولة في العراق) وبعد تداول مستفيض مع الأستاذ المشرف ، وإخباره بأننا جمعنا لهذا الأمر أكثر من عشرين مجموعة كلها تحمل عنواناً واحداً هو الأناشيد ، عندها اقترح الدكتور علي هاشم أن يكون العنوان متماشياً ، مع غالبية عناوين المصادر الأدبية التي جمعت وهو (أناشيد الطفولة في العراق ، دراسة موضوعية فنية) وهو جزء من شعر الطفولة ، كي تتمكن من تسليط الضوء على جهود شعراء أناشيد الطفولة في العراق من سنة ١٨٨٠م حتى ١٩٤٠م، ليطلع أبناء العراق والأمة جمعاء، على أسبقية صفوة خيرة من الشعراء وعلماء الدين والمربين وعلماء اللغة والأدب ، وثلة من كبار شعراء العراق المعروفين وعلى جهودهم في الأشعار الوطنية والدينية والأخلاقية والعلمية الى النشء الجديد ورعايته بألطف الكلمات البلاغية وأرقها على مسمعه البريء ومعرفة طرائق تناولهم لمختلف الأهداف النبيلة والإتجاهات الهادفة .

أما لماذا توقفنا عند سنة ١٩٤٠م فنقول: أننا لا بد من أن نحدد البداية لأنها كانت مجهولة، لعدم وجود رسالة سابقة تحددناها، لنبدأ من حيث انتهت، وبعد أن توغلنا كثيراً في البحث ، تمكنا من التحديد ، وأصبح لزاماً علينا أن نتوقف عند حد تكون فيه معالم النهاية واضحة ، وذلك لأن هذه الرسالة هي الأولى في العراق التي تخصصت في شعر الأطفال ، وقد حددنا البداية فكانت سنة ١٨٨٠م ، وحين جمعنا المصادر التي بقي بغرض الرسالة الى سنة ١٩٤٠م ، توقفنا لحالة الإستيفاء ، لأن ستين سنة أغنت البحث وأوفت كل ما نريد ، ولو زدنا لما وسعنا اطروحة بكاملها، لكثرة ما وجدنا من جهد وإبداع مهمل وغير مدروس .

وهناك أسباب عدة دفعتنا لاختار هذا العنوان ، منها أننا كنا نبحث ونعتني في كل المؤلفات التي كتبت في شؤون الاطفال قبل أن نتوجه الى الدراسات العليا ، هذا أولاً .

ثانياً: ضرورة إمطة اللثام عما جاء في العديد من الرسائل والأطاريح الجامعية العراقية والعربية، من معرفة أسماء هؤلاء الشعراء ، وجهودهم المباركة في هذا الأدب الرفيع المستحدث ، ممن أشارت له عرضاً في ثنايا الصفحات . ثالثاً: معرفة مؤلفاتهم وإسهاماتهم في هذا الأدب ، وبماذا اشتركوا مع غيرهم في تحرير المجاميع الشعرية الخاصة بالطفولة ، وما مقدار جهودهم في ذلك.

رابعاً: تثبيت الأقدم فالأقدم من شعراء الطفولة في العراق وأشعارهم ، فقد مرّوا عليهم مرور الكرام ، بحيث استعصى على أحد الباحثين المصريين الكبار في أدب الطفل وهو الدكتور أحمد زلط تمييز الأقدم فالأقدم بين الشاعر الرصافي والدكتور مصطفى جواد ، في رسالته أدب الطفولة (اصوله ، مفاهيمه ، رواه) : ١٦٨ .

خامساً: ضرورة معرفة الأساليب البلاغية التي خاض فيها شعراء الطفولة في العراق ، وكيف وظفوها لخدمة النشء الجديد ، وما مقدار جهد كل واحد منهم فيها .

سادساً : تسليط الضوء على طرائق استعمال القصة والمسرحية الشعرية والخرافة والرمز ، إن وجدنا لذلك سبيلاً وهل عرّجوا على مثل هذه الأمور في أشعارهم وهم في بداياتهم الأولى ؟ .

سابعاً : تحديد الريادة الشعرية لكل راعيل منهم على حدة ، والتعرف على أهم المعايير الفنية التي اتبعها البحث في تنويع تلك الريادة .

ثامناً : رفع الإلتباس الحاصل لدى كثير من الباحثين والرسائل الجامعية ، والتمييز بين الشعر الذي هو عن الأطفال الذي يمثل (وجهة نظر) الشاعر عن الطفولة بكل ماتحمله من مآسي أو مسرات ، والشعر الموجه للطفولة وينطق بلسان براءتها ، ويتناسب مع قدرتها اللغوية والفهمية .

تاسعاً: الكشف عن الريادة الموسيقية لشعراء الطفولة في العراق ، وتحديد تلك الريادة للشعراء وفي القصائد والبحور .
عاشراً : إننا من بين شعراء الطفولة الذين كتبوا لهم منذ خمس وثلاثين سنة ولازلنا ، وقد اختارت وزارة التربية أناشيدنا في كتب القراءة للمنهج الابتدائي ، للصفوف الثاني والخامس والسادس ، لهذا شمرنا ساعد الغيرة وشحننا مداد العزم ، كي نرفع حالات التخطي ، ونكشف بشكل توخى أقصى غايات الدقة ، إن لم نقل الدقة المتناهية ، في تثبيت سنوات تأليف أشعار الطفولة أو سنوات نشرها في العراق والوطن العربي من ضمن السقف الزمني لرسالتنا لتتعرف الأجيال والباحثون على شعراء الطفولة ، وأسبقياتهم فيما بينهم كل حسب استحقاقه وعلى مجمل دواوينهم التي انفردوا بها .

وعليه فقد جعلنا بحثنا في الأناشيد لغة واصطلاحاً ، ثم جذورها في الشعر العربي ، ابتداء من نشأتها في الشعر العربي القديم وتطورها في الشعر العربي الحديث ، وناقشنا بروية آراء الباحثين العرب والعراقيين ، وكل ما عرض في هذا الصدد ، وكشفنا عن كثير من الآراء التي لا تستند الى واقع ملموس ومسند .

وقد واجهتنا صعوبات عدة ، ألا وهي ندرة المصادر التي نحتاجها ، فلا هي في المكتبات ولا هي في شبكة الأنترنت إذ حُصرت في دار الكتب والوثائق في بغداد ، التي نُهب قسم منها في أحداث التغيير سنة ٢٠٠٣ م ، لذا لم ندخر جهداً ، في جلب أية قصاصة ورق كتبت عن تلك الحقبة ايماناً منا بأهميتها ، هذا أولاً .

ثانياً: وجود عدد كبير من دواوين الشعراء ، التي سميت باسم (أناشيد) وحين أحصيناها بلغت أكثر من سبعين ديواناً مما أسهم في عرقلة عملنا بشكل كبير ، وأخذت منا في فرزها وقتاً كثيراً .

ثالثاً : إن دار الكتب والوثائق لا تعطي طالب العلم والدراسة كل ما هو به حاجة إليه ، كي يبحث فيها ، ونحن على هذه الحال لاندرى يوماً أياً من هذه الكتب التي نطلبها سيكون بغيتنا أم لا ، حيث أقمنا شهرين متتاليين في هذه الدار شربنا خلالها مرارة العناء ومخاطر الانفجارات وازدحام الطرقات .

وعلى الرغم من هذا لم يفارقنا اللطف الرباني ، فما لم نجده في الدار هياً الله لنا استاذة فاضلة، كان كفها أسبق الى كرمها من نطق فمها، في توفير ما نحتاجه من المصادر ألا وهي (الدكتورة طاهرة داخل) التي هي بحق اسم على مسمى، لذا يقف الشكر عاجزا أمام سخائها ، وسمو غيرتها وتعاضم نبيلها وشدة حماسها لنجاح هذا العنوان ، كونها الأم الحنون بحق على الطفولة ، وعلى كل ما يمت لها بصلة ، إذ رعت برسالتها في الماجستير قصة الطفل في العراق ثم أردفتها بإطروحتها عن القصة الشعرية في أدب الأطفال ، فضلا عن كونها تواصل مشوارها التدريسي في الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية .

وعليه فقد عملنا جاهدين على تصحيح كثير من الأوهام ، التي قيلت عن بعض شعراء الطفولة في العراق أو عن سنة تأليفهم لأشعارهم أو أسبقية أحدهم على الآخر، ولا سيما في المؤلفات والرسائل الجامعية التي أشارت اشارات هامشية الى شعر الطفولة في العراق وخارجة ، كذلك أبرزنا للعيان الجهد الكبير الذي بذله هؤلاء النخبة المباركة .

أما الفصل الأول: فخصصناه للأناشيد وجذورها في الشعر العربي ؛ إذ بحثنا فيه الأناشيد في الشعر العربي القديم والحديث بعدها خصصنا مبحثا لنشأتها في العراق وتطورها الى سنة ١٩٤٠م.

أما الفصل الثاني: فقد كان عن المضامين الموضوعية ، إذ بحثنا فيها المضمون الحماسي والوجداني والترفيهي والتعليمي والاجتماعي والنفسي ، وأثر ذلك في نفسية النشء وترويحهم .

أما الفصل الثالث: فخصصناه للدراسة الفنية ، الذي بحثنا فيه لغة شعر الطفولة وصورته وموسيقاه ، وقدمنا دراسة عن الريادة الموسيقية لشعراء الطفولة في العراق بشكل مسهب ، مدعومة بالأدلة الشعرية.

وللتتويه: فقد دمجت الباحثة الفاضلة منى صالح الدجيلي ، جامعة الكوفة ، كلية التربية للبنات ، حين جعلت عنوان رسالتها في الماجستير (شعر الطفولة في العراق من ١٩٠٠ - ١٩٦٨ م) ٢٠٠٧م ، بين عنوانين مختلفين (الطفولة في الشعر) و (شعر الطفولة) متأثرة بما توهم به الدكتور ابراهيم محمد صبيح في كتابه (الطفولة في الشعر العربي الحديث) ولم تلتفت الى مصادر عدة ذكرتها في مقدمتها، قد قدموا الطفل فيها على الشعر منها (الطفل في الشعر العراقي) للكاتب عبد الجبار دواد البصري، ورسالة الباحث حكيم حسن (الطفولة في الشعر العراقي) وكتاب الدكتور ابراهيم محمد صبيح المذكور آنفا ، وقد تنبعت الباحثة الفاضلة لذلك في مقدمة رسالتها ، حينما قالت (وقد يجد القارئ شعرا موجها للأطفال، لكنني لم أتعلم في مضمونه الطفولي، بقدرما تعمقت في تبيان أثرالطفولة في الشاعر) لكنها لم تفرز ماهو موجه للطفل، عما هو عن الطفل في المصادر التي اعتمدتها ، وتبيان أثر الطفولة الذي شددت رسالتها عليه، يستدعي منها تقديم الطفولة ، بوصفها صاحبة الأثر المراد دراسته، على الشعر الذي ترجم ذلك الأثر وعادة العرب تقديم ماحقه الرعاية والإهتمام على سواه، لذا كان الأصوب أن تقول (الطفولة في الشعر العراقي من..) وهو صلب مادرسه فعلا في رسالتها لأنه عن الطفولة وليس لها.

وقد يقول قائل : أن لفظ شعر الطفولة والطفولة في الشعر جائز لغة ، ونحن معه ، لكن الدلالة تختلف تبعا للتقديم والتأخير في لغة الخطاب .

وقد فعلت الباحثة سليمة سلطان نور ، جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية / في رسالتها (أثر الدين والتراث في الشعر الموجه للناشئة في العراق من ١٩٤٥م الى ١٩٨٩م ، مثلما فعلت الباحثة منى تماما ، بل زادت في خلطها بين الأشعار الموجه للناشئة، وبين الأشعار التي قيلت عنهم ، على الرغم من أن عنوان رسالتها يحتم عليها) أخذ الشعر الموجه للناشئة حصرا ، وليس الذي قيل عنهم وخلطهما معا (وغيرهما من الرسائل التي لم نضع اليد على مجمل ما كتب فيها لضيق وقتنا .

وعرضنا في الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

ولايفوتنا في ختام هذه المقدمة، أن نقدم فائق الشكر ومنتهى التقدير، الى المشرف على رسالتنا ، الأستاذ المساعد الدكتورعلي هاشم طلاب الذي غمرنا بسداد رأيه، وأكرمنا من رشاد نبله وسداد فكره ، وتابع معنا كل مفردة بحرص شديد ، فجزاه الله عنا كل سؤدد وخير، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الباحث

حسين عطية السلطاني

الفصل الأول : الأناشيد وجذورها في الشعر العربي

المبحث الأول : الأناشيد في الشعر العربي القديم
الأناشيد : لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث وتطورها

المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق وتطورها

الفصل الأول :

المبحث الأول : الأناشيد في الشعر العربي القديم

الأناشيد ، لغة :

((لغة: نَشَدَ : نَشَدْتُ الضَّالَّةَ اذا ناديتِ وسألتِ عنها ، ابن سيده : نَشَدَ الضَّالَّةَ يَنْشُدُهَا نِشْدَةً وَنِشْدَانًا طَلَبَهَا وَعَرَفَهَا وَيُقَالُ أَيْضًا : نَشَدْتُهَا اذا عَرَفْتُهَا: قال ابو دواد :
ويصيحُ أحياناً ، كما اسد

تمتع المضلُّ لصوتِ ناشدُ

أَصَلَ أَي ضَلَّ له شيءٌ، فهو يَنْشُدُهُ . قال: ويقال في الناشدِ: إنه المَعْرِفُ . قال شمر: وروي عن المفضل الضبي أنه قال: زعموا أنَّ امرأةً قالت لابنتها: احفظي بنتك ممن لا تَنْشُدِينِ اي لا تعرفين))^(١).
((قال ابو منصور: وانما قيل للطالبِ ناشدُ لرفعِ صوته بالطلبِ ، والنشيدُ رفعُ الصوتِ ، وكذلك المَعْرِفُ يرفعُ صوته بالتعريفِ فسمي منشداً؛ ومن هذا انشاد الشعرِ إنما هو رفعُ الصوتِ، وقال ابو العباس في قولهم : نَشَدْتُكَ الله ، قال : النشيدُ الصوت ، أي سألتك بالله برفعِ نشيدي أي صوتي. قال : وقولهم نَشَدْتُ الضالة أي رفعْتُ نشيدي أي صوتي بطلبها . قال : ومنه نَشَدَ الشعرَ وأنشده فنشده : أشادَ بذكره ، وأنشده اذا رفعه . وقولهم : نَشَدْتُكَ بالله والرحم ، معناه : طلبت اليك بالله وبحقِّ الرحمِ برفعِ نشيدي اي صوتي))^(٢).

((وأنشَدَ الشعرَ وتناشدوا: أنشَدَ بعضهم بعضاً. والنشيدُ : فعيل بمعنى مَفْعَل. والنشيدُ : الشعرُ المتناشدُ بين القومِ يَنْشُدُ بعضهم بعضاً؛))^(٣).

((والأنشودةُ: الشعرُ المتناشدُ بين القومِ يُنْشَدُ بعضهم بعضاً، و- قطعة من الشعر يَنْشُدُها القوم على إيقاع واحد))^(٤).

((أنشد الشعرَ قرأه بصوت مرتفع : إنشاد الشعر يجعل له تأثيراً في النفس. أنشد المَعْنِي لَحْنًا: تغنى به، ترنَّم))^(٥).

١. لسان العرب : للامام أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، ، دار صادر ، لبنان ، مادة نشد ، د ت

٢ - المصدر نفسه : ٤٢٢

٣ - المصدر نفسه : ٤٢٣

٤. المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى وآخرون ، تحقيق : مجمع اللغة العربية مصر ، د ت : ٩٢١

٥. معجم اللغة العربية المعاصرة ، أ. د أحمد مختار عمر ، عالم الكتاب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م : ٢٢١٠/١

الأناشيد ، اصطلاحاً :

أما تعريف النشيد اصطلاحاً فقد ندر جداً ، ولم تتناوله المصادر ولا المراجع ، لكننا بعد جهد جهيد وجدناه عند أرسطو ((ذلك العنصر الموسيقي الذي يصاحب المأساة اليونانية القديمة ، وكان يتأتى ذلك بالعزف على الطبول والقيثارات أو بالغناء الجماعي الرتيب))^(١) وبعدها ((قد استعمل الشاعر الناقد الأمريكي عزرا باوند (١٨٨٢-١٩٧٢ م) هذا المصطلح وصفاً لإحدى الوسائل الثلاث التي تبعث الحياة في القصيدة الشعرية وهي على حد تعبيره ، الصور المرئية، وحركة العقل بين الكلام بكل معانيه والانشاد : يعني به ما يتميز به الشعر من موسيقية أخاذة))^(٢) .

وقد لمسنا عدم وضوح مصطلح (شعر الأطفال) عند بعض الباحثين ، وخطأ بين معاني مصطلحات عدة ومعناها واحد وهي (المحفوظات الطفلية) و (الأناشيد الطفلية) و (قصيدة الطفل) و (شعر الطفولة) و (أغاني الأطفال) ، وللتوضيح فإن أول من استعمل مصطلح شعر الأطفال هو الشاعر أحمد شوقي في مقدمة ديوانه ط١ ، المطبوع سنة ١٨٩٨ م ، ويعني به الشعر الموجّه للطفل فحذفت الموجه لدلالة معنى شعر الأطفال المعروف بالإضافة عليه .

واستعملت لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية ، والخبراء المكونة من الدكتور هادي نعمان والدكتور صادق حسين المالكي والخبيرين العلميين الدكتور نجم الدين علي وإبراهيم أمين التسمية نفسها في كتابهم (أدب الأطفال) الصادر سنة ١٩٩٢ م لمعاهد اعداد المعلمين والمعلمات .

أما المحفوظات: فهي شعر للأطفال، لكنها سميت كذلك كون المناهج الدراسية تكتب عليها للحفاظ فسميت لذلك. أما الأناشيد الطفلية أو أناشيد الطفولة : فهي أيضاً شعر للأطفال وسميت كذلك ، لأنها تُتشد من التلاميذ في درس النشيد المدرسي.

أما أغاني الأطفال : فهي شعر للاطفال ، لكنها سميت كذلك ، لأن بعض الأمهات تغنيها وترقص طفلها عليها، ولأن هذه الأغاني كانت لمخاطبة الأطفال بما يناسب حاجاتهم النفسية ، وذائقتهم الفطرية وقدراتهم اللغوية لذا كانت التراكيب الشعرية يسيرة وواضحة فيها.

أما ما أطلقوا عليها أغاني ترقيص الأطفال ، فكلها عن الأطفال وليس لهم ، وهي كل ما ألف قديماً من أراجيز ونحوها بحقهم ، وطفولة الكلمة متناغمة في طياتها ، والأناشيد لاتختص في الأطفال ، وإنما هي للكبار كذلك .

وأما قصيدة الطفل : فهي كل ما تعدى سبعة أبيات سمي بذلك ، أي أن شعر الأطفال يكون من نوعين ، ما قل عن ثمانية أبيات فهو مقطوعة ، وما بلغها أو زاد عليها فهو قصيدة^(٣).

١ - فن الشعر، أرسطو طاليس ، ترجمة متي بن يونس ، تحقيق شكري عياد ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م : ٩٣

٢ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ م : ٦٤

٣ - ينظر العروض الواضح ، د ممدوح حقي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ١٤ ، ١٩٧٠ م : ٤٣

أما معنى شعر الطفولة : فهو ليس كما يشيع ، من أنه الشعر الذي تقوله الأطفال مطلقاً ، فالطفل لا يقول شعراً في هذه المرحلة العمرية ، وإنما يهوى ما يكتبه شعراء الأطفال له ومعنى الطفولة : (حالة الطفل)^(١). وعليه فإن شعر الطفولة : هو الشعر المناسب لحالة الطفل ، العقلية وقدرته الكلامية على لفظه وحفظه وفهمه والترنم به كل حسب مرحلته العمرية .

وأما الشعر عن الطفولة : فهو الذي يمثل حالة استرجاع الشعراء لأيام طفولتهم وما عانوه ، أو ماكتبوه عن أطفال آخرين أحببهم أو تعرضوا للتشرد أو اليتيم أو الفقر أو نالتهم قسوة الحروب ، أو مسّت نكبات الدنيا حياتهم ، فأثار شفقة الشعراء وعطفهم، لهذا رثوهم أو بكوهم في أشعارهم فمثل هذا الشعر يسمى عن الطفولة وليس لها ، وبمعنى أدق هو يمثل الطفولة في الشعر وليس شعر الطفولة ، وهو عنوان خارج عن موضوع هذه الرسالة ، كقول الشاعر بدر شاكر السياب في ابنته :

((أبصرت ابنتي؟ أرايتها ؟ أسمعت مشاها؟

وحين أسيرُ في الزحمة

أصغرَ كلَّ وجهٍ في خيالي : كان جفناها))^(٢)

أما لماذا اتخذنا أناشيد عنواناً لموضوع رسالتنا دون شعر الطفولة فنقول : إن الأناشيد هي جزء من شعر الطفولة ، الذي هو أحد أركان أدب الأطفال، الذي يضم القصة والمسرحية الشعرية ، وبما إن الرواد لهذا الأدب الأصل ، قد أكثروا من نظم الأناشيد لطلاب المدارس العراقية ، وسمّوا المجموعات التي اشتركوا في تأليفها بـ (الأناشيد) كي تنشد في دروس النشيد في تلك المدارس لذا فضّلنا ما فضلوا وسمينا ما سمّوا ، تعظيماً لرأيهم ودعماً لمبدأ التغليب.

١- المعجم الوسيط ، د نصار سيد أحمد وآخرون ، دار أحياء التراث العربي ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٣٤٠

٢- الأعمال الشعرية الكاملة، بدر شاكر السياب ، الجزء الأول والثاني ، دار الحياة ، القاهرة ، ٢٠١١م : ١٤١

النشأة التاريخية :

إنَّ الولوج الى عالم الطفولة يمثل رحلة ، على جناح الترويح الى فضاءات البراءة المعهودة بكل ماتحمله من لطف وتأمل وهدوء وتنقل ، وافراغ الذات مما تعانيه من هواجس الأيام ؛ لأنَّ البحث والوقوف عند الطفولة بكل ما تحمله من خفايا وأسرار لا يعد إلا ((محاولة للخروج من دائرة التاريخ والتخلص من ضغط المأساة إنها التشبث بالطفولة رمز للتوالد والخصب والحنان والصبر كما هي ممثلة في عقل الطفل))^(١) وعليه فقد كثرت التعريفات في الطفل وأهمها ما قيلت بحقه عند علماء اللغة ((هو الولد الصغير المولود))^(٢).

وأما تحديد المدة الزمنية التي تبقى هذه التسمية موافقة له فيها ، فقد حددها اللغوي ابن هيثم بقوله ((الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه الى أن يحتلم))^(٣) ، واعتماداً على هذا القول قسّم العلماء مرحلة الطفولة الى أربع مراحل وهي الأكثر شيوعاً :

١. مرحلة الطفولة المبكرة من الولادة الى ٦ سنة
 ٢. مرحلة الطفولة المتوسطة من ٦ - ٨
 ٣. مرحلة الطفولة المتأخرة من ٨ - ١٢
 ٤. مرحلة المراهقة من ١٢ - ١٧))^(٤)
- ولكن ما يرى الآباء من قساوة الحياة وشظف العيش، تراهم يذهبون الى عالم طفولتهم فتصبح ((الطفولة علامة وجودية ادراكية مزدوجة الابعاد ، ولكن هذا الازدواج لا يكون على مستوى ضدي ، بل يكون موحد الدلالة في الفقر والألم والمعاناة ، اذ تتساوى الطفولة العارية الخجلة مع شيخوخة هرمة نحيلة ، فتتبادل الطفولة والشيخوخة عملية البكاء الاول على فقر الطفولة ومعاناتها، والثاني على شيخوخة الذات وكبرها))^(٥) .
- وهذا الأمر كان وما زال الهاجس الحقيقي عبر الذات الشاعرة ، وفي مختلف المراحل والعصور ، فالعرب الأوائل في الجاهلية خصّوا أطفالهم بأناشيد موجزة ، يلتمسون فيها الدعاء والسلامة لهم ، من التوابع والحسد والمرض وهذا الدعاء على شدة إيجازه ، يمثل حالة الحنان والعطف بأبهى صورها ، حين تتدفق به قلوب الآباء حنوّاً على الأبناء ، وفوق هذا يمثل - لا إرادياً - حالة الخوف من انقطاع نسلهم بموت صغارهم .
- ولم تقتصر هذه الأناشيد على الشعراء منهم ، بل شاركت شواعرهم في إنشاد اغاني الترقيص والمناغاة وهددة أطفالهن فرحاً بهم ، وليدفعن عنهم الخوف والبكاء ، ويزرعن مع نهر حنانهن الدافق ، بسمه على محيا طفلة او طفل رضيع ، بعدما أحسّوا شدة ميل صغارهم وانشادهم اليها، على الرغم من أن الشعراء كانوا يعيشون في الجاهلية الأولى إذ إن ((الغناء للأطفال عند الشعوب هو الترنم بالكلمات الموزونة التي تصحب عادة مداعبة

١ - تداعيات المعاني في شعر الطفولة ودلالاتها الرمزية في الشعر العراقي الحديث، ا م د جمال جليل اسماعيل ، مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية العدد ٥٥ ، ٢٠٠٨م : ١

٢ - المعجم الوسيط : ٣٤٠

٣ - لسان العرب ، مادة طفل

٤ - صحافة الأطفال في العراق ، نشأتها وتطورها، هادي نعمان الهيتي ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٧م : ١٧

٥ - خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني، د علي هاشم طلاب، اطروحة دكتوراه ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الانسانية

الطفل وملاعبته وتحريكه في المهد لينام))^(١).

فالطفل يجد لذة فيما يسمعه من تلك الكلمات الموزونة تشغله ، وتداعب حواسه - لا إراديا . فتصرفه عن البكاء أو الاحساس بالجوع والعطش ، بوصفها غذاء من نوع آخر ، يستهويه ويستلطفه ، فيميل اليه بهدوء وسكون ثم تسلمه جفونه الى النوم فيخلد إليه .

وهذا الوزن قد يكون سببا مهماً في أن تكون أغاني ترقيص الاطفال محفوظة في ضمير الرواة ، ومدونة في صفحات المؤلفات التراثية والنحوية واللغوية .

وقد علل الجاحظ كثرة حفظ الشعر من دون النثر ، فيما وصل الينا من التراث بقوله ((لأن الحفظ إليه أسرع والاذان إلى سماعه أنشط وهو أحق بالنقييد وبقلة الثقلت وما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنشور عُشره ولاضاع من الموزون عُشره))^(٢).

وهذا يفسر لنا بقوة شدة تأثير الطفل به على مدار العصور ، لذا ((يميل الطفل بطبيعته للاغاني المبهجة وأغاني اللعب ، وغيرها من الاغاني والأناشيد ذات الايقاع الموزون لغة وموسيقى))^(٣).

وهذه الأشعار التي تمثل شذرات لامعة متناثرة في دواوين الشعراء ولا حصر لها ، لكنها قليلة جدا قلة السرور في نفوسهم فقد أتت بها أحيانا لحظات سارة وأخرى محزنة مرّوا بها ، فنفتتها خواطرهم ، بعدها دونتها أقلام واعية في سجل الخالدين .

وسبب قلتها كما يرى البحث : أن العرب كانت تحيا خشونة العيش وضراوته ، لذا عمدت الى تربية أولادها على حمل السيف والمبارزة من أجل أن تُبقي على وجودها أمام القبائل الأخرى التي تغزوها كلما اشتد بهم القحط . وحاولنا بسط القول ، لنرد على توهم كثير من الباحثين ، الذين استعجلوا في الاحكام من دون روية وتثبت وبحث يدفع الشك ويقطع لليقين ، حين قالوا: إن شعر الاطفال هو وليد القرن العشرين^(٤) ، لذا نعمل على الوقوف عند البدايات الاولى له في الشعر العربي ، فقد انتشر هذا الشعر في صفحات النتاج الادبي الذي يخاطب وجدان هذه المرحلة المهمة من حياة الانسان ألا وهي مرحلة الطفولة ، التي تعد (القاسم المشترك) بين منظم عنهم قديما وما نظم لهم حديثا .

فقد روي عن النبي محمد (ﷺ) أنه قال : ((لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين))^(٥) فولعهم بالشعر واحتفاؤهم به نتيجة لسموه وإيجازه عندهم وإيصاله المعاني البليغة بالفاظ يسيرة ، تهتز لها العقول قبل الابدان كان كبيرا وجيآشا بألق الشعور .

١. أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ، احمد أبو سعد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٩٧٤م : ١٩

٢. - البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٤٨م

٢٨٧/١:

٣. ادب الاطفال بين احمد شوقي وعثمان جلال ، د. احمد زلط ، دار الوفاء ، المنصورة ط ١٩٩٤م : ١٢٠

٤. في ادب الاطفال ، د. علي الحديدي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مقدمة ط ١٩٧٦م

٥. سيرة ابن هشام ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٣٧م : ١٢٥

وعليه ((لم تكتف العرب برواية الشعر وإنشاده وتعليمه ، في المجالس والمحافل ، وإنما كانوا كذلك يعلمونه الصبيان تعليماً))^(١).

لهذا نراهم حرصوا أشد الحرص على تغذية أطفالهم الخصال الحميدة في الكرم والشجاعة والعطف والنخوة وذلك عن طريق ما قالوه من شعر وحكم وأمثال وقصص تربوا عليها ووعوها ، ثم آثروا نقلها الى أولادهم الصغار طمعاً في ترسيخها لديهم*.

والناظر الى مجمل أشعارهم يرى ذلك جلياً ومتنوعاً ((فالعرب تقول الرجز* في الحرب والجِداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى فتأتي منه بأبيات يسيرة ، لذا كان الاغلب العجلى أول من قصد الرجز ، ثم سلك الناس بعده طريقته))^(٢) بعدما وجدوا فيه تنفيساً عما اعتمر في صدورهم من الالم.

لهذا كانت الأغاني روح الشعب وصورة لحياته ، التي كان يحياها في واقعه اليومي ، وهي أكثر صدقا وأكثر تعبيراً وواقعية ، مما كان له على الصعيد الرسمي من نتاج ، وما ذلك إلا لأن أصحابها نظموها وهم يمارسون عملهم اليومي ، ولم ينظموها وهم متفرغون من هذا العمل أو قاصدون إليها قصداً ، فجاءت بسبب ذلك متولدة تلقائياً من حياتهم اليومية بلا صنعة ولا ظواهر فنية^(٣).

وبهذا يتبين أن الرجز*** شعر شعبي يقترن ترديده أو إنشاده ، أو الغناء به على الصحيح شغلاً للنفس عن مشقة العمل وتسلية لها من الهموم وشحناً لها بمزيد من الطاقة للاستمرار ، في ما هو فيه من جهد. ويرى الباحث : بعد استقراء نتائجهم تباين اتجاهاتهم في نظمه ، وتناوب مشاربهم في تنوعه ، فمنهم من مسّه منهوكاً ، فطابت به أوهامه ، ومنهم من جسّه مجزوءاً فألهمته رتابة أنغامه في نظمه عن سواه ، ومنهم من أقبل عليه تاماً وهو في غاية النشوة والسرور.

وكانت أساليبهم التي خاضوا النظم فيها تمتاز ((في البساطة والوضوح ، لأنها الوعاء الذي حمل الأفكار والمضامين الجدّية فمالت الى السهولة والايجاز واستعمال المألوف من معطيات البيئة))^(٤) ، التي كانوا يعيشون فيها ، التي تفرض وجودها على نواظرهم كل يوم .

وغالبية الأشعار التي نقلناها عن الكتب المعتبرة لدى المسلمين ، هي أراجيز ترقيص الأطفال ، لم تبحث عن

١- مصادر الشعر الجاهلي ، د ناصر الدين الاسد ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٦ : ١٩٩

*. هذا لا يعني أننا تناقضنا مع قولنا في الصفحة السابقة عن قلة أشعارهم عن أطفالهم ، فهم لم يعلموهم ما قالوه فيهم بل ما نظموه للكبار أو حفظوه لشعراء آخرين أعجبوا بقولهم كي ينشأوا على الفصاحة وسمو البلاغة .

٢- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتبه هوامشه سمير جابر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١٩٨٦م ، ٣/ ١٤٥
*. رب معترض يقول ما علاقة الحديث عن الرجز بشعر الطفولة ؟ ونقول : العلاقة حميمة جداً لأن غالبية ما قالوه من شعر عنهم كان من بحر الرجز فمهدنا لذلك.

٣ - ينظر: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب : ١٠٧

***. وما يعزز هذا القول قول ابن وهب الكاتب (ت ٣٣٥هـ) ((الرجز السّاقى الذي يسقي الماء والأصل في الارجوزة وهي القطعة الشعرية من الرجز أن يرتجز بها الساقى على دلوه اذا مدها ثم أخذ الشعر فيه ، فلحق بالقصيد أو لحق به القصيد كما ينبغي أن يقال)) المصدر: البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب ، تحقيق الدكتور حنفي محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٩م : ١١٧

٤- أ د ب الاطفال ، د احمد زلط : ٨٨

الروحانية التي كُتبت بها تلك الأشعار، بل نقلوها وأثبتوها كما رواها الرواة لهم ، علما باننا لاحظنا بروز الروح الإسلامية* في غالبية تلك الكتب على الرغم من أن قائلها سبقوا ظهور الإسلام ، وهذا يضعها موضع الشك لكننا ذكرناها كما ذكروها لتكون شاهدا على البدايات الأولى لشمولهم أطفالهم بأديهم وعنايتهم بهم ، على الرغم من أنها عن الأطفال ، ولم تكن معدة لهم ابتداء كما هو اليوم ، كما لاحظنا أيضا أنها تقسم على قسمين :

الأول: تتحدث به مع الله عن الطفل ، وهي تمثل بمحتواها حالة الدعاء والتضرع والتوسل به لحفظهم وإبعاد الشرور والمخاطر عنهم .

لذا فالبدء من وعاء الرحمة أولى من سواه ، في عرف الذاكرين لله ، حيث كانت آمنة ** بنت وهب أفضل امرأة في قريش نسبا وموطنا ويؤخذ ذلك من اللهجة التي كانت تتكلم بها السيدة آمنة، وقد توفي زوجها عبد الله بن عبد المطلب، وهي حامل برسول الله (ﷺ)^(١) ويروى ((أن آمنة أم الرسول وجدت عند رأسها صحيفة مكتوبا فيها وكانت حاملا بابنها المبارك ما نصه *** :

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد
كل خلق رائد **** من قائم وقاعد
من نافث وعاقد وكل خلق مارد^(٢)

إن الاستعاذة بالله ، من الركائز الاساس التي دعا لها الخالق سبحانه وتعالى ، وعلم خلقه عليها، في كثير من الآيات بعد نزول القرآن الكريم (ﷺ) ومنها (قل أعوذ برب الناس)^(٣) و (قل أعوذ برب الفلق)^(٤) وقد جسدت (هذه الأنشودة) المعاني السامية في بناء نسيج النص الابداعي ، حتى غدت معينا يعمل على التجانس بين الأنشودة والخطاب القرآني^(٥) ، وهذه المقطوعة على ما فيها من أبيات متقنة الحكمة والصياغة ، إذ لا غرو إن قلنا أنها شابته كثيرا ما دلّت عليه سورة الفلق ، وهذا يشير إلى انهما قد صدرا من سراج وهاج واحد .

ويبدو للباحث أن هذه الصحيفة التي وجدت مكتوبة ، عند رأس السيدة آمنة، هي إحدى اللطاف الربانية المبكرة

*. هذا لا يعني عدم ذكر الله في أشعار الجاهليين ، لكن الذي نغنيه تناول المفردات التي اشتهر تداولها في العصر الإسلامي مثل (الواحد ، أعوذ ، النافث ، العاقد ، مسلم ، الباري وغيرها)

** . هناك نصوص أقدم منها ومن عبد المطلب والشمياء ، لكننا أخذنا ما يبرز الفائدة ، ويغني قليله عن كثيره ، في موضع الشاهد عن الروحانية الإسلامية في تلك الأشعار ، وليس على اساس القدم ، فالكل في عهد الجاهلية .

١. ينظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، تقديم د. إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ١٩٨٥م : ١ / ٩٤

***. كل الأشعار التي سنذكرها في هذا المبحث هي من بحر الرجز التام أو المجزوء أو المنهوك ، ويندر أن استعملوا بحرا غيره وتسمى أحيانا أراجيز ترقيص الأطفال ، لذا امتنعنا عن ذكر اسم البحر على كل قصيدة

****. يقتضي ان يسبقها حرف العطف (و) لكي توصل بما قبلها ولا بلاغة في القطع .

٢ . تاريخ الخميس ، حسين ديار البكري ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت : ١ / ١٨٦ د.ت

٣. سورة الناس : ١

٤. سورة الفلق : ١

٥. ينظر : الإقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي ، دار النمير ، دمشق سوريا، د.ت : ٧

التي تشير لبداية العناية بهذا الرضيع ، الذي سوف يكون له شأن في تغيير مسار الحياة ، وإغناء التاريخ الانساني بمكارم الاخلاق والمثل العليا ، وتوجيه المخلوق لطاعة الخالق ، لذا فهي توجهه بالاعتماد على الله والدخول في طاعته، ثم الاعتصام في قوته من شر كل حاسد وكل رائد وهو الجاسوس القائم والقاعد من الشياطين، الذي يتسلل اليه من بين يديه ليغويه بالعصيان بعدما زاغ هذا الشيطان عن الطريق القويم ، وقد بذل كل ما في وسعه من إجـل الافساد في الارض ، عبر السحر واحكامه بعد أن اجتمع الشياطين مع الماردين اي العمالقة من الجن الذين يكمنون للخلق في طرق الموارد أي في كل ما ينهلون منه من ماء وغذاء .

أما عبد المطلب بن عبد مناف * فانه كان ينشد لحفيده محمد بن عبد الله (ﷺ) حينما حمله بعد ولادته الى البيت وأخذ يطوف به وهو يقول:

الحمدُ لله الذي أعطاني
هذا الغلام الطيب الأردانِ
قد سادَ في المهدِ على الصبيانِ
أعيذه من شرِّ ذي شأنٍ **
من حاسدٍ مضطربٍ العنانِ (١)

لاشيء أعظم من الحمد في هذا الوجود ، فقد كرم الله عز وجل جد الرسول المصطفى (ﷺ) بأن رفع قوله الى عليين وجعله مفتتحاً لأول كلمتين في فاتحة الكتاب الكريم ، كما رفع أقوال الانبياء والرسل والحكماء مثل لقمان والصالحين وغيرهم، مما يعد منقبة كبرى للنسل العظيم الذي اتصل به رسولنا الكريم، فشبهة الحمد أكثر الحمد للذي أعطاه هذا الغلام ويعني به (محمد) وكان بهي الطلعة وقورا وهادئا في صباه ، الطيب الاردان أي أصل الكم أو طرفه.

وفي قوله (قد ساد في المهد على الصبيان) أي أن امارات السيادة والسمو بدت على محياه الكريم وهو لازال في المهد صبيا ، لذا فهو يستعيز بالله أن يحميه من شر كل مبغض ومن كل حاسد يرجو زوال نعمته وسموه وقد ارتفع مضطربا بالحق والحسد ، والاذى للروح والجسد .

لذا جاء النص الإبداعي مؤتلفا مع النص الديني السابق ، فجمع العوذة مع الحمد فنتج عن ذلك طاقة إيحائية في تكثيف المعنى والكشف عن النزعة الباطنية الحسية (٢).

وكان عبد المطلب يكنى لمحمد (ﷺ) محبة خاصة فحمله ، يوما إلى الكعبة فطاف به اسبوعاً وأنشد قائلاً:

ياربَّ كلِّ طائفٍ وهاجِدٍ
وربَّ كلِّ غائبٍ وشاهدٍ

*. قيل اسمه عامر وقيل شيبه وقيل عبد المطلب و يقال له شيبه الحمد لشبته كانت في ذؤابته ظاهرة ، الاستيعاب في أسماء

الأصحاب ، ابن عبد البر القرطبي ، مطبعة مصطفى محمد، بمصر، ط٢، ١٩٣٩م : ١ / ١٥

** ـ شأن : المبغض السيء الخلق ، المعجم الوسيط : ٣٠٢

١. الطبقات الكبرى : ٦٤/١

٢. ينظر : المرجعيات الثقافية الموروثة في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين ، د حسين مجيد رستم الحصونة ، مؤسسة

دار الإسلام ، ط٢٠١٤، ١١٣

أدعوك بالليل الطفوح الراكد
لاهّم فاصرف عنه كيد الكائد
واحطم به كلّ عنود ضاهد
وانشئه يامُخلد الأوابد *
في سؤددٍ راسٍ وجديّ صاعدٍ (١)

فهل اكتفى هذا الجد البار بابن ابنه المصطفى (ﷺ) بالدعاء له والسهر على الاحتفاء به وحمايته ؟ كلا بل أخذه يوماً وطاف به حول الكعبة داعياً الله - تبارك وتعالى - وهو على هذه الحال متوسلاً به وبكل طائف له قدر عند الله يطوف حول بيته الحرام وبكل هاجد يصلي الليل خاشعاً لوجهه الكريم ، ويدعوه فيه ، أن يصرف عنه كيد الكائد والمعاند القاهر ، وأن ينشئه نشأة ترفعه الى مقام الشرف الرفيع والمجد العالي وقد تقبل الله - تعالى عزه - دعاء عبد المطلب ورفع محمداً مقاماً علياً لا يدانيه فيه أحد من العالمين ، حيث حمل النبي على عاتقه قائلاً :

أعيذه بالله باري النسم
من كل من يسعى بساقٍ وقدمٍ
وقصفه الحجاج في الشهر الأصم
حتى أراه في الذرى صعباً أشم
ثم يكون - رب - غير مهتضم (٢)

كانت الاستعاذة بالله على لسان عبد المطلب بحق ابن ابنه دائمة ، فهو يستعيذ بالله باري النسم من كل ممن يسعى بساقٍ وقدم في الشر ، حتى يراه قد بلغ ذرى المجد ، وهي أعلى نقطة في مقام الرفعة ، لا يرقى إليها الطير ، وينحدر عن سموها السيل ، وأن يكون غير مظلوم في الدنيا ، لكن الأحداث التي توالى على الرسول (ﷺ) فيما بعد ، جعلته مظلوماً من أقرب الناس وهو عمه ابو لهب .

بينما كانت أخته من الرضاعة (الشيما) ** تحتضن النبي (ﷺ) وهو طفل وتنشده وتدعو له بقولها :

يا ربنا ابق لنا محمداً
حتى أراه يافعاً وأمرداً
ثم أراه سيداً مسوداً
واكبث أعاديه معاً والحسداً
واعطه عزّاً يدوم أبداً (٣)

ولم تزل الشيما تحنو على أخيها الرسول (ﷺ) من الرضاعة ، حنوها على إخوتها من إمامها وأبيها ، لما

*. الأوابد : الوحش ، الغرائب : المعجم الوسيط : ٧٠

١. معجم البلدان ، لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، طهران ، د . م . ط ، ١٩٦٥ م : ٨ / ١٤٦

٢. أنساب الأشراف ، احمد بن يحيى البلاذري ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٣٨ م : ٩٥

** - هي شيما بنت الحارث أخت النبي (ﷺ) من الرضاعة ، اعلام النساء : ٢ / ٣١٦ ، ٣١٧

٣. اعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، عمر رضا كحالة ، الطبعة الهاشمية بدمشق / ١٩٥٩ م : ٢ / ٣١٦ - ٣١٧ .

رأت فيه من الطيبة والهدوء ، والابتعاد عما تقوم به الصبيان من الأفعال غير المحببة ، ولاشك بأن العناية الربانية مدّت له من خلال الحياة يد الرحمة، فانتشلت سلوكه من ساحة الصبيان الى واحة الاتزان ، ولم تتركه حتى نهض بأمرها الجلل .

لذا أخذت تدعو الله أن يبقي لها محمداً (ﷺ) حتى يصبح فتى غير ملتج ، ثم تراه بعدها سيّدا يسود قومه بالحكمة والشرف الرفيع ، وترجو أن يبعد عنه حاسديه ، وأن يكبت شرورهم في صدورهم ، ويعطيّه عزا يدوم مادامت السموات والارض وكأن روح القدس ، نزل عليها فألهمها هذه الابيات ، التي رفعها القبول الى السماء وأرضاها الله تعالى بالاستجابة لأن الشيماء وأمها (حليمة السعدية) يحبان الرسول (ﷺ) حبا كبيرا أفاض على لسانهما أرق كلمات الدعاء وأعظمها.

وأما الدرة الانسية فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين وأم النورين فقد ((كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة بغوامض عيوب الدنيا وآفات عارفة ، وكانت من ناسكات الاصفياء وأصفياء الاتقياء))^(١) فقد رجحت على قريناتها بالصبر على الشدائد وسمو المعرفة ورزانة العقل حين ((كانت تسلى عن الدنيا وهي ترقص ابنها حسنا (عليها السلام)))^(٢) قائلة :

أشبه أباك يا حسن وأخلع عن الحق الرسن
واعبد إلها ذا منن ولا توال ذا الأحن^(٣)

لذا هي تدعوه أن يكون شبيها بأبيه أمير المؤمنين الامام علي(عليه السلام) وأن يكون مع الحق وعابدا لله ذي العطايا وتأمّره بعدم موالاة ذوي الاحقاد والضغائن .

وا بآبي شبة أبي غير شبيه بعلي^(٤)

ثم راحت تداعبه قائلة : انه شبيه بجده محمد (ﷺ) وليس بأبيه علي (عليه السلام) .

كما كانت ترقص الحسين (عليه السلام) قائلة :

إن بني شبة النبي ليس شبيهاً بعلي^(٥)

إن دعوة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لولديها بطاعة الله والاخلاص له ، ومصاحبة الحق اينما دار، وانطلاق مثل هذه الدعوات من آخرين ، واخرى تدعو لمكارم الاخلاق، يُعدّ تطورا في لغة الشعر المنظوم عن الطفولة الذي كان يعتمد على الدعاء لهم والتفاخر بهم.

لذا يرى الباحث: أن الاسلام أضفى بنور عظّمته على الخلق ، فغيّر من أخلاقهم وعاداتهم ما غير، وبث على ألسنتهم لغة الايمان بالله ، وأمرهم بالتقوى وترك الاحقاد والاضغان ، ولم تغفل الحضارة الاسلامية أهمية المنظومات

١- البيان والتبيين للجاحظ : ٨٠.

٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم احمد الاصبهاني ، مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ، ١٩٣٥م : ٤٩/٢

٣- المصدر نفسه : ٤٩

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين العسقلاني (ابن حجر)، مطبعة مصطفى محمد بمصر، ١٩٣٩م : ٤ / ٣٧٩

٥- المحبر، لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، برواية أبي سعيد السكري ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية : ٤٦ ، د.ت.

التربوية للطفل، بل زادت بها بحثاً فيما توالى من القرون، على أيدي العلماء المربين كالماوردي وابن سينا والغزالي وابن خلدون.

أما (أم البنين) * التي كان أكبر أولادها العباس (عليه السلام) فكانت ترقصه وتدعو له وتقول :

أعيذه بالواحد من عين كل حاسد
نائمهم والقاعد مسلمهم والجاد
صادرهم والوارد مولدهم والوالد^(١)

إن الاستعاذة بالله حرز المؤمنين من اغواء الشياطين، فالأنفس الصالحة تميل لهذا، خوفاً على نسلها من الانزلاق في هاوية العصيان لهدى الرحمن، لهذا ترى أم البنين تستعيز بقدرة الله الواحد ، من عين كل حاسد أفاك مد بخائنة الأعين اليه ممن كان نائماً منهم أو كان قاعداً ، ومن كان مسلماً أو جاحداً لله وكان صادراً أو وارداً ، ومن كان مولوداً أو والداً.

وقد بدت آثار الإسلام واضحة في لغتهم ومجمل تفكيرهم . فهذه اعرابية تغني لولدها وتدعو له قائلة :

عوذته بالكعبة المستورة وماتلاً محمداً من سورة
ودعوات ابن أبي محذورة * * * إني الى حياته فقيرة^(٢)

إن كل ماترجوه منه أن يتحلى بالإيمان بالله، بحق كعبة الله، وبحق مقام كل سورة تلاها محمد (ﷺ) عنده، وبحق دعوات مؤذن الرسول ابن أبي محذورة كونها الى حياته فقيرة، إذ ربما كان معيها الوحيد، فخوفها عليه قرين خوفها على نفسها من الضياع.

* - هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة، زوج الامام علي (عليه السلام)، التي كانت من أفضل النساء ، عارفة بحق أهل البيت (عليهم السلام) ومخلصة في ولائهم ، وكانت القدوة الحسنة والمثل الاعلى الذي يحتذى به ، وكانت عنواناً للشباب والتضحية والفداء والعزة والكرامة في سبيل الحق والعدالة، فلم تبخل بأولادها فاستشهدوا جميعاً في كربلاء : تاريخ الطبري: ٦ / ٨٩

١. المنمق في أخبار قریش ، لمحمد بن حبيب البغدادي ، تح : خورشيد أحمد فاروق ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط ١
٤٣٧ م : ١٩٦٤

* - مؤذن النبي (ﷺ) ينظر : كتاب الاذان والمؤذنون للبيب السعيد : ٦٩

٢. نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ، محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة ومطبعة المصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمود نصار الحلبي وشركائه ، الطبعة الأخيرة : ٢ / ٣٩ ، د . ت

أما القسم الثاني : من هذه الأناشيد فقد شدد على التحدث عن الطفل ، وعن الإشادة والتفاخر به وامتداح جماله أو أصله ، أو جر الحشرات خلفه لعدم الحصول على الخلف منه ، أو تصوير فقره ، أو أمور أخرى .

فهذه (ضباعة بنت عامر) * التي كانت ترقص ابنها سلمة بن هشام ** قائلة :

نمى به الى الذرى هشام
قرم *** وآباء له كرام
من آل مخزوم هم الأعلام
الهامة العلياء فالسنام^(١)

أي بلغ به والده هشام الى الذرى حينما شب آبائه كانوا كراما ، وصار فارسا شجاعا ، وانه كان عظيم الشأن لأن أصل آبائه من الكرام ، وهم ممن يسارعون الى الجود عند القحط، حين تتزوي الناس عن حمل عظام الامور فهم من آل مخزوم وهي إحدى قبائل العرب الكبيرة .

وكانت فاطمة بنت أسد *** ترقص عقيلا راجية له الشجاعة وهي تقول :

إن عقيلاً كاسمه عقيلاً
وبيبي الملقف المحمول *****
أنت تكون ماجد نبيل *****
إذا تهب شمالاً بليل
يعطي رجاها الحي أو ينيل^(٢)

أوحى بقولها إن عقيلا كاسمه عقيلا أي مشتق من العقل والاتزان ، مذ كان ملففا محمولا على ذراع الرحمة وهي تدعو له أن يكون ماجدا نبيلاً بين قومه كأنه ريح الشمال التي تأتي محملة بالندى ، الذي يغني رجا الحي بجوده .

أما الزبير بن العوام ***** فقد رقص ابنه عروة قائلا :

*. أجمل نساء العرب وأعظمهن خلقة، وآخر أزواجها هشام بن المغيرة ، اعلام النساء : ٥ / ٣٥٤ . ٣٥٥

**. كان هشام من خيار الصحابة، الطبقات الكبرى : ١٥٣/٨

***. قرم : العظيم الشأن ، المعجم الوسيط : ٤٢٤

١. الطبقات الكبرى : ١٥٣/٨

****. هي فاطمة بنت اسد بن هاشم ام الامام علي (عليه السلام) وام إخوته طالب وعقيل وجعفر، المصدر، اسد الغابة ٢١٢/٧ والصواب

(أنها اسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت بها في حياة النبي ﷺ) فكفنها في قميصه وقال: لم نلق بعد أبي طالب أبر بي منها)

المصدر: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، احمد المحب الطبري ، مصر، ١٩٦٥ م : ٤١٦

*****. بيبي : اصلها بن بي يقال: هو من ولد آدم ذهب بعدها فُقد ولم يعد ، كتاب العين : ٨ / ٤١٦

*****. وردت هكذا من المصدر والأصح لغة (ماجدا نبيلاً)

٢. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : ٤١٦

*****. الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي ، وكنيته ابو عبد الله وكانت أمه =

أبيض من آل أبي عتيق
مبارك من ولد الصديق
ألدّه كما ألدّ ريقى (١)

إنه يمتدح ولده بالبياض والأصل العريق لأنه من آل أبي عتيق ، وهو يرجو أن يكون مباركا ، لأن والده من حوارى رسول الله (ﷺ) وأنه يلذ به كما يلذ ريقه ، كناية منه عن شدة المحبة .
وأجمل ما رأينا من هذه الاشعار ، تلك الابيات التي نفتتها زوج أبي حمزة الضبي بروح صابرة وعقل رزين تعاتبه فيها ، حين هجر خيمتها وكان يقيل ببيت جيرانه ، عندما ولدت له بنتا ، فمر يوما بخبائها ، فاذا هي ترقص بنتها وتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يطل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
ونحن كا لأرض لزارعينا
ننبث ما قد زرعه فينا (٢)

وعندما سمع قولها عاد الى البيت وقبل رأس امرأته وابنتها .

وفي العصر الاموي واصل الشعراء مقطوعاتهم وقصائدهم عن الطفولة ، فنفتوا فيها بما جادت به قرائحهم الندية فهذا الشاعر جرير الخطفي* (ت ١١٤ هـ) رقص ابنه بلالا قائلاً:
إن بلالاً لم تشنه أمّه لم يتناسب خاله وعمّه
يشفي الصداغ ريحه وشمه ويذهب الهموم عني ضمه
كأن ريح المسك مستحمة ما ينبغي للمسلمين ذمه
يمضي الامور وهوسام همّه بحرٌ بحورٍ واسعٌ مجمّه** (٣)

حبه المستفيض لابنه ، رمى على ثغره الإفتخار به ، فروائح المسك طارت بأجنحة وذادها ، وذابت في الماء العذب الذي يستحم فيه وأحرى في المسلمين مدحه لأنه كثير النباهة في تصريف الأمور ، ومجمه كثر ماؤه وكأنه بحر واسع في العلم والمعرفة ورزانة العقل وسمو الأدب .

= صفية بنت عبد المطلب ابن هاشم عمه رسول الله (ﷺ) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد: ٣ / ١٠٠

١. المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين الأبهسي، شرحه د. صلاح الدين الهوارى، دارالبحار ط١، ٢٠٠٠م / ١: ٢٤

٢. البيان والتبيين : ١١٩/٢

*- واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة، وهو من فحول شعراء الاسلام : ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان : ١/ ٣٢١

**- مجمه : كثر ماؤه ، المنجد: ٣٧٠

٣. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق د نعمان محمد، دار المعارف ، القاهرة ، المجلد الاول ط٣، د ت: ٦٧٧

أما الحكاية الشعرية: فقد وجدنا في محاضرات الادباء هذه الأناشود التي تروى على لسان اعرابية رقصت ابنتها فقالت:

وما عليَّ أن تكونَ جاريةُ
تكنسُ بيتي وتردُّ العاريةُ
تمشطُ رأسي وتكونُ الغاليةُ
وترفعُ السَّاقطَ من خماريةُ
حتى إذا ما بلغتُ ثمانيةُ
ردَّيتها ببردةٍ يمانيةُ
زوجتها مروانَ او معاويةُ
أمهَارُ صدقٍ ومهورٌ غاليةُ^(١)

هذه الحكاية الشعرية تدل على أن العرب أسسوا لفن الحكاية الشعرية في أدبهم، بعدما نفتتها ألسنتهم في فلذات أكابدهم فتمنوا كما تمننت هذه الإعرابية لابنتها ماتمناه كل أم لابنتها من الزوج الغني، علَّها به تدرك العيش الرغيد. وهذه قصة شعرية ألقى عذابات آلامها الشاعر أبو فرعون الساسي* في بطون الكتب فصور قسوتها أحسن تصوير قائلًا :

وصبيةٌ مثلُ صغارِ الذرِّ
جاءهم البردُ وهم بشرُّ
بغيرِ قمصٍ وبغيرِ أزْرِ
وبعضهم ملتصقٌ بصدري
وبعضهم منحجرٌ بحجري
إذا بكوا عللتهم بالفجرِ
كأنهم خنافسٌ في جحرٍ^(٢)

ومن القصص الشعرية * الطريفة عن الأبناء في أدبنا العربي قول أحدهم :
ومابي أن تهونَ عليَّ لكن مخافةً أن تذوقَ الذلَّ بعدي

١. محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الاصفهاني، بيروت، ١٩٦١م، د. م. ط. ١ / ١٥٧
*. هذا الشاعر من العصر العباسي، لذا وضعناه في العصر الأموي بما يتناسب مع محل الشاهد، فنحن على بصيرة مما نورد من أشعار، ولانراعي الأقدم إن خلا من الشاهد، لأن القصة الشعرية تحتاج لأكثر من قصيدة كي تتوفر فيها الحجة للرد على من تنكر لها واحتسبها فضيلة لغير القدماء .

٢. المصدر السابق : ١ / ١٦٨

*. هذه القصيدة الوحيدة التي كتبت على بحر الوافر في كل ما ذكرناه من أشعار لندرة هذا الإستعمال

فإن زوجته رجلاً فقيراً أراها عنده والهمّ عندي
وإن زوجته رجلاً غنياً فيلطمُ خدّها ويسبُّ جدّي
سألتُ الله يأخذها قريباً ولو كانتُ أعزَّ الناسِ عندي (١)

إن ما أثبتناه من حكاية وقصتين شعريتين لا يعدو أن يكون غيضاً من فيض، عما في تراثنا الأدبي لغرض الاستشهاد هذا من جانب ، ومن جانب آخر فانه لا اشتراط أن تكون القصة الشعرية خيالية ، او تكتب على لسان الحيوان او الطير ، او أن تكون واقعية، او حوارية بل هي مطلقة تتسع أجواؤها لجميع الأخيلة والمضامين ، وفي هذا رد لمن ادعى* أن القصة الشعرية وليدة العصر الحديث ، وقد جانب الواقع والحقيقة التي حفظتها بطون الكتب ونفثتها ألسن الشعراء والشواعر معاً.

وكان من الالباء من يفتخر بابنه الذكي والنشيط ، فكان يرقصه ويقول لزوجته :

أعرفُ فيه قلّة النعاسِ
وخفّة في راسه من راسي
كيف ترينَ عنده مراسي ؟ ** (٢)

هو يعرف ان ولده قليل النعاس ، لوجود خفة نقلت إليه من راس ابيه ، لذا يسأل من زوجه كيف ترين مراسه أي تجريبه فيه؟.

وكان بعض الاعراب يرقص بعض أولاد الخلفاء ويقول:

أنا لنرجوك لتيك تيك ***
لها نرجيك ونجتبيكا ****
هي التي نأملُ أن تأتيكا
وأن يرى ذاك أبوك فيكا
كما رأى جدُّك في أبيكا (٣)

أي إننا نعدّك لتملك الخلافة والسيادة ، عندها نرجو نوالك ، لأننا من اختارك لها ، ونتأمل أن تأتيك لرجاحة في العقل وسمو في المعرفة فسارع لأن تبدي امارات السمو، والمعرفة كي يراها ابوك فيك كما رأى ذلك جدك في أبيك عندما كان فتى مثلك.

١. الشعر وطوابعه الشعبية ، د شوقي ضيف : ٨٩ ، د ت

*. في ادب الاطفال ، د علي الحديدي : ٣٥١ حيث يقول (قد استحدث شوقي في اللغة العربية نوعين من فنون ادب الاطفال المكتوب وهما القصة الشعرية والاغنية)

** . المراس : المجرب الشديد ، المعجم الوسيط : ٥٠٨

٢. الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المعروف بالمبرد النحوي ، مكتبة المعارف ، بيروت : ٥٦/١ ، د.ت.

***. تيك تيك : كناية عن الخلافة

****. نجتبي : نختار، المعجم الوسيط : ١٦

٣ - البيان والتبيين : ١٤٥/٢

وأخذ اعرابي * يمتدح طيبة رائحة طفله فقال :

وابأبي أرواحُ نشرٍ فيكا
إذا الكرى سنانه يغشيكَا
ريحُ خزامى ولى الديكَا **
أقلعَ لما بلغَ التدريكا *** (١)

انه يشم في ولده روائح النشر وهي الطيب الزاكي، وهذه الروائح نسائم ندية هبت بعد منتصف الليل لمن يدركها. وقد عيرَ زوج زوجته بولادة طفل لا يشبه أولاده فكانت ترقص ابنها وتقول :

إنَّ له من قبلي أجدادا
بيضَ الوجوه سادةً نجادا
ما ضرَّهم أن حضروا مجادا
أو كافحوا يومَ الوغى أندادا
ألا يكونَ لونهم سوادا (٢)

أي أن لها أجدادا من قبلها ، بيض الوجوه وسادة القوم ، وهم من يسارع الى النجدة حين يقل الناصر فلا يضرهم إن حضروا الامجاد ، وردعوا النظائر يوم الحرب ، أن يكون بينهم ممن كان لونه أبيضاً. ويحكى أن رجلاً له سبع بنات ، وخوفه من الثامنة طاف بالكعبة وقال :

ياربِّ حسبي من بناتِ حسبي
شيينَ راسي وأكلنَ كسبي
إن زدتني أخرى خلعتَ قلبي
وزدتني همّاً يدقُّ ضلبي (٣)

أي يارب يكفيني ما أعطيتني من البنات ، فهن قد شيين راسي وأكلن كسبي كله فإن زدتني ثامنة ، فقد خلعت على قلبي ألماً وحسرة ولوعة، وزدتني همّاً يدق ظهري .

*. أوردنا هنا وفيما بعده أشعاراً لم تذكر المصادر أسماء شعرائها، على أنها رويت في العصر الأموي لمخضرمين، أو تركت بلا تحديد لذا فالمهم عندنا الأشعار وليس الحقبة التاريخية التي قيلت فيها، بعدما ثبت في عدة مصادر أنها موجودة منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، لذا اخترنا أجملها وألطفها وقعا لدى المتلقي.

**. الديك : ارض فيها غلظ ، المعجم الوسيط : ٢٢٠

***. التدريك : ترك الشئ : المصدر نفسه : ٦١

١. اغاني ترقيص الاطفال : ٥٧ . ٥٨

٢. بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار نوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ، أبو الفضل احمد

بن أبي طاهر طيفور ، اعتنى به وفهرسه بركات يوسف هبود ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ١٢٨

٣. المزهري في علوم اللغة ، لعبد الرحمن السيوطي ، شرحه وضبطه محمد احمد جاد المولى وآخرون ، دارالفكر ، بيروت ، ١٩٥٨م :

وروي أن اعرابية قد تزوجت ولم ترزق بولد ، فكانت تتمنى أن يكون لها ولد قوي أشبه ما يكون بالأسد يدافع عن قومه ويحمي عشيرته ، فكانت اذا رقصت أحد أبناء الحي فقالت :

يا حسرتا على ولد
أشبه شئٍ بالأسد
إذا الرجال في كبدٍ *
تغالبوا على نكد
كان له حظُّ الأسد (١)

إنها الحسرة الكبرى ، التي اخذها جسد المحل الاوفى من كيانها وتفكيرها ، كونها لم ترزق بولد، وتتمنى لهذا الذي ترقصه عطفًا وشوقًا بين يديها أن يكون شبيها بالأسد، اذا الرجال كانوا في مشقة من الامر، أو تغالبوا على الامر الصعب ، كان حظه حظ الاسد.

وكان للحسن البصري (ت ١١٠هـ) طفل معجب به فرقصه قائلاً :

يا حبذا أرواحه ونفسه وحبذا نسيمه وملمسه
والله يبقيه لنا ويحرسه حتى يجز ثوبه ويلبسه (٢)

حبذا كلمة للتعبير عن التمني وللإستحسان والمدح ، لهذا فهو يستحسن أرواحه أي طيوبه وأنفاسه، وكذلك تلك النساء ، التي تحمل روائحه لابيه حين يلمسه ، ويقسم على الله ، أن يبقيه ويحرسه من شرور الاعداء .
وعندما كتب قطري بن الفجاءة الى خالد القناني يستدعيه لمشاركته قتال رجال الخوارج للدولة الاموية ، اعتذر اليه بعدما صورقصة بناته الضعاف قائلاً:

لقد زاد الحياة الي حباً بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي وأن يشربن رنقاً بعد صافي **
وأن يعرين إن كسي الجواري ففتبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهري وفي الرحمان للضعاف كافي ***
أبانا من لنا إن غبت عنا وصارالحى بعدك في اختلاف (٣)

فقد زادت بناته حبه للحياة حبا ، ملأ قلبه خوفا عليهن ، لأنهن من الضعاف، كي لا يرين الفقر بعده ، وأن لا يشربن كدرا بعد إن شربن صافيا ، وأن لا يراهن عاريات، بعد إن تكسى الجواري ، ولولا خوفا عليهن من العري والضعف لكنت تراني قد سومت مهري ، متقلدا سيفي مقبلا نحو ساح الحرب والطعان، فكيف يكون الامر اذا صحن من لنا

*. كبد : الشدة المشقة ، المعجم الوسيط: ٤٤٤

١- الدراري في ذكر الذراري ، لابن العديم الحلبي ، حققه علاء عبد الوهاب محمد ، دار الهداية ، ط١ ، ١٩٨٤م : ١٧

٢- المصدر نفسه : ٤٦

**. الرنق : الماء الكدر : المعجم الوسيط: ٢٤٧

***. في عجز البيت خلل في الوزن العروضي والأحرى به أن يقول (وفي الرحمان للضعفان أو للضعفاء كافي) ليستقيم الوزن

٣. المفضليات ، المفضل الضبي ، ضبط حسن السندوبي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ١ ، ١٩٢٦م : ٤٠٩

إذا غبت عنا ؟.

وحينما بدأت الدولة العباسية ، تنفس ابو نخيلة (ت ١٤٥هـ)^(١) الصعداء ، وقد انقطع الى بني هاشم ، ولقب نفسه شاعر بني هاشم فمدح الخلفاء من بني العباس ، وهجا بني أمية كثيرا ، وكان يمدح أبا العباس السفاح ، ومن أشعاره في ترقيص ابنته قائلا :

يا بنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت إلا خمسة أو ستا
حتى حلت في الحشا وحتى فتت في القلب جوى فانفتا
لأنت خير من غلام أنتى * يصبح مخمورا ويمسي سبتا (٢)

انه يخاطب ابنته قائلا: من الذي يقوى أن لايهوى بنتا ، وقد بلغت شهرها الخامس والسادس ، فقد حلت في دواخل الروح محلا عزيزا وقد الهبت اشواق الفؤاد حتى تقطع داخل حشاي قطعا صغيرة ، من شدة الالهفة اليك فانت خير من ولد ارتفع وانتفخ ، لكنه في الصباح صار مخمورا وعند المساء تراه نائما ، ودلالة قوله هو ذم الولد الخائب الذي لا ينهض صباحا لخدمة نفسه وأهله ، بل إنه يصبح ويمسي مخمورا ونائما كما وصفه ، لذا فضل بناته عليه .

وقد نشطت في هذا العصر حركة التأليف والترجمة ، والانفتاح على مختلف الفنون والآداب لدى الامم الاخرى فكان للاديب والمترجم (عبد الله بن المقفع) ** الريادة الأولى في ترجمة قصص (كليلة ودمنة) عن الفارسية بعد أن جلبت الى الملك كسرى أنوشروان عن طريق الذي كلّفه بذلك وهو من خاصته ، ويدعى (برزويه) *** من الهند وبعد مرور مائتي سنة على وجود هذا الكتاب في بلاد فارس ((نهض عبد الله بن المقفع في ترجمته حوالي سن ١٣٠هـ)) (٣) .

ولكنها ليست مثل كل التراجم التي تخلو من الروح ، وتعتني بحرفية الكلم بل أضفى عليها روح الاديب البليغ المتمكن ، فأضاف الى سحر الكتاب سحرا ولجلا ديباجته روعة ولطافة ، وزاد عليه المقدمة ((وقد صارت

١. هو يعمر بن حزن بن زائدة ، وكنيته ابو نخيلة لان امة ولدته جنب النخلة، الشعر والشعراء : ٣٩٩

*. أنتى: ارتفع وانتفخ ، المنجد : ٧٨٨

٢. ينظر: أغاني ترقيص الأطفال : ١٠٠ - ١٠١

** - ولد ابن المقفع سنة ٨٠هـ في خلافة هشام بن عبد الملك في جور احدى مدن فارس وكان اسمه (روزبه بن دانويه) لقبه ابوه بالمقفع لتشنج في أصابع يديه كان مجوسيا فأسلم وبذل اسمه الى (عبد الله) عد من على رأس العشرة المعدادين بلغاء الناس في العصر العباسي استكتبه السفاح ثم المنصورالذي نغم عليه لكلام بلغه عنه فأمر سفيان بن معاوية امير البصرة بقتله فقتله سنة ٧٥٩م اي عام ١٤١هـ له مؤلفات كثيرة منها الادب الصغير والكبير ورسالة الصحابة وكليلة ودمنة وهو اشهرها الذي ترجمه عن الفارسية. ينظر مقدمة كليلة ودمنة ، تحقيق د رمضان عزيز نجاد

***. وهو ابن أزهري الطبيب وهو رأس اطباء فارس وكان حكيما، المصدر نفسه: ٣٠

٣. كليلة ودمنة وانوار السهيلي، دراسة مقارنة، د رمضان عزيزنجد، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م : ١ ، وهذا التأريخ تقريبي، إذ ربما بدأ الترجمة قبله، وربما استمر بعده الى زمن المنصور .

ترجمته هذه أساسا لترجمات كثيرة ، بالسريانية والفارسية واليونانية والعبرية والمغولية والتركية ، ومصدرا أخذت عنه أوربا جميع الاقاصيص^(١)، فنال شهرة واسعة في مختلف الأزمان.

وهكذا فان كتاب* (كليلة ودمنة) يجمع بين التأليف والابتكار، والتذهيب والاختيار وبعض مختاره هندي وبعضه الآخر فارسي، وقد نال من الشهرة والذيع في مشارق الارض ومغاربها ما لم ينله كتاب غيره ، فترجم الى العديد من اللغات ، وقد احتوى على أقاصيص قصيرة خرافية جرت على ألسنة الحيوان والطير ليوافق جميع رغائب الناس تعلمهم الحكمة والاخلاق وحسن التدبير والسياسة .

وُضع الكتاب منذ ما يزيد على العشرين قرنا (لدبشليم)**، فأراد (بيدبا) الفيلسوف الهندي اصلاحه فألف هذا الكتاب ، وجعل النصح فيه على ألسنة البهائم والطير((على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فانهم كانوا يروون الحكمة على ألسنة الحيوان والطير لا اعتقادهم بتناسخ الأرواح ، وقد سمي باسم حيوانين من بنات آوى))^(٢). وقد أشتمل على اكثر من أربعة عشر بابا ، فالقسم الاول فيه باب الاسد والثور ويحتوي على ثماني عشرة قصة وكذلك بقية الأقسام وكله يحكي قصصا تروق للاطفال ، وتشدهم اليها وتستهو الكبار كذلك ، لما فيه من الحكم والنصائح وطرق التأديب ((وقد توسع العباسيون في استعمال البحور الخفيفة والقصيرة والمجزوءة ، بل واستحدثوا المزدوج والمسمط ، ولعل أول من استخدم الشعر المزدوج الشاعر بشار بن برد ، وأخذ الشعراء يستخدمونه بعد ذلك))^(٣).

وجاء أبان اللاحقي*** بعده مستفيدا من الشعر المزدوج الذي اشتهر آنذاك ومن هذه الترجمة ، فحول جنس قصص كليلة ودمنة الى أربعة عشر ألف بيت شعري ، جاء في مقدمته :

هذا كتاب أدبٍ ومحنةٌ	وهو الذي يُدعى كليلةً دمنهً
فيه احتيالاتٌ وفيه رشدٌ	وهو كتابٌ وضعته الهندُ
فوصّفوا آدابَ كلِّ عالمٍ	حكايةً عن ألسنِ البهائمِ
والحكماءُ يعرفونَ فضلهُ	والسُّخفاءُ يشتهونَ هزلهُ
وهو على ذاك يسيرُ الحفظِ	لذَّ على اللسانِ عندَ اللفظِ

١- كليلة ودمنة وانوار السهيلي : ٦

*. نظرا لأهميته في الغرب إذ اعتبر المصدر الأول لقصص لافونتين الخرافية ، وكذلك في الشرق إذ ألهم الشاعر ابان اللاحقي بأربعة عشر ألف بيت، وكل من جاء بعده وصولا الى محمد عثمان جلال في العصر الحديث، إذ جذر علاقة الحيوان بالإنسان في قصص مختلفة وأصبح قطب الرchy التي تدور حوله القصائد التي تكتب عن علاقة الحيوان بالصغار، لذا توسعنا فيه بموازاة تلك الأهمية الدائعة في جميع أنحاء العالم ، وقد اختلف في سنة تأليفه وفي مؤلفه كثيرا ، لذا أوردنا كل ما يحيط به كي نقطع نزاع القوم حوله.

***. أحد ملوك الهند الطغاة بعد عصر الاسكندر المقدوني ، ينظر: كليلة ودمنة وانوار السهيلي : ٥ - ٦

٢- كليلة ودمنة وانوار السهيلي : ٦

٣. الأغاني : ٣ / ١٤٥

***. هو ابان بن عبد الحميد اللاحقي (ت ٢٣٥هـ) ، شاعر بصري ظريف ، امتدح البرامكة والعباسيين ، المنجد في الأعلام : ١

وقرضه د طه حسين قائلاً : ((في هذا الكتاب حكمة الهند وجهد الفرس ولغة العرب))^(١) فكان تقرّضاً جامعاً مانعاً واقتفى ((أثر ابان اللاحقي سهل بن نوبخت في نظم حكايات كليلة ودمنة ووضعها شعراً))^(٢)، وكذلك الشاعر المصري الأسعد بن ممت (ت ٦٦٠هـ) وجاء بعدهم محمد بن صالح العباسي المعروف بابن الهبارية (ت ٥٠٩هـ) صاحب كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة ، ووصيفه (الصادح والباغم) * الذي سار في تأليفه على اسلوب كليلة ودمنة ، فقد قال في نتائج الفطنة وهو يرتجز :

هذا كتابٌ حسنٌ تحارُ فيه الفِطنُ
قضيتُ فيه مدّةَ عشرَ سنينَ عدّةَ
بيوته ألفانِ جميعها معانٍ^(٣)

ونظراً لأهمية هذا النوع من الشعر ، فقد أشار ابن خلدون في مقدمته الى أهمية الادب التعليمي ، والى ما قالت به العرب ، لما له فائدة في تنمية الطبع والملكات عن طريق التلقين والتكرار قائلاً ((فالملكات اللغوية تصير طبعاً عند الطفل ، والطبع لا ينمو إلا بتكرار الافعال))^(٤).

ولم يكن بعد العصر العباسي أية التفاتة واضحة لشعر الاطفال ، ولو وجدت لما أغفلتها المصادر المهمة عند جميع الأمة ، وخاصة في العصور المتأخرة .

وجانب الكاتب محمد الظاهر الصواب عندما قال ((وكانت الارهاصات الاولى لقصيدة الطفل قد بدأت من خلال المنظومات الشعرية التي صاغها الشعراء لقصة كليلة ودمنة))^(٥) .

ولكن ما أثبتته البحث يؤكد وجود جذور شعرية لهذا الفن ، كانت الطفولة (قاسمها المشترك) ، إذ بدأت في العصر الجاهلي وتوالت لعصرين بعده .

وخلاصة هذا المبحث ، تبين أن جميع الأشعار التي ذكرناها ، كانت بدايات عفوية لهجت بها ألسن المحبة وبثتها صدور المودة ، فكانت انفعالاتهم سبباً في وجود أشعارهم لأطفالهم ، وأسهم الخوف على الأبناء أو ترقيصهم أو مناغاتهم أو هدهدتهم في تدفق شلالها ، لكن هذه الأشعار تبقى صوراً مبتسرة قليلة ، لأنها لم تشكل ظاهرة في عصرها ، بل كان الأعم الأغلب أنهم يختصرون مرحلة الطفولة ، ويجعلون الصغار يرددون أشعار الكبار الممجدة للقبيلة ، وكأنهم يستحثونهم على الرجولة المبكرة أو أن مرحلة الطفولة كانت منقطعة عندهم !.

١. كليلة ودمنة ، تحقيق د عبد الوهاب عزام : ٨ ، د ت

٢. شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، نشره احمد أمين وعبد السلام هارون ، بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٣م : ٢ / ١٩١

*. الصادح : رفع صوته بالغناء . المعجم الوسيط : ٣١٣ الباغم : الصوت الذي لا يفصح ، المنجد : ٤٤

٣. ينظر ابو بكر الصولي ، احمد العمري ، هيئة الكتاب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ : ٢٧٧ - ٢٧٩

٤. مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٨م : ٥ - ٨

٥. ينظر- دراسات في أغنية الطفل ، الأوزان الشعرية التي تصلح لأغنية الطفل ، محمد الظاهر ، من ١٩٩٣ - ١٩٩٦م ، وزارة الثقافة الأردنية : ٢١

أما أهم المضامين التي طرقتها ، ودارت بين ألسنتهم ، فهي متعددة :
 أولها كان الدعاء لأطفالهم بالسلامة والتوسل برب الكعبة أن يحفظهم من شر كل حاسد ، ومن كل من يحمل عداً
 ضدهم ، وأن يجعلهم في سؤدد ومجد رفيع ، وعزة وشرف كبير ، كذلك الدعوة لهم بالبقاء والحياة الكريمة والسعيدة
 وكان الفخر من أهم ما ألقوه في أسماعهم وأشربوه أرواحهم ، ودعوههم للتمسك به ، وكانت أرواحهم تنوب في أبياتهم
 شوقاً ولهفة وشفقة عليهم عادة كل الآباء في كل الخلق ، ولم يفارق الخوف ألسنتهم بل ألقى بظلاله على قرائحهم
 العفوية لأنه أصبح حاجساً يراودهم في كل لحظة من لحظاتهم الحياتية .

وبناء على ما تقدم يرى الباحث : أنهم لم يكتفوا بذكر النتفة أو المقطوعة من الشعر ، بحق صغارهم بل توسعوا
 في ذكر القصص والحكايا الشعرية التي تغنوا بها ، ولم نوردنا جميعاً بل أخذنا منها محل الشاهد ، وهي داخلة في
 ضمن أدب الأطفال ، وشدة قبولها معيار دخولها ، لذا التفت المحدثون لها وتوسعوا فيها ، ونظموا القصص والحكايات
 الشعرية للنشء ، بعدما رأوا شدة ولعهم بها .

والملاحظ المهم الذي نشدد عليه في ذكر كل هذه الأراجيز والأشعار أنها كانت تقال عن الأطفال ، وليس لهم أي
 أنها تمثل رؤية الآباء في أبنائهم ووجهة نظرهم في الكيفية التي يجب أن يكون عليها أبنائهم ، لذا جاءت الألفاظ
 مناسبة لعقلية الكبار الذين قالوها وليس لأذان الصغار الذين سمعوها ولم يعوها ، لأنها لا تناسب فئاتهم العمرية وليس
 فيها شيء قيل على لسانهم كي يرددوه أو يفهموه .

ويرى الباحث : أن من الخصائص المهمة لقصيدة الطفل ، فضلاً عن الالتزام في شروطها* المتفق عليها لدى
 العلماء ، بأن تكون ثلاثية الأبعاد لكل مرحلة من مراحل الطفولة ، بما يناسبها بوصفها وجدت أصلاً للترويح والتعلم

فالبعد الأول : أن يكون المستوى اللغوي البسيط الواضح هو الغالب الأعظم لكل مرحلة بما يناسبها .

والبعد الثاني : أن يكون في وسط القصيدة مانصفه واضح مفهوم ، ونصفه الآخر غير واضح ولا مفهوم .

والبعد الثالث : أن يكون الجزء الأقل منها غير واضح وعصي على الفهم .

والعلة في ذلك كله : إن البعد الأول يعتمد الى تشجيع المتلقي في الإقبال عليها .

والثاني : لتحريك التفكير وإشغاله بما يفهم ولا يفهم نصفه كي يفهم كلياً عن طريق تحليله ، ومحاولة فهمه .

والثالث : إجباره على السؤال من الآخرين كي يتسع قاموسه اللغوي ثراء بعد معرفته وفهمه ، لأن الطفل يستهزئ

بما هو أقل من قدرته ويتزنى بما يوازيها ، ويفكر بما هو أعلى منها ، وعليه فإن مثل هذه القصيدة تحذ من غروره

إن كان نابهاً وتغني تفكيره إن كان ساهياً ، وهو المرتجى من هذا الفن الرفيع عموماً .

وعليه فإن ملخص فحوى القسم الأول من الأناشيد: إن العرب توجهوا بالدعاء من الله لأطفالهم، في لهفة الخشوع كي يحفظ فلذات أكبادهم ، ويمنحهم من لطفه الرحمة والصحة والعافية ، ليكونوا خير خلف لخير سلف .

أما ملخص فحوى القسم الثاني منها : فكان جل توجههم على تشجيع الطفل والأكثر من الإفتخار به ، أو مدح أصله أو بياض وجهه ، أو التحسر في الحصول على الخلف منه .

وكانت أشعارهم ابتداء في كلا الجزأين هي نفثات عاطفية صورت نظرتهم عن الطفولة، وأثرها في نفوسهم ومجمل ما يحبونه لأطفالهم ، ولم تكن موجهة بقصدية للطفولة مطلقا .

وعلى الرغم مما تقدم فهي تشير بلا أدنى شك الى بدايات موفقة لعنايتهم بالطفولة في مجمل صفحات أدبنا العربي ، وشذرات لامعة جذرت الأساس الذي أنطلقت منه ، أناشيد الطفولة في العصر الحديث .

المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث وتطورها

اختلف كبار الباحثين المصريين في تحديد البدايات الأولى لأدب الاطفال ، اختلافا كبيرا ، ولم يقو الباحثون الذين جاؤوا بعدهم من الركون الى رأي معين منهم ، وبقي هذا الاختلاف شائعا الى اليوم ، وقد انصبت جهود الباحثين على الاصرار والتشديد على أنّ نشأة أدب الاطفال في العصر الحديث في مصر حصرا .

وسنحاول جاهدين بأدلة موثوقة ، بيان النشأة وظروفها ، ومن ثم الحديث عن الريادة في هذا المجال الأدبي برؤية واقعية وموضوعية ، وإظهارها مقرونة بالأدلة القاطعة ، بعيدا عن العاطفة والانزلاق في محاولة تزييف الحقائق الواقعية والحوادث .

يقول : الدكتور علي الحديدي* ((ظلت القرون تتوالى والشعراء والرواة ، واقلام الكتاب ، والمدونين العرب بمنأى عن ادب الاطفال لايسجلون منه شيئا باللغة العربية ، ولايفردون له كتابا ، حتى عصر النهضة الحديثة))^(١) وهذا القول خلاف ** ما وجد في مؤلفات عربية عدة اختصت بذكر الذراري^(٢) التي جمعت بشكل مستفيض معظم ما قيل فيهم، وكتاب بلاغات النساء^(٣) الذي جمع فيه ما قالته النساء الشواعر في أبنائهن وكتاب أنباء نجباء الأبناء^(٤) الذي ذكر أخبارا عن أبناء الشخصيات العربية المعروفة وماقلوه فيهم، أما التي لم تختص بهم، فمرت على أخبارهم وأشعارهم مروراً سريعاً، فهي كثيرة ، ومنها نيل الاوطار للشوكاني وغيرها ، وكلها سبقت العصر الحديث اذ ربما فاتته معرفتها، ثم قال بعدها ((إن أول ما دون باللغة العربية في ادب الاطفال في عصرنا الحديث ، مما أعد خاصة ليقراء الصغار ، لم يؤلفه عربي ابتداء ، وانما ترجم من اللغة الإنجليزية))^(٥) وهذا يعني ان كل ما وجد في عصر النهضة الحديثة ، انما كان مترجماً من لغات أخرى الى العربية ، وهذا ينافي ما أثبتته البحث في المبحث السابق من وجود جذور عميقة ضرب امتدادها في العمق التاريخي للشعر العربي حتى وصلت الى عصرنا الحديث.

ثم اضاف فيما بعد ((إنّ الومضة التي ظهرت في عالم (أدب الاطفال) العرب بتفهم المربي الكبير رفاعة الطهطاوي احتياجات الطفولة العاطفية والخيالية والترفيهية ، سريعاً ما خبت بموته))^(٦) .

* - من كبار الباحثين المصريين، واول من بحث بشكل مسهب في ادب الاطفال، حيث يعد كتابه (الادب وبناء الانسان) سنة ١٩٧٣م موسوعة لأدب الاطفال العالمي والعربي، ولايمكن لأي باحث في شؤون الاطفال الاستغناء عنه، ثم غيراسمه الى (في ادب الاطفال) .

١. في ادب الاطفال ، د علي الحديدي : ٣٤٥

** - أعدنا ذكر هذه المؤلفات في الهامش لتذكير الباحث بها لا أكثر

٢. الدراري في ذكر الذراري ، لابن العديم الحلبي، حققه علاء عبد الوهاب محمد، دار الهداية ، ط ١ ، ١٩٨٤م

٣. بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار نوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ، أبو الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور، اعتنى به وفهرسه بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م.

٤. أنباء نجباء الأبناء، ابن ظفر الصقلي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأوقاف الجديدة ، ط ١ ، ١٩٨٠م.

٥. في ادب الاطفال : ٣٤٥

٦. المصدر نفسه : ٣٤٧

فهل هذا (التفهم) من قبل الشيخ المربي الذي عدّه الباحث (ومضة) في أدب الاطفال يعد تأليفا في مجال أدب الطفل ، على وفق المفهوم العام لهذا الادب ، تحسب له الريادة في هذا الباب أم أن هذا التفهم خطوة منقولة عن تجربة مفعولة لدى النظام التعليمي عند الغرب عامة وفي فرنسا خاصة؟ ولاسيما في القرن التاسع عشر خلال مكوث الشيخ في فرنسا لمدة ليست بالقليلة ، اتضحت له صورة ما عليه القوم هناك ، فحاول - مثابا- نقلها الى أهلنا وفلذات أكبادنا ، من اجل تغيير النظرة التعليمية القاصرة للطفل انذاك ، والعمل على مراعاة ما يحتاجه من الترفيه والترويح ممزوجة برحيق التأثير، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد كلّفه والي مصر (محمد علي باشا) بعد عودته من فرنسا أمر التعليم فيها ، وفي ذلك يقول أحد الباحثين ((وحين عاد الشيخ رفاعة الى وطنه ، ووكل اليه محمد علي والي مصر أمر التعليم فيها استعان بكتب الاطفال الاجنبية ، وأمر بترجمتها ليقرأها التلاميذ المصريين*))^(١).

وعليه فان فعل الشيخ وانفتاحه على المؤلفات الغربية، كان بدافع (التأثير) والنقل وليس الابتكار المستقل والمتأثر والناقل والمقلد لايعد مبتكرا مبدعا في بابهِ لدى العالم أجمع ، لأن الابداع خلق ذاتي نابع من صميم المبدع من دون تأثر أو تأثير خارجي، وعن الابداع يقول ابن رشيقي (ت٤٦٣هـ) ((اتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله في لفظ بديع))^(٢). أما ناقل الخير الى قومه فله من الخير بمقداره .

ولم يكن بين أيدي اطفال العرب وغيرهم من المتعلمين الاجانب عامة والفرنسيين خاصة ، ما يقرؤنه عليهم ، لذا ((فقد بدت في عالمهم ذبالة من ضوء ، حين ترجم الاب (بونا وبتورا جيرورو اليسوعي) عام ١٨٨٣م بعض الامثال والقصص المتداولة والمشهورة عند الغربيين الى اللغة العربية، في كتاب أدبي أخلاقي هو ((لطائف الاقوال في القصص والامثال) وذلك لافادة الطلبة المتقدمين من الفرنسيين في المدارس العربية))^(٣) وذكر إنه ((اخرجته في جزأين يضمنان اثنتين وستين قصة ومثلاً))^(٤). في حين تنعم أطفال العراق في الموصل بأشعار تناسبهم قد أهديت لهم من قرائح لم تنقل ولم تتأثر ولم تقلد ، بل أبدعت نتاجها من مهجها الفياضة سنة ١٨٨٠م في شعر ومسرحيات مُثلت على مسرح الطفل ، فالهبّت الحماسة ، وحفزت همم النشء الدينية والوطنية**.

أما الباحث الدكتور أحمد زلط *** فقد ذهب الى أبعد من سلفه كثيرا ، فجمع الخاص الى العام والعام

*. كذا وردت والأصح المصريون

١- في ادب الاطفال : ٣٤٦

٢ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : ١٠

٣- ينظر مقدمة الكتاب بقلم المترجم ، مطبعة الالباء المرسلين اليسوعيين ببغروت، ١٨٨٣م

٤- ادب الطفولة (أصوله ، مفاهيمه ، رواده) د أحمد و لط ، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط١٩٩٠، ١ : ١٥٧

** - سنورهاها لاحقا في المبحث الثالث من رسالتنا

*** - ثاني كبار الباحثين المصريين ورسالته في الدكتوراه (شعرالطفولة في الادب المصري الحديث، قضاياها واتجاهات رواده ، آداب

بناها، ١٩٨٦م

الى الخاص فاختلط الأمر، ولم يخرج بحصيلة تدل على التحديد ، بل زاد الهوة الخلافية بين الباحثين وجعلها في مفترق طرق حيث ذكر أنه ((يؤرخ العديد من الدارسين الذين تناولوا التاريخ الادبي للطفل ، لعام ١٨٧٥م بداية لنشأة أدب الطفل في الادب العربي الحديث، ودليلهم اصدار رفاعة الطهطاوي لكتابه الموسوم ((المرشد الأمين في تربية البنات والبنين))^(١) والناظر في هذا الكتاب، لا يجد في جميع أبوابه السبعة، بابا واحدا قد خص به الطفولة وما يناسبها، ويكفي الطفولة فخرا لو عطف الشيخ (بفصل واحد) عليهم، لكنه بث في كتابه أنف الذكر من فيض أفكاره التربوية والأخلاقية، أسوة بكل المربين والمصلحين على مدى تاريخنا المجيد.

وخير من أنصف الشيخ وفحوى كتابه، هو الاستاذ المجمعى المرحوم (محمد عبد الغني حسن) حينما قال عنه ((إنه كتاب تربوي أخلاقي في أساسه، مع نتف أدبية تجئ عرضا في ثناياه وتتعلق بالادب والطفل))^(٢) ولا تخلو أشعار ومؤلفات كبار المربين والمرشدين من اشارات تحفز النشء وترشدهم الى الطريق القويم سواء عن الطفل أو موجهة اليه، على مدى العصور الاسلامية السالفة و(نتف) الشيخ رفاعة تنهل من ذات السبيل، ولا تعد سابقة عليه.

وقد ذكر الدكتور ابراهيم محمد صبيح ، في معرض حديثه عن أدب الأطفال ((إن رائد ادب الاطفال هو رفاعة الطهطاوي ثم تلاه عثمان جلال و ابراهيم بك العرب وكل هؤلاء كتبوا للاطفال قبل شوقي فادب الاطفال في مصر ظهر منذ عهد محمد علي باشا تأثرا بالحركة الفرنسية التي ظهرت بظهور الثورة الصناعية))^(٣).

ولاشك في ان مقال الدكتور ابراهيم هذا فيه من التوهم والخلط ما يدعو للمراجعة ، ذلك أن علية الباحثين المصريين لم يقولوا بريادة رفاعة ولا محمد عثمان جلال ولا ابراهيم بك العرب لأدب الاطفال ، وصاحب البيت أدري بالذي فيه ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر، كيف يكون ابراهيم بك العرب قد كتب للاطفال قبل شوقي؟ والثابت عند جميع الباحثين المصريين أن شوقي أصدر ديوانه الاول الشوقيات سنة ١٨٩٨م ، وقد تضمن - على حد زعمهم - منظومات للاطفال في حين كتب ابراهيم بك العرب ديوانه سنة ١٩١١م وعمته نظارة المعارف المصرية سنة ١٩١٢م على كل المدارس^(٤).

وبناء على معطيات توافرت لديه، نشر الدكتور شفيق مهدي مقالا* في مجلة المزمارة العراقية ، نسب فيه ريادة أدب الأطفال الى العراق ، وقد جانبت الباحثة العراقية انعام عباس محمود الصواب ، حينما رفضت فحوى مقال الدكتور شفيق مهدي أعلاه الذي نسب فيه ريادة أدب الأطفال الى العراق ، من دون بحث هذا الامر بشيء من الروية

١. ادب الطفولة ، د احمد زلط : ١٥١

٢. مجلة روضة المدارس ، دراسة تحليلية ، محمد عبد الغني حسن ، د محمد عبد العزيز الدسوقي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م : ٨٠

٣. - الطفولة في الشعر العربي الحديث ، د ابراهيم محمد صبيح ، دار الثقافة ، قطر، ط ١٩٨٥م ، ٦٧

٤. ادب الطفولة : ١٥٨

*. المقال بعنوان (العراق رائد ادب الاطفال العربي) د شفيق مهدي ، السنة السادسة والعشرون في ١٨ كانون الاول ١٩٩٦م العدد: ١

والثبوت من الأدلة التي توافرت لدى صاحب المقال ، بل رددت مقولة الدكتور ابراهيم محمد صبيح حول أدب الاطفال في الوطن العربي من دون أن تثبت من الدليل الذي رفع رفاة الطهطاوي الى الريادة فيه ، وما المعايير التي ارتكز عليها الدكتور ابراهيم ؟ وتناقش ذلك ، بشيء من الاسهاب، قبل نقل رأيه الذي مر آنفا على علاته الى رسالتها^(١).

كذلك خالط الوهم الباحثة العراقية (سليمة سلطان نور) حين خلطت المعلومات خطأ لم توفق الى تصحيحها فيما بعد ، حينما نسبت تأسيس (مجلة روضة المدارس) الى الشيخ رفاة الطهطاوي ، في حين أن مؤسسها هو (علي مبارك) عام ١٨٧٠م ، لمساندة الجهاز التربوي في مصر انذاك ، وقد عهد بإدارتها ورئاسة تحريرها الى الطهطاوي^(٢)، هذا أولا وثانيا قالت في الصفحة نفسها ((ونظم الطهطاوي الاناشيد والقصائد المتميزة ، ويمكن أن يعد بما أسهم من نشاطات متعددة من رواد شعر الناشئة في الادب العربي الحديث))^(٣) ونسبت هذا القول الى الدكتور أحمد زلط .

وحين دققنا في الصفحة التي ذكرتها نفسها والكتاب المذكور له، لم نجد أثرا لهذا القول للباحث المذكور * وعليه فان الباحثة أخذت برأيها ونسبته لغيرها ، بدليل خلطها الاقوال واستخراجها النتائج من دون تمحيص وتدقيق لما تذكرلهذا فهي - رعاها الله - لم تذكر لنا شيئا عن ماهية هذه الاناشيد التي نظمها الطهطاوي؟ وماهي؟ ثم لم تذكر القصائد المتميزة! وبماذا تميّزت عن سواها؟ هل بما يناسب الكبار في التربية والاخلاق، التي روى الشيخ غُرقصائده منها وهي عامة ؟ أم بما يناسب الصغار وفهمهم اللغوي البسيط ؟ ولغرض كشف هذا الغموض الذي أقحمتنا فيه الباحثة الكريمة وتركته معلقا مبهما نقول:

إن الاناشيد التي أشارت إليها الباحثة بحق الطهطاوي هي (الوطن ، بنت النيل ، الطلبة ، واسلمي يا مصر وغيرها) والاخير نال الجائزة الثانية بعد نشيد مصر لشوقي في المسابقة القومية للانشيد في مصر عام ١٩٢١م ومطلعه :

حماة الحمى يا حماة الحمى هلموا هلموا لمجد الزمن
لقد صرخت في العروق الدّما نموئ نموئ ويحيا الوطن^(٤)
واستهل نشيد الوطن قائلا :
بلادي هواها في لساني وفي دمي يمجدها قلبي ويدعو لها فمي^(٥)

١. ينظر الطفولة في الشعر العراقي الحديث، انعام عباس محمود، رسالة ماجستير، كلية تربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩م : ٤٠

٢. ينظر ادب الطفولة ، د احمد زلط : ١٥٤

٣. اثر الدين والتراث في الشعر الموجه للناشئة في العراق من ١٩٤٥- ١٩٩٨م ، سليمة سلطان نور، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية العلوم الاسلامية ٢٠٠٠م : ٢٤

*. ينظر خلاف ذلك الرأي في أدب الطفولة : ١٥٢

٤. ديوان الرافعي ، القاهرة ، ١٩٠٣م : ١ / ٤٤

٥. المصدر نفسه : ٤٥

وجميع هذه الأناشيد، هي من الأناشيد الوطنية العامة ، وليست فيها انشودة واحدة للأطفال، اما القصائد المتميزة فهي سائرة كبقية قصائده في ديوانه ، التي تدعو الى التربية الصالحة ومكارم الاخلاق ، والاطفال هم من بين من ينهلون عذب ندير الشيخ ولا تخصيص لهم فيها ابتداء .

أما النشاطات التي عدته الباحثة لأجلها رائدا في شعر الناشئة، ففي حكمها خلط كبير وتوهم كثير، لأن النشاطات التي قام بها تتوجه رائدا في النهضة التعليمية، بما أدخله على المناهج من قصص وحكايات وأمور أخرى، أسهمت في ترويح وترفيه الاطفال في ضوء ما رآه في فرنسا، وشتان ما بين الإثنين، فالفارق واضح بين نتاج أدب للطفل وبين تنظيم السياسة المنهجية للتعليم ، وفي ذلك يقول عمدة كبار الباحثين في أدب الاطفال الدكتور علي الحديدي ((إن رائد النهضة التعليمية العربية في القرن التاسع عشر، رفاعة رافع الطهطاوي، أدخل قراءة القصص والحكايات في منهج الدراسة لتلاميذ مدارس المبتديان (المرحلة الابتدائية) على عهد محمد علي بمصر))^(١).

لقد أطلق الدكتور أحمد زلط قوله السابق بصفة العموم على (الدارسين) الذين أرخوا لأدب الطفل، حيث ذكر أنه ((يؤرخ العديد من الدارسين الذين تناولوا التاريخ الادبي للطفل ، لعام ١٨٧٥م بداية لنشأة أدب الطفل في الادب العربي الحديث ، ودليلهم اصدار رفاعة الطهطاوي لكتابه الموسوم ((المرشد الأمين في تربية البنات والبنين)) والناظر في هذا الكتاب ، لا يجد في جميع أبوابه السبعة، بابا واحدا قد خص به الاطفال ، ثم أن الدكتور أحمد زلط لم يذكرنا دارسا واحدا منهم في متن البحث أو في هامشه، ولا ندرى أكان اغفالا منه لذلك؟ ام تمويهها للحقيقة المرة ؟ لأننا بحثنا في الغالبية العظمى، إن لم نقل في جميع كتب الباحثين في هذا الشأن ، فلم نجد أثرا لهذا الرأي إلا عنده وهذا الاطلاق من دون التقييد يجعله عاما لا دليل فيه .

وأما قوله: ودليلهم إصدار رفاعة الطهطاوي كتابه الموسوم (المرشد الأمين في تربية البنات والبنين) فقد تقدم القول فيه ، ثم عاد وخفف من أهمية (قوله الاول) حيث قال ((بينما الترجيح الاقرب الى الصواب لميلاد أدب الاطفال العربي يعود الى عام ١٨٧٠م، وهي السنة التي شهدت إصدار مجلة (روضة المدارس المصرية) كونها صحافة متخصصة كانت تتوجه - يومئذ - في أساسها الى تلاميذ مدارس الديار المصرية الى عام ١٨٧٧م))^(٢).

ويبدو من قوله (بينما الترجيح الاقرب الى الصواب) أن الترجيح الاول الذي دحضناه لم يكن صائبا ، لذا أتى بما هو الأقرب الى الصواب على حد زعمه ، وهذا الترجيح الثاني لا يعد راجحا بل ترجيح بلا مرجح ، لأن إصدار مجلة روضة المدارس ، لا يعدُّ ريادة لأدب الاطفال ، كونه لا يعني انتاج أدب موجه للطفل يحمل أدنى مستوى من مفهوم أدب الطفل ، فاختلفا التوجه ، واختلفا العمل الصحفي عن النتاج الادبي الموجه ، يأخذ برقبة هذا الادعاء ويرمي به بعيدا عن واحة الطفولة ، ولكن هل يدخل هذا في باب آخر؟ نعم يدخل في باب (تهئية الارضية) الصالحة لاستقبال مثل هذا النتاج الغض ورعايته والتشجيع عليه .

إن أدب الاطفال من أصعب الآداب التي فشل كبار الشعراء والادباء في النزول من أبراجهم العالية الى ساحته البريئة ، لذا فهم يتهيبون الخوض فيه ، على الرغم من تكامل الادوات لديهم ، وهو ليس أمرا يسيرا او مبسوطا لتلاميذ مدارس يكتبون لأول مرة خواطرهم في مجلة فتية ، ولما تكتمل ذرابة اللسان وعدة البيان لديهم!.

وأما قوله كونها صحافة متخصصة كانت تتوجه - يومئذ - في أساسها الى تلاميذ المدارس، فهل ريادة جنس أدبي برمته تكوّن عبر (التوجه) أم بنوع الادب الموجه عبرها للاطفال؟ وهل الذين كتبوا فيها ابتداء ، من رفاة الطهطاوي وعبد الله فكري وعلي مبارك وعلي رفاة الطهطاوي وصالح مجدي وحسين المرصفي وحمزة فتح الله وعبد الله ابو السعود ومحمد عثمان جلال وغيرهم ، استطاعوا أن يكتبوا أناشيد للاطفال نُشرت في حينها فيها ؟ وهل إن وجدت ناسبت صياغتها ومضامينها مراحل الطفولة المعروفة ؟ وهل كُتبت فيها قصص طفلية من ابداع هؤلاء النخبة ؟ فان كتب أحدهم فالريادة للأديب الذي كتب ، لا للاوراق التي يكتب عليها، لأنها وسيلة للاتصال فحسب، فاذا كان كل هؤلاء النخبة المرموقة من الشعراء والكتاب والمؤلفين أعيانها العجز عن الاتيان بأدب مرموق يشهد لسان كفاءتهم عليه بذلك ، فغيرهم أكثر عجزا- ولو نبغوا - من أن يرتقوا الى مستوى هذه القامات العالية في العلم والادب.

أما أهم ما قامت به هذه المجلة ويحسب لها، فهو إصدار الملاحق المتوالية لكتاب ((أحمد بليغ)) * المُترجم ((كنز الآل في الحكم والأمثال)) فنشر المُترجم لايعدّ ريادة كما تقدم ، ولو حسبناه كذلك لعطفنا القول الى زمن عبد الله بن المقفع ، الذي ترجم قصص كليله ودمنة سنة ١٣٠هـ من اللغة البهلوية الى العربية ، وهذا هو أول عمل أدبي مترجم في تاريخ الادب العربي ، الذي نقل الينا الحكم والامثال والقصص على ألسنة الحيوان والطيور.

ثم قال الدكتور أحمد زلط ((وربما أهم دور قامت به المجلة (اي روضة المدارس) هو إصدار الملاحق والكتب وأعدادها النصف شهرية))^(١) وحين رجعنا الى المجلة ، لم نجد إلا كتابين فقط الاول ((كنز الآل في الحكم والامثال)) لمت ترجمها أحمد بليغ الذي نشره خلال العامين الأخيرين من عمر المجلة اي من ١٨٧٥م - ١٨٧٧م والثاني كتاب (المرشد الامين في تربية البنات والبنين) للشيخ الطهطاوي الذي أظهره كتابا مستقلا سنة ١٨٧٦م فهل يُعقل أن تحظى هذه المجلة بريادة أدب الاطفال بنشرها كتابا مترجما عن فكر وآراء الآخرين؟ هذا من جانب ومن جانب آخر أين هي الكتب التي جاءت بصيغة الجمع ونشرتها هذه المجلة ، التي تخص أدب الاطفال؟ فأما المُترجم فله فضيلة (التعريب) وليس الريادة ، كما هو مُسلم به في كل العالم ، وأما الكتب ، فلا كتاب سوى كتاب المرشد الأمين للشيخ الطهطاوي ، وهو كتاب تربوي ، لا أدبي، ولا يقترب من أدب الاطفال قيد أنملة .

أما كون مجلة روضة المدارس قد استهواها التلاميذ ((لما تنشره من قصص ومقامات وشعر وشعر ألغاز ومقالات أدبية))^(٢) فهذا مما لا شك فيه ، إذ كل ما نشر فيها ، في تلك الحقبة لا ينطبق وتعريف أدب الاطفال ، الذي عرفه

*. لم نعر على ترجمته ولا معلومات عن مؤلفه

١. أدب الطفولة : ١٥١

٢. كتاب نهضة مصر، د انور عبد الملك ، ط الهيئة لمصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م : ١٨٩

الدكتور أحمد زلط نفسه ، حينما قال عنه بأنه : ((أدب يتوجه لفئة عمرية متدرجة))^(١) ونظرا لانعدام وجود مثل هذا الادب المدرج في لغته ومضامينه في هذه المجلة ، التي سرعان ما اختفت سنة ١٨٧٧م ، واختفاؤها دليل فقرها وعدم توافر التوجه ولا القصدية المستدامة باتجاه نتاج وإدامة أدب الاطفال فيها ، بل يوحي بأنها أُسست لغرض معين ، وعند بلوغه غادرت مسرعة الى ساحة الإنزواء وباحة الإنطواء .

وأخيرا مال الدكتور أحمد زلط الى الزعم ، بعدما أفرغ كل ما في جعبته من الافتراضات ، التي لم تصمد أمام الحقائق المنهجية، كونها لم ترتفع الى مستوى الحجة الدامغة ، التي يدعن الباحثون لها بلا طعون ، وفضلا عما تقدم فهو أول الذين لم يقتنعوا بما أدرجه من افتراضات واهنة، لذا دفع عن نفسه حرجا ما أقحمها فيه ، فقال : ((ويزعم المؤلف في ضوء ما تقدم ، إن أدب الاطفال العربي نشأ وتكوّن في مصر حول مجلة (روضة المدارس المصرية) تأليفاً موجزاً وانتشاراً ، غير أننا واجدون قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان ارهاصات تكوّن أدب الاطفال ولكن في إطار الترجمة ومناهج التعليم من مثل (العيون اليواقظ لمحمد عثمان جلال) الى آخر كتب المترجمات للطفولة ، والتي شملت القصص والحكايات والامثال))^(٢).

إنّ قناعة الباحثين المصريين ، حصر النشأة لهذا الأدب (في مصر) من دون الحاجة الى أسس ومعايير منهج البحث العلمي الرصين التي تتخذ من الادلة القاطعة دعائم ترتكز عليها، إذ جعلوا من (القناعة) بديلا مخمليا يوشحونه بوشاح المزاعم، علّ واحدة منها تعلق بردائه ليتحول الى حجة دامغة، لهذا نرى الباحث الدكتور أحمد زلط جاء بالقول بالقول الاول ثم تعداه الى الترجيح الاقرب الى الصواب ، ثم تعداه الى حصر الأمر حول مجلة روضة المدارس ثم استثنى ذلك بقوله الأخير (غير أننا واجدون) فلن - بعد كل هذا المشوا الطويل الذي قطعناه - الريادة اذن ؟ هل لهذا الاستثناء الأخير أم لما تقدم ؟ لقد ترك الباحث الباب مفتوحا، ولم يقو بما عرف عنه من عمق في الفكر والبحث الى جذية تحديد القول الفصل ، وذلك لخلو يده من الحجة الدامغة ، التي يقف الباحثون عندها بالتسليم والإذعان .

ولأجل ايضاح كل ما يدور حول كتاب (العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ) الذي كثر الحديث عنه ، وعن محمد عثمان جلال* الذي ألفه ، ففي سنة تأليفه روايتان : الأولى وردت في الخطط التوفيقية على لسان محمد

١- ادب الاطفال بين احمد شوقي وعثمان جلال ، د احمد زلط : ١٤

٢- ادب الطفولة : ١٥٧

*. ولد عام ١٨٢٨م ببلدة (ونا القيس) من اعمال محافظة بني سويف، التحق بمدرسة القصر العيني عام ١٨٣٩م ، بعد ان حفظ القرآن الكريم ومبادئ الحساب وإجادة الخط ، وقد اعجب به رفاة الطهطاوي فاخذه الى مدرسة الألسن ، ولنبوغه واتقانه الفرنسية التحق بالديوان الخديوي معلما ومترجما للفرنسية ، وظل يتدرج بعد ذلك في اعمال الترجمة والكتابة في دواوين الحكومة وآخر ماؤليه منصب قاض بمحكمة الاستئناف بالقاهرة ، وتوفي بها عام ١٨٩٨م ، له مؤلفات عدة ، منها اربع روايات من نخب التياترات

الروايات المفيدة في علم التراجيدة ، والاماني والمنة في حديث قبول ورود الجنة ، والعيون اليواقظ وغيرها : المصدر ادب الأطفال ، د احمد زلط : ١٩

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

عثمان جلال قال فيها ((واشتغلت باتمام العيون اليواقظ وعرضتها على والي بواسطة المرحوم مصطفى فاضل وكان أوصلني اليه محمد علي حكيم ، فما أثمر غرسها ، فاتفقت مع فرنساوي له مطبعة من الحجر يسمى يوسف بير وعهدته بطبعها فتعهد ثم أخلف ما وعد ، فكلفت مطبعة اكبر من مطبعته ، وصرفت عليها ما جمعت ونشرتها ثم بعت الحمار وبعثتها ، وقلت في ذلك :

راجي المحال عبيط وآخر الزمر طيط
والناسُ فانتان بخت مروج وقليط
والعلمُ من غير حظ لاشكَّ جهلٌ بسيطُ ((^(١)

والثانية : رواية مختلفة للشاعر عامر محمد البحيري لطبعة العيون اليواقظ سنة ١٩٠٨م التي حققها ونشرها سنة ١٩٧٨م نقلا عن المصدر السابق ((أخذت أترجم في الاوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير لافونتين وهو من أعظم كتب الادب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان على نسق كتب الصاح والباغم وفاكهة الخلفا وسميتها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ .. فرمى كتابي في وجه حامل ، فعاد الي بخفي حنين ، فبعت حماري وبقية ما أملك وقد ركبني الهم والغم))^(٢). وفي ضوء الروايتين السابقتين استقرأ الدكتور أحمد زلط النص وتوصل الى أن ديوان العيون اليواقظ طبع لأول مرة طبعة حجرية . بين الاعوام (١٨٤٩ - ١٨٥٤م) زمن ولاية الخديوي عباس باشا الأول^(٣).

وقال الدكتور أنور عبد الملك ((ودخل المعركة ناشران مصريان آخران محمد عثمان ومحمود كتبجي - الذي تخصص - في كتب الاطفال))^(٤) والمعروف أن أول مطبعة أهلية بنظام الحروف بدأت عملها سنة ١٨٧٠م في مصر ، وقد ((أفاد - من بعد - من حركة الطباعة الحديثة ، فاعاد تقديم ديوانه (العيون اليواقظ) مرة ثانية الى الخديوي عباس حلمي الثاني الذي أمرنظارة المعارف بإقراره على تلاميذ المدارس الابتدائية ، فظهرت الطبعة الاولى في ثوب أنيق عام ١٨٨٥م وهي طبعة مسمارية غير حجرية مزودة بالرسوم والصور والخطوط والفهارس))^(٥).

وأخيرا دحض الباحث الدكتور أحمد زلط كل الروايات ، التي قدمها عن سنة تأليف العيون اليواقظ ، بعد أن عثر أثناء التحقق على الطبعة الاولى للكتاب اذ قال : ((ومع ذلك فهذه الرواية يدحضها العثور على الطبعة الاولى من العيون اليواقظ ، وهي نسخة أصلية في حوزة المؤلف يرجع تأريخها الى عام (١٣١٣هـ / ١٨٩٤م))^(٦) ثم يقول الدكتور أحمد زلط ناقد الديوان برمته ((واذا كان الشاعر محمد عثمان جلال قد صب حكايات لافونتين الخرافية في منظومات شعرية سهلة ، في ديوان العيون اليواقظ ، فانه لم يكشف في مقدمة الديوان عن توجهات

١. الخطط التوفيقية ، علي باشا مبارك ، بولاق ، ط١ ، ١٨٧٨م : ١٧ / ٦٤

٢. العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ ، محمد عثمان جلال ، تحقيق عامر محمد بحيري ، هيئة الكتاب ، ١٩٧٨م ، مقدمة المؤلف : ٢١

٣. ينظر ادب الاطفال : ٢١

٤. نهضة مصر ، د انور عبد الملك ، اطروحة دكتوراه من السوربون الفرنسية المطبعة العربية ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٣م : ١٧٨-١٨٠

٦- شعر الطفولة في الادب المصري الحديث ، قضاياه ، اتجاهاته رواده ، احمد زلط، رسالة دكتوراه ، آداب بنها، الباب الثالث ، تحقيق ونقد العيون اليوا قط ١٩٨٦م

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

تأليفه الى الاطفال))^(١) وهذا حكم صائب دفعته إليه الحقائق التي بين يديه ، التي ذكرها آنفاً ، وفوق ذلك اقرار الشاعر نفسه وانكار تأليفه الديوان للاطفال ابتداء ، حين قال في القصيدة التاسعة والثمانين بعد المائة :

وانْ أكنْ أكثرْتُ في كتابي	من قصصِ النعاجِ والذئابِ
إياكْ أنْ تبخسَ قطْ ثمنهُ	فقبلهُ كليلهُ ودمنهُ
لكنْ أراكْ تعكسُ الآمالا	تقولُ هذا ينفعُ الاطفالا
قل لي باللهِ على الصحيحِ	بلفظكِ المستعذبِ الفصيحِ
حكايةً تعلّمُ الاطفالا	وتسحرُ النساءَ والرجالا ^(٢)

وعليه فالكتاب نسخة مترجمة عن خرافات الشاعر الفرنسي لافونتين الذي اقتبسها من مصادر عدة ، وقال عنها لافونتين نفسه ((ليس من الضروري . فيما أرى . أن أذكر المصادر التي أخذت عنها هذه الحكايات الاخيرة غير أنني أقول اعترافا بالجميل : أنني مدين في اكثرها للحكيم الهندي بلباي الذي تُرجم كتابه الى كل اللغات))^(٣) وهذا يعني أن الاصول التي اعتمد عليها شرقية غالبا تعود الى قصص كليله ودمنة ، فقد لفت نظر الشاعر لافونتين الى كتاب ترجم من الفارسية الى الفرنسية سنة ١٦٤٤م وعنوانه كتاب (الانوار أو أخلاق الملوك) تأليف الحكيم الهندي (بلباي - بيد با) وقد ترجمه عن الفارسية ((جلبير جولمان (مستشار الدولة) وكان على علم باللغات الشرقية واستعان في ترجمته بفارسي يسمى (داود شهيد الاصبهاني) وكتاب الانوار لجلبير ترجمة حرة لكتاب (أنوار سهيلي) وهو بدوره ترجمة حرة في نثر فني لكتاب عبد الله بن المقفع كليله ودمنة ، وقام بهذه الترجمة من العربية الى الفارسية حسين واعظ كاشفي))^(٤).

وقد أفادت أوربا مما كتب ، فاستلهمته لتستمتع به وتنسج على منواله ، فقد شاع فيها من قصص الحب العذري والبطولات والفروسية العربية عن طريق الاندلس وصقلية ، وابان الحروب الصليبية ، وفي ايطاليا كانوا يعرفون شيئا عن (الف ليلة وليلة) منذ القرن الثالث عشر ، وذاعت في اوربا قصص منها ، وفي القرن السابع عشر ظهر تأثير قصص الف ليلة وليلة وحكايات كليله ودمنة في فرنسا بصفة خاصة ، وقد دفع انتشار القصص الشرقي العربي في اوربا ابناءها الى البحث في تراثهم عن مثيل لهذا اللون في الادب^(٥).

ولم يتصل الشاعر محمد عثمان جلال عن تراث أمته ، أو يدّعي لنفسه سبق ، بل ربط فعله بمن سبقوه في هذا الجانب والكتب التي ذكرها في أبياته هي كليله ودمنة ، التي صاغ قصصها شعرا ابان اللاحقي ، و((أما الصادح والباغم فهي منظومة للشاعر الهجاء محمد بن محمد المعروف بـ (ابن الهبارية ت ٥٠٩ هـ) في ألفي

٣. الادب المقارن ، د محمد غنيمي هلال ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١م ، مقدمة : ٢ / ١٩٢

٤. المصدر نفسه : ١٩٠. ١٩١

٥. ينظر : الف ليلة وليلة ، د سهير القلماوي ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦م : ٦٦ - ٧١

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأنشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

بيت على نسق كليلة ودمنة))^(١).

وعليه فالشاعر محمد عثمان جلال (لم يأت بابداع ذاتي مستقل) وإنما أحيا سُنَّةَ عبْدَ طريقها السابقون وله فضيلة بعث الروح في الشعر المزدوج والصياغات الشعرية الموائمة لروح العصر ، لتلك القصص التي تختلف عنواناتها قليلا عن الأصل المأخوذة منه ، على الرغم من اقتحامه ساحة الزجل الممقوت من قبل سلاطين اللغة والأدب ، وأفضل حكم عادل ومنصف بحق كتاب العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ ، هو لمرجع دارسي أدب الاطفال في الوطن العربي الدكتور علي الحديدي حيث يقول : ((ترجم محمد عثمان جلال كثيرا من حكايات لافونتين في كتابه ((العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ)) في شعر عربي مزدوج وكانت ترجمته حرة لم يتقيد فيها بالأصل وحاول تمصير الحكايات العامية في صورة زجل وبعده ألف ابراهيم العرب ، نظما كتاب خرافات على حكاياتهما للاطفال بل كتبها للكبار ومن ثم (تخرج) عن جمال أدب الاطفال الذي يكتب ابتداء لهم))^(٢) وللانصاف فان في عمل الأديبين ما يدل على وجود ما يناسب الذائقة الرقيقة للاطفال ، لكنه وجود عزيز جدا كقول محمد عثمان جلال في قصيدة الغراب والثعلب :

كان الغرابُ حطَّ فوق شجرةٍ	وجبنةٌ في فمه ، مدوِّرةٌ
فشمَّها الثعلبُ من بعيدٍ	لما رآها كهلالِ العيدِ
وقال: يا غراب، يا ابن قيصرٍ	وجهك هذا ! ام ضياءُ القمرِ؟
كنتُ أظنُّ أنَّ فيكَ ريشا	هذا حريِّرٌ ما أرى منقوشا
وحرمةِ الودِّ الذي ما بيننا	محبةٌ فيك .. أتيتُ ها هنا
وها أنا أرجوك أن تغنيَ	عسى بك الهمُّ يزولُ عنيَ
لله ما أحلاك حين تتجلي	صوتك أحلى من صياحِ البلبلِ *
فانخدعَ الغرابُ من كلامه	وجاءَ للخصمِ على مرامه
وقال (ياليل) بدون القيمة **	فسقطتُ من فمه الغنيمَةُ

قبضها الثعلبُ قبضَ الروحِ وقال: في بطني حلالا رuchi !^(٣)

وقصيدة السلحفاة والارنب التي يقول فيها :

حكايةٌ ترجمتها بالعربي في سلحفاة، تسابقتُ مع أرنبِ

١- المعجم المفصل في اللغة والادب، د اميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م : ٢ / ٧٦٠

٢ - في ادب الاطفال ، حاشية : ١٤٩

*. كلمة صياح يقال للديك ، ولو قال (نشيد) لكان اجدى له في السياق المعنوي

** كذا وردت والصحيح (اللقيمة) وهذه الكلمة لا يستقيم بها الوزن. إلا اذا قال: وقال يا ليلُ ليشكو همُّه فكان هذا مسقطاً للقيمة

وحدها حدًا، على سفح الجبل وجعلا جُعلاً .. لأوّل وصل*
 فاستغرق الارنبُ نومًا، واتكل على قُوى سرعته..فما اتصل
 والسلحفاة داومت في الجدّ فوصلت الى أصول الحدّ**
 ومذ صحا الارنبُ جاء يسعى رأى السلحفاة هناك ترعى
 قال لك الجعلُ ، وكلُّ الامرِ كم غافلٍ عن رحمة لا يدرى
 سعيت يا أختاه في أعظم كدّ وهكذا في السعي (من جدّ وجد)^(١)

وبناء على ماتقدم فان العناية بالشعر التعليمي الذي توهجت شرارته في العصر العباسي ، إنطفت جذوته في العصور التي تلتها، حتى أوقدت في العصر الحديث، وقد أشاد كبار علماء العراق والوطن العربي بأهميته بصورة عامة لأنه يساعد المتلقي على سهولة حفظ مادة الموضوع التي ينظم فيها ، ويذكر الدكتور طه حسين عن تلك المنظومات التعليمية أيام دراسته قائلا ((وكنا نروي هذه المنظومات التي حفظناها في الازهر ايام الصبا))^(٢) على الرغم من طولها وصعوبتها آنذاك .

وجاء بعده الشاعر أحمد شوقي الذي طبع ديوانه (الشوقيات) في السنة التي توفي فيها الشاعر محمد عثمان جلال أي سنة ١٨٩٨م*** ، التي اعتبرها المصريون بداية أدب الطفل في الوطن العربي . يقول الدكتور علي الحديدي ((وقد استحدث شوقي في اللغة العربية نوعين من فنون أدب الاطفال المكتوب

* - لاندري إن وقع سهو من الشاعر أو من الناسخ في وضع كسرة لكلمة (لأول) والأصح لأول - كما أثبتنا - لتوافق الوزن معها
 ** - كان بإمكان الشاعر التخلص من الزحاف المزدوج الذي ادخله على كلمة (فوصلت) وهو (الخبيل) فامات موسيقاها وان كان جائزا وأحرى به ان يقول : (اذ وصلت عند حدود الحد) ، لعدم مناسبة كلمة (اصول) في السياق اللفظي

١- ديوان العيون اليواقظ : ٦٢

٢ - حديث الاربعاء ، د طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ : ٢٢٣ ، د ت

*** - كما يزعم الباحثون المصريون ذلك في هذه السنة ، ولم يثبت هذا لنا ، كذلك لم يثبت أن شوقي كتب لهم شيئا في ديوانه هذا ، والمشهور أنه كتب أمنية في المقدمة قال فيها (أتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة) ولم يقل وفقت لكتابة كذا ... أي نفى التوفيق والكتابة معا، فكيف يؤرخ بأن أدب الطفل ابتداء من هنا وهو لم يكتب بعد ؟ بل طلب من صديقه الشاعر خليل مطران أن يتعاون معه في ايجاد شعر للأطفال قائلا (ولا يسعني إلا النشاء على صديقي خليل مطران... والمأمول أننا نتعاون على ايجاد شعر للأطفال والنساء ، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية) وكلمة (على ايجاد شعر للأطفال والنساء) تدل على أنه لم يجد شعرا للأطفال الى لحظة كتابة مقدمة ديوانه بل يحاول (ايجاد) ولم يثبت أن الشاعر خليل مطران قد تعاون معه أو لبي طلبه .

أما إثبات باب الحكايات والقصص الشعرية في ديوانه هذا - على حد قولهم - التي تأثر بها بلافونتين ، فقد سبقه محمد عثمان جلال في التأثر وتأليف ديوان العيون اليواقظ على نسق لافونتين الفرنسي، الذي أصدره سنة ١٨٨٥م : المصدر : أدب الأطفال بين احمد

شوقي وعثمان جلال ، د احمد زلط ، دار النشر للجامعات المصرية ، ط١ ، ١٩٩٤م : ٧، ٨، ٢٢ ، ثم صححه الباحث في اطروحته عن شعر الطفولة الى أن الأصح لصدور ديوان العيون اليواظ هو سنة ١٨٩٤م.

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

وهما القصة الشعرية والاغنية))^(١) بيد أن تاريخ أمتنا الحافل ينتفض رافضا لهذا القول ، لأنه ينسف كل ما موجود من قصص شعرية موجهة للأطفال ، ومن أغاني الترقيص والترانيم التي انطلقت بها حناجر الآباء والامهات على مدى العصور ، التي حوتها بطون أمات الكتب ، ووقف عندها كبار العلماء والباحثون وقفة إكبار واعزاز ، وعنها يقول : الدكتور أحمد زلط إن ((أغاني الترقيص أو الترانيم الغنائية للطفل ، لها جذورها في الادب العربي الرسمي كما وجدت في الاشكال الشعبية من أغاني الاطفال المصاحبة لألعابهم في الادب الشعبي))^(٢) .

ثم قال الدكتور علي الحديدي ((ونظم لهم عشر مقطوعات ما بين انشودة وأغنية))^(٣) فالباحث خلط واهما بين ما تعنيه القصيدة وما تدل عليه المقطوعة * في الشعر العربي ، لأن واقع ما نظمته شوقي في ديوان^(٤) الاطفال يخالف ما قاله الباحث ، لذا لم نجد فيه مقطوعة واحدة بل وجدنا ، أن جهده لهم قد تركز في انشودتين هما : نشيد مصر^(٥) ونشيد الكشف^(٦) وثمان أغاني ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كان الباحث منصفاً وموضوعياً في حكمه على ما قدمه شوقي من قصص وحكايات عندما قال : ((أما ما نظمته شوقي من قصص وحكايات على لسان الحيوان والطير عامة ، فتبلغ نحو اربع وخمسين حكاية وقصة ، لكنها ليست كلها خاصة بالاطفال ، فان هناك من الحكايات التي كتبها ما تخرج برمزيتها ، او بالتعريض بها ، او الجنس فيها ، أو تعقيدها وفلسفتها عن ادب الاطفال))^(٧) لأنها حقيقة لم تلائم جميعها القدرة اللغوية للاطفال ، بل ما يلائمهم قليل جدا منها.

وتوجّه شوقي الى أدب الأطفال ، جاء متأثراً بما رآه في فرنسا وليس شعوراً ذاتياً منه ابتداء ، وعن هذا الأمر يقول أحد الباحثين المصريين ((وبواعث اهتمام شاعرنا الكبير بهذا اللون من الأدب تماثل بواعث الطهطاوي ، ذلك أن اهتمام شوقي بهذا الفن ، ظهر بعد دراسته في فرنسا * * وبعد اطلاعه على أدب الأطفال المكتوب هناك))^(٨) اما ما يحسب لشوقي حقاً ولاغبار عليه فهو تلك القصائد العشر التي ضمها الناشر بعدة في آخر ديوانه المطبوع سنة ١٩٤٧م ولو أنه قصد في حكاياته الاولى الاطفال ابتداء لما خصص لها باباً وحدها ، وكان ضمها الى ديوان الاطفال لكنه أدرك بنباهته المعهودة أن كل ما قدمه من حكايات كانت أعلى من مستوى الطفولة ، لذا استدرك عمله وعزلها عن ديوان الاطفال ، ثم توقف عن نظمها أربعين سنة ، بعدها قدم لها في الطبقات اللاحقة من ديوانه.

١- في ادب الاطفال : ٣٥١

٢- أدب الطفولة : ١٣٢

٣- المصدر نفسه : ٣٥١

*- القصيدة : كل ما زاد على سبع ابيات ، والقطعة : كل ما زاد على بيتين الى الستة ، المصدر : العروض الواضح ، د ممدوح حقي : ٤٣

٤- ديوان الشوقيات ، دار العودة ، بيروت ، ٢٠٠٠م : ٣ / ١٨٧

٥- المصدر نفسه : ١٩٧

٦- المصدر نفسه : ١٩٩

٧- في ادب الاطفال : ٣٥١

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

وجاء بعده، الشاعر (علي فكري) * إذ كتب في سنة ١٩٠٣م (مسامرات البنات) الذي اشتمل على موضوعات عدة تخص النساء بشكل عام ، وترجمة لحياة المشهورات منهن من العرب والافرنج^(١) إلا ان القسم الأكبر منه كان موجها بقصدية تامة الى البنات ومسامراتها ابتداء ، وهذا ما يجعله من أدب الاطفال الموجه ، لأنه ((لم يكن خالصا للتسلية والترفيه والمتعة النفسية ، بل قصد منه كذلك التعليم والتهديب ، بل يمكن أن يعد أدبا متخصصا للاطفال))^(٢).

وفي سنة ١٩١١م * * * ظهر كتاب جديد يسترشد من خرافات لافونتين ، والتراث القصصي العربي وهو (كتاب آداب العرب) للشاعر ابراهيم العرب (ت ١٩٢٧م) * * * الذي جاء فيه ((وقد التزمت أن أجعل مواظ كتابي أقاصيص قريبة التناول واضحة المعنى سهلة النظم يقرؤها بلامل وينتهون منها الى تلك الكلم الجوامع ، على أنني جازيت السابقين من كتّاب العرب وأدباء الغرب))^(٣) يضم الكتاب تسعا وتسعين قصة شعرية ، تتخللها الحكم والامثال .

والناظر فيه يقف اجلالا واكبارا للجهد الكبير المبذول فيه ، وقد فاق في اسلوبه جميع سابقيه ، إذ احتكم الى صياغات نظمية مبهرة ومباغطة مع ديباجة أنيقة، وألفاظ رشيقة ، تلتمس من خلالها حلاوة التناول وطلاوة التعامل مع الموضوعات التي يتناولها، وقد تميز عن سابقيه بقدرة فائقة في التنقل بين البحور الشعرية، وعدم التقيد ببحر الرجز كما فعلوا ، والتزام القافية الواحدة في اكثر القصائد مما أضفى على القصائد موسيقى ورونقا جميلا ، لهذا أُجبرت نظارة المعارف العمومية في مصر على طبع كتابه سنة ١٩١٣م على نفقتها الخاصة كما هو ظاهر من عنوان الكتاب ، وتدرسه في المدارس الابتدائية للبنين والبنات .

وعلى الرغم مما تقدم ، فان الديوان قد اشتمل على قصائد قليلة تناسب الاطفال وذلك لكثرة استعماله البحور التامة وميله للقصائد الطويلة ، وعدم تناسب غالبية القصائد مع قدرة الطفل اللغوية ولا مراحل العمرية ، فقد تعدّت الى أكثر من سن البلوغ ، إذ نظم جميع الديوان على شكل عِظَات ومن هذه العِظَات القليلة التي كتبها وهي مناسبة لهم ، العظة الاولى (الطاووس) قائلا :

قد اظهرَ الطاووسُ اعجابه واختالَ بين الوردِ والآسِ
يفتنُّ الناظرُ من شكله بحسنِ ريشِ الذيلِ والمراسِ

*- ولد ١٨٧٩م ، عمل بالتدريس، ثم كاتباً بوزارة المعارف، ثم نقل الى دار الكتب عام ١٩١٣م، وله مصنفات منها، اداب الفتى واداب الفتاة ، وتربية البنين وتقويم الاخلاق ، والاداب الاسلامية ، وعظة النساء، والنصح المبين ، ومسامرات البنات في جزأين توفي في سنة ١٩٥٣م ، المصدر: في ادب الاطفال : ٣٦٧

١- ينظر : مقدمة كتاب مسامرات البنات ، مطبعة اللواء ، القاهرة ، ١٩٠٣م

** - في هذا العام نفسه أعاد احمد شوقي نشرحكايات الاطفال في الطبعة الثانية من الشوقيات: ادب الطفولة، د احمد زلط : ١٦٧

*** - ديوان اداب العرب، ابراهيم بك العرب ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٩١٣م

٣. ينظر مقدمة المصدر نفسه

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

لكنَّ عصفوراً تصدَّى له بالنمِّ في صحبٍ وجلاسٍ
وعابَ منه الساقَ في عريها عن ثوبٍ ريشٍ ناعمٍ كاسٍ
فقامَ من حولهما طائرٌ يرميهما بالمنطقِ القاسي
فقال كلُّ منكما معجبٌ وغافلٌ عن عيبه ناسي
لو نظر الناسُ الى عيوبهم ماعابِ انسانٍ على الناسِ^(١)

أراد ابلاغ الناس الى كثرة ما فيهم من العيوب، وعليهم أن ينشغلوا بها عن ذكر عيوب غيرهم ، وما دوافع ذلك

إلا الغرور والطيش الذي يثير الاختيال والتبخر لدى كثير من الناس . والعظة الثانية (الغراب والبلبل) قال فيها:

سكنَ الغرابُ وبلبلٌ داراً بها حَلَّتِ الإقامةُ
وكلاهما قد ضمَّه قفصُ الحفاوةِ والكرامةِ
يشدو ويلعبُ بالقلو بٍ وبالنهي لعبَ المدامةِ
ألهى بنغمةِ صوته أصحابه فنسوا طعامه
للبلبلِ التفرُّدُ ما أحلى على النفسِ انسجامه^(٢)

أحب الشاعر أن يلفت الانتظار الى أن هناك من يكون فعله سببا في هلاكه، لأنه يلهي الآخرين عن مساعدته وعونه.

وفي ((عام ١٩١٢م أصدرت دار المعارف المصرية أول كتاب أدبي مصور للأطفال وهو (القطيطات القزاز) *
لمحمد حمدي بك بالاشتراك مع جورج روب))^(٣) وقد لفت هذا المؤلف الانتظار اليه بسبب تناسق الصور مع
المضمون، ولأن وسائل الايضاح مهما تعددت ككتابة الحروف بألوان مغايرة او رسم صور تناسب فحوى النص
فانها جميعا عوامل مساعدة ومنشطة تشد النشء ، وتجذبه وتزيد من همته لمعرفة المضمون ، بعد أن تغريه
الجمالية الفنية بالنظر اليه.

وفي إطار الترجمة قام (أمين خيرت الغندور) في سنة ١٩١٤م بترجمة المجموعة القصصية (كنوز سليمان)
للكاتب الانجليزي (رايدر هاجرد) وهو كتاب أدبي قصصي تاريخي للفتيان ، يتضمن حكما بالغة وعظات منقولة
عن سير الغربيين ، وقررت وزارة المعارف لتضمه الى مكتبات المدارس الثانوية^(٤)، وعلى الرغم من أن الترجمة
لا تعد في ميدان الابداع المستقل الا انها لاتخلو من فائدة .

وفي سنة ١٩١٦م ألحق (علي فكري) بكتابه الاول (مسامرات البنات) كتابا آخر في أدب الاطفال للبنين
بعنوان (النصح المبين في محفوظات البنين) وقد كتبه لتلاميذ المكاتب الاولى ، ويتضمن حكما نثرية ونظمية من

١- ديوان ابراهيم العرب: ٥

٢- المصدر نفسه : ٥

*. لم نتمكن من الحصول عليه

٣ - ادب الطفولة : ١٥٨

٤- ينظر مقدمة الكتاب ، طبع مطبعة جورجى غرزوزى بالأسكندرية، ١٩١٤م : ١٢٣

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

أقوال الحكماء وأناشيد أدبية للناشئة من نظم الادباء، وكلها تحت على اجتلاب الفضائل واجتتاب الرذائل ، ومما اشتمله الكتاب انشودة (في طاعة الله والوالدين) يقول فيها:

أطع الآله كما أمرُ وأملأُ فؤادك بالحدز
وأطع أباك لأنه ربّك من عهد الصغر
واخضع لأمك أرضها فعقوقها إحدى الكبر
فاذا مرضتْ فإنها تبكي بدمع كالمنطر^(١)

وآخر الاحكام النهائية التي آمن بها الدكتور علي الحديدي قوله: ((ومع ذلك فان أدب الاطفال المكتوب لم يأخذ سمته الحقيقي في اللغة العربية ، ويستوي على عوده كفن من الفنون الأدبية إلا في العقد الثالث من القرن العشرين حين بزغ في أوائل العقد (محمد الهراوي) * ويعد من الرواد الأول الذين وضعوا علامات على الطريق لأدب الاطفال في اللغة العربية))^(٢).

والحق أن المنظومات التي ألفها الهراوي - رحمه الله - توافرت على الصدق الفني والاستعداد الروحي الدؤوب والتطوع الاختياري في النزول الى ساحة الطفولة، بتجرد منقطع النظر في تلك المدة ، لدرجة أنه تعرّض من جراء ذلك الى تهكم العاجزين وتبرم الحانقين ، وفي ذلك يقول أحد معاصريه ((لقد أصاب الهراوي من جراء هذه المحاولة الطيبة رذاذ من تهكم الفارغين ونكات اللاهين العاجزين الذين لا يحسنون شيئاً ، ولا يدعون غيرهم يأتون بشيء من الاشياء المتسمة بالاحسان والابداع))^(٣) ولكن الانفس العازمة على الابداع ، ترمي خلف ظهرها كل شيء ، ثم تتقدم بعذب نميرها السائغ ، الى المتعطين بروح صامدة ، وأفكار واعدة ، فاول ما كتبه الهراوي للاطفال منظومات قصصية بعنوان (سمير الاطفال للبنين) سنة ١٩٢٢م ، ثم أرففه في سنة ١٩٢٣م بـ (سمير الاطفال للبنات) وكل منهما في ثلاثة أجزاء ثم (أغاني الاطفال) في أربعة أجزاء (١٩٢٤ - ١٩٢٨م) وكلها منظومات في شعر سهل مزيّن بالصور ، وهو رحب للانشاد والمطالعة والحفظ والتسلية، ويتدرج جميعه مع عقلية النشء وقدرته اللغوية ومجال تفكيره ومشاهداته، ويقع قريباً من ذائقته وخبراته^(٤) ومن قصائده الرائعة (تهنئة بنجاح) قائلاً:

أزفُ اليك تهنئتي بما أحرزت من أرب
نجحت وتلك عاقبة لساعٍ جدّ في الطلب
فكم ذاكرت مجتهداً وكم طالعت في الكتب
وأنت سموت في خلقٍ وفي علمٍ وفي أدبٍ^(٥)

١- ينظر مقدمة النصح المبين ، بقلم المؤلف ، مطبعة مجلة الشباب ، ١٩١٦م

*. ولد في ١٨٨٥م من الرواد الأوائل المتخصصين في شعر الاطفال ، وصاحب التفرد في غزارة الانتاج وروعة الديباج والمفردة السهلة

والمضمون الهادف والعرض المبسط والتأليف المستقل والتصوير الرائع. ت ١٩٣٩م - رحمه الله - ينظر: أدب الأطفال : ٣٦٩

٢. في ادب الاطفال : ٣٦٩

٣. مقال نشره ، د مختار الوكيل بجريدة (منبر الشرق) القاهرة في ٤/١٠/١٩٤٦م

٤ - ينظر : المصدر السابق : ٣٧١

٥. ديوان سمير الاطفال للبنين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٢٣م : ٢ / ١٥

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

وفي سنة ١٩٣٢م ظهرت مجلة ابولو في مصر، التي اهتمت بالفنون الأدبية عامة ، وأفردت بابا ثابتا خاصا لشعر الاطفال، وأشهرها لشعراء الذين كتبوا للاطفال فيها هم: الصاوي محمد شعلان وبركة محمد وعلي عبد العظيم وغيرهم الى أن توقفت سنة ١٩٣٤م^(١).

ووضع جبران النحاس*، أوائل الثلاثينيات ديوانه المسمى (تطريب العندليب) المطبوع سنة ١٩٤٠م ، وتضمن سبعا وتسعين قصة شعرية كلها للأطفال، إلا إن غالبيتها كان مأخوذا عن لافونتين ، وكان النحاس قد أشار في مقدمة ديوانه التي صدرت سنة ١٩٣٢م الى نشوء وتطور الحكايات المنظومة في الشرق والغرب، وأشاد بلافونتين^(٢). وقد ذكر الدكتور هادي نعمان الهيتي ((أن جبران النحاس كان من بين اوائل الذين نظموا على غرار منظومات لافونتين، وليس بالوسع الحكم فيمن كان أسبق هو ام ابراهيم العرب أم محمد عثمان جلال، حيث أن تاريخ صدور منظومات هؤلاء الادباء ، في كتب ليس دليلا على الأسبقية ، فمع أن تطريب العندليب صدر عام ١٩٤٠م ، الا أن بعض منظومات النحاس كانت قد نشرت في عدد من المجلات ابتداء من عام ١٩٠١م))^(٣). وفي سنة ١٩٣٤م أصدر الأب نقولا المخلص كتابه (أمثال لافونتين) الذي تضمن زهاء مائة وثمانين عشرة خرافة من خرافات لافونتين ، في نظم شعري ، يقوم على محاكاة شبه كاملة لحكايات لافونتين الخرافية، وتعد هذه المحاولة أبرز بدايات أدب الطفل في لبنان^(٤).

وبصدر ديوان (تطريب العندليب) سنة ١٩٤٠م، لجبران النحاس ، نكون قد استوفينا حدود السقف الزمني المحدد لرسالتنا ، ولم نجد أي اشارة أو ظهور لأناشيد الاطفال في الوطن العربي عدا ما ذكرناه .

وعليه فقد تشعبت الاختلافات بين الباحثين المتخصصين ، في أدب الأطفال في الوطن العربي فالباحثون المصريون أكثر الباحثين العرب ، بحثا وتتبعاً في كل صغيرة وكبيرة ، في جمع المعلومات حول أدب الأطفال في مصر فقط بصورة عامة، وأناشيد الأطفال بصورة خاصة، لكن هاجس جعل مصر رائدة لكل شيء أوهى كثيرا مما جمعه، وأنهى عددا كبيرا مما وعده، حتى غدا القول لديهم يناقض بعضه بعضا ، لهذا جعلهم لا يستقرون على رأي سديد وحكم رشيد مدعوم بالأدلة والبراهين ، بل جعلهم ينتقلون من ترجيح الى ترجيح ، وختموا أقوالهم بالركون الى الزعم وهو آفة الوهم ، فالريادة لكل شيء لا ينتاب عمق جذورها القلق لأنها ليست حبرا على الورق ، تقذفها رياح المزاعم أو يبلي أثرها النقاد ، بل هي ثوابت راسخة الجذور والبناء تعلنها الوثائق وتجلوها الحقائق ، لذا كان الدكتور علي الحديدي ، أكثر موضوعية ، ودقة في الأحكام والأقوال ولم يجره الإنحياز بل أسره جمال الإنجاز لذا نراه مترويا، متتبعا الى كثير من الأقوال المتعصبة من دون وجه حق ، فجاءت أقواله وأحكامه رصينة

١. ينظر : ثقافة الاطفال : ٢٢٠

*. تعذر الحصول على ترجمته وتفاصيل ديوانه من الأسواق والأنترنت ، لذا تعذر تقييم المستوى الفني لما نظمه ومدى مناسبته

لمراحل الطفولة المختلفة .

٢. ينظر : المصدر السابق : ٢١٦، ٢١٧

٣. المصدر نفسه : ٢١٩ - ٢٢٠

٤. ينظر : أدب الطفولة : ١٦٩

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

ومحكمة إلا قليلا منها، خرج به ناقصا لقلة التتبع فيه، وعدم اشباعه بما يستحقه من البحث عن جميع أقطار الوطن العربي، واكتفائه بما تحت يده من مصر العزيزة.

أما الدكتور أحمد زلط ، فكان مثالا واضحا على التشبث بكل صغيرة وكبيرة ، كي تكون ريادة أدب الأطفال محصورة في مصر، من دون أن يبحث كسابقه فيما ضمته دور الكتب والوثائق لجميع الدول العربية، بل أنه نظر لما بين يديه من بلده ، وكأن الله - جل وعلا - أعقم سواهم عن الإبداع ، مما جعله يكتفي بما لديه ، ويستهن بما لدى الآخرين من وثائق وإبداع ينتظر بشغف وحيادية ، إظهاره كما هو لتتطق حروفه وأناشيده ، الى الناس شامخا من تلكم الحقب البعيدة ، وهذا ما فعلته هذه الرسالة ، لتضع الحقائق بين أيدي الباحثين المنصفين موثقة للنتاج الحر في وقته وزمانه ومن أنتجه ، بلا رتوش خاوية بل في نقوش وافية، تلتذ بها أعين الناظرين وتنحاز لها عقول المنصفين ويذعن لحجتها كبار الباحثين .

ولم نذكر في الرسالة كل شعر ادعى صاحبه* أنه في متناول الأطفال ، أو قريب من قدرتهم ، بل ذكرنا ماكان موافقا لأقوال العلماء والمتخصصين في أدب الطفل ، ورأى الباحث أن الأطفال يفهمونه ببسر ووضوح لأن ((من أهم خصائص الكلام كما لا يخفى ، اشتماله على مقاطع وكلمات وتميز عناصره بعضها من بعض .هذا الى أنها في الأصل أصوات فطرية تصحب الإنفعالات))^(١)، فكثرة الإدعاءات ووفرة الكلمات لم تحرفنا عن اتباع المنهج الرصين ، في تتبع آثار شعراء الأطفال المبدعين ، وإبراز نتاجهم بكل أمانة ومسؤولية .

وخلاصة المبحث الثاني: أن الدكتور علي الحديدي نفى أن يكون للعرب تدوين عن أدب الأطفال ، ولم يفردوا له كتابا خاصا به حتى عصر النهضة، وقد ردنا قوله بذكر أمات الكتب التي تخصصت في ذكر الذراري، التي دونت كل ما قيل فيهم ، إذ شكلت الطفولة (القاسم المشترك) بين العهد القديم وبين أشعارهم في العصر الحديث.

بعدها عد الباحث نفسه تفهم الشيخ رفاعه الطهطاوي - رحمه الله - لاحتياجات الطفل الترفيهية والخيالية ومضة رائدة في أدب الطفل ، وهذا مانفاه البحث، لاختلاف (التفهم) الذي توج الرفاعي رائدا في حركة التغيير المنهجية التعليمية، وإدخاله القصص الترفيهية والرسوم المصورة الدالة الى كتب الأطفال، ولم يكن هذا التفهم ومضة في أدب الطفل ، الذي يعتمد في كل أقسامه على الننتاج الموجه بقصدية مطلقة نحو الفئات العمرية المحددة للطفولة.

والملاحظ على أحكام الدكتور علي الحديدي أنها كانت متزنة بدرجة عالية، ولم تعلق بها أظفار العاطفة الوطنية المناحزة في حصر ريادة أدب الأطفال - بغير دليل - في مصر، على عكس الذين جاؤوا بعده وتشبثوا في كل شيء من أجل حصرها في مصر العلم والثقافة، والصرح المعلى في اتباع الحقائق والتفاني في اثباتها ، والسير خلفها لا القفز عليها أو أمامها.

أما الدكتور أحمد زلط : فقد خلط الأمور على نفسه ، وحار أخيرا في تخريجها أو التخلص منها ، إذ جعل أولا سنة ١٨٧٥م بداية نشأة أدب الطفل في الوطن العربي ، بحجة إصدار الشيخ رفاة الطهطاوي - رحمه الله -

* - أهملنا العديد من هذه القصائد التي ادعى أصحابها مناسبتها للطفولة كونها غير ذلك تماما .

١- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، د عبد الواحد وافي ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ٣ : ٢ - ٢٤

﴿ الفصل الأول / المبحث الثاني : الأناشيد في الشعر العربي الحديث ﴾

كتابه الموسوم (المرشد الأمين في تربية البنات والبنين) في هذه السنة ، وقد دحضنا هذا الإدعاء لخلو أبواب الكتاب من أي باب يخص الطفولة فيه ، ولأنه تربوي أخلاقي عام .

بعدها عاد الدكتور أحمد زلط لينسف قوله الأول آنفا ويقول : (بينما الترجيح الأقرب الى الصواب لميلاد أدب الأطفال العربي يعود الى عام ١٨٧٠م وهي السنة التي شهدت إصدار مجلة روضة المدارس المصرية ، كونها صحافة متخصصة الى تلاميذ مدارس الديار المصرية) وهذا مادحضناه أيضا . على قاعدة من فمك أدينك . لأنه اعتبر القول الثاني هو الأقرب الى الصواب ، وعليه فمصير القول الأول هو الأبعد عن الصواب .

أما قوله الثاني الذي ادعى أنه هو الأقرب الى الصواب ، فما اقترب من الصواب ولا علق حتى بأذنيه ، بدليل أن مجلة روضة المدارس وغيرها وسيلة اتصال بين المرسل والمتلقي ، وليست لها علاقة في ريادة أدب الأطفال وإنما الريادة للمرسل إن توجه من خلالها بشعر أو قصص بقصدية واضحة للطفولة في مراحلها المختلفة ، وهذا ما لم يحصل مطلقا في أي عدد من أعدادها أو صفحة من صفحاتها آنذاك ، الى حين اغلاقها سنة ١٨٧٧م ، وإغلاقها أضاف دليلا على بطلان ريادتها ، ولو كانت رائدة فعلا لهذا الجنس الأدبي الممتع لاستمرت ، لأن لذة المتعة فيها لم تُحصر في سنوات عمرها الثمانية ، ولا لذاك الجيل ، بل لكان ممتدا مع عمر الأجيال اللاحقة الى اليوم .

بعدها توجه الدكتور أحمد زلط لنسف كل ما قاله في القولين السابقين ، حينما قال : (غير أننا واجدون قبل ذلك بنحو عقدين من الزمان ارهاصات تكون ادب الأطفال ، ولكن في إطار الترجمة ومناهج التعليم) ويعني ديوان العيون اليواظ لمحمد عثمان جلال ، وهذا رددها لأن من ألفه نفى أن يكون موجها للأطفال ، وجاء الدكتور أحمد لينتشر ويثبت عكس ما صرح به صاحبه .

والملاحظ على أحكام الدكتور أحمد زلط : أنها مضطربة قلقة ، وحروف لهجة الحيرة رجرت متونها ، فلم تثبت على مأل ، بل مالت من حال الى حال ، وهذا التشبث المستميت - بريادة إحداها - أفقدها روح الأصالة العلمية وأخرجها من موضع الإحتجاج الى مفزع الإرتجاج ، فلم ترتفع بمجملها الى دليل قاطع .

أما الدكتور ابراهيم محمد صبيح فقد دخل الى (معمعة) الريادة من باب (خالف تُعرف) والتف حوله كل من لا يسعون الى البحث الدقيق والإستقصاء في تتبع الأدلة ، فقدّم ما حقه التأخير ، وأخرّماحقه التقديم ، حينما أعطى ريادة أدب الأطفال الى رفاة الطهطاوي ثم الى محمد عثمان جلال ثم الى ابراهيم بك العرب ، من دون أن يُقدّم دليلا واحدا على زعمه ، إذ قدّم ابراهيم بك العرب وأخر شوقي ، وقد أثبتنا بطلان زعمه مع من أيده .

أما الدكتور شفيق مهدي الذي نشر مقالا في مجلة المزمар ادعى فيه ريادة العراق لأدب الأطفال في الوطن العربي ، بناء على ما توافر من الأدلة لديه ، فجاءت الباحثة انعام عباس محمود لتدحض مقاله ، وترجح مزاعم الدكتور ابراهيم محمد صبيح ، من دون أن تبرز ماهية المعايير التي اعتمدها الدكتور ابراهيم في ترجيح رفاة

الى ريادة أدب الأطفال، أو تقدم لنا الدليل - من جهدنا البحثي - على ترجيحه، وكل ما قدمناه من أقوال فارغة رددناها بالحجة الدامغة، من دون أن تأخذنا العاطفة الوطنية المنحازة والخالية من كل بيّنة ، وقدمنا لمعاوضة مقال الدكتور شفيق مهدي حقائق أخرى لا يقوى التعصب العاطفي على دفعها - حتى ولو حرص - لأنها مسندة بالوثائق الرسمية التي ملكت بسبقها الحقيقي المحض نشأة الأناشيد وتطورها وريادتها في العراق .

الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴿ ٥٢ ﴾

المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق وتطورها

لم أر بين الباحثين العراقيين الذين بحثوا في أدب الاطفال ، توافقا في الآراء عن تحديد البدايات الاولى لنشأة هذا الجنس الأدبي الرفيع ، الذي ما فتئ الباحثون يجدون فيه مجالا خصبا ومتعة في سبر أغواره ، وتشبيد صرحه والتلذذ بنوافح أزهاره ، بعدما فات القدماء النظر اليه بما يستحقه من الرعاية والاهتمام، الى أن صار حضوره لافتا للنظر قبل أكثر من قرن من الزمان مناديا بوجوده ، بوصفه حقلا معرفيا في المجال الأدبي والشعري ، اتضحت أغراضه وبانت رياضه السامية للجميع .

لذا كانت أول هذه الآراء هي للدكتور عمر أحمد الطالب الذي قال : ((لعل بداية أدب الاطفال كانت على المسرح في العراق حيث لعبت مدارس الارساليات المسيحية منذ القرن التاسع عشر دورا كبيرا في إنكاء النشاط المسرحي، ولاسيما المدرسة الكليركية التي أسسها الآباء الدومنيكان في الموصل عام (١٧٥٠م) التي عنيت بالفن المسرحي ضمن الاطار المدرسي))^(١) ثم أضاف ((وأول عمل مسرحي قدم على مسرح مدرسة الآباء الدومنيكان في الموصل عام (١٨٨٠م) كتبه القس (حنا حبش) هو مسرحية كوميدية آدم وحواء ، وتلاها بمسرحيتين هما (كوميديّة يوسف الحسن) و (كوميديّة طوبيا)، ثم قدم الخوري هرمز نورسو الكلداني المارديني مسرحية (نبوخذ نصر) عام ١٨٨٨م على مسرح المدرسة نفسها ، وتوالى المسرحيات التي ألفها القساوسة ، وكانت البذرة الأولى في التأليف المسرحي العراقي عامة والتعليمي خاصة، ولكنها لم تخرج عن نطاق التمثيل على المسارح المدرسية وقدم المعلم (نعوم فتح الله سحار) على مسرح المدرسة الكليركية عام ١٨٩٣م مسرحية (لطيف وخوشابا) مسرحية كوميدية صرفة))^(٢).

اما الباحثة انعام عباس محمود ، فقد ذكرت أنه ((لم يأخذ أدب الأطفال مكانته الحقيقية في الوطن العربي إلا في عام ١٩٢٢م))^(٣).

وللدكتور هادي نعمان رأي قال فيه: أنه ((شهد النصف الثاني من القرن العشرين تبلور الكثير* من التقاليد لأدب الأطفال))^(٤) .

بينما أقرّت الباحثة سليمة سلطان ظهور هذا الشعر في مصر، إذ عدت ((أحمد شوقي أول من كتب للناشئة))^(٥). ثم ذهبت الدكتورة طاهرة داخل الى ((ان شعرا ناضجا للأطفال لم يظهر في واقعنا الأدبي إلا بعد مرحلة تتجاوز أواسط القرن العشرين))^(٦).

١. المسرحية التعليمية في العراق، د عمر احمد الطالب ، مجلة آداب المستنصرية، ١٩٨٦م : ١٣ ، لأن المسرحية الشعرية أحد أركان أدب الطفل ، إذ تشكل مع شعر الأطفال والقصة جنس أدب الأطفال كاملا .

٣. الطفولة في الشعر العراقي الحديث ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية تربية ابن رشد، ١٩٩٩م : ٢١ ، اشارة الى الشاعر المصري محمد الهراوي

*. الصحيح كثير

٤. مقال في مجلة الطفولة والتنمية ، المجلس العربي للطفولة والتنمية، العدد : ١ ، ٢٠٠١م : ١٥

٥. أثر الدين والتراث في الشعر الموجه للناشئة ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية العلوم الاسلامية ، ٢٠٠٠م : ٢٦

٦ . القصة الشعرية في ادب الاطفال ، د طاهرة داخل ، دارالشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، ٢٠١٣م : ٥

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

كما شاع كثيرا بين الاوساط الثقافية والأدبية، ولدى جميع الدارسين في العراق وخارجه، قول الدكتور علي الحديدي ((ثم بدأت قطرات من الندى في أواخر العشرينات ، تبلل هذا الجذب وتخفف من وطأت* القحط في حياة الاطفال))^(١) الذي صدر في سبعينيات القرن العشرين ، وتأثر بهذا القول الدكتور جميل حمداوي الذي قال : أن ((شعر الاطفال في العراق ظهر في العشرينيات ، من القرن العشرين تحت تأثير أحمد شوقي))^(٢).

ويرى مسار البحث أن رأي الدكتور عمر أحمد الطالب هو الأقرب الى الصواب ، لأنه قائم على اساس منهج البحث العلمي الرصين واستقراء كل الآثار الأدبية السابقة ، التي دَوّنت في تلك المدة .

اما بقية الآراء التي قيلت فهي إما صدى لما قاله الباحثون المصريون في هذا الصدد ، وإما ترجيح بلا مرجح فلا يؤخذ بها لافتقارها جميعها الى الحجة القاطعة التي تعتمد على البحث المتقن بالأدلة الواضحة قبل اطلاق الحكم .

وسنحاول جاهدين بحث هذا الأمر بقراءة موضوعية ، ورد الشبهات ، بوساطة الدليل القاطع عن البدايات الحقيقية لهذا الأدب ، والسعي للبحث المعمق عبر التدقيق والتمحيص في آثار المبدعين الخالدة ، لإثراء البحث بما يستحق من الأدلة المثبتة .

ولد شعر الاطفال على يد الشاعر (داود الملاح آل زيادة)** تحت ظلال أناشيد الكبار ، لأن الهدف المنشود منهما آنذاك يصب في نهر واحد ، فبعد معاناة وصراعات مريرة عاشها الشعب العراقي عامة ، والشعراء المربون خاصة في مقارعة الحكم العثماني المستبد ((الذي أخذ يسوق أحرار العرب وشبابهم القومي ومفكريهم، ممن توسم فيهم القابلية للتقدم بأتمته الى معارج الرقي والتقدم حيث يحاكمون محاكمة صورية ، تصدر على إثرها أحكام الاعداء))^(٣) ، مما دفع البلاد برمتها الى التدهور والانحطاط ، فضلا عن حالة الهلع والخوف والتخلف ((لأن الحياة الثقافية عامة متأخرة والأوضاع الاجتماعية متردية ، وذلك للعزلة التي كان يعيشها العراق عن بقية الاقطار العربية التي سبقتها في النهضة))^(٤) ، فقد خيم عليه الظلم ، وأخذت سطوة البطش تدفع بابنائهم الكرام الى الهلاك ، فالحكومة العثمانية التي لم تحترم أصالة العراق الفكرية والثقافية ، عاملته بوصفه ولاية تابعة لعرش السلطان العثماني آنذاك ((مما أثر سلبا في العراق في قلة المثقفين والمتعلمين اذ لم يكن في مطلع هذا القرن [اي العشرين] مدارس نظامية إلا قليلا))^(٥).

لذا فجَرَ هذا التعامل بركان اللوعة في حناجر الشعراء المربين وعند غيرهم ، لتصدح بالأناشيد الوطنية والقومية

*. الصحيح وطأة ، المعجم الوسيط : ٦٢٤

١. في ادب الاطفال ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مقدمة ط ٢ ، ١٩٧٦م

- ٢- ادب الأطفال في العراق ، مجلة ديوان العرب الالكترونية على الانترنت في ٢٠٠٩م ثم اعد نشره في سنة ٢٠١٣ م
- *. انضم الى الشباب العربي المناضل في سبيل حرية قومه ، وأخذ ينشر الفكرة الوطنية والقومية بين الشباب وبين من يجد فيه الاستعداد لتقبل فكرته ، وانشيده مملوءة بالتنبيه والتحفيز لاستعادة المجد والحرية والوحدة العربية ، ان المترجم المغفور له تلقى على أيدي علماء الموصل الأجلاء امثال الشيخ يوسف الرمضاني والشيخ محمد الصوفي علومه ودراسته: الاناشيد الموصلية: ١٧- ١٨
٣. الاناشيد الموصلية للمدارس العربية : ٥
٤. ينظر الشعر والشعراء في العراق ، دراسات ومختارات ١٩٠٠ . ١٩٥٨ م. أحمد ابو سعد ، دارالمعارف ، بيروت : ١٨
٥. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، د .علي الوردي ، بغداد ، ١٩٧٢م : ٢٥٩

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

والدينية للكبار والصغار في مدارس الموصل ، لأن القساوة التي تعاملت بها الحكومة العثمانية ، مع كل الأرض العربية المحتلة من قبلهم جعلت الامور ((تغلي كالمرجل من تلك الاحداث المفجعة ، كان في بقية البلاد العربية ولاسيما العراق رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، في تبني الفكرة القومية ونشرها بين ظهرانيهم ، فألفوا جماعات وجمعيات سرية لهذا الغرض))^(١).

فقد أوقدت جمعية العلم السرية الشرارة الاولى لقصب السبق الريادي في تبني (شعر الأطفال) والعمل الجاد لإظهاره الى حيز الوجود على حسب ما جاءت به الوثيقة الموسومة (الاناشيد الموصلية للمدارس العربية ، جمع ونشر وتعليق محمد سعيد الجليلي)^(٢)، حيث حوت على مقدمتين مقدمة الطبعة الاولى سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٣م ومقدمة الطبعة الثانية في ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م ، وهي على قسمين وعدد صفحاتها خمس وخمسون صفحة ، وقد طبعت بمطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل ؛

اذ تشكلت (جمعية العلم) من معلمي مدرسة العرفان آنذاك ، وقد عملت هذه الجمعية جاهدة سرّاً لاستنهاض الروح الوطنية والقومية والدينية والسياسية بالصد من الحكم العثماني الجائر ، لأن سياسة التتريك كانت عليهم أشد إيلا من قسوة الالم التي منعته من تدريس المناهج في اللغة العربية وأجبرتهم على تحفيظ الصغار الاناشيد التركية باللغة التركية^(٣)، وهذا الاكراه وماحواه ولّد تياراً مضاداً تحول تدريجياً الى صرخات ثائرة بوساطة أناشيد معبرة ، تستنهض الكبار حين تلقى على مسمع الصغار ؛ لأن قادة هذه الشرارة من الشعراء المربين والمفكرين النجباء الذين رصدوا - عن رأي سديد - أسباب النهوض وتأمّلوا خيراً في النشء الجديد ، كي يحملوا همومهم وتطلعاتهم الوطنية والقومية والدينية والسياسية مما هيئ الأرضية الصالحة لزراعة بذرة الاناشيد في أذهان الصغار ، بعدما أُلّفوا أناشيداً للكبار ، هزّت في وقتها الاسماع وذاع منها ما ذاع ، لذا تعاضدوا فيما بينهم - على الخير والتقوى - وإكمال هذا المشروع الانساني الحيوي الترفيهي ، وكانت دعوة جامع هذه الاناشيد (محمد سعيد الجليلي) خير حافز لهؤلاء الشعراء المربين وغيرهم ، في البذل والعطاء في التأليف فقال ((ولما كان الواجب على الانسان خدمة دينه ووطنه ، بما تصل اليه يده وتتوء به طاقته ، طلبنا الى بعض أدباء الحذباء - اي الموصل - أن يمتنوا علينا بشذرات مما جادت به قرائحهم ، فأجاب بعضٌ ووعده آخرون ، فبادرنا الى نش ما انتهى اليينا من ذلك))^(٤).

إنها دعوة كريمة لجامع هذه الاناشيد بثها ، وصوّر فيها تلك الحقبة التي كان الرعب والموت والبطش من قبل العثمانيين للعرب سائداً فيها ، إذ قال ((كما وقد أضفنا في هذه الطبعة - أي الثانية - لمحات خاطفة من تراجم الأفاضل الذين ساهموا في تلك (الحقبة المخيفة) في هذا المجهود لتعريف الجيل الجديد بهم))^(٥)، وقد صدق

فلولا ذكر تراجمهم مع أشعارهم ، لضاع هذا السبق الريادي مع ما ضاع من جهود العراقيين الفكرية التي طُمست الى حين تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١ م .

١. ينظر مقدمة ط ٢ الاناشيد الموصلية : ٥

٢. حملت في دار الكتب والوثائق العراقية في بغداد الرقم ، ٦٢ ، ٧٨٤ / ج ٧٤٧

٣. ينظر الاناشيد الموصلية : ٦

٤. المصدر نفسه : ١٣

٥. المصدر نفسه : ٩

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

إن تخصص دراستنا في شعر الطفولة*، يلزمنا تتبعها بشكل رصين ومنصف ودقيق ، بحيث يكون لكل نشيد منها حكم خاص به يتوافق مع لحظة الالهام والمعاني المتولدة من تلك الاوعية الندية التي صاغها مسلك النظم عندهم، من (١٨٨٠م حتى ١٩٤٠م) ونحن على الحياد في دراسة كل الاشعار، من دون أن ننحاز لأي منهم كبر شأنه بين الناس أم صغر، فمن كان شعره مخالفا للشروط، أبرزنا ذلك للجميع وإن وافقها أظهرناه للملا، فليس كل ما كتبه كبار الشعراء والمشهورون مقبولا لشهرتهم ، ولا الذي كتبه المغمورون مرفوض لاندثار ذكرهم ، فالحكم العادل ينظر الى النصوص لا إلى الشخص، وعلى أسس معايير شعر الاطفال التي وضعها كبار شعراء العرب وشواعرهم، وحددوا أوزانها وعدد أبياتها، وأضاف لها كبار الباحثين حدودا التزامناها من النشيد الاول الى آخر نشيد في هذه الرسالة ، من دون الاكثار في تعداد أسباب رفض القصيدة ، فاذا وقع الشاعر في واحد منها اضطرب النشيد وتخلخلت موسيقاه وانتظامه في ذائقة الصغير، فضلا عن الكبير، فيكون ذلك سببا لرفضه ، وأهم هذه الشروط :

١. الوزن القصير

٢. اللغة الفصيحة السهلة الواضحة

٣. المضمون الهادف

٤. القصيدة المحضة

٥. الايجاز المدل من دون الاطناب المخل

إذ أشار الدكتور أحمد زلط إلى معظمها قائلا: ((ان الابداع المؤسس على خلق فني والذي يعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ سهلة ميسرة فصيحة، غيرحوشية ، تتفق والقاموس اللغوي للطفل ، بالاضافة الى خيال ومضمون وقصر مقصود للنص الادبي الموجه للطفل))^(١) ليكون أوفى غرضا وأبلغ هدفا.

ولاعجب ان يكون أطفال الرافدين مولعين بالاناشيد ، كما كان قدماء العراقيين يعنون بها غاية الاهتمام ويوجهونها لأطفالهم لشدة ولعهم بها وانشادهم اليها ، فقد ذكر ذلك شاعر الاطفال المصري أحمد سويلم في مقال تحت عنوان : أدب الاطفال في الحضارات القديمة قائلا : ((وفي بلاد الرافدين لم يختلف الشعر الموجه للطفولة كثيرا عما كان عليه شعر قدماء المصريين فها هو أب يعظ ابنه: يا ولدي... لا تقل ما ليس لك به علم. ولا تعط النصيحة كاذبة.. إن من يفعل ذلك يصبح مهانا، لا تسيء الى غريمك وعامل عدوك بالعدل ، والذي يجور عليك بالصبر))^(٢).

وبما أن الحضارة السومرية على أرض العراق، هي أقدم الحضارات على الأرض، فإن الحضارة الفرعونية جاءت بعدها ونهلت هي والحضارات الأخرى من منهلها العذب ، لذا فإن شعب العراق مولع بالأناشيد منذ القدم ، ورغبته هذه تتجدد من جيل إلى جيل آخر .

- *. وجدنا أشعارا في المجاميع التي درسناها لغير الشعراء العراقيين، لذا قمنا بحذفها لأنها خارج عنوان الرسالة، وما لم يثبت عليه اسم شاعره بحثنا عنه في كل محفل ومكتبة ومعجم المؤلفين العراقيين الذي ترجم لمؤلفي وشعراء تلك المدة، فمن لم نعرفه تركناه كما هو.
١. ادب الاطفال بين احمد شوقي وعثمان جلال : ١٥
٢. كتاب اطفالنا في عيون الشعراء ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧م : ٣١

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

جاء في مقدمة الطبعة الاولى للأناشيد الموصلية ((فان من خير ما حلا في الافواه ترديده وحسن في الاسماع انشاده شعراً يثير في أهل الوطن همماً ، وينشط عزائم ويبعث أرواحاً ، ويوري * أفكاراً ويحرك جامدا وينعش ذاوياً ويلين قاسياً ويُشرب حب الدين والوطن ، ويعين على حسنى ويجنب عن مساء))^(١).

وقد ذكر أنهم أسسوا (جمعية العلم) في الموصل كما مرّ آنفاً و((كان من منتسبيها شباب ينتمون لمهنة التعليم في المدارس الابتدائية في تلك الفترة ، أمثال الاستاذ محمد رؤوف الغلامي مدير مدرسة العرفان ومحررهذه الاسطر محمد سعيد الجليلي))^(٢) ، وهما يمثلان النواة الصلبة فيها ، ثم انضم اليهما من العلماء ((من المؤمنين بهذه الفكرة والمبادئ فضيلة العالم الكامل الاستاذ محمود الملاح ، فقد اجتمعوا في آن واحد في المدرسة المارة الذكر حينئذ في الموصل وهم من اولئك الشباب))^(٣) ، بينما لبي دعوة الناشر في تأليف الاناشيد مجموعة أخرى من خارج سلك التعليم الابتدائي وهم كل من : داود الملاح آل زيادة ومحمد توفيق آل حسين أفغان ، ومن سلك التعليم الثانوي الاستاذ اسماعيل حقي ، ونتيجة للمطالبات الواسعة والمناشدات الملحة التي قام بها شباب العرب وزعمائهم للحكومة التركية بضرورة إعطاء العرب حقوقهم التي قررها مؤتمر باريس * * (ومنها جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والمحاكم وإجراء التدريس بالعربية في المدارس الاولى والابتدائية والمتوسطة وفتح كليات راقية في شتى أنواع العلوم))^(٤).

لقد كانت هذه الصفوة الخيرة من المربين الشعراء يحلمون بل ، ينتظرون بشغف أن يأتي اليوم الذي يسمح لهم فيه رسمياً بالتدريس باللغة العربية وتلقين فلذات أكبادهم أناشيدهم ، التي اتفقوا سراً على تأليفها قبل أكثر من ثلاثة عقود ، قبل السماح لهم في السنة الاخيرة من عمر الاحتلال العثماني بنشرها سنة ١٩١٣ م .

وقبل هذا ((فقد كلفت هيئة التدريس (في مدرسة العرفان) بعض الافاضل لنظم أناشيد ذات صبغة قومية ودينية وتأريخية ، تزرع في نفوس التلاميذ الامجاد العربية التاريخية والتقاليد القومية الماثورة))^(٥).

وبعد ان نفذت الحكومة التركية وعدها بجعل التدريس في المدارس الابتدائية باللغة العربية ، فقد عبّر الناشر عن فرحهم وسرورهم بقوله ((فاهتبل * * * ، هؤلاء الكرام الفرصة لقلب الاناشيد التركية ، التي كان مقرر * * * * إنشادها في المدارس آنذاك الى أناشيد عربية حماسية قومية))^(٦) ، غايتها المثلى ايقاظ روح النهوض وتغيير الواقع المريض الذي يعيشونه ((فاغاني الاطفال وأناشيدهم متعددة المقاصد متنوعة الالوان فمنها النشيد الوطني أو القومي الذي

*. الزند : أخرج ناره ، المنجد : ٨٩٨

١. مقدمة ط١ الاناشيد الموصلية : ١١

٢- الأناشيد الموصلية: ٦

٣- ينظر: مقدمة ط١ المصدر نفسه: ٥

** - أول مؤتمر عربي في باريس ١٨/٦/١٩١٣م الذي نادى بحقوق العرب في الملكية والحياة الوطنية واللغة، ينظر: المصدر نفسه: ٤

٤- المصدر نفسه: ٤

٥- المصدر نفسه: ٦

*** - اهتبل: اغتتم، من الهباله أي الغنيمه: المعجم الوسيط: ٦٠٠

**** - الصحيح مقرا

٦- ينظر مقدمة ط١ الأناشيد الموصلية: ٦

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث: نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

يهز المشاعر ويغرس القيم الوطنية في نفوس الناشئة، ومنها النشيد الديني الذي يعمق القيم الروحية في وجدان الاطفال ((^(١)) ولم يتوقف كرم هؤلاء الرواد على تأليف الأناشيد وتلقينها سرّاً الى النشء الجديد، بل تطوع ناشرها في جمعها وترتيبها والتعليق عليها وأخرجها مطبوعة على حسابه الخاص، ووزعها على المدارس الابتدائية في الموصل، على الرغم من العوز الذي كانت تعيشه الهيئات التعليمية آنذاك^(٢)، لذا يحق لنا القول بان الانفس الكريمة لا تتوقف عن العطاء بل تزيد بكل ما تصل اليه اليد، بذلا سخياً من أجل المبادئ السامية والأهداف النبيلة. والوثيقة التي بين ايدينا (موضوع الدراسة) مضى على ما فيها اكثر من مائة واربعة وثلاثين سنة فلم يُنفض عنها الغبار، ولم تتل ما تستحقه من الدراسة والتحقيق، بل أهملت وطواها عدم الاهتمام، بعدما حفظت أحداثا وطنية وسياسية ونصوصا أدبية مهمة جدا للعراق.

ويرى الباحث أن السبب في ذلك يعود الى النظرة القاصرة تجاه أدب الاطفال بصورة عامة وأناشيدهم بصورة خاصة، منذ العصر الجاهلي والى يومنا هذا، على الرغم من أن رحمة الاسلام حثت على الاهتمام بالطفولة في كثير من الايات كقوله تعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))^(٣)، وأي زينة تبقى اذا أهملت وملا صفحاتها الجهل والتخلف؟.

أما علماء المسلمين والمربون فقد أولوا الطفولة جل اهتمامهم فقالوا ((يُسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، واستعماله يتكرر الى أن يصير، ذلك ملكة وصفة راسخة))^(٤)، وكل ماتقدم لم يغير شيئاً من تلك النظرة، إلا عند قلة قليلة من الباحثين حباها الله في سعة النظر ووهبها السداد وعمق الفكر.

الأناشيد الموصلية للمدارس العربية

الوثيقة التي حوت صفحاتها (الأناشيد الموصلية للمدارس العربية) غير متكاملة فيما نحتاجه من المعلومات بكل ما نريد، ولم تكن محققة وحالها كحال جميع المجموعات والدواوين الشعرية التي سوف ندرسها، ضمن السقف الزمني لهذه الرسالة، وأشعارها متفاوتة في أسلوب النظم، لكنها أرقى نظماً وأصفى موسيقى من المجموعات والدواوين الشعرية التي تلتها، لذا فإن هذه المجموعات والدواوين الشعرية بصورة عامة كانت مليئة بالأخطاء العروضية والنحوية والمعجمية والإملائية، وربما كان النساخ سبباً في إكثارها، أو دلّت على تواضع معرفة هؤلاء الشعراء، ويستثنى من هذا القول كل من: الرصافي والزهاوي وعبد المحسن الكاظمي والشبيبي والدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد حقي الحلي، فقد كان لهؤلاء تميّزاً في النظم وتنوعاً في الفكر، والعناية المعجمية والعروضية في قصائدهم إلا قليلاً من الهنات سقطت من بين أيديهم.

ولأجل الوصول الى ما هو الاقرب من تاريخ ميلاد شعراء الأناشيد الموصلية وسنة تأليفهم للشعار، لذا يمكن تركناه كما هو، ومما تجدر الإشارة اليه أننا لم نأخذ كل ماكتبوه من أناشيد للأطفال لأنها تحتاج لوحدها رسالة كاملة

١- ادب الاطفال ، د احمد زلط : ١١٩

٢- ينظر مقدمة ط ١ الاناشيد الموصلية

٣- سورة الكهف : الآية : ٤٦

٤- مقدمة ابن خلدون ، ط دار الشعب القاهرة : ٥٠٨ ، د . ت

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

ولأننا محكومون بمدة زمنية محددة ، لذا أخذنا أنشودة أو انشودتين لكل منهم ، طمعا في الايجاز وولعا في الانجاز القول إن البحث تتبع بحذر شديد جميع الاشارات والخيوط الرفيعة التي بثت في الوثيقة، كي نتوصل الى البدايات الأولى لكل شاعر منهم عن طريق العمليات الحسابية العادية المرتبطة بالجوانب الأدبية ، وتحديد ايام شبابهم التي ذكر الناشر أنهم نظموا أشعارهم فيها ، فمن ذكر شيئا عن ميلاده عرفنا بعد ذلك متى كانت ايام شبابه ، ومن لم يذكر الناشر ميلاده وذكر إجمالا مقدار عمره ، عرفنا متى كانت ايام نظمه لقصائده ، ومن لم يدلنا شئ عن حاله فتقدمهم الشاعر (داود عبد الله الملاح آل زيادة) ، وهو من الادباء القلائل الذين انصرف همهم الى خوض غمار السياسة وممارسة الادب ولم ينطوا على انفسهم، وأهم ما يتصف به انه كان ((نابها ذكي الفؤاد جم النشاط ، بارزا بين أفراد بيئته ، مشهودا له بالفضل))^(١).

فقد ذكر الناشر ((انه توفي في الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ م ، وقد أشرف على الخمسين من العمر (إلا قليلاً))^(٢)، ولنقل انه أكمل الخمسين من عمره ، وبعد طرح هذه الخمسين من سنة وفاته في ١٩١٤ م ، تبين لنا أن ولادته كانت في سنة (١٨٦٤م) ، وانه نظم أشعاره في مقتبل شبابه * * واهتم بالنشء الجديد منذ بداياته الاولى، حيث قال عنه الناشر: ((وقد أتحفنا وأتحف الجيل المدرسي الناشيء بغير رواد من الاناشيد الحماسية))^(٣) لذا أطلقوا عليه لقب بلبل الحدياء.

وعليه فان سنة (١٨٨٠م) تقريبا هو ميلاد أول أنشودة عراقية للأطفال في العصر الحديث ، قال فيها:

يا أُمَّةً فخرتُ أمَّ العُلى فيها
أما لأَيّامنا يُرجى تلافوها؟

أليس نحن الأولى * * * كنا دعاة الضيف
لنا ملوكُ الورى دانتُ بحدّ السيف
فكيف نغضي على هذا الردى والحيث؟
أبتُ بذا أُمَّةً جَلّتْ معاليها

١- الاناشيد الموصلية : ١٩

٢- المصدر نفسه : ١٩

* * وصفه الناشر انه كان نابها ذكي الفؤاد وهذه من الصفات التي تشير الى النبوغ المبكر عند الشعراء وعند غيرهم قديما وحديثا وورود الاخبار عن بعضهم لايعني ان الاكثرية منهم خاملون ، ولغرض ابقاء الاستشهاد حقه من الاثبات ، فقد روي ان طرفة بن العبد قد نظم الشعر في سن مبكرة ، اذ ورد في الاغاني، ج ٢١: ٤١ عن الديميري صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى رواية عنه انه نجح

في نظم الشعري سن مبكرة حيث خرج مع عمه في سفر، فاستهواه صيد (القبرة). فقال فيها اول اشعاره ، ورواية اخرى في الاغاني ج ١٨: ٦٣ عن اجازة زهير ابنه كعبا الشعر بعد ان يعطيه صدرالبيت فيكمل عجزه . ورواية اخرى عن ليبيد وعن عبد الله بن المعتز وعن المتنبّي، وتطول الروايات عن العهد القديم. اما في العصرالحديث فالمشهور ان احمد شوقي اكمل ديوانه ولم يكمل اثنتي عشرة سنة ، وكذلك ايليا ابو ماضي وغيرهم . لذا اعتبرنا ان شباب هؤلاء الشعراء جميعا ، هو سن السادسة عشرة سنة ، بوصفه حالة متوازنة بين الاقدمين والمحدثين وعليها غالبية الشعراء ، ومن خالف ذلك فهو من باب الشنوذ لاغير .

٣ - الاناشيد الموصلية : ١٨

*** . والصحيح (الألى) . المعجم الوسيط : ٢٣٤

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

لهفي على ما مضى من عزنا الشامخ
حزني على ما انطوى من مجدنا الباذخ... (١)

فالانشودة طافحة بعبارات سهلة وواضحة ووزن قصير يتناسب مع رغبة الاطفال، فهو يستتهض همهم ويذكرهم بامجاد امتهم ومفاخرها، وما عليه من مكارم الاخلاق ، في دعوة الضيف والسهرة على راحته وخدمته وكيف أن ملوك الشرق والغرب دانت لهم بحد السيف، ثم أخذ يحن الى الماضي المجيد وما فيه من عز شامخ وحزنه على انطواء صفحة المجد الرفيع الباذخ ، وفضلا عما تقدم فان المضمون الهادف والعرض المبسط له ، من دعائم القصدية المحضة في التوجه الى هذه الشريحة المهمة ((لأنه يتطلب ممن يكتب للاطفال أن يراعي مستوى النمو اللغوي للطفل وأن يستخدم * الالفاظ السهلة الواضحة القريبة من بيئة الطفل، والغنية بالصور والمعاني الحية)) (٢).

وله انشودة أخرى تتفجر ألما ولوعة لما هم فيه فيقول :

أرضاءً بعد ذاك العزّ ذا الانتحار ؟ *

حيث فاض الجهل فينا وانمحي ذاك الفخار

فثبوا ممّا عراكم واخلعوا ثوبَ الخمول

فلكم قد شهدَ العالمُ في كبر العقول

واذكروا أسلافكم اذ دَوّخوا تلك البلاد

وأناروا بشموسِ العلمِ أفكارَ العباد

أخذَ الغربُ عليهم واقتفى تلك العلوم

وغدا الشرقُ لسوءِ الحظِّ في الجهلِ يعومُ... (٣)

وقد تصاعدت لغة التعنيف لدى الشاعر، تجاه خمول الامة وعدم نهوضها ، وهي ترزح تحت احتلال غاصب بغيض وما اختياره الوزن القصير إلا ليكشف عن حدة الغضب ، الذي تفجر في كيانه ولم يقو على كتمانها فانطلق لسانه قائلاً (أرضاء) وهو استهزاء انكاري، يستنكر فيه على امته هذه الحالة بعدما كانت عزيزة مهيبة الجانب تخشى سطوة بأسها الاعداء ، فكيف في الجهل تمحو بيديها تاريخ فخرها وعزها ؟ فهو يستتهض همهم باستعماله افعال الامر (ثبوا، اخلعوا) ليرفضوا كل ما ادى بهم الى الخمول ، وان يتجهوا الى المعرفة ونقاء خاطر، وكيف أن العالم استنار بنور شمس علمهم ، وهذه الانشودة تصوير حي يعكس صورة الواقع المعتمة واللوعة المؤلمة التي عاش لفح لظاها العراقيون والعالم العربي آنذاك ، وتوجه الشاعر الى مخاطبة الاطفال ممن بلغ

*. والصحيح يستعمل

٢- ادب الاطفال، المفاهيم والاشكال والتطبيق ، ا . د كمال الدين حسين ، دار العالم العربي، ط١، ٢٠٠٩ م : ٥١

*. لم تسعف النباهة الناشر بان يكتبها كما كتبناها بهذا الشكل فهي من مجزوء الرمل في حين اعتبرها من تام الرمل، وتام الرمل مكون من ثلاث تفعيلات في حين انها احتوت على اربع تفعيلات، وهي من الرباعيات المستقلة بقوافيها والمرتبطة بالوزن الاول، والبيت ناقص في وزنه بسبب تبديل (هذا) ب (ذا).

٣. الاناشيد الموصلية : ٢٠٠

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

مرحلة الشباب، واستنهاضهم دليل على سمو وقوة وعي الشاعر؛ لأنه بوساطتهم يستنهض الواعين من الكبار فهو لا يسعى الى مجد أدبي أو رفعة وقتية ، تزول بزوال اسبابها من الشعراء ، فبعد النظر عنده كان اكبر ((لأن التأليف للاطفال يعد تضحية كبيرة في اكثر البلاد، لأنه في الأغلب لا يصل بالمؤلفين الى مايسمونه بالمجد الادبي ويكاد الناس يجمعون مخطئين، على انه لايهتم بالتأليف للصغار سوى الذين لا يجدون ما يقونه على الكبار وهذا الوهم في تقدير المؤلفين للاطفال من الاوهام العالمية))^(١).

وهذا الوهم العالمي لم يثن المخلصين والمربين من أن يسهموا جادين في بث الترويح وزرع الثقيف في النشء الجديد طمعا منهم بنقل ثقافة الاجداد الى عقول الاحفاد ، بأقصر الطرق وأيسرها مؤونة ؛ ((لأن الشعر الجيد هو الذي يمزج الخبرات ويربط بين تجربة الشاعر والطفل، ويربط بين عواطف الاطفال وأفكارهم ، ويثير بما يتضمنه من صور شعرية وانطباعات فنية واستجابات عاطفية))^(٢) فالأنفس الكبيرة لا تثنيها الأقوال الواهمة ، بل تُغنيها الافعال المحكمة.

وعلى هذه الأسس ظهر الشاعر (محمد توفيق آل حسين أفغان) * فقد ذكر المترجم له أنه ((اتقن مدارس لنباهته وفطنته وذكائه))^(٣) ثم ذكرلنا بعده ((وهو الآن في حدود الخامسة والسبعين من العمر وكان من حملة الفكرة العربية ولكن كان حذراً في اظهارها مستتراً في بثها لكونه موظف حكومي * يخشى البطش))^(٤)، وحين طرحنا خمسا وسبعين سنة من عمره من سنة النشر ١٩٥٣م تبين لنا ان ولادته كانت ١٨٧٨م . وعليه فان أول انشودة كتبها في شبابه للاطفال كانت في سنة ١٨٩٤م وهي بعنوان (وطني المحبوب) قال فيها :

[مشطور الرمل]

وطني المحبوبُ حياكَ السَّنا

زادكَ اللهُ از دهاءٍ وثنا

ومحى *** عما احتويتِ الوسنا

أنت يا رُحي حبيبُ المنصفِ

أنت كنزُ المجدِ ممدوحُ الملا

١. مقال بعنوان (التأليف للأطفال) ، صحيفة البلاغ ، للدكتور زكي مبارك ، القاهرة في ٨/٩/ ١٩٣١م : ٣٢

٢. ادب الاطفال ، المفاهيم والاشكال والتطبيق : ١٣٥

*. تخرج في المدرسة الاعدادية في الموصل، ودرس اللغة العربية في المدارس العلمية الاهلية على علماء افاضل، مارس الوظائف الحكومية الادارية والمالية فكانت اولى وظائفه مديرية ناحية تلغفر، ثم مأمورية نفوس قضاء الموصل ثم مترجما لنشرة الانباء اليومية

من التركية الى العربية ابان الحرب العالمية الاولى، الى حين الاحتلال البريطاني للموصل، ثم عين لمديرية مال قضاء العمادية بعد الاحتلال ، وكان مستمسكا بالمبادئ الدينية. المصدر: الاناشيد الموصلية : ٣٠ - ٣١ - ٣٢

٣. الاناشيد الموصلية : ٣٠

**. - الصحيح موظفا حكوميا

٤. المصدر السابق : ٣٠ - ٣١

***. - والصحيح (محا) المعجم الوسيط : ٥٤

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

مصدرُ الأفضالِ قدراً وعلا

من يضاهايك ؟ فأنت ابنُ جلا *

أنت نورُ العينِ من كلِّ وفي ^(١)

لاشك في أن الوطن محبوب من أهله ، وهذا الحب هو الذي يقوي العلاقة بين الأفراد والأسر ، ويكون عاملا مساعدا يجمعهم في الدفاع عنه بأرواحهم الغالية ، فقد حياه السنا ثم راح يدعو له (زادك الله ازدهاءً وثنا) وهو ينتقي من المفردات أرقها وقعا وأشدّها تأثيراً على الصغير والكبير، تجري بعفوية من دون تكلف ، وقد غمرها شلال العذوبة الدافق ، والشاعرية الرقيقة والالفاظ الانيقة ، اذ افصح نحو بلده بانه كنز المجد وممدوح من اشراف القوم ومصدر افضاله علا قدرا بين العلا وقرنه بـ(ابن جلا) وختم رباعيته ، بأن وطنه نور عينه وعين كل وفي إن اختيار العبارة الموجزة المشرقة انطقها القصيدة المحضة الموجهة ، نحو الاطفال التي تنساب معها بعذوبة فائقة، لأن أهم وظائف أدب الاطفال كما تقول : الدكتورة جوليندا ابو النصر تنحصر في ((توفير المتعة والترويح وفهم جوانب الحياة ومساعدة الفرد على فهم نفسه وبيئته ، ووسيلة علاج طبيعية تخفف عنه ضغوط الحياة اليومية)) ^(٢).

ومثل هذا نجده واضحا جليا ، عند المربي الفاضل والشاعر (محمود عبد الله الملاح) ** الذي كان عالما وشاعرا مجيدا ، امتاز ببساطة العرض وسلاسة اللفظ، وحلاوة النظم وأشعاره تدل على شدة توجهه للاطفال حتى قيل عنه ((خدم الدين والعربية بعلمه وأدبه ولاسيما أناشيده الحماسية وقصائده العامرة منذ شبابه)) ^(٣) ولد في الموصل سنة ١٨٩١م وتوفي سنة ١٩٦٩م ^(٤) اي أن أول قصائده كانت سنة ١٩٠٧م ، وهي بعنوان ((أنشودة دينية للاطفال)) إذ يقول :

[منهوك الرجز]

الحمدُ لله الأجل

ملّتنا خيرُ الملل

دولتُنا خيرُ الدّول

منا النبيُّ أحمدُ

كلُّ الأنامِ يشهدُ

بفضلهِ حتى العدو

*. هو قول الشاعر: أنا ابنُ جلا وطلاغُ الثنايا متى أضغُ العمامةَ تعرفوني مثلٌ يضرب للمشهور المتعالم المصدر: المنجد في الأعلام

٩٧٤:

١. الأناشيد الموصلية : ٣٢

٢. الأسس والمعايير التي يقوم عليها كتاب الاطفال في مختلف فئاته العمرية، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس، ١٩٩٤م: ٥٨
** وهو من العلماء الاعلام الذين نزهوا علمهم عما أدخلته عليه الاعاجم ، تلقي العلم عن العالم المحقق عبد الله آل نعمة . غادر الموصل بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٩م الى حلب، ثم عاد الى الموصل بعدها رحل الى بغداد وعهدت اليه وظيفة تعليمية، وله سبعة عشر مؤلفا منها البابلية والبهائية ورسائل عديدة ، انتخب نائبا عن الموصل عام ١٩٣٨م. الأناشيد الموصلية : ١٤

٣. المصدر نفسه : ١٤

٤. معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، كوركيس عواد، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م : ٢٨٣/٣

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

نحنُ نحبُّ الوطنَا

نحنُ نحبُّ ديننا ... (١)

ابتدأ بحمد الله ، موضحا بأن ملتنا وهي ديننا خير الاديان ، ودولتنا خير الدول ، لأن النبي محمد (ﷺ) منا ، وقد شهد كل الناس بذلك حتى الاعداء ، ثم شرع بذكر حبه للوطن والدين ، نفديهما بأنفسنا ، دلالة على بذل الغالي والنفيس من أجل الوطن والدين.

إن استعمال المنهوك من البحور الصالحة لشعر الاطفال ، من أصعب الامور وأشقها على الشاعر ، وأيسرها وألذها لدى الاطفال ، لأن الشاعر ملزم بأن يأتي بتفعيلة واحدة ، تحمل ما يريد من معنى في الصدر ، وتفعيلة أخرى في العجز ، وهذه الكلمات السهلة زادت المضمون وضوحا، وجعلت الطفل يرددها ويترنم بها أينما حل وتنتقل ((لأن الكتابة التي تناسب الكبار في المجال الادبي قد تستعصي بعض مفرداتها على فهمهم فهي لا تتناسب مع الصغار ومدركاتهم لأن الوصول الى مشاعر الاطفال والتجاوب معهم في غير افتعال مسألة في غاية الصعوبة اذ يقف الكاتب للاطفال على دقيق دقة السيف بين (تيسير) قد يؤدي الى درك من الاسفاف ، وسمو قد يؤدي الى انفصام عن الطفل وامكاناته)) (٢) .

فاذا عرفت الطفل كما يجب عرفت حاجات نصف العالم ، فالموازنة بين اللفظ السهل والصعب من أشد ما يلقاه أدباء الاطفال في مؤلفاتهم ، وبه تقاس قدرتهم على الموائمة بينهما في حسن اختيار المفردات المناسبة وتفقؤ أحدهم على الآخر مقرون بمقدار الثراء اللغوي الذي يبسطه للنشء الجديد.

((ومهما يكن من أمر التعددية الواضحة في طبيعة أدب الاطفال وغاياته من حيث هو أدب مستحدث فوق خارطة الادب الكبرى ، فان هذا الادب يستهدف في أهم توجهاته توسيع دائرة التشكيل الوجداني للطفل في خط مواز للمنهج المدرسي)) (٣) .

وهذا هو الهدف الاسمي الذي يسعى اليه في أناشيده ، إذ يقول :

[المجتث]

نفسِي الفِدَاءُ لِقَوْمٍ فِي الأَرْضِ كانوا نجوما

اذا بكيْتُ عليهم دَمًا فَلَسْتُ ملوما

بالسيفِ والعدلِ سادوا صِينًا وُفُرسًا وروما

وكم أجازوا بحارًا وكم تعدّوا تخُوما *

وكم جَلّوا بالعوالي من الضلالِ غُيوما

يا سائراً نحو غربٍ في أرضٍ سبتاً قُوما **
و سائلنٌ قصوراً واستجوبنٌ رسوما

١. الاناشيد الموصلية : ١٤ - ١٥

٢. ثقافة الطفل العربي، جمال ابو رية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م : ٤٠

٣. ادب الاطفال ، د احمد زلط : ١٦

*. تخوم : الحد الفاصل بين أرضين او بلدين ، المعجم الوسيط : ١١٠

** - سبتة : اسم مدينة اندلسية سابقا واسبانية حاليا ، حاشية الاناشيد الموصلية : ١٦

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

﴿ ٦٣ ﴾

من بعد شكلٍ بهيجٍ حوثٌ غراباً وبوما ...^(١)

قدّم الشاعر نفسه فداء لقومه ؛ لأنهم كانوا سبيلاً للهداية والصلاح ، فان جرى الدمع عليهم دما ، فليس لأحد حق لومه أبداً لشدة معزّتهم ورفعة عزهم لديه، وذكرّ النشء الجديد، بأن قومه الألى سادوا في العدل حيناً، ومع السيف أحياناً أخرى حتى وصلت طلائع فتوحاتهم ، الى بلاد فارس والصين شرقاً ، وروما غرباً ، وكم جلوا برماحهم غيوم الضلال ، وقد ألحّ عليه الالم أسفاً على الذين ساروا الى الغرب وذهبوا الى (سبتا) وكيف تعرضت قصورها والرسوم والاشكال الزخرفية فيها الى الخراب والدمار، إذ تحول شكلها البهيج الى خرائب مهجورة ينقع الغراب والبوم في زواياها المظلمة .

إن التذكير بايام رفعة الامة الاسلامية ايام كانت متحدة في الرأي والتوجه ، وذكر الانتكاسات بعد ذلك ، يغري الاطفال في السؤال عن الاسباب ومعرفتها والعمل على أخذ العبر منها ؛ لأن دوام الحال من المحال ، فان سُنّة التغيير من سنن التداول والتدبير بيد الخالق - جل وعلا - ولاشك أن الشعر خير من يعمل على تعليم الاجيال ويحيطهم علماً بما يجهلون ، بقصدية وتبسيط مناسب لكل فئة عمرية ، وهذه القصدية هي قطب الرحى الذي يدور حولها كل ما يكتب للاطفال كي يتعلموا منها ما لا يعلمون بالتدرج .

إن أهم مايساعد الشعر التعليمي به هو سهولة حفظ مادة الموضوع التي ينظم فيها ، وفي ذلك يقول الدكتور عمر أحمد الطالب فيرى ((ان الجانب التعليمي في شعر الاطفال في العراق يبرز ويمثل ظاهرة ، وهو ضرورة ملحة بالنسبة لتعليم الاطفال وتوسيع مداركهم، لأن الشعر سريع الحفظ وسريع التأثير بايقاعه المنسجم، وغنائياته المحببة وصوره الجميلة وألفاظه سرعان ماتعلق في الذهن ، وقد كان وسيلة للتعليم منذ أقدم الازمان))^(٢)، وهذه الغنائية هي التي تجذب الطفل إليها في سهولة التداول وحلاوة اللفظ ، تعينه على الفهم والحفظ .

أما ما يكتب عن الطفولة وليس لها هو ما أوقع اللبس عند كثير من الباحثين والدارسين ، لأنه يمثل حالة استرجاع الشعراء وكتّاب الاطفال لأيام طفولتهم أو طفولة الآخرين ، ويرومون عن طريقها نقل ما يرونه صالحاً لاغناء ثقافة الصغار ، واثراء رغبتهم اللغوية ووجدانهم العاطفي.

لهذا كانت التجربة العراقية زاخرة بشعراء ومربين ، كان لهم شأن في بث الاناشيد الموجهة لهم والمناسبة لفئاتهم العمرية المختلفة والدوام عليها فكان بذلك الشاعر (اسماعيل حقي) ** شاعرا ومربيا ومؤلفا واسع العلم غزير المادة

١. الاناشيد الموصلية : ١٦

٢. ادب الاطفال في العراق ، دار ثقافة الاطفال ط ١ ، ١٩٨٩م : ٩

*. درج منذ الصغر شغوفاً بالعلم فطلبه على شيوخ عصره من اجلاء العلماء منهم الشيخ عثمان الديوه جي والحاج محمد الشعار، ثم درس في دار المعلمين التركية وقد عين معلماً في دار النجاح الأهلية في عهد الاحتلال المؤسّسة من قبل (جامعة الاداب) بعمادة الاستاذ محمد رؤوف الغلامي، ومساهمة بعض اخوانه من الشبان القومي وقد غذى المدرسة باناشيده القومية الحماسية التي تبث في الناشئة روح الوعي والعزة والكرامة ، ومنها انتشرت الى بقية المدارس الرسمية ، فالهبت في اوساط التلاميذ روح الحماس رغم ماكان يعتور تلك الفترة من رقابة وتضييق لخلق الروح القومية ، ثم اخذ ينتقل في المدارس الاميرية في مركز الموصل وخارجها منذ سنة ١٩٢٠م حتى استقر في المتوسطة الغربية مدرسا للغة العربية وآدابها الى ان وافاه القدر، ومن مؤلفاته :أصح النقول في نجات آباء الرسول ، وتاريخ المدرسة النظامية. ومؤلفات أخرى وله ديوان : المصدر الاناشيد الموصلية : ٤٢- ٤٣- ٤٤

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

ولم يكتف بذلك بل كان يكتب الشعر في اللغة الفصحى والعامية ، حيث ((كان الفقيد عصاميا بكل ماتتسع له الكلمة من معنى ، فقد ثقّف نفسه وتعهدها بالعناية واستوفى بذلك غاية ما يناله الرجل من ألمعية ذهن ورهافة ذوق وسعة اطلاع وحسن معاشرة ونبل ألفة))^(١)، كذلك ذكر بان ((ولادته كانت في ١٨٩٢م ووفاته في ١٩٤٨م))^(٢)، اي انه نظم اول أناشيده للاطفال في سنة ١٩٠٨م واستمر الى حين وفاته ، وقد اعتمد نشيده (حطّمو) في ضمن الاناشيد المدرسية^(٣)، وفيه يقول :

[مجزوء الرمل]

حطّمو يا نشئ* عنكم واكسروا هذي القيود
نحن في عصر اهتمام ليس يجد بنا القعود
فا ستفيقوا للمعالي فلقد طال الهجود*
كم الى كم نحن نبقى ؟ آه في داء الخمود
إنه يا نشئ داء يسكن الحيّ اللّحود
فا نبذوا عادات سوء ليس بالنفع نسود
وأعيدوا المجد فيكم إنه إرث الجدود
واتركوا تقليد قوم حبذا فينا الجمود... ***^(٤)

كان الشاعر ثائراً فهو يتفجر مع كلماته ثورة ، داعياً النشء الصغار بعد يأس من الكبار أن يحطّمو ويكسروا كل القيود الظالمة، التي وضعها الاحتلال العثماني*** على اهل العراق ، مذكراً إياهم من أنهم في عصر يهتم في كل شيء وينهض في كل اتجاه ، فلا مجال للقعود ولا الغفلة ، بل إن المعالي ترمقهم بعين رفعتها ، وتدعو النشء الجديد؛ لأن يعيد لها مجدها، بعدما طال هجودهم تحت رزح المحتلين .

وأما الليل فهو ظلام التخلف والاضمحلال والخوف الذي زرعه الاحتلال ، وهو يستفهم في كم سائلا عنهم ومن خلالهم الى أهليهم ، كي يستنهضهم من أجل التقدم الى أمام ، ثم يتسائل بحرقّة وألم : الى متى البقاء على هذه الحال وهذا الخمود المزري ، أي أن نار انتفاضتهم ضد واقعهم المرير قد سكن لهيبها، بل ربما مات واقدوها لذا يدعوهم الى نبذ عادات السوء ، كي يعيدوا مجدهم وإرث أجدادهم ناهيهم عن تقليد القوم الذين دفعوهم الى

١- الاناشيد الموصلية : ٤٢

٢- المصدر نفسه : ٤٥

٣. صدر الجزء الاول منها عام ١٩٢٧ م ، والقصيدة في : ١١ ، واعد نشرها في الاناشيد المدرسية والألعاب سنة ١٩٢٩ م : ١

*- والصحيح (يا نشء) المعجم الوسيط : ٧٨ ٥

** - الهجود: المصلي في الليل ، المصدر نفسه : ٦٠١

***- والصحيح (حبذوا) ليستقيم مع لفظ الجمع في السياق الذي سبقه (قوم) ، وذكرناها (حبذوا) في صفحات لاحقة بعد اشارة

التعديل

٤. الاناشيد الموصلية : ٤٨

***- ورب قائل كريم يقول : أن لأمشكلة لأهل الموصل مع الأتراك ، ومشكلتهم مع الفرس واسماعيل الصفوي ، ونقول أن الوثيقة التي ندرسها بين أيدينا كُتبت في عهد الإحتلال العثماني ، وتحدثت بجلاء عن سياسة التتريك وفرض التكلم باللغة التركية ومنع العربية

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

الجمود والتصلب ، وعلى الرغم من أن الانشودة جاءت مستوفية لشروط شعر الاطفال في سهولة الفاظها وإيجازها والقصدية التي حوتها إلا أن ((من التربويين من ينادي، ألا يكون الادب الذي يقدم للاطفال سهلا مبسط او هؤلاء يحبون أن يكون أرقى مما يعرفه الاطفال بعض الشيء حتى يستفيدوا منه بالمحاكاة))^(١) وهذا محض خلاف بين الباحثين في شؤون الطفولة لم يستقر على منهجية واحدة وحدود ثابتة.

ونجد أن الشاعر أسماعيل حقي في ((نشيد العرب)) قد أنصف تاريخ أمته القديم ومآواه من صفحات مجيدة كان لها وقع مؤثر في نفس الصغار والكبار على السواء ، إذ يقول :

[منهوك الكامل]

العربُ ساداتُ الأممِ

بالسيفِ سادوا والقلمِ

من مَكَّةِ حملوا العَلَمَ

حتى علا أعلى عَلمَ

سل عنه روما لا ارمِ *

وهرقلٍ وكسرى العَجَمُ ...**^(٢)

نرى أن الشاعر قد أوغل نظره في عمق تاريخنا المنتصب القامة ، الذي علت هامة سموه أكاليل الغار وتاج المروءة فالعرب سادة الامم في السيف والقلم ، بعدما حملوا راية الاسلام الى باقي الامم حين ركزوا هذه الراهية في أعلى قمم جبال السمو والخلود ، حيث امتدت فتوحاتهم الى روما وملكها هرقل في الغرب ، وفي الشرق بلاد فارس وملكها كسرى ، والانشودة تأريخية والفاظها سهلة وواضحة ووزنها القصير زادها ايجازا واجمالا، ومضمونها الهادف الى ايقاظ الهمم وبعث روح التحدي، وهذا ما اكسبها لونا من المقارنة بين الماضي المجيد والحاضر المرير فاستعمال الالفاظ المألوفة أقرب الى فهم الطفل من دون الاكثار من لغة البيان ((فبقدر ما تقل في النشيد أدوات البيان بقدرما يسمو الى أعلى مراتب الاستحسان))^(٣) فسر البيان بكل مجازاته واستعاراته يضفي على الشعر حلة بهيجة تقطر من ندى روعتها الفتون .

إن القيد اللغوي المتواضع للاطفال يدعونا للتخفيف من استعماله ، لأن الانشودة يصل الغرض منها عبر جملة او بما يتبعها ((وقد يتحقق الغرض من النشيد في الجملة الواحدة ، وبراعة الشاعر تكمن في كيفية الاستعمال اللغوي عند نظم أناشيده ، فالنشيد غير القصيد ، لأن الوحدة البنائية في النشيد تقوم على الشطرة *** ، وهي بمثابة الفرد كعضو في الاسرة والعلاقة العضوية بينهما لا انفصال فيها كل مشدود الى الآخر بروابط هي الكلمات ، والمعاني

١. في ادب الاطفال د.علي الحديدي : ٤٤٦

*. إرم : فرع من قوم عاد العربية المنسوب اليهم بناء جنائن إرم ، الاناشيد الموصلية : ٤٦

**. لا يستقيم الوزن الا بحذف واو العطف التي سبقت كسرى

٢. المصدر السابق : ٤٦

٣. ينظر : اناشيد دينية ووطنية ، محمود ابو الوفا : ٦-٧

***. شطر الشيء : قسمه الى نصفين ، المنجد : ٣٨٧

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

محورها (الوضوح والدلالة والايجاز))^(١)، وعلى هذه الروح المنطلقة لتربية النشء تربية دينية ووطنية وقومية ثقافية نشأ وتربى الشاعر والكاتب (محمد سعيد الجليلي)*، الذي كان متعدد المواهب ، يدبج المقالات المتنوعة في السياسة والادب والاجتماع دونما كلل او ملل ، وهو جامع هذه الرسالة المهمة وناشرها التي دونت السبق الريادي للعراق في أدب الاطفال في الوطن العربي ، في تلك اللحظات الحاسمة التي أوقدوا فيها شمعة أناشيد الطفولة ، بينما يخيم حولهم ظلام دامس ، ويحاصروهم هاجس الخوف والرعب ، لكن أصالة الاعراق ديين في ضمير الاعناق ألح على النبوغ فاستجابوا مسرعين ، ولولاه لضاع كل هذا مع ما ضاع ، وقد ولد في الموصل (١٨٩٦م - ١٩٦٣م)^(٢) تبين لنا أن أول قصائده للاطفال كانت في حدود سنة ١٩١٢م ، وهي بعنوان (الى الشبيبة) إذ يقول :

[مجزوء الرمل]

معشرَ الشَّبَّانِ يكفي ما دهانا من جمودٍ
فانبذوا عاداتِ سوءٍ واقتفوا إثرَ الجدودِ
أيها الشَّبَّانُ هبّوا أو ما يكفي الرقودُ ؟
واشبهوا أسيافَ علمٍ واقطعوا هامَ اللدودِ
فبذا نحيا ونسمو وبه حقاً نسودُ^(٣)

نبّه الشاعر الشباب بأسلوب مباشر ودعاهم الى كسر الجمود والركود، ونبذ عادات السوء والخوف، ومعاشرة الذل وحثهم على اقتفاء أثر الجدود ، في النهوض ومقارعة الظلم والظالمين ونبذ الرقود والتواني والرضا بهذه الحال كما دعاهم مثل غيره الى تكسير تلك القيود التي تمنعهم من النهوض والثورة ، ثم نصحهم أن يتركوا الذل والخنوع وينطلقوا أسودا في مواجهة الغاصبين المحتلين لبلادهم، بعد أن يشهروا سيوفهم بوجه أعدائهم.

تمتاز الانشودة بالايجاز والقصدية فغرس الثقافة لدى الطفل هي من أولويات الشاعر والكاتب والمربي والمجتمع إذ لا يقف أدب الاطفال عند تحفيز الوجدان وإيقاظه ولاتحريك المشاعر الانسانية الايجابية حسب ، بل هو يطمح الى غرس الثقافة باطارها العام وماتحملة من خصوصيات كل أمة عن الاخرى، وتأصيل جذورها في النشء الجديد ليكون قادرا على حملها ونقلها للأجيال اللاحقة^(٤) ((فهو يطور وعيهم ويعين على فهمهم للحياة وينمي إدراكهم الروحي ومحبتهم للجمال))^(٥) والعمل على توسيعه في هذا الوجود ثم تعريفهم بمواطن التطوع والرقى الفكري ؛ إن مرحلة الشباب ضمن مراحل الطفولة الى قبيل البلوغ بسنة، لذا شملها عدد من شعراء الرعيل الأول، ومن جاء بعدهم، مثل

١. ادب الاطفال ، د احمد زلط : ١٢٢

*. درس في المدارس الابتدائية والاعدادية التي تخرج منها بتفوق، كما تشهد بذلك شهادة دراسته الاعدادية ، لفرط ذكائه وتوقد ذهنه وهولم يزل في الخامس عشرة من عمره ، ثم دخل الامتحان في مجلس معارف الولاية، حصل على شهادة التأهيل للتعليم من المجلس

المذكور فانخرط في سلك التعليم ودرس في عدة مدارس كان اهمها (مدرسة دار العرفان) فكان احد العاملين على بث الفكرة الدينية والوعي القومي فيها، كان في عداد المؤسسين لجامعة الاداب ، وكان الشاب الوحيد في الموصل المكاتب والمراسل للصحف الوطنية في بغداد في عهد الاحتلال وبداية الحكم الوطني كجريدة الاستقلال وغيرها ، له عدة مؤلفات مطبوعة منها (كيف تجد السعادة وكيف يرقى العراق وخواطر ويومييات والانشيد الموصلية) . المصدر: الاناشيد الموصلية : ٥٢

٢ - معجم المؤلفين العراقيين : ١٧٥/٣

٣. الاناشيد الموصلية : ٥٢

٤ - في ادب الاطفال د . علي الحديدي : ٩٤

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

ضمن مراحل الطفولة الى قبيل البلوغ بسنة ، لذا شملها عدد من شعراء الرعيل الأول ، ومن جاء بعدهم ، مثل الشبيبي ، والكاظمي ، والزهاوي ، وصالح البديري ، ومحمد مهدي البصير ، وعبد الستار القره غولي ، والرصافي في بعض تراثهم ، والناظر في قصائد هؤلاء يجد ارتفاعا في المستوى اللغوي ، عن مراحل الطفولة الأولى ، وهذا الأمر يعد منقبة رائدة لهؤلاء الشعراء ، الذين رعوا بأشعارهم عن طريق التكامل مع الآخرين جميع مراحل الطفولة وإن كانت روحية التلقين المباشر سمة عامة في جميع مدرستهم من أشعار.

ويرى البحث علة ذلك تكمن في شيوع هذه الطريقة في عصرهم ، ومن خلفهم عدّة الواعون رائدا في باكورة خياله وتدقق شلاله ((لان البرامج التعليمية التي تعتمد على تلقين الطفل بكثير من المفاهيم والاتجاهات المقبولة اجتماعيا واكسابه عددا من العادات ، وانماط السلوك الاجتماعي السوي ، لجأ الى الاغنية ، فعن طريق الاغنية وعشق الطفل للغناء يمكن اكساب الطفل بطريق غير مباشر المفاهيم والمثل العليا ، وتكون لديه الاتجاهات التي تجعل منه فردا مقبولا اجتماعيا ، كي تنمي الطفل معرفيا من خلال الموضوعات التي تكشف أسرار البيئة المحيطة به))^(١)، وليس صحيحا أن تمرر المثل العليا عن طريق الاغنية * لانها منافية لها أحيانا كثيرة ، ولو قلنا أنها تمرر من خلال الاناشيد الهادفة ، لكان ذلك أوفر على الصواب وأدنى الى الفهم والواقع ، فهل كبارعلماء الامة قد اكتسبوا معارفهم ومثلهم العليا عن طريق الاغاني؟ فالانشيد أقرب الى الغناء ، وكلاهما يعتمد على ما تصدح به حناجر النشء من أصوات حين الترنم بها.

وللانشيد أهداف سامية وأغراض نبيلة كثيرة ، ومن بينها أنها تُعلم النشء كيفية أداء الاسلوب اللغوي وتطويع اللسان على تلفظ الحروف والمفردات ، واتقانه عن طريق الممارسة المستمرة ، والرغبة الحقيقية في قبوله والتعرف على كلمات جديدة تضاف الى معرفتهم اللغوية وتحببهم لا بل وتشدهم لترديدها.

أما في بغداد فقد انتقلت الى هذا الأمر الشاعر (محمد الهاشمي) * الذي نظم مجموعة من الأناشيد الطفلية التي ضمنها الجزء الاول من ديوانه في حدود سنة ١٩١٧ م ، أي قبل نشر ديوانه (عبرات الغريب) سنة ١٩١٩ م في

١. ادب الاطفال، المفاهيم والاشكال والتطبيق : ١٤٦

*- رب قائل يقول : أن من التعسف بمكان فصل أغاني الأطفال عن أناشيدهم لأنها هي هي، ونقول : المقصود بالأغاني ماجنحت ألحانها الى التطريب ، أما الإنشاد فهو رفع الصوت لإيصال معلومة ما .

*- ولد سنة ١٨٩٨م في محلة الشيخ صندل في بغداد، دخل المدرسة السلطانية ثم هجرها، وانتظم في حلقات درس الامام محمود شكري الالوسي، بعدها درج في نظم الشعر في زمن مبكر جدا ، ولم يتجاوز الخمس عشرة سنة ، وأول قصائده نشرها في جريدة (الرياض) للاستاذ سليمان الدخيل سنة ١٩١٣م وكانت هذه القصيدة سببا في سفره الى القاهرة ، لأن فيها تعريضا بقيصر روسيا فسبق بسببها الى المحكمة، التي غرمته لذلك خمس ليرات ، وعند وصوله الى مصر، دخل القسم الأدبي في الجامعة المصرية

بتوقيع مشيخة الأزهر والسultan حسين كامل، بعدها سافر إلى دمشق، وفيها قامت الحكومة بطبع أول ديوان له (عبرات الغريب) عام ١٩١٩م. اشتغل في شبابه في تحرير صحف عدة منها، الرياض النهضة، المصباح، التي كان يصدرها الشاعر عبد الحسين الأزري ثم أصدر مجلة اليقين الأدبية عام ١٩٢٢م، وكان المدير المسؤول عن جريدة الأخلاق التي أصدرها الشاعر عبد الرحمن البناء. مؤلفاته المطبوعة، ضبط وشرح ديوان ابن الدمينه، طبع في القاهرة عام ١٩١٨م، النعت: مجموعة قصائد في مدح الرسول محمد (ﷺ) طبع عام ١٩٤٧م، القضاء بين يديك: بغداد ١٩٥٧م (ت ١٩٧٣م): ينظر مقدمة ديوانه: ١٥-٢٥

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

دمشق بسنتين^(١) أي في مدة شبابه الأولى وهو يحن فيها إلى طفولته، ثم في المجموعة الكاملة من ديوانه الأخير^(٢) وكانت ذات مستوى أعلى من جميع مراحل الطفولة، إذ لم يستطع الشاعر تطويع ذاته في الكتابة لهم وقلة منها قريبة من الأطفال، وحتى هذه مزج قسما منها بطابع فلسفي، يصعب عليهم فهمه أو ترديده، أو حتى محاولة فهمه ((وقد تضمنت الأسلوب الوصفي والقصصي والتعليمي))^(٣)، أما ما كان قريبا من ذائقة * الأطفال فهي انشودة الزهور الذابلة :

[مجزوء الكامل]

يا طفلي لاتضجري من عيشك المتكّر
كلّ يُغيّر غير ربك ليس بالمتغير
وتأمل بالزهر ينبث في الرياض النضر
فتحت كمامه فلم يذهب ولم يتبعثر
حتى اذا دبّ الذبو ل بخده المتمعر **
وتغيرت ألوانه بعد الربيع المبكر ***
عادت به أيدي الفنا ء الى قديم العنصر...^(٤)

يدعو طفله بعدم التضجر من العيش المتكرر، لأن كل شيء يتغير الا الله - جل وعلا - ودعاها للتأمل في الزهر الذي ينبث في الرياض النضرة، وقد وقق الشاعر في هذه القصيدة وهي أجمل ماكتب، واختياره لمجزوء الكامل وزنا أفاده كثيرا، ومتى تغيرت ألوان الورد، بعد الربيع الذي جاء مبكرا، سيعود الى عنصره القديم الذي نشأ منه. أما (الشيخ قاسم الشعار) **** الذي ألهم حماس تلامذته ومحبيه، بأناشيد الوطنية والقومية فهو الشاعر والمربي والشيخ الورع الذي نبغ في الشعر والادب، وحاولنا جهد الامكان، أن نكشف للمتلقى تاريخ ولادته ووفاته فلم نقو على ذلك، وعلى الرغم من الاهمال الذي لازمه، في عدم وجود مصدر يؤرخ لهذا الشاعر الكبير، في الانشاد فكانت لنا خيوط تتبعناها، وبوساطتها حاولنا تحديد المدة الزمنية، التي كانت بين الولادة والوفاة، حيث ذكر أنه

١- ديوان عبرات الغريب، دمشق، الجزء الأول، ١٩١٩م

٢- ديوان محمد الهاشمي البغدادي، جمع واعداد: د. عبد الله الجبوري، العراق، دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٧م

٣- ذكر ذلك رفائيل بطي، حيث قال عن (عبرات الغريب) انه احتوى (منظمه الشاعر الشاب من حدثته الى سنة ١٩١٨م كثيرا من جيد الشعر) المصدر: الادب العصري، قسم المنظوم، المكتبة العربية، بغداد ط ١، ١٩٢٣م: ١٨ / ٢.

* - لذا جرى اسقاط غالبيتها من الشعر الموجه للطفل، لكونها مخالفة لشروط شعر الاطفال فقد كتب ثلاث عشرة قصيدة هي :
(كلبان وذئب، النحلة والجلنار، الوردة والفراشة، القبر والزهرة، الديك والثعلب، الكلب والذئب، عصفور الفجر، الشمس في الشروق)

الزهور الذابلة ، اليتيم الباكي ، ذهاب الخريف ، الصباح ، القوة والضعف وهي في ديوانه الكامل في الصفحات التالية :
(٢١، ١٥٦، ٦٩، ٦٧، ٦٠، ٣٩، ٢١٠، ٢٠٢، ٢٣٩، ٢٧٣، ٢٥٨، ٢٤٨))

***- والصحيح (المتعمر)

***- عجز هذا البيت وزنه على مجزوء الرجز ، وهذا خلط بين البحور ، لذا اقتضى التتويه

٤ - ديوان عبرات الغريب : ٤١

****- فرع دوحة علم نما في رياض الاداب والفضيلة، فقد تعهدته يدحكيم ، جمعت بين صفتي الابوة والاستاذية، فطبعته بطابع التهذيب الخلقي الرفيع واحاطته بسور من الادب والعلم والفضل منيع، ولاغرو فهو شيخ جليل فاضل ابن شيخ عالم كامل وأعني به =

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

((من الرعيل الأول الذين زرعوا في شباب بلدته حب الوطن والملة ، حيث شغل وظيفة تدريس الدين والادب العربي في دار المعلمين بالموصل في العهد العثماني، حتى أحس منه غلاة الفكرة الطورانية * من مدرسي الدار المذكورة ما يحمله من مبادئ قومية وآراء وطنية عربية ، فعملوا من أجل إجباره على التخلي عن وظيفته فاستقال منها وقد شغل منصب القضاء الشرعي في مختلف البلدان العراقية نحو الثلاثين سنة))^(١).

إذ تبين لنا أن أول * * أناشيده للأطفال هي ((نار على أعدائنا)) التي يقول فيها :

الى متى يا قومنا نحسو أفويق العنا ؟ ***
تذكروا ما قد جرى من الألى أسلافنا
قد خاضوا في أمواجه حتى انجلى لها المنى
ما في بني ماء السماء ان شبت الهيجا ونأ ****
هذي العدى قد أنشبت أظفارها في مجدنا *****
فاقصوا الذي تراءى في تبعيكم قرب المنا *****
واجلوا الذي يريد أن يجلوكم من الدنا ... (٢)

إن الشاعر يسأل قومه وقد طال بهم الركود والرقود، الى متى تشربون من التعب والاجهاد؟ وقد ذكرهم باجدادهم الذين خاضوا غمار الخطوب، حتى أدركوا أمانهم في السمو والرفعة ، وهو يحذرهم إن اشتعلت الحرب فليس هناك مكان للفتور والضعف ، لاننا قوم يطربنا وقع السيوف ولا ترهبنا الحتوف ويسكرنا وقع الرماح ، فالاعداء، قد غرست أظفارها في مجدنا التليد عاملة على قلعه وطمس آثاره من الوجود، وعليه وجب عليكم أن تبعدوا عن الذي يريد أن يدفع بكم قرب حافة الموت، لذا فاطردوه وأخرجوه من دنيا الوطن قبل أن يعطل بفعله وعمله عملكم ، لقد امتازت الانشودة بسلاسة اللفظ وسهولة المفردة ووضوح المضمون مع بعض المفردات التي بها حاجة الى الشرح والتوضيح

= الشيخ محمد الشعار ، وكان المترجم له الذي انجلت للا بصارمخائل النجابة والذكاء فيه ، فأتحف ناشئة قومه بالشعر الحماسي الوطني الذي يذكر فيه بني قومه بامجادهم التاريخية ، فشب ينسج من شعورالحقيقة والخيال اشعارا، وبغزل من نفثات حماسه الديني والقومي اوتارا ، فتشيع منها انغاما تنبه الغافل، وتوقظ النائم . الاناشيد الموصلية : ٣٤ - ٣٥
* . التي تقول بتأسيس امبراطورية من العنصر التركي الخالص / مقدمة ط ٢ من المصدر نفسه

١- المصدر نفسه : ٣٥

***- وحين أسقطنا هذه الثلاثين سنة من سنة النشر ١٩٥٣ م ، تبين لنا أنه كان مدرسا في دار المعلمين سنة ١٩٢٣ م ومن الطبيعي أن نسقط من هذا التأريخ الاخير عشرين سنة قضاها طالبا كي يتخرج بعدها مدرسا ، فتبين لنا بعد ذلك أن ميلاده في حدود ١٩٠٣ م

تقريباً لهذا فأشعاره قد كتبت في ريعانة شبابه ، عندما كان مدرسا في الدارسة ١٩٢٠م، وقد أخذنا هذا التقدير بحسب ما معمول به في الوقت الحالي ، ولاندري إن كان هناك فرقا بين الماضي والحاضر من حيث التدرج في الجهد الدراسي أم لا.

*** . أفويق : جمع أفيق الطريق : سننه اي نهج وجهته ، المنجد : ١٣ .

**** . والصحيح (ونى) فتر وضعف ، المعجم الوسيط : ٦٢٨

***** . متأثر بقول الشاعر ابو ذؤيب الهذلي : وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تتفح

***** . والصحيح (المنى) اي المنية الموت ، المعجم الوسيط : ٥٤٥

٢. الاناشيد الموصلية : ٣٤ - ٣٥

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

لكن الوزن القصير والقصدية ساهما في هذه الانشودة وماسبقها على زيادة ثقافة الطفل ((لان الطفل يولد مرتين أحدهما* ولادة بيولوجية والثانية ثقافية، حيث تبدأ هذه الاخيرة مع بدأ** امتصاص الطفل من المجتمع للغة والافكار والعادات وأنماط السلوك الاخرى))^(١).

ولاشك بأن تغذية الطفل بما يعرفه ولايعرفه كي يعرفه بعد السؤال عنه من والديه أو معلمه أو من أصدقائه سوف يزيد من قدرته اللغوية في المفردات الجديدة ، لأن الطفل لايجل كالكبير من السؤال عما لايفهمه من مفردات لاسيما وأن الموسيقى التي تتهاذى بها الاناشيد تشده وتثير حماسه ، وألطفها اذا كانت الانشودة على قافية واحدة فطالما ((يستجيب الاطفال للقافية الواحدة في الشعر العربي ، لأن وحدة القافية تساعد على استكمال الخواص الموسيقية للشعر حين يغنيه الصغار))^(٢) وهذا هو الذي دفع شعراء الأطفال الحاذقين الى الإلتزام بالقافية الموحدة في غالبية ماينظمون لهم من قصائد ، لوجود لذة عند الترنم بحرف الروي الذي يتكرر في كل بيت ، لذا وجب على المؤسسات التي ترعى الطفولة أن تعطيهم أغلى كنوز ما تدخر، فغذاء الروح يوازي غذاء الجسد وهما نهران تتكامل بهما الحياة.

*. كذا وردت والصحيح إحداهما

*. الصحيح بدء ، المعجم الوسيط : ٨٤

١. الهوية الثقافية للأطفال ، د هادي نعمان الهيتي ، مجلة الطفولة والتنمية ، العدد ٢ ، ٢٠٠٠م : ٢٣

٢. في ادب الاطفال د . علي الحديدي : ٢٩٠

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

الأنشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية الجزء الأول * ١٩٢٠م

هذه المجموعة تدلل عن بداية الشعور الوطني بأهمية الاناشيد وتأثيرها السحري في النشء**، وكذلك تهيئة الرأي العام الشعبي لاستقبال حدث تأسيس الدولة العراقية ونظامها الملكي ، الذي تم إقراره أن يكون في سنة ١٩٢١م وفي سنوات الانتداب البريطاني أخذت تتعالى الأصوات مطالبة في الاستقلال ، وعليه جاء نشيد الاستقلال للشاعر عبد الرحمن البنا *** موافقا لهذه الروحانية ، فقال :

[مجزوء الرمل]

نحنُ نفتحُ الطريقُ ونجوزُ العقباتِ
فهواناً لانطيقُ ولنا حقُّ الحياةِ

الحمايةُ والوصايةُ كلها معنى الأسرِ
وعلى العيشِ بذلٍ أبداً لا نصطبرُ

(بلغ السيلُ الزبي) **** وبكتُ عينُ الجدودِ
حين خانوا العربا ونسوا تلك العهودِ

كم حمينا الأما كم حفظنا الذمما
مذ رفعنا العلمأ بالقنا والقضب ... (١)

أي أننا نفتح الطريق أمام بلدنا، ثم ننال الاستقلال، لأننا بالاعتماد على الله سوف نتجاوز العقبات ، فذل الهوان لانطيقه ، وكل منا قد عرف طريقه، لذا فان الحماية والوصاية على العراق ذل لانصطبر عليه ، فقد بلغ صبرنا الى أقصاه وبكت عين الجدود أسفاً علينا حين خان الاعداء تلك العهود التي أخذت بيننا وبينهم، فقد كانت الامم تلوذ بحمانا فان الحماية والوصاية على العراق ذل لا نصطبرعليه ، لقدعمل النشيد بقصدية واضحة على تهيئة أذهان الأطفال ، الى هذا الحدث المهم ، في تأريخ العراق ، فأصبح النشيد جزءا من التاريخ عندما يحاكي الأطفال بلغة واعية وقصدية ملتزمة .

*. هذا ثاني كتاب يصدر في تاريخ العراق يروج للانشيد ويحمل اسمها. ولم نجد في دارالكتب اقدم منه بعد الاناشيدالموصلية، طبعت على نفقة جامعها عبد الكريم خضرالكتبي، مكتبة الشرق، سوق السراي ، بغداد ، مطبعة دنكور (الفلاح) ، سنة ١٣٤٠هـ
**. المشكلة الكبيرة التي واجهتنا في هذه المجموعة ثم التي تليها، ان نأشرها جمعها من هنا وهناك ، ولم يسأل عن شاعر كل قصيدة

فان كان ناشرها في تلك الحقبة السحيقة ، أعيته الحجة في معرفة أسمائهم ، فنحن اليوم بعد مرور خمس وتسعين سنة على نشرها أشد عياء منه في معرفتهم ، ومن أثبتنا أسماءهم فهو من خلال ذكرهم في مجاميع أخرى.

*** - (١٨٨٩م - ١٩٥٥م) صاحب جريدة الاخلاق، صدرت عام ١٩٢٦م، وكان مديرها الشاعر محمد الهاشمي، له ديوان البناء، الأول

١٩١٣م بغداد، والثاني ١٩٢٧م بغداد ، معجم المؤلفين العراقيين ، ٢ / ٢٤٥

**** - الزبي، جمع الزبية ، وهي الرابية التي لايلعوها ماء ، المنجد : ٢٩٤

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ٦ - ٧

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

وقد نزل الى ساحة الاطفال شاعرنا الكبير الرصافي * في (انشودة الأطفال لافتتاح المدرسة) قائلا :

قد مضت عطلتنا فرجعنا للدروس
هذه بغيتنا فلتطب منا النفوس
إن في الدرس المنى إنه ينفي النحوس

قد مضى لهوالمصيف فبرحنا مأنسة
وأتى فصل الخريف فحضرنا المدرسة
ملبس العلم شريف فاجتهد أن تلبسه
إن أيام الصبا فرصة للناشئين
من قضاها لاعبا سيروى في النادمين
فأجدوا الطلاب إنما الوقت ثمين (١)

أشار الى أن العطلة قد انتهت ، وها نحن قد رجعنا للدروس ، وهذا ما نبغيه وتطيب به النفوس ، لأن فيه منانا ونفي النحوس ، وكذلك ذهب لهو الصيف ، وذهب أنسه معه ، وقد أتى الخريف ، وحان حضورنا الى المدرسة فملبس العلم ملابس شريف ، ودعاه أن يجتهد كي يلبسه وهذه استعارة لطيفة ودعوى شريفة ، دعا بها الشاعر لحث النشء الجديد على المثابرة والجد والاجتهاد ، لأن ايام الصبا فرصة الناشئة ، فمن قضاها لاهيا لاعبا سنراه لاحقا في النادمين ، لذا جدوا في طلب العلم لأن الوقت ثمين.

أما الشاعر سعد صالح جريو ** فكان ميالا الى حث النشء وتحفيزهم ، في (نشيد الاستنهاض) قائلا :

يا نشيء هل لا نهضة ***
نحي بها الماضي السعيد
تفضي وقد جار الزمان ****
وسامنا سوم العبيد
هيا انهضوا طال الرقاد
وحطّموا هذي القيود
هذي معاهد عزنا
قد طالبتنا بالعهود
فلنفدها أرواحنا
فليس في الدنيا خلود

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣٥/١

* - (١٨٧٧م - ١٩٤٥م) شاعر وأديب مشهور ، له مؤلفات عدة نشرت بعد وفاته منها: خاطرونادر ١٩٨٩م الشخصية المحمدية ٢٠٠٢م الرسالة العراقية ٢٠٠٧م ، وله ديوان مطبوع :المصدر : معروف الرصافي آثاره في النقد والأدب جمع وتقديم أ. د داود سلوم وآخرون دار الجمل ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤ م

*. لم نعر على ترجمته في معجم المؤلفين العراقيين، لكن الباحث الدكتور عدنان العوادي ذكرنا في مقابلة خاصة في ٢٠١٥/٨/٦ م أنه ربما كان تصحيحاً لإسم السيد سعيد صالح جريو من النجف، وهو شخصية وطنية معروفة. عين متصرفاً للواء الحلة، ثم عين وزيراً للداخلية في أربعينيات القرن العشرين، لذا اعتمدنا هذا التنويه لعدم وجود ما يناقضه.

***. والصحيح (يا نشء هلا)

****. والصحيح أن تعبر النون إلى صدر البيت الثاني لأن البيت مدور، وكذلك الدال في البيت الذي يليه في كلمة الرقاد والتاء في كلمة الفرات إلى العجز لإكمال التفعيلة الأولى للعجز، وبذلك تخرج هذه الأبيات الثلاثة إلى مجزوء الكامل وهذا خطأ عروضي.

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

سَلْ عَنْ مَوَاقِفَنَا الْفَرَاتِ تَجِدْ لَنَا النَّبَأَ الْأَكِيدَ
أَوْ سَلْ ضَوَاحِي دَجَلَةٍ عَنْ بَأْسِ أَحْفَادِ الرَّشِيدِ^(١)

يستنهض الشاعر النشء الجديد بنهضة نحي بها الماضي السعيد، فقد جار الزمان علينا، وباعنا ببيع العبيد فانهضوا لقد طال نومكم وحطموا القيود التي تمنعكم من تحقيق ما تصبون له، أما تستفزكم أنات أجدادكم؟ فمعاهد علمنا وعزنا، تطالبنا بإيفاء العهود فلنفدها الأرواح، ونحمل السلاح، فليس في الدنيا خلود.

أما الشاعر محمد مهدي البصير* فقد رسم صورة التفاضل أمام أنظار الفتيان، مستبشراً بقدوم الملك في (نشيد الشرق) قائلاً:

وطني والحق سينجده	مازلتُ بحبي أعبدُه	[المتدارك]
سيصوغُ العدل لدولته	تاجاً والله سيعقده	
سنثيرُ الشعب ونوقظه	ونقيمُ الكون ونُقده	
سنعيدُ الشرق لسلطته	وبحدِ السيف نجده	
أشقته سياسة مضطهد	ستقلصُ عنه فنسعه ^(٢)	

إنه يرجو أن يكون الحق منجدا للعراق، فهو بحبه يعبده، وسيصوغ العدل تاجاً لدولته، فليعيش أبطال سياستنا ليكون الملك لمن يؤيده الشعب، فسنتير الشعب ونوقظه من رقدته، لنعيد إلى الشرق سلطة أهله، وبحد السيف نجده. فقد نلنا الشقاء بسبب سياسة الاضطهاد التي نحاول أن نقلصها.

واستنهض الشاعر حبيب العبيدي الموصلي* الشباب في نشيد العز قائلاً:

شبابنا وشيبننا	في مكتبٍ ومنصبٍ	[مجزوء الرجز]
نسعى ولا يربينا	شيءٌ لعزِّ العرب	
فينا الكتاب المنزل	منا النبي المرسل	
والخلفاء الأول	في الأرض مثلُ الشهب	
نحن على رغم العدى	المنتهى والمبتدا	
منا انجلي نور الهدى	في مشرقٍ ومغرب ^(٣) ***	

إن شبابنا في المكاتب أي يملكون الوظائف، وشيبننا في المقام العالي في المناصب، والكل يسعى لعز العرب فقد كرمنا الله حين أنزل الكتاب فينا، وشرفنا بأن يكون النبي المرسل محمد (ﷺ) منا وهاتان الحجتان هما أشد ما يحتج به على العرب يوم التناد.

*. ولد في ١٨٩٦م، شاعر واستاذ جامعي معروف ، له خمسة عشر مؤلفاً: ديوان الشذرات ، المختصر، النفثات ، بعث الشعر الجاهلي في الأدب العباسي ، عصر القرآن ، دولة الدخلاء ، البركان ، وغيرها، معجم المؤلفين : ٣ / ٢٤٤

٢. المصدر السابق : ١ / ١٦

*. لم نعر على ترجمته في معجم المؤلفين العراقيين

٣. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ٧ - ٨

*. اكتفينا بما أوردناه من هذه المجموعة، أما التي لم نوردناها فهي: الجند، العَلَم، العَلَم، الموصل، البنات، الإباء والنخوة ، العروة الوثقى =

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

.....

= الإيقاظ ، حب المعالي المستقبل، العرفان، الإقدام، فائدة الدرس، تهنة العراق، الذهاب الى المدرسة، الإجتهد، الرياضة، العلا، محبة الأوطان الحماسة، بغداد، وأخضعت جميعها للدراسة في المباحث التالية .

إن المجاميع التي درسناها هي :

١. الأناشيد الموصلية للمدارس العربية ، محمد سعيد الجليلي، مطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل ، ط١٩١٣م

٢. ديوان عبرات الغريب ، محمد الهاشمي ، دمشق ، الجزء الأول ، ١٩١٩م

٣. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية ج١، ج٢: طبعت على نفقة جامعها عبد الكريم خضر الكتبي، مكتبة الشرق، سوق السراي بغداد مطبعة دنكور (الفلاح) ، سنة ١٣٤٠هـ. الموافق ١٩٢٠م

أما بقية المجاميع والدواوين التي لم نوردناها في هذا الفصل ، تجنباً للإطالة لأنها تبلغ مئة وخمسين صفحة كاملة ، مما يتقل كاهل الفصل ويخرجه الى ساحة الملل، لذا سنكتفي بذكرها وماضمتها من أناشيد صالحة، وعدم ذكرها هنا ليعني أنها أهملت بل إنها درست جميعها بما يستجيب للمباحث التالية في كل الرسالة. ونوردناها حسب تسلسلها الزمني وهي :

٤. مجموعة الأناشيد المدرسية سنة ١٩٢١م، الرصافي، جامعها وناشرها خليل طوطح في القدس، الذي ادعى انها ألقت هناك في السنة نفسها، في حين ذكر الكاتب محمود العبطه: ان هذه الأناشيد ألقت عام ١٩٢٠م، في كتابه معروف الرصافي، حياته وآثاره ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢ : ٤٤ وقد ثبت لدينا عدم صحة القولين معاً، إذ لم يؤلفها الرصافي جميعها في تلك السنة كما ذكر، بل ألف عشرها منها فقط هي (الابطال، النشيد الوطني ، العلياء ، افتتاح المدرسة ، الوطن) سنة ١٩٢٠م في بغداد ونشرها في الجزء الأول من الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية، ثم ألف (اغرودة العنديل، البنات، الإباء والنخوة ، حب المعالي، المستقبل، العرفان) في بغداد ونشرها في الجزء الثاني من المصدر السابق سنة ١٩٢٠م، وما زاد عما ذكرنا ألف هناك في القدس الشريف . وفيها (مارش العلوم ، ابتسام الطبيعة ، اضحك، دار المعلمين) .

٥. مجلة التلميذ العراقي ، سعيد فهم، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٢٢م. وفيها: (رجال الغد، سيروا بنا ، كتابي ، الأوطان ، الهر والفيران ، أيها العربي)

٦. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الجزء الاول والثاني : محمود حلمي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٢٣م . وفيها (الإستنهاض ، بلادي ، البنات ، بغداد ، لغة الأوطان ، تنويم الأم) .

٧. ديوان أناشيد وادبيات الفتاة، حسين علي زهير الظريفي، المطبعة العصرية، بغداد على نفقة صاحبها محمود حلمي، ط١، ١٩٢٦م. وفيها (العَلَم ، الوطن ، بغداد ، الذكرى، المدارس ، فتاة الأعظمية ، الأم توقظ ابنتها من منامها، العلم والجهل، أمانى الفتاة ، حب الملك ، تنويم الأم لابنتها ، النهوض، القلم، الراية، النشيد الفيصلي ، البنات الصغيرة ، سلمى تعاتب أختها ليلى ندم الفتاة الجاهلة، الأم وطفلها ، بين ليلى وسلمى ، الفتاة اليتيمة تخاطب أمها ، الطفلة وكلبها الصغير النظافة والصحة، الدنيا الفتاة تستعطف امها في الذهاب الى المدرسة، الكواكب بين الأم وابنتها، الأم ترشد ابنتها، الطفلة اليتيمة ، كتابي ، محاورة في الشعر انشودة التشوق للحرية انشودة الحياة ، الأم ترشد ابنتها الصغيرة ، نشيد الايقاظ ، الزهرة ، العلم والجهل، انشودة القمر الزهرة بين يدي الفتاة ، حسن الختام.

٨. الأناشيد المدرسية ج ١، ج ٢ لم يذكر فيها اسم الناشر، مطبعة دار السلام ، بغداد، ١٩٢٧م وقد أثبتت النوتات الموسيقية معه. وفيها (العلم والسيف ، الاستنهاض الوطن ، ببلادي أتناهى ، المعمار ، فلنلعب ، الربيع) .
٩. الأناشيد المدرسية والألعاب ، عنيت بنشرها مكتبة التجدد ، بغداد ، وطبعت في مطبعة النجاح في بغداد ، ١٩٢٩م وفيها (الشبان النهوض ، الاستنهاض ، نداء الوطن ، ايها العلم، النشء الجديد ، النشيد الملكي ، تحية العَلَم ، الاحرار المخلصين ، نشيد الشهداء نشيد السجون ، السجون ، مناجاة ، الجندي ، ايقاظ الرقود)

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

.....

١٠. المحفوظات الطفلية ج ١، ج ٢ الدكتور أحمد حقي الحلي، دارالمعارف ، مصر ، ١٩٥٤م ، لاكما ذكر. هادي نعمان الهيتي أنها طبعت في ١٩٥٢م في كتابه ثقافة الاطفال : ٢١٤ ، ولا كما ذكرت الباحثة سليمة سلطان من انها نشرت في عام ١٩٤٥م، في رسالتها اثر الدين والتراث : ٤٠. وفيها (الملك المحبوب، وطني، عِلْمِي ،الجندي، خالد بن الوليد، الطيارة، دراجتي، لعبة الققط (بالتمثيل) العصفورالصغير، العجوزوالدجاجة، اللعبة، انشودة الحمام، لعبة الأمير، هزار ليلي ، التلميذ المجتهد، البلبل، الديك الفصيح ، قطتي البيضاء، الخنفساء والحمار، البدر الفخور، من أحب، تمنيات ، كم بقي؟، الملك المحبوب ، عِلْم العرب، أنا العربي ، صلاح الدين قطرة الندى، غزالي ، البلبل الطليق، سهى النظيفة وساهي الوسخ، العيد، ياصفي، الربيع ، سليم والفراخ ، العجوزالنادمة ، لعبة الربيع هيا الى السبح ، نشيد الروضة ، نشيد الصباح ، الأرنب والجرذ ، نجمة الصبح) .
١١. تائم التربية والتعليم ألفت ١٩٣٢م، معروف الرصافي، دراسة يوسف يعقوب مسكوني، ونشرت سنة ١٩٥٧م. وقد توهمت الباحثة الفاضلة سليمة سلطان كثيرا في تثبيت سنوات نشرالشعراء لمؤلفاتهم ، فقد ذكرت ان التائم نشرت عام ١٩٤٨م في رسالتها أثر الدين والتراث : ٤١، وما أثبتناه هو ما موجود على صفحة العنوان. وقد ضمت (نشيد الله ، الديك في آخر الليل ، امرأة الشهيد تتوم ابنها الشمس، الأغنياء والفقراء ، كل شيء يتكلم (فما علينا إلا ان نفهم) قصر الحمراء).
١٢. ديوان جميل صدقي الزهاوي، القاهرة ، ١٩٢٤م، قسم من قصائده الطفلية في ديوانه هذا والآخر ألف مابين سنة ١٩٣٣م - ١٩٣٤م وفيه (أمه) .
١٣. مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة ، مطبعة الحكومة ، وزارة المعارف ، بغداد ، ١٩٣٤م. وفيها (ياليوث الوغى، نشيد النصر نشيد الكشاف ، نشيد المدرسة ، ياشباب الوطن ، تحية العلم ، انشودة الميثاق ، نشيد البنات في المدرسة الثانوية ، النشء الجديد ، نشيد الجهاد) .
١٤. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الأجزاء الخمسة ، طبعت على نفقة محمود حلمي ، مط العصرية ، بغداد، ط ٤ ، ١٩٣٦م . وفيها (نشيد الاعتماد على النفس ، نشيد العلم العراقي ، نشيد الجند ، نشيد الختام ، نشيد السعادة ، نشيد الجعفرية نشيد الاخوان ، نشيد البلبل ، نشيد النجدة العربية، استجد العراق ، نداء العراق) .
١٥. مختارات من ديوان الشاعر عبد الستار القره غولي ، ١٩٣٨م ، دارالشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٩٥م . وفيها (نشيد الفتوة العراقية) ونشيد الفتى في مجلة الفتوة ١٩٣٤م.
١٦. ديوان التمنيات ج ١، صالح البدري ، مطبعة الزعيم ، بغداد ، ط ١، ١٩٥٩م ، وكانت قصائده الطفلية قد ألفت سنة ١٩٣٩م ومنها (نشيد العِلْم) .
١٧. ديوان الشبيبي ، محمد رضا الشبيبي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، القاهرة ، ١٩٤٠م . وفيه رجال الغد .
١٨. ديوان عبد المحسن الكاظمي ، جمع واعداد رباب الكاظمي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٧٨م . وفيه سيروا بنا .

أهداف الأناشيد وقصديتها

تبين لنا مما تقدم أن أهم الأهداف النبيلة التي سعى لها هؤلاء المربون هي : أن لا تموت أصوات الدعوة للحقوق العامة كحق الدين واللغة والمشاركة السياسية في إدارة البلاد، وقد أنت ثمارُ جهودهم قطافها فيما بعد.

أما سر عدم تضمين شعراء (النصف الأول من الرعييل الاول) أناشيدهم الموضوعات الترفيهية والترويحية والفكرية التي تشغل بال الاطفال منذ الصغر، التي تنبّه اليها النصف الثاني من هذا الرعييل ، التي تذكر فيها الحيوانات والطبيعة وما في الحياة ، كالقط والفأر، والبلبل والورود ، والديك والثعلب ، والبقرة والعصفور والمدرسة والعطلة الصيفية ، الى غيرها مما يحبون .

فهو أنهم كانوا جميعا مشغولين بـ (الهَمّ الاكبر) وهو المطالبة بحق النطق في لغتهم العربية أولا ، والحقوق الوطنية والقومية والدينية التي حُرمت وحوّرت بقسوة ثانيا ، والجمود والخمول الذي حاصر المجتمع العراقي آنذاك ثالثا.

لهذا نفت قساوة الهم الأكبر عن أذهانهم حلاوة الهم الأصغر وهو التمتع والانشراح والترفيه والتطلع، فكيف يُستتطق البلبل حين يشدو بروعته، وشاعره عاجز عن الترنم في (لغته)؟ فضلا عن ذلك، أن الموضوعات الترفيهية والترويحية لا توجد بها قرائح الشعراء غالبا إلا اذا عاشت حالة الاستقرار والهدوء والتأمل ، وتستعصي على من عاش عيشة السقيم وتململ وتململ السليم .

ويعاضد الباحث في هذا القول جامع هذه الاناشيد (محمد سعيد الجليلي) فحينما نُشر الجزء الاول من كتاب (الاناشيد المدرسية) سنة ١٩٢٧م في بغداد ، وتلقفته تلاميذ المدارس آنذاك بارتياح شديد ، وكان من ضمنه نشيد ((العنديل))^(١) للشاعر الكبير الرصافي ونشيد ((اليمامة والصياد))^(٢) قال عنهما:

((ونحن لانوافق القائلين أن أمثال نشيد العنديل واليمامة وماشاكلهما أجدى للتلاميذ الصغار لأنها تقربهم للطبيعة وتحبب الحيوانات اليه وتفتح أذهانهم لمباهج الطبيعة ، وسبب مخالفتنا هذه يرجع الى أننا كأمة مغلوبة على أمرها أحوج الى جيل متشبع بروح القومية والحرية والاستقلال ، منا الى جيل مستتيم مُسلم للواقع المرير سابح في أجواء الخيال ، متناسيا الحالة التي عليها قومه))^(٣).

وهذا يعني أن أناشيد الطفولة امتازت بالوطنية أولا إلا ماندر ، لأن سواها كان مرفوضا من الشعراء أنفسهم، وهذا يعني قصدية ما ينشدون لتربية النشء ، وغرس المفاهيم الوطنية ، وحدث ما يصبون اليه ، فان هذا الامر ((لم يدم طويلا على هذه الحالة ، ففجّر النهضة في العراق ، بدأ يلوح بعد قيام الحرب العالمية الاولى ، والتي أحدثت تغييرا كبيرا من الناحية السياسية والاجتماعية، فقد ظهر من يدعو للاصلاح الشامل))^(٤)، وبذلك بدأت عملية التغيير التي كانت الاناشيد أحد أساليبها المعتمدة .

٢. ديوان الشوقيات : ١٧٢، وقد نسبته الناشر خطأ الى الرصافي .

٣. الاناشيد الموصلية : ٩

٤. ينظر: التيار الاجتماعي في الشعر العراقي بين الحربين العالميتين (١٩١٤-١٩٤٥) ابتسام عبد الستار، رسالة ماجستير جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م : ١٣

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

أسباب اهمال هذه الأناشيد وعدم شهرتها :

١. كان الشعراء الموصليّون حرياً على الوالي في بلدتهم الموصل ، وعلى سلطانه في الدولة العثمانية ، بينما كان غيرهم يعيش في ضمن حاشية الوالي، وله المحل الأكرم بينهم .
٢. لم يكن هؤلاء المربون أثرياء ، بل كانوا على عفة عالية ، لذا تعاضدوا فيما بينهم على تأليفها وتعهدها جامعها على طبع هذه الوثيقة التاريخية المهمة، في تاريخ العراق الادبي ولاسيما أدب الاطفال، في العصر الحديث، على نفقته* ووزعها في أماكن محدودة في الموصل ، ولم يطلبوا من الوالي مالا يُعينهم على طبعها وتسويقها، وهؤلاء يكتبون أناشيدهم طوال الحقبة العثمانية سرّاً ، وهم مرعبون من الخوف والبطش وتكليم الأفواه ، بينما استمتع غيرهم في كتابة ما يشاء وقول ما يشاء وهو حر طليق.
٣. أنهم يبعدون عن العاصمة أكثر من أربع مائة كيلومتر، ولم تكن المواصلات يسيرة ومتوافرة آنذاك ، فكيف تصل أناشيدهم الطفولية الى الوطن العربي، وهي لم تصل الى بغداد العاصمة؟ وألصحف والمجلات التي ظهرت فيها لتُنتشر، وتأخذ حظها من الذيوع والإشتهار؟
٤. إن كل من كتب في أدب الطفولة بصورة عامة ، وأناشيدهم بصورة خاصة ، سوف تطارده لعنة الاهمال وتطويه غياهب الاغفال ولا يأبه بفعله إلا ذوو النباهة وهم قلة قليلة ، لاحول لهم ولا قوة ، منذ أقدم العصور والى اليوم ، وإن صحا أحدهم واعتنى بهم فان الاقلام سوف تصوب له بالانتقاد اللاذع ، وبذلك تأخّرت الامة العربية في هذا الأمر عن ركب بقية الأمم ، لأكثر من أربع مائة سنة.
- لذا فإن هذه الاسباب مجتمعة جعلت حتى أهل العراق لم يعرفوا عنها شيئاً ، ومن مرّ عليها منهم مرّ مسرعاً كأن بطش الاتراك قد جثم مرعباً فوق أوراقها، فلم يلتفت لما فيها من كنوز أي من الباحثين.
- لقد امتلك العرب خزينا كبيرا ، من النظرة القاصرة ، لأدب الطفل وحاجاته الخاصة ، التي تتصاعد تدريجياً مع مراحل العمرية، وبدا هذا الخزين يتلاشى شيئاً فشيئاً ، مع تطور الأيام والزمن، على أيدي الأفذاذ من الأكاديميين والأدباء والمربين ، حين سلّطوا جل جهودهم العلمية والتربوية والفكرية والأدبية ، لخدمة الطفولة والعمل على تحرير براءتها ، من رواسب الماضي وإبرازها مرحلة غاية في العناية ومستقلة من حياة الإنسان ، وعن هذا يقول الدكتور أحمد زلط ((ونكاد نجزم بوجود نظرة قاصرة غير مبالية لأدب الطفل من المبدعين المعاصرين باهمالهم التوفر على ابداع أدبي متميز له ، وقد فوت ذلك على المجتمع فرصة البناء التربوي المتكامل))^(١).
- إن البناء الوجداني وتربية الطفل حق مشروع له ولغيره ، لذا فإن التربية أقصر الطرق وأسلكها لكسب الخبرة الفاعلة والمنتجة ، وما تربى المرء على شيء إلا وشاب عليه ، لأنها كالماء الذي به تنمو جميع الاعضاء وتكتسب الحياة باستمرار وجوده .

*- ورب قائل يقول :أن مجلة روضة المدارس كان يوزع منها ٧٠٠ نسخة على طلبة المدارس في مصر ، أما ديوان الأناشيد الموصلية لم يطبع منه إلا أعدادا محدودة ، لذا فإن أهميته محدودة ، ونقول هذا راجع الى غنى الأول ومتاجرته بها، وفقر الثاني واهتمامه به ، لأن روضة المدارس لم يكتب فيها للطفل ، بل نشرت أشعارا مختارة للكبار وألغازا وقصصا أجنبية مترجمة ، بينما خصص ديوان الأناشيد الموصلية ابتداء لأناشيد الصغار وقصد توجيههم.

١- ادب الطفولة ، د احمد زلط : ١٣

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾ ٧٨ ﴿

ريادة أناشيد الطفولة في العراق ، للمدة من ١٨٨٠م حتى سنة ١٩٤٠م

لأجل معرفة جهود وأسبقيات الشعراء الذين كتبوا أناشيدهم للأطفال ، قمنا بتقسيم جميع المشاركين في هذا المجهود الذي ملك الريادة في الأمة العربية والإسلامية الى ثلاثة رجال ، وريادة كل راعيل ، التي جاءت لاعلى أساس قدم السنة التأريخية * التي كتب الشاعر بها أشعاره ونشرها فيها أو بعدها بل على أسس متينة أخرى مفادها : أن ليس للريادة عمر زمني يحددها في سنة أو عقد أو عقدين ، بل هي هبة ربانية مشعة ، تتوجها غزارة النتائج الشعري وعدد الصالح منه ، وجودته وتنوعه ، ومدى موافقته لشروط شعر الأطفال ، والقصدية المتقنة في التوجه الى مختلف الفئات العمرية للطفولة ، بما يميز اللاحق عن السابق في الريادة ، في عقد أو نصف عقد أو أكثر وحسب المدة المراد تقييما ومعرفة جهود المبدعين فيها.

إذ تعد مرحلة الرعيل الأول من مبدعي شعر الطفولة في العراق من سنة ١٨٨٠م حتى ١٩٢٠م من أصعب المراحل قاطبة ، فقد سبقت تأسيس الدولة العراقية ، وكانت معاناتهم مريرة ، لأنها انمازت عن غيرها بصديقة الشعور في ضرورة ايجاد شعر يتناسب مع عقلية ومستوى مراحل الطفولة ((لأنه يتطلب ممن يكتب للأطفال أن يراعي مستوى النمو اللغوي للطفل، وأن يستخدم * الالفاظ السهلة الواضحة القريبة من بيئة الطفل والغنية بالصور والمعاني الحية))^(١)، في وقت يجثم الاحتلال العثماني بكل وحشيته على صدورهم ، ويمنعهم حتى من التعليم والتكلم بلغتهم ويجبرهم على تعلم اللغة التركية .

لذا تمثل خطوة هذا الرعيل خطوة متقدمة ورائدة في كل الوطن العربي ، حملت وسام التحدي من ناحية ، وبلوغ الاهداف الوطنية والدينية والقومية والاخلاقية والترفيهية من ناحية أخرى، من دون أن يسبقهم لبلوغ هذا الفن سابق على الصعيد التربوي او الادبي ، لهذا صاروا قطب الرحى لهذا الفن الشعري المستحدث في القرن التاسع عشر الميلادي ، يدور حوله كل من أقبلوا عليه ، ولم يبلغه سواهم في السبق اليه ((لأن الوصول الى مشاعر الاطفال والتجاوب معهم في غير افتعال مسألة في غاية الصعوبة ، اذ يقف الكاتب للأطفال على دقيق دقة السيف بين (تيسير) قد يؤدي الى درك من الاسفاف ، وسمو قد يؤدي الى انقصام عن الطفل وامكاناته))^(٢).

أما أهم المعايير النقدية التي أتبع في معرفة الصالح من أشعارهم من عدمه ، فهي موافقته لشروط شعر الأطفال وهي: الوزن القصير، اللغة الفصيحة السهلة الواضحة ، المضمون الهادف ، الايجاز المدل من دون الاطناب المخل ، ثم القصدية المحضة في التوجه نحو الطفل .

لأن هناك شعرا لهؤلاء الشعراء ، لم يدخل في الدراسة ، كونه يفتقر لعدد من هذه الشروط ولاسيما عند الرصافي وحسين الأعظمي ومحمد الهاشمي ورشيد الهاشمي وصالح البدري وعبد الستار القره غولي وغيرهم، لأن لغته فلسفية

تصعب على الكبار فضلا عن الصغار، وفي مطولات تتعدى الثلاثين بيتا ، وهذا لايناسب المستوى العقلي لهذه الشريحة، ولا لقابلياتهم في حفظه والاستمتاع به، لذا فهم ينفرون منه ولاتميل نفوسهم نحوه ، فضلا عن عدم التمكن

*. باستثناء الطبقة الأولى من الرعيل الأول ، فان الريادة فيها لأول من نظم وهو الشاعر داود الملاح ، فهو أسبق الجميع ابتداء
**. والأصح يستعمل

١- ادب الاطفال ، المفاهيم والاشكال والتطبيق : ٥١

٢. ثقافة الطفل العربي : ٤٠

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾ ٧٩ ﴿

من قراءته لأن ((الابداع المؤسس على خلق فني والذي يعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ سهلة ميسرة فصيحة غير حوشية ، تتفق والقاموس اللغوي للطفل ، بالاضافة الى خيال ومضمون وقصر مقصود للنص الادبي الموجه للطفل))^(١).

١- الرعيل الأول للمدة من ١٨٨٠م حتى سنة ١٩٢٠م

يقسم هذا الرعيل على طبقتين تبعا للمكان أو للمضمون أو وحدة التوجه وكما يأتي:

أ. الطبقة الأولى ، جمعها المكان ووحدة المضمون والتوجه ، فالمكان مدينة الموصل الحدياء ، وأما المضمون فقد تصدر نتائجهم المضمون الوطني والديني والأخلاقي ، وقد خلا من التنوع في المضامين الأخرى ، بدء من ١٨٨٠م حتى سنة ١٩١٦م وهم كل من : داود الملاح آل زيادة ، محمد توفيق آل حسين ، العالم الجليل محمود عبد الله الملاح ، اسماعيل حقي فرج ، الشيخ الفاضل قاسم الشعار ، الأديب والصحفي محمد سعيد الجليلي ، ورائدهم داود الملاح .

ب - الطبقة الثانية ، لم يجمعهم المكان لأنهم من مختلف مدن العراق ، ولا المضمون ، فقد توسعت هذه الطبقة في مضامين شتى ، حصدوا لأجلها ثناء وعرفان كل من جاء بعدهم ، وإنما جمعتهم وحدة التوجه نحو الاناشيد بصورة عامة ، بدء من ١٩١٧م حتى سنة ١٩٢٠م ، وريادة هذه الطبقة ، توجت للرصافي بعشرة أناشيد صالحة ومتنوعة ، يليه محمد الهاشمي بستة أناشيد صالحة ، يليه عبد الرحمن البناء وحبيب العبيدي الموصلي بثلاثة أناشيد يليهما سعد صالح جريو بأنشودتين ، ولكل من طه الراوي ، رشيد الهاشمي ، الشيخ محمد مهدي البصير محمد باقر الحلي أنشودة واحدة .

٢- الرعيل الثاني للمدة من ١٩٢١م - حتى نهاية سنة ١٩٢٩م

بعد أن درسنا مجاميع عدة متخصصة في أناشيد الطفولة ، وسمو أشعارهم ، أوقفنا الجهد المبارك الذي بذله هؤلاء الشعراء المميزون في هذا الرعيل لنعرف صالح أشعارهم فتبين لنا مايلي:

حصول الشاعر المبدع حسين الظريفي الأعظمي على ست وثلاثين أنشودة صالحة ، وحصول الشاعر المبدع معروف الرصافي * على ثلاث عشرة أنشودة .

وحصل الشاعر (الصحافي المضطهد) على ثلاثة أناشيد صالحة ، وكل من: عبد المحسن الكاظمي ومحمد رضا الشيببي والدكتور مصطفى جواد وعبد الرحمن البناء وعبد المجيد شوقي ومحمد مهدي البصير ورشيد الهاشمي وعلي جميل آل الخطيب والأنسة سلوم ومحمد صادق الملائكة والدكتور خالد الخطيب ، ونجيب الرئيس على أنشودة واحدة .

وبناء على ما تقدم تَوَجَّ الشاعرحسين الظريفي الأعظمي رائدا للرغيل الثاني الذي جاء بعد التأسيس بنتاج متميز وثرى ومتنوع استحقاقا لما بثه رحيقه في ثغر الطفولة.

١. ادب الاطفال بين احمد شوقي وعثمان جلال : ١٥

*. برز ثلاثة من الشعراء ، في تواصلهم بأشعارهم ا لطفلية منذ العشرينيات الى الاربعينيات من دون تردد أو توان ، وهم كل من: الشاعر الرصافي، وعبد الرحمن البناء والدكتور مصطفى جواد - رحمهم الله أجمعين - ، كما برز السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ، الذي رَوَّج للأناشيد الطفلية ، وقام بجمعها وطبعها بصورة متواصلة من سنة ١٩٢٣م حتى ١٩٣٦م ، على نفقته الخاصة .

﴿ الفصل الأول / المبحث الثالث : نشأة أناشيد الطفولة في العراق ﴾

وهناك أناشيد صالحة أخرى ، لم تذكر اسماء شعرائها عليها ، فبقيت على حالها ، ولم ينل أصحابها حظهم من الذكر والتتويه ، وذلك (لسوء تصرف) الناشرين آنذاك ، في عدم البحث عنهم وضرورة السؤال من الآخرين لمعرفة أسمائهم وتثبيتها على قصائدهم ، أسوة بالامم الاخرى التي تهتم بهذا الأمر غاية الإهتمام.

٣- الرغيل الثالث للمدة من ١٩٣٠م حتى سنة ١٩٤٠م

وللوقوف على جهود المبدعين فيها ، تبين لنا ما يلي :

حاز الدكتور أحمد حقي الحلي على إحدى وأربعين أنشودة صالحة ومتنوعة ومبدعة ، وجاء المبدع الكبير الرصافي بسبع قصائد رائعة ومميّزة ، وحصل الدكتور مصطفى جواد على خمس متنوعات، وكل من جميل صدقي الزهاوي ، عبد الستار القره غولي ، صالح البديري ، محمد صادق الملائكة على أنشودتين ، ولكل من عبد الرحمن البناء ، وناجي القشطيني على أنشودة واحدة.

وبناءً على ماتقدم ، تَوَجَّ الدكتور أحمد حقي الحلي رائدا للرغيل الثالث بلا منازع ، اجلالا وعرفانا من الانصاف وأهله للجهد المميز الذي بذله من أجل الطفولة وأناشيدها ، بعدما قدم لهم من عصارة ذهنه الوقاد ، جزأين من المحفوظات الطفلية .

وخلاصة المبحث الثالث: تبين أن نشأة شعر الأطفال هي عراقية خالصة ، أثرت بمن لحق ولم تتأثر بمن سبق إليها في الغرب ، وعلى يد ثلة من شعراء الطفولة في الموصل وهم كل من (داود عبد الله الملاح ، ومحمد توفيق آل حسين في السبق على كل الوطن العربي من ١٨٨٠م الى ١٨٩٤م ، وكذلك الريادة في المسرحية الشعرية التي أثبتها الدكتور عمر أحمد الطالب في سنة ١٨٨٠م ، والشعر والمسرحية هما ركنا أدب الأطفال). أما الريادة الشعرية فكانت كما يلي:

١. تَوَجَّ الشاعر داود عبد الله الملاح رائدا للطبقة الأولى من الرغيل الأول من ١٨٨٠م - ١٩١٦م
٢. تَوَجَّ الشاعر معروف الرصافي رائدا للطبقة الثانية من الرغيل الأول من ١٩١٧م - ١٩٢٠م
٣. تَوَجَّ الشاعر حسين الظريفي الأعظمي رائدا للرغيل الثاني من ١٩٢١م - ١٩٢٩م
٤. تَوَجَّ الدكتور أحمد حقي الحلي رائدا للرغيل الثالث من ١٩٣٠م - ١٩٤٠م

الفصل الثاني : المضامين الموضوعية في أناشيد الطفولة

المبحث الأول : المضمون الحماسي

المبحث الثاني : المضمون الوجداني

المبحث الثالث : المضمون الترفيهي

المبحث الرابع : المضمون التعليمي

المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي

المبحث السادس : المضمون النفسي

المبحث الأول : المضمون الحماسي

كانت الحماسة وما زالت تهز الكبار والصغار على السواء ، لما تتضمنه من عنفوان المفردات وشدتها في التأثير ؛ لأنها تنتقي المفردة ذات الوقع المثير للحمية والشهامة ، لهذا تنزع الروح في استجابتها ، وتدفع الأعضاء في التحمس لها ، فابن منظور يصف الحماسة بأنها ((المنع والمحاربة ، والرجل الحمس والحميس والأحمس : الشجاع الشديد الصلب في الدين والقتال))^(١) لذا فهي عنده تعني الشجاعة والصلابة.

وعليه فالبناء العقلي لشاعر الحماسة يؤكد نزوعه الى الثورة من جانب ، ورفع همة الآخرين من جانب آخر ، وبروزه في هيئة فارس يحتد السيف بين قبضته ، ويرتعد الخوف من سطوته ، وخطابه يشعل فتيل الحرب على الغاصبين أو المعتدين ، وربما تراه أحيانا قد احترق أوكاد بلظاها ، وعليه فهو ((يقيم الدهر ويقعده ، ويصبر على الأيام ، والشدائد ويستصرخ فتياته ، وهو لا ينسى أن يبث خلال ذلك ، فلسفته في الحياة والناس))^(٢).

والعرب أشد الناس احتفاء بالحماسة ، ولا نقشعر جلود أبدانهم اهتزازا إلا حينما تذكر ، فهي متغلغلة في حشاياهم ((لأن العرب أحفى بشعر الحماسة ، وأكثر اهتماما بروايته ، ولأن مآثرهم الحماسية ألمع سجاياهم وأعرق صفاتهم))^(٣).

وما من ناظر الى نشيد الحماسة ، إلا وأيقن أن شاعره قد نهل من منهل الصدق الفني والشعوري ، حتى لاح كأنه قطعاً من كبده الحرى ، التي عاشت بحبه لوطنه الذكرى ، إذ قال :

[مجزوء الوافر]

بلادك عنك لا أرضى	سماء لا ولا أرضا *
بلادك حبك العالي	على مثلي غدا فرضا
بلادك مهبطي وطني	عليك جوارحي مرضى
خطوبك فيك قد حلت	فرضت أعظمي رضا
سأدفع عنك كل أذى	ومن ذا بالاذى يرضى ؟
وأجمع بين أخواني	وألغي الحقد والبغضا
بني وطني بني وطني	أفيقوا وانهضوا نهضا ^(٤)

إن شحنة العاطفة المتدفقة من هذا النشيد ، تحمل في طيات عنفوانها أمرين : الأول تغذية وجدان الطفل بمشاعر تتم عن الصدق الشعوري والفني ، والثاني رفع همته في الشعور الجماعي ، لينصهر في الوعي العام ، الذي يتشكل من عموم الأفراد الصالحين ، والتشديد على أن تكون تلك التغذية صالحة بالدرجة الأساسية ، تغرف من ينبوع

مكارم الأخلاق عذبا يساقها ، ومن هدى الدين الاسلامي الحنيف سبيلا يهديها وهذا الأمر ((يؤكد الوعي الفني الناضج ، في التعامل مع المادة الثقافية ، وصهرها بنسيج تجربة الشاعر ، لتصبح جزءا من وعيه ، الذي ينفذ

١- لسان العرب : مادة الحمس

٢- ديوان الشريف الرضي (محمد بن الحسين الموسوي ت ٤٠٦هـ) دار صادر ، بيروت ، ١٩٦١م : ٣٩٩/٢

٣- شعر الحرب في أدب العرب ، د زكي المحاسني ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١م : ٣١٨

* أخطأ الشاعر عروضا في البيت الأول والثاني والرابع والسادس ، إذ جعلها على بحر الهزج مفاعيلن والأصل على بحر الوافر مفاعلتن

٤- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية ، للشاعر عبد الرحمن البناء : ٣٠/٢

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

الى الواقع ويتلمس من وراء طياته العميقة)) ^(١) وبهذا يكون توظيف هذه المعاني السامية ، عن طريق النشيد قد سار باتجاه مواز لما يأخذه النشء في الحصص الدراسية، حتى تتكامل المحصلة النهائية لديه ، وتأخذه الى حيث يرجو الوطن والناس جميعا منه .

وشاعر انشودة حطموا كان ثائرا حماسيا تتأجج مفرداته نارا ، يحرق بها رؤوس الأعداء المحتلين فقال :

حطّموا يا نشءُ عنكمْ	واكسروا هذي القيودْ
نحنُ في عصر اهتمامٍ	ليس يجد بنا القعودْ
فا ستفيقوا للمعالي	فلقد طال الهجوْدْ
إنه يا نشءُ داءٌ	يسكنُ الحيَّ اللّحوْدْ
فا نبذوا عاداتٍ سوءٍ	ليس بالنفعِ نسوْدْ
واتركوا تقليدَ قومٍ	حبّذوا فينا الجمودَ... ^(٢)

ألقى في أسماعهم ، ما يراه عاملا وحافزا منشطا ، يلتمس من خلاله التنبيه لما يدور حولهم أولا والنهوض والثورة ثانيا وماثار قوم على ظلم أوسوء فعل إلا وتقدمهم ذوو النباهة والفتنة، وأججوا فيهم حالة الهياج والغليان ، وزادوها شدة وقرنوها بالغضب العارم ، وكل هذه المعاني توقظها الحماسة في أذهان المتحمسين ، وذروة ماتصل اليه هوالاقتتال بعد أن تثار فيهم عوامل النخوة ، وتشجيع التغني بصفات المروءة ، والصبر على الشدائد ، والجرأة في الاقدام حين التحام الجيوش والتماع السيوف في ساحات الوغى ((وكثر ذلك حتى سميت الشجاعة حماسة ، لأن الشجاع يشد على قرنه عند المراس)) ^(٣).

ونجد هنا أن الشاعر أشد تصريحا ولهيبا على أعدائنا في انشودة (نار على أعدائنا) فقد أطلقها صريحة واضحة تفيض هياجا ثوريا ، فقال :

الى متى يا قومنا	نحسو أفأويق العنا ؟
تذكروا ما قد جرى	من الألى أسلافنا
قد خاضوا في أمواجه	حتى انجلى لها المنى
هذي العدى قد أنشبتْ	أظفارها في مجدنا
فاقصوا الذي تراءى في	تبعيدكم قرب المنا
واجلوا الذي يريْدُ أن	يجلوكم من الدنا... ^(٤)

لولا لوعة قد ألمّت به لما ابتدأ بالاستفهام مستكراً ، فمواطن إذلال الشعوب ، تفجر بركان اللوعة وتنذر بما
لا تحمد عقباه، ثم أن الأطماع غير المشروعة لبعض الشعوب، تدفعها للسيطرة وقهر الشعب الآخر، كي تتمكن من
نهب ثرواته وتركيع أهله ، ونهوض الشعراء بوجه هؤلاء وتأليب الناس والفتية ضدهم ، لدليل على أن أمتنا لازالت

١. الوطن في شعر السياب ، الدلالة والبناء ، كريم مهدي المسعودي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠٧م : ٥٨

٢. الاناشيد الموصلية ، الشاعر اسماعيل حقي : ٤٨

٣. شرح ديوان الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣١هـ ، شرح التبريزي ، ١٩٦٧م : ٥/١

٤. الاناشيد الموصلية ، للشاعر الشيخ قاسم الشعار : ٣٤ - ٣٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

أمة حية، وإن قهرت عنفوان رفعتها الظروف ، وتراجع أهلها في صنع المعروف ، والشاعر الحماسي لا يملك الا
لغة يستنفر حروفها ويستنفر غيبتها اللجي، علّه يلتقط لغيره منها ما يراه مناسباً ، لأن ((اللغة تنتج المضامين أو
المدلولات باعتبارها خزينا شاملا للعقل))^(١) فيوظف تلك المدلولات لإثارة الهمم ، بعد أن ينظمها بوساطة نشيد
تتوافر مفرداته ، على كل ما هو مثير للبسالة والحماسة .

ولعل استنهاض الشاعر لجموع العراقيين في نشيد الوطن وأبنائه ، من أجل الخلاص ، ورفض الرقاد كي يأخذ
بالعراق الى الامام لأنه يستحق منا كل غال ونفيس قائلاً :

[مجزوء الكامل]

هيا بنا هيا بنا نحمي البلاد بروحنا
ونعزها بنفوسنا هيا بالعراق الى الأمام *

انا العراق ابو الفاتحين * قطر الغزاة الباسلين
قوموا انهضوا لي مخلصين في عصركم انا لا أضام
ها انا مقبرة العدى *** يلقي الظلوم بي الردى
ما جار باغ واعدى إلا هوى بين الأنام
أنا عراقكم خير البلاد **** فلتنهضوا يكفي الرقاد^(٢)

لاتحمي البلدان الا باجساد المفتدين المجاهدين الابطال ، ولولا هم لصارت نهبا بأيدي الغازين الطامعين، وماتعرض
بلد على مر التاريخ كما تعرض العراق للغزو والاحتلال، والنهب والقتل ***** بعدما كان العراق أبا الفاتحين، ورجاله
أهل بسالة وشجاعة، وها هو كما قال الشاعر مقبرة العدى، وبه يلقي الظلوم الردى لأن الباغي اذا جار واعدى، سيهوي
جرا ذلك خاسئاً مدحوراً بين الانام.

وقد لا تكون جميع أبيات النشيد حماسية ، بل يدخل فيها الفخر، وتغذيها لطافة الحكمة ، فيسمى النشيد حماسياً
من باب التغليب ، وهذا ما نراه في هذا النشيد .

ولكم تسابق العرب في حماسهم ، حتى بزوا جميع الأمم بذلك ، ودلينا على ذلك ، أنهم أول من جمع لها ديواناً
خاصاً أسموه ديوان الحماسة ***** للشاعر ابي تمام (ت ٢٣١هـ) وتلك لعمري مندوحة لهم تتناقلها الأجيال على

١. العقل الشعري ، خزعل الماجدي ، الكتاب الأول ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٤ : ١٧١

*. والصحيح ها ، لأنه لا يستقيم الوزن الا هكذا

**- صدر البيت خارج عن الوزن وعجزه على مجزوء الرجز هو والبيت الرابع والسادس والسابع وهذا خطأ عروضي لأنه من البداية

اختار مجزوء الكامل

***. والصحيح ان تتغير كل هذه العبارة (ها انا مقبرة) لأنها في النقطيع تصبح فاعلاتن (ها انا مق) والصحيح ان يقول (فأنا لمقبرة)

****. أنا زائدة على الوزن والأخرى به أن يقول (فعراقكم) عندها يستقيم له الوزن

٢. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ٨ - ٩ ، للشاعر حبيب العبيدي الموصلي

*****. وما زال هذا النزيف هادرا الى اليوم، فما دعا له الشاعر سابقا ندعو له لاحقا، فقد كان الانكليز هم المحتلون آنذاك ، واليوم

داهمنا عبر المتآمرين (الخوارج الدواعش) الذين يقطعون الرؤوس ويذهقون النفوس بغير وجهة حق .

*****. شرح ديوان الحماسة (المرزوقي ابو علي أحمد بن محمد بن حسين، ت ٤٢١هـ) لجنة التأليف، القاهرة ، ط ١، د ت

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

مر العصور .

كانت لغة الشاعر ثورة عارمة وصرخة مدوية ، بوجه الأعداء الطامعين ، لهذا تراه تفجر حماسة كما يتفجر البركان

ثائرا مخاطبا وواصفا شعبه بالأسود في نشيد الأسود فقال:

نحن الغطارفة الأسود بالسيف في الدنيا نسود *

هذي الأراضي في الحدود مجبولة بدم الجدود **

هذي البوارق بارقة هذي البيارق خافقة ***

هذي المعازل شاهقة هذي السراقد في الصعود

نحن الرياض الزاهية ندعُ الأعاد الطاغية ****

(أعجاز نخل خاوية) تهوي بأعماق اللحد *****

من ديننا حب الوطن ندعو له حتى الكفن

أكفاننا فوق البدن مصبوغة بدم الجدود ^(١)

إن من يُقبل على الحماسة ، إنما يعمل على حمل النفس - التواقة الى الحياة - على المكروه لدفع ما هو أشد كرها منه والتعود على معانقة صفحات المرار بكل أشكاله، وكل ما يدنو من الفتك ((وفي ركوب الموت خشية العار وفي إغاثة الملهوف))^(٢) طلبا للعة وحبا في الكرامة.

أما شجاعة الأسود فلها سطوة في ضمير الشعراء، فما وصف قوم بالشجاعة إلا وكانت الأسود وصفاتها عنوانات بارزة ترتفع برونق بسالتها المفردات ، وتلتهم بحماسة الأبيات ، لأن معاني الشدة والقسوة ، تعطي الناشئين حافزا قويا، لا يقوى مدركوه إلا التأثير به ومطاوعة مضامينه ، فأرضنا على الحدود مطبوع عليها دم الجدود والسيوف بأيدي رجالنا بارقة ، وهم يحدون سنانها في رقاب المعتدين وهذه الأعلام ترفرف خفاقة في أعالي السماء ، وهذه منازلنا محمية بسواعد الأبناء الشجعان المقتدرة .

متى توقف الاستنهاض صعب على الشعوب المخاض ، لذا هيا الله لها من يقوى على القيام بذلك ، ليشد همهم ويحرك ساكنهم ، وبدا كل هذا في نشيد الاستنهاض ، حيث قال:

يانشء هلا نهضة نحي بها الماضي السعيد

*. الغطارفة : جمع الغُطراف : الحسن الوجه السخي، كبير القوم، المعجم الوسيط : ٣٨٧

*. مجبولة : مطبوعة، المعجم الوسيط : ١٤٨

***. كل ما لمع من سيف أو برق أو شعاع : المعجم الوسيط : ٨٠

****. والصحيح (الأعادي)

*****. سورة الحاقة : ٧

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ١٠ - ١١

٢. حماسة البحترى (أبو عبادة الوليد بن عبيد ت ٢٨٤ هـ)، المطبعة الرحمانية ، مصر، ط١، ١٩٢٩م: ٦٦

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

تقضي وقد جاز الزما نٌ وسامنا سومَ العبيدُ
هيا انهضوا طال الرقا دُ وحطّموا هذي القيودُ
هذي معاهدُ عزنا قد طالبتنا بالعهودُ
فلنفدها أرواحنا فليس في الدنيا خلودُ
سل عن مواقفنا الفرا ت تجدلنا النبأ الأكيدُ
أو سل ضواحي دجلة عن بأسِ أحفادِ الرشيدُ^(١)

إن إثارة الحرب يلهب الحماس ويحبس الأنفاس ، لأنه من الأمور الجليلة والكبيرة ، التي لا تنهض بثقلها إلا الأكف المتعاضدة والأرواح الصابرة الصامدة ، وهي أعمق بحر تتقاذف أمواجه شعرا حماسيا لاهبا لاذعا ، لأن ((شعر الحماسة لون فاقع من ألوان الفخر ، فلو عرّينا أية قصيدة حماسية من الفخر ، لم يبق منها في أيدينا غير قعقة السلاح وحمحمات الخيل))^(٢).

ولطالما صوّر الشعراء الحماسيون أبيات أشعارهم موشحة بالنصر، وكيف ترسم بشائره فرحة على الوجوه بصور شعرية تشتعل الأرواح فيها، وتمتزج بصليل السيوف، وهدير الزخوف، وترتطم بفوران الهياج المتصاعد كألسنه اللهب ، وهذه من فضائل الحماسة وفعلها الكبير ، في النشء والناس معا ولولاها لنام الظالمون والمجرمون والمحتلون رغدا، لكن الله تبارك وتعالى أوجد في ميزان عدالته ، ما يدفع به غوائل الطيش ، برباطة الجأش ودفع المكروه ، وكل هذا لا يتأتى إلا بعد حصول التوتر والانفعال الشديد ، الذي يجعل الروح رخيصة ، أمام تحقيق الأهداف السامية في الحفاظ على الوطن.

وأراد الشاعر أن يبلغ قومه في نشيد الايقاظ كي يدركوا مافاتهم من سالف أيامهم ، فقال :

يا بني الأوطان هبوا من رقادٍ مستديمٍ
واطلبوا المجدَ ولبّوا دعوةَ العظمِ الرميمِ

إنما العيشُ جدالٌ فابتغوا فيه النجاخُ
واصطدامٌ واقتتالٌ ذلٌّ من ألقى السلاحُ

إنما بالعلمِ نرقى فانشدوا العلمَ الجليلِ

إيه إنَّ الروحَ هانتُ دونَ إحياءِ الوطنِ
وصعابُ النفسِ لانتُ دونَ إعلاءِ الوطنِ ... (٣)

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣٨/١ ، للشاعر سعد صالح جريو

٢. شعر الحرب في أدب العرب : ٣٢٩

٣. المصدر السابق ، لم يذكر شاعره : ١٦ / ٢ - ١٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

﴿ ٨٧ ﴾

ما قال الشاعر هبوا الا بعد أن رأى ما رأى ، من جموع الخاملين الراقيدين كسلا ، لدهر طويل ومتى تحتشد المفردات تلنف حولها الجموع فما من سبيل لمقارعة الأعداء ، والايقاع بهم إلا أن يلقي الواعون في أسماعهم ما يشد همهم ويدفعهم نحو التآزم والأنفجار بوجه الظلم بصورة عارمة، ونرى في هذا النشيد وفي سواه ، أن الشاعر أدخل الحكمة ووجّه النشء نحو العلم ومحاربة الجهل وتحمل الصعاب ، لعلمه أنه ((يدخل في الحماسة، كل شعر فيه تعبير عن الصبر واحتمال المصائب شرط أن يبدو الشاعر من خلاله جلدا قويا لايبالي ، ولا فرق في ذلك أن يكون الشاعر في ساحة حرب يجالد ويصبر أو في غيرها، ولكن المهم أن يقف ذات الموقف وأن يعبر عن نفس الأحاسيس))^(١).

وليس من المعقول أن يتعجب الشاعر حماسة ، من دون أن يتفاعل مع فلذات خزائن ابداعه الروحي ، حينما يخرجها حمما بركانية بشرار لهيبها تتساقط أكابر عتاة الأعداء وتتوشح الأرض بأزيز تأججها المستتير، وإلا عدّه العارفون أجير مفردات باهتة ، وهو ممن رفض الله فعلهم ((وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ))^(٢).
إن العزائم تولد في الامور العظائم ، ونشيد الاقدام واحد من هذه العزائم الهادرة حيث يقول :

[مجزوء الرجز]

أقدم الى نيلِ العلى وبرهن البرهانا
الى متى هذا الفشل؟ إِيَّاكَ أَنْ تتوانى *
سرّ يا بطلنْ نحو الأمل ولا تكنْ كسلانا
بالعلم جدّ يلقىك المجد ** تسمي به سلطانا
أين اللوى وما حوى كم شجّع الشجعانا ؟ ...^(٣)

البدء بفعل الأمر أقدم ، يعني أن الأمر قد بلغ مداه ، ولا يمكن السكوت او الركون الى الثاني ، لأن التغني بالإباء والجلد والجرأة والاقدام والصبر، تعين على دفع قول الحماسة بأن يكون فاعلا ومؤثرا في الصغار والكبار، ويبرز بذاته ليشكل أمام الأنظار شعاعا هاما أخذت ولازالت قرائح الشعراء تصب بوساطته أعنف المفردات ، وأشدّها وقعا وتأثيرا في أسماع الخلق ، على مختلف مستوياتهم لأنه ((يعبر عن اهتزاز عاطفي في المدح ، أو عن ثورة عارمة وتهديد ووعيد في الهجاء او فورة جامحة في الحب، او لواعج لاهبة في الحزن))^(٤)، ولكن القدمات لم يعدوه غرضا حين عدّوا الأغراض ، بعدما باشروا في دراسة الشعر ونقده ، خوفا ورهبة من الحكام آنذاك، لأن سيوف السلاطين العباسيين ، أشد قسوة على من يعارضها ، او يلغظ ببنت شفه فمن - والحال هذه - يدفع بنفسه ليشير حماس الناس ضدهم ، لذا حزّوا بقسوتهم هامة الحماسة كي ترتفع قامة الرياسة.

١- شرح ديوان الحماسة ، التبريزي : ١ / ١٤٥

٢- سورة الشعراء : ٢٢٦

*. اختلف وزن عجز البيت فاصبح على مجزوء الكامل وذلك في كلمة (تتوانى) وهذا خطأ عروضي، لأن كل الأبيات على مجزوء الرجز

**-. صدر البيت خارج عن الوزن والأصح أن يقول (بالعلم جد تلقى مجد) ليستقيم الوزن عنده

٣- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١٩/٢ ، لم يذكر شاعره

٤- الحماسة في شعر الشريف الرضي ، محمد جميل شلش ، المكتبة العالمية ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٧٤م : ١٢٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

لاشك بأن المفردات تحمل هياج المتمرد الذي يهدف بعزيمة المنتفض تحقيق ما يروم ، وكذلك فعل شاعر * نشيد سيروا بنا إذ كان حماسيا غاضبا ، فقال :

سيروا بنا عنقا وشداً سيروا بنا ممسي ومغدى **
سيروا فرادى أو ثنى والجمعُ للغاياتِ أجدى ***
من رام ادراك المرا م سعى بلا مللٍ وجداً
من لم يُعزَّ بموطنٍ حرَّ يكن للذلِّ عبداً
هو موطنُ القومِ الألى فضلوا الأنامَ أباً وجداً... (١)

الصدام مع الأعداء والسير له ليس يسيرا ، ولاسيما أنه يتجه نحو هياج واضطراب وشدة ، لأن العربي منذ ولادته قد فطرت نواظره على الفروسية والفتوة ، ومقارعة الأقران ، وتغلغل في أحشائه ، محبة السيف وركوب الخيل والخوض في الصولات، وهو يحاول أن يسابق أيام عمره ليظهر أمام الناس شجاعته وفروسيته ، حتى وإن علقت حمائل السيف بأشواك الأرض لصغر سنه ، وقصر قامته ، فالبيئة القاسية زرعت فيه طباع القسوة والفتك، والواو في سيروا فيها عدة احتمالات الأول : عنى بها الصغار من باب تهيئة الأذهان الى حين يكبرون لكي يسيروا مسرعين لبلوغ المجد والثاني الى الشباب وهم المرحلة الأخيرة من مراحل الطفولة وهو المرجح ، لكونهم رجال الغد المشرق لكل مجتمع ولغة الأنشودة تتناسب ألفاظها مع قابلياتهم العقلية ، بعد معرفة معنى بعض المفردات والثالث للكبار وهذا وارد لكن شيخوختهم تمنعهم من السير السريع إلا بعد مشقة ، لذا فهو مستبعد ، فالتعاليم الاسلامية أبعدت كثيرا من حماسة الجاهلية التي تمثلت في الانتقام، والنعرات الفردية ((بينما تطغى على الحماسة الاسلامية روح جماعية وايمان بالعقيدة ، وحافز للجهد، وافتخار بالبطولة بصبغة الايمان وتنفي عنه صور الانتقام والثأر والحزازات ويبدو فيه الشاعر معبرا عن واجب مقدس يؤمن به ويستشهد من أجله)) (٢) والعراق موطن أوائل القوم ، الذين فضلوا على الأنام أباً وجداً ، والدفاع عنه من أقدم الواجبات.

على شحذ الهمم لبلوغ العز وادراك معنى الحياة عبّر شاعر *** نشيد الاستنهاض ، قائلا :

يَا لَ قحطانَ الألى سادوا على كلِّ الملا
مبالكم نمتّم ولا تدرّونَ ما معنى الحياة ؟
[مجزوء الرجز]

*. للشيخ عبد المحسن الكاظمي (١٩٣٥-١٨٧٠ م) له ديوان الكاظمي ، ١، ٢، القاهرة ١٩٣٩م ، ١٩٤٨ معلقات الكاظمي في سعد

*. عنقا: السير السريع، المنجد: ٥٣٤، وشدا: اي هجم على خصمه بشدة، المعجم الوسيط: ٢٩٢

***. أخطأ شاعرنا الكبير عروضا في هذا البيت إذ جعله من مجزوء الرجز والقصيدة كلها على مجزوء الكامل

١- مجلة التلميذ العراقي، سعيد فهم، مطبعة دارالسلام، بغداد، ١٩٢٢م: العدد ١١: في ١٨/١/١٩٢٣م: ١٦٨-١٦٩

****. للشاعر رشيد الهاشمي وهو من شعراء العراق المجيدين، ت ١٩٤٣م، شقيق الشاعر محمد الهاشمي الأكبر، له ديوان شعر جمعه

وطبعه عبدالله الجبوري، في بغداد ١٩٦٤م، وزارة الثقافة والاعلام. المصدر: ديوان محمد الهاشمي: ١٥

٢. شعر الفتوح الاسلامية، النعمان القاضي، الدار القومية، ١٩٦٥م: ٢٥٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول: المضمون الحماسي ﴾

نهضاً فنيلُ العزِّ في حدِّ القضيبيِّ المشرفي *
بالسيفِ نيلُ الشرفِ وفيه أسبابُ النجاة

قوموا اذكروا أجدادكم قد شيّدوا مجداً لكم
فهذه أعداؤكم وأنتم في السبات

قوموا خذوا في ثأرهم وامشوا على آثارهم
واسترجعوا ديارهم فانتتم الأسد الكُماة * ... (١)

لقد نبغ غصن الحماسة عند العرب، في مجرى أيامهم، وفوق أرض كانت ترويه كلما كاد أن يجف، بسيل عارم من المعارك الطاحنة التي تسيل فيها الدماء كما الماء، وكانت هذه المعارك عنوان مفاخرهم الفردية والقبلية وكثيرا ما يختلط شعر الحرب مع شعر الحماسة والفرق بينهما:

أن الأول يصور فيه الشاعر، كل ما يدور في ساحة القتال بعين المقاتل الذي جرت على مقابض سيفه الدماء أما الثاني: فهو يدفع مشاعر الناس، ويلهب أفئدتهم، كي يدخلوا الى ساحة الحرب ويقرعوا الأعداء بشدة البأس وعزيمة الأشاوس، فكلا الشعرين يتغذيان من القسوة والفتك والطعن، وقول الشاعر (خذوا في ثأرهم) فيه دعوة للحماسة الجاهلية التي تدعو الى ذلك، لأن دخول العرب في الاسلام أشاع ((روح الحماسة الإسلامية في نزوعها وبواعثها الدينية)) (٢) وليس الثأرية أو الانتقامية.

والتفت شاعر نشيد الاستنهاض الى كسب المعالي والعلى، وهو موطن لم تطرقه مضامين الحماسة سابقا، فقال:

يا قومنا قوموا الى كسب المعالي والعلى
وابنوا لنا المجد على أساس مجدٍ غابر

إن شئتُموا عزَّ الوطن فاسعوا الى العلم إن
فالعلم في هذا الزمن للمرء أقوى ناصر

علم الألى والادب *** لم يحيه إلا العرب
فالعلم لولا هم ذهب ذهاب أمس الدُّبر (٣)

* - القضيبي : السيف القاطع ، المعجم الوسيط : ٤٢٩ ، المشرفي : سيف يجلب من المشارف ، المصدر نفسه : ٥١٧

** - الكماة : الكميتة : الاصل ، المنجد : ٦٩٧

١. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الجزء الاول والثاني : محمود حلمي ، مطبعة دارالسلام ، بغداد ، ١٩٢٣م ، ٥٠/٢ - ٥١

٢. الحماسة في شعر الشريف الرضي : ١٣٥

*** - أخل شاعرنا في الوزن إذ أنقص التفعيلة الثانية من صدر البيت بلا ضرورة والأصح أن يقول (علم الألى مع الأدب)

ليستقيم الوزن

٣. الأناشيد المدرسية : ٩ / ١ ، للشاعر الرصافي

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

ومن الاناشيد الحماسية ، التي بث فيها شاعرها *مضمونا تطابق فيه مع سابقه ، وسماه أنشودة الذكرى قائلا:

ذكرى الجودِ الماضيةُ أدمتْ عيوني الباكيةُ **

أينَ المعارفُ والفنو نُنْ؟ أرى المعارفَ خافيةً !

مابالكم لاتتقنوا أثرَ الجودِ الماضيةُ ؟

كانت مواطنكم جناً نأ في القرونِ الخاليةُ

جَنَّاْتُ عَدِنِ تحتها الأنهارُ أضحتْ جاريةً *** (١)

إن أهم ما انماز به هذان النشيدان (الاستنهاض ، الذكرى) هو إثارة حماسة النشء ، والمجتمع عموما ، نحو الاقبال على العلم والمبادرة في كسب العلوم والمعارف ، التي وصل بها الأجداد الى مراتب عليا ، كانت عماد رفعتهم ، بحيث أصبحوا محط تقدير واحترام الشعوب لأن الركون الى التخلف يعني نهاية المجتمع ووأد رُقيّه ، وهذا مما يأنف منه كل عربي الذي تربى في بيئة نمت فيها الفضائل ، لا بل وشعت بها المعارف والفنون الانسانية وقد بشر الله . جل وعلا - الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أجل نفع البشرية ، بالفوز والخلود في الجنان بقوله (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (٢) ، ولولا جهود العلماء العرب وسر اجتهادهم لذهب العلم وذهب بريقه الوهاج في أعين المبصرين .

لقد عمل الشاعر **** على شحذ همم الفتوة ، في نشيد الفتوة محاولا تفجير عزائمهم بشكل واعي ومقصود نحو

الوطن قائلا:

[مجزوء الرجز]

نحمي ببيضِ الهندِ فوق العتاقِ الجردِ *****

وللاوطانِ نفدي أرواحنا طمaha *****

تحمي الحمى الضراغم بالسمرِ والصوارمِ

*. للشاعر حسين الأعظمي ، ولد عام ١٩٠٩م ، بغداد ، الأعظمية وله ديوان شعري في البنات أسماه (اناشيد وأدبيات الفتاة ١٩٢٦م)

وتمثيلية شعرية (في سبيل الوطن ١٩٤٨م) ، معجم المؤلفين العراقيين : ٣٤٦/١

** - أخطأ الشاعر عروضيا إذ جعل البيت من مجزوء الرجز وكل القصيدة من مجزوء الكامل

*** - إشارة الى الآية / ٢٥ من سورة البقرة ، وقد أخطأ الشاعر عروضيا إذ جعل البيت من مجزوء الرجز

١. أناشيد وأدبيات الفتاة : ١٠ - ١١

٢. سورة البقرة / ٢٥

****- عبد الستار القره غولي/ ولد في بغداد سنة ١٩٠٦م ، تخرج في دار المعلمين الابتدائية ، وعين معلما في القرنة (محافظة البصرة) سنة ١٩٢٤م وتوفي - رحمه الله - في ٤/٤/١٩٦١م، مؤلفاته : مسرحيات الاحداث بجزئين، مطبعة النفيض بغداد ١٩٥٣م مسرحيات لافونتين ، في ثلاثة اجزاء ، مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٤م ، روايات من تاريخ العرب ، مطبعة الرابطة ١٩٥٧م ، وقد حصلت بصعوبة بالغة على نسخة من مختارات ديوانه، ولم نجد شيئا من قصائده الطفلية التي نشرت سابقا في مجلة الفتوة المصدر: مختارات من ديوان الشاعر عبد الستار القره غولي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٥م.

***** - العتاق: خلوص الأصل ، المعجم الوسيط : ٣٥٣، الجرد: جمع جرود أعالي الجبال ، المصدر نفسه: ١٥١

*****- صدر البيت غير موزون

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

يا أعيني السَّواجِمُ بالدمعِ خاوي الربعِ *
هَبُوا وسلَّوا العضبا مثلَ هزيرِ هَبَا **
ولا تهابوا الخطبا فالشَّجاعُ لايراعُ *** (١)

حماية الأوطان ، تعد ركائزا أساسية شب عليها النشء ، ثم شاب سابقوهم عليها ، وكل يجتهد في هذه الحماية فمنهم من يحمل المهند ومنهم من يدافع عنه بالقلم في المحافل ، ومنهم من يثير الحماس في النفوس، كي تشتد غاضبة ضد من آذاه وتعبر عن هذا لأنها تعد ((ضياع الوطن ضياعا لكل المسرات ، ودخولا في جب المتاهة والإغتراب ، ونأيا عن كل دقائق الهناء التي سينشدها فيما بعد)) (٢) .

يعد عَلمُ أية أمة من الأمم رمزا لسيادتها وعنوان فخرها دائما، لذا نرى شاعر **** نشيد العَلم يشيد به وتحت رفيفه تتزاحم الجنود لحمايته من الأعداء الطامعين فقال:

[مجزوء الرجز]

برغمِ كلِّ الأممِ نحنُ حماةُ العَلمِ

نحنُ تراثُ الألى من ملكو الكائناتُ
يشهَّد من في الملا بعزمهم والثباتُ
شادوا صروحَ العُلا فوق نُرى النيرَاتُ
نحنُ ركزنا العَلمُ

قد نشروا عدلهم ما بين خاصٍ وعامٍ
إذا بدا طفلهم يفرغُ منه الحِمَامُ
بفضلِ هذا العَلمِ ... (٣)

كرامة الأوطان بحفظ هيبته ، وصون حدودها وأعراضها، ومالها من الأعداء الطامعين ، ولا يتم كل ذلك إلا عبر الالتفاف تحت راية واحدة ، ويعد العلم رمز كرامة وهيبة الدولة ، وعنوان بارز من عنوانات فخرها ، ومثال وحدتها وإثارة وتحفيز النشء على احترامه ، غاية كل مجتهد ومحب لهذا الوطن العزيز ، لأن زرع المحبة في الصغار يمد

*. السواجم ، سجم سجوما: الدمع انصب، المصدر نفسه : ٢٦٨، الربع : الموضع يرتبعون فيه في الربيع: المصدر نفسه : ٢٣٤

لكن المعنى من العجز غير واضح ولا ينسجم مع صدر البيت

** . العضب : السيف القاطع ، المنجد : ٥١١ ، الهزير : الأسد : المعجم الوسيط : ٨٦٤

*** - عجز البيت غير موزون

١- مختارات من ديوان الشاعر عبد الستار القره غولي : ٩٩

٢ - شعر توفيق صايغ ، عباس اليوسفي ، دراسة فنية ، ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ١٦

****. الشاعر صالح البديري (١٨٩٣م - ١٩٤٣م بغداد) تقلد عدة مناصب في مديرية الطابو، في أواخر العهد الملكي ، تمكن من اللغة التركية والفارسية والفرنسية ، جالس الرصافي والزهاوي وعبد الرحمن البناء ، وله علاقات خاصة مع د ، زكي مبارك : مقدمة ديوان التمنيات

٣. ديوان التمنيات ، صالح البديري : ١ / ٥٢ - ٥٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

بتغذيته لأرواحهم حتى في الكبر، لذا نرفعه فوق رؤوسنا ، ونزحف تحت رايته ، ثم ركزناه فوق ذرى المعالي.
أما شاعر نشيد الختام * فقد حث الشبان على الإستماتة دون الوطن ، كي نعيش بأمان قائلاً :

نحمدُ اللهَ المنان ما ظهرَ النيرانِ **
ونسبّحه دوماً كلّ حينٍ وزمانٍ
ولنحيّ أوطاننا بالرمحِ والهندوانِ
هبوا ايها الشبانُ واستميتوا للوطنِ
بنعيمٍ وجنانٍ غداً نعيشُ بأمانٍ
واليومَ يومَ الرهانِ فعلى ماذا التوان ؟ ^(١)

ابتدأ بحمد الله ، وهو حقه على الخلق ، مع دوام ظهور النيران وهما الشمس والقمر ، وحقه التسبيح من جميع المخلوقات لقوله تعالى (تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْضُونَ تَسْبِيحَهُمْ) ^(٢) في كل زمان ومكان ، ولاتتأتى كرامة الشعوب إلا باستغلال كل لحظة ، منه بعمل مفيد وإلا هرب الوقت من بين أيدينا هروب الغزال ممن يطارده ، عندها تلوي الحسرة أضلاعنا ندما على فقدته ، وعليه فلنعمل على كسب العلوم والمعارف في كل وقت ولا نضيع فرصة الدفاع عن الوطن ، فبلوغ الأمان يتجلى في حماية الأوطان من براثن أهل الشر والعدوان ، وقد خاب فعل كل من توانى للحاق بهذا الشرف العظيم.

إن الاعتماد على النفس ، يعين قوتها في مقارعة الصعاب ، وتحمل أعباء الحياة المختلفة ، والعمل الجاد من أجل مصلحة النفس والمجتمع الذي ينتظر من أبنائه الكثير الكثير ، كي يتمكن من رفعة شأنهم بين الأمم المختلفة لذا أراد الشاعر *** اثاره الهمة في نفوس ناشئة الأمة ، فقال في نشيد الاعتماد على النفس :

هبوا للمعالي واتركوا الجمود
وامشوا للأمام ثرغمو الحسود
فالمرءُ منْ بفضلِ علمه يسود
لايجديه نفعاً ذكره الجدود

* - الشاعر ناجي القشطيني (ولد في بغداد ١٨٩٩ -) شاعر واديب ، له مؤلفات منها : عيد النهضة ، ١٣٤٠هـ ، من عيون الشعر مختارات (بغداد ١٩٦٨ م) . للهفات ديوان شعر ونثر (بغداد ١٩٦٨ م) نفثات الاخرس اختارها من ديوان عبد الغفار الأخرس ١٩٦٩م : معجم المؤلفين ٣ / ٣٧٢

** - توهم الشاعر كثيرا في اختيار وزن معين ، وجميع الأبيات قلقة فهو مرة يأخذ مجزوء الرجز وأخرى مجزوء الرمل ، وغيرها وهذا

التوهم والخلط ، ربما كان بفعل الزحاف الذي يقارب بين الأنغام أوعدم تمكن الشاعر من البحور الشعرية، وكلا الأمرين لا يعطيان عذرا للشاعر في هذا الخطأ العروضي.

١. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية : ٤ / ١١٦

٢. سورة الإسراء : ٤٤

***. للشاعر محمد صادق الملائكة، لم نعر على ترجمته ، وما عرفناه أنه والد الشاعرة نازك الملائكة ، ومدرس اللغة العربية في

المدرسة الجعفرية في بغداد. المصدر: الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الأجزاء الخمسة : ٤ / ١٠٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

ذبوا بالمواضي عن حمى الوطن *
واشروه بالنفس فهي الثمن
فبذا مجدكم والعُلا يسود^(١)

تدافع الأحداث والأمر بحيث وصلت الى حد، لا يمكن السكوت عليه، أو القبول به بأي شكل من الأشكال (هبوا امشوا، ذبوا اسعوا، اشروا) ، ومهما كان فعل الأمر من جهة الاستعلاء أو الإلتماس ، فالغرض واحد وهو شحذ همم الصغار مع الكبار، كي تتكامل حالة المجتمع في التصدي للأعداء الطامعين .
إن الشاعر الحماسي ينطلق ((من احساس بوجودان جماعي ، حتى لكأن القضية تعنيه شخصيا))^(٢) وتحز في ذاته ومن هنا يبدو للجميع سبب انشادهم له والتأثر بصدقية ما يقول.

ولوصف أفعال الأعداء المشينة والدعوة للثورة ضدهم ، أضى شاعر نشيد ايقاظ الرقود مرآة ناصعة لعكس تلك الأفعال وفضحها أمام الرأي العام قائلاً :

يا أيها الشعبُ الأمينُ نسلَ الغزاةِ الفاتحينُ
هل تذرِفُ الدمعَ السخينُ على تراثِ الأولينُ ؟

قد مُزقتْ أقطارنا وُسُتتْ أبطالنا
ويُتمتْ أطفالنا وقد غدونا صاغرينُ

الى متى هذا الرقادُ ؟ فحسبنا ذا الاضطهادُ
هيا اخلعوا ثوبَ الجِداؤِ واسترجعوا الحقَّ المبينُ

هيا امتطوا خيولكم وأشرعوا سيوفكم
وجرعوا خصومكم أفويقِ ** الذلِّ المهينِ ...^(٣)

ليس اللجوء الى الدموع هو الحل ، بل رص الصفوف تجاه ، ما يحدث من مآسي بحق الشعب العراقي بأسره هو ما يطلبه العقل ، فالحرب التي أشعلها أعداء العراق ، قد أحرقت يد من أشعلها ، وسوف تأتي في قابل الأيام على جسده كله ، لأن ((الحرب حدث يثير العواطف ويلهب الأحاسيس ، ويحرك في الفائز شعور النشوة ويؤجج في صدر المندحر، نار الغضب ولواعج الحزن والنقمة، ولذلك فهي أقوى مؤثر في أحاسيس الشعراء وأعمق ينبوع يتدفق منه لهيب الشعر الحماسي))^(٤).

*. هذه الأبيات الثلاثة، أنهكت موسيقاها لكثرة الزحاف فيها ، كذلك ضرورة التسكين في بعضها، حتى بدت مربكة في الوزن.

١. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الأجزاء الخمسة: ١٠٧ / ٤

٢. الحماسة في شعر الشريف الرضي : ١٨٨

** . لا يستقيم الوزن مع كلمة أفويق والأصح كلمة دوما من ..

٣. الأناشيد المدرسية والألعاب ، عنيت بنشرها مكتبة التجدد ، بغداد ، وطبعت في مطبعة النجاح في بغداد ، ١٩٢٩م : ٥٠

٤. المصدر السابق : ١١٩

﴿ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي ﴾

غوائل الأنام تفرّح الأجفان ، لذا كان شاعر نشيد الأوطان ، هائجا هياجاً ثورياً عاصفاً يتخذ من أشد المفردات قسوة لينتقيها ويسطرها شعلة بعد شعلة ، قائلاً :

[مجزوء الكامل]

ويلي على أوطاني من غارة العدوان
قد قرّحت أجفاني غوائل الأنام

سمعتها تتادي والنار في فوادي
هلموا يا أولادي لنذكر المرام

هلموا للمعالي ونيل الاستقلال

ورفع ذا الضلال بالصارم الحسام

فلبوا بالقومي نداء تلك الأيام

فلقد دق عظمي من نعيها الكرام ... (١)

نزف جراحات الاحتلال لايشفيها سوى الاستقلال ، وأما الوعود الكواذب ، فلا صدى لها ساع احتدام النوائب فالمحتلون العدوانيون طرقت شهيتهم مواطن الثراء في العراق ، من حيث الرجال والمال ، في انبساط السهول وارتفاع التلال وفي كل يوم لهم نكبة في هذا الشعب الأبي المكافح ، وكلما احتدم الشارع بالرجال ضدهم ، مدوا أكف التفاوض والعهود ، ليمتصوا بذلك هياج الساخطين بعدما أدمنوا على تلك الغوائل ، بين الحين والآخر فحماسة شعراء أطفال العراق ، صافحت بيد جرأتها شعراء الكبار ، ليتحدوا معا في لغة جريئة ، كسرت حاجز الخوف من المحتلين ، وفتكت بعزمهم وأفسدت عليهم كل خططهم ، وأطلقت لسان فتيتها لتقول (هلموا للمعالي ونيل الاستقلال) وهذه إحدى محاسن الأناشيد في تلك المدة ، وفي كل مدة ، وهاهي الأيام تدور ، فينشد الصغار اليوم في مدارسهم (هيا الى المعالي يا صبية الرجال).

أبيات نشيد رجال الغد هي شذرات من الفكر الألمعي، والفرائد الجوهريّة لشاعره، الذي غدّاه بروح الحكمة والحماسة قائلاً :

[الرمل]

أنتم ، مُتَعَتِّمٌ بالسُّودِ يا شباب اليوم ، أشياخ الغدِ
يا شباباً درسوا فاجتهدوا ثم نالوا غاية المجتهدِ
وعَدَ اللهُ بكم أوطانكم ولقد آنَ نجاؤُ الموعدِ

كُونُوا الْوَحْدَةَ لَا تَفْسُخْهَا نَزَعَاتُ الرَّأْيِ وَالْمَعْتَقِدِ
أَنَا بَايَعْتُ عَلَى أَنْ لَا أَرَى فَرْقَةً ، هَاكُمُ عَلَى هَذَا يَدِي
أَنْتُمْ جِيلٌ جَدِيدٌ خُلِقُوا لِعَصُورٍ مُقْبِلَاتٍ جُدِّدِ
وَلِتَكُنْ أَفْكَارُكُمْ مَبْدَعَةً دَابَّهَا إِيجَادُ مَا لَمْ تَجِدِ

١- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣١/٢

﴿ ٩٥ ﴾ الفصل الثاني / المبحث الأول : المضمون الحماسي

هذبوا الارواحَ في أجسادها فاقَ داءُ الروحِ داءَ الجسدِ...^(١)

المعاني الخالدة وإضاءاتها المشرقة ، التي يبيثها هذا النشيد، إذ يتدفق حماسة غايته المثلى ، ايقاظ ابناء الأمة من رقاد طويل ، عاشوا حالات التخلف والتراجع فيه، وزرع مشاعل الحماسة في ضمير الشباب ، الذين هم عماد كل أمة من الأمم ، وأمل نهضتها في المستقبل وهو الأمر الايجابي، في تجسيد الخطاب لوعي الذات بيقظة الجوهر للمستقبل القريب ، فضلا عما بثه من تلهف وحماسة للعلم وحب الوطن ومن ((عتبة قرائية مقابلة له توجه المتلقي نحو فحوى الرسالة ومضمونها وهو حاصل معنى من حيث كونه يوجه الى المقصد بذاته أو يلح للمحتوى))^(٢) فالحماس هو الأصل الذي يبحث عنه الشاعر، والتلميح هو الثورة ضد الظلم من الآخر عبر الفتية لتحرير الوطن من الظلم والتخلف، والاقبال على العلم ودفع بوادى الفرقة والتناحر، والخطاب الموجه للشباب كونهم المرحلة الأخيرة من مراحل الطفولة .

وخلاصة المبحث:

هيمنت محبة الوطن في الهدف الحماسي ، على جميع الشعراء الذين عاشوا فيه فترات عصيبة ، تجرعوا فيها مرارة احتلال العثمانيين ومن بعدهم الإنكليز، إلا أن الشعراء لم تتنهم تلك الغصات ، عن واجبهم الأخلاقي والعلمي والاجتماعي والأسري، لذا شملوا الجميع بقصائدهم، ليستنهضوا همم النشء، ويشدوا أنظارهم نحو المستقبل وقد أحسنوا في ذلك أيما احسان ، فشكّلوا بذلك القاعدة الصلبة التي انطلق منها من جاء بعدهم .

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

المبحث الثاني : المضمون الوجداني

إنَّ تحريك الوجدان وهو ((النفس وقواها الباطنية))^(١)، ودفعه نحو التطلع ومعرفة منابع الثقافة العديدة ، يعدُّ عاملاً مساعداً في كسب العلم والمعرفة ، يقول د أحمد زلط ((وليس من شك أن التربية الوجدانية بالأنشيد من الأساليب التربوية الراسخة ، لبعث ملكات التذوق اللغوي أو الاكتساب المعرفي عند الناشئة ، فضلاً عن أنها تعد محصلة مهمة يكتسبها النشء وهي القدرة على إجادة النطق ونمو أسلوب الاداء اللغوي ، وترقية الميول الأدبية والوجدانية عندهم منذ الصغر))^(٢) وأروع ما تقوم به الأنشيد ، انها تعمل على تطويع اللسان ، بلفظ المفردات بشكل حسن ، لأن الطفل ينجذب الى النشيد تلقائياً ، وتميل روحه اليه بلا مقدمات، فالنشيد بماتحملة مفرداته العذبة يعد اغراء عالياً في مستواه وحافزاً مشجعاً يهواه ويدفعه لمعرفة معناه ((لأن للايقاع النغمي في النشيد ، خاصية فنية لها الاولوية عما سواها من الخصائص الفنية ، وبتجويد تلك الخاصية تكمل منظومة العناصر عما سواها))^(٣). لذا سندرس القصائد التي هتفت في حب (الوطن ، العلم ، الأم ، المدرسة ، الاخوان) لأنها تحمل الرؤية الوجدانية المثلى عن الذات والمتلقي على السواء ، فكان الوطن الممثل الحقيقي للرؤية الوجدانية ، وخيمة الود للجميع رفعت أعمدتها أجساد المضحين ، وتعهدت حمايتها قلوب المحبين ، وهو كما وصف شاعر انشودة الوطن قائلاً:

[مجزوء الرجز]

أوطاننا وهي الغوالي أرواحنا لها ثمن
وإنما أحياء المعالي من مات في حب الوطن
من مات في حب الوطن

أوطاننا نحمي حماها بكل سيفٍ منتضى *
ما مات منا من قضى في أرضها تحت سماها **

١. المعجم الوسيط : ٦١٧

٢. ادب الأطفال : د أحمد زلط : ٣ ١٢

٣. المصدر نفسه : ١٣٠

* - منتضى: سل سيفه من غمده ، المنجد : ٨١٥

** - أشك في الأصل الذي نقلت منه كلمة (سماها) فلا هي مناسبة مع قافية البيت الذي هي فيه ، حتى نقول انها من الشعر المرسل (المزدوج) ولا هي مما يناسب القافية التي سبقتها ، ولا أصدق ان يكون الرصافي قد ارتكب هذا الخروج غير المبرر على كل المؤلف وفي اللغة سعة لما يروم ، والذي أرى : انه قال (تحت السما) فهذا يستقيم مع السياق اللفظي والوزن ، او (تحت

الفضاء) فهذا أبلغ لأنه يتماشى مع قافية البيت ومع الذي سبقه، أو ان ناقل الأصل قد استبدل عجز الأول بدل الثاني فيصبح البيتان كما يلي:

أوطاننا نحمي حماها في أرضها تحت سماها أو أوطاننا نحمي حماها بكل سيف منتضى
ما مات منها من قضى بكل سيف منتضى في أرضها تحت سماها ما مات منها من قضى
ولا يعد هذا الملحظ قدحا في شاعرية الرصافي فهو أجل وأعلى شأنًا من كل هذا ، ولكن أمام القواعد النحوية والعروضية لا يوجد كبير أو صغير ولا عالم أو جاهل ، فما وافقهما فهو لايمس ومن خالفهما جرى النظر بتعديله، في النصوص بعيدا عن شأن الشخص ولا تعد هذه الهفوة من الرصافي خطأ مطبعيا، بل تأكدت منها في أكثر من مصدر، فوجدتها نفسها في جميع المصادر.

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

هيا بنا هيا نسعى لها سعيا
فنحن في أوطاننا نحيا اذا تحي * (١)

يعيش الأفراد ضمن منظومة اجتماعية ، لها عاداتها وتقاليدها الموروثة ، منذ عهود خلت ، والانسان ذو طبيعة اجتماعية، ولا يحب العيش المنفرد، لأنه يشعر أن المجتمع الذي يعيش فيه يوفر له الحماية والرعاية ، بعدما أخذ بيده عندما كان صغيرا وأتم رعايته كبيرا ، ومن الأسس التي تربت عليها المجتمعات الإسلامية ، هي ماجاء عن رسول الله محمد (ﷺ) من التأكيد على حب الوطن حينما قال (حب الوطن من الايمان) (٢)، وليس لعقل وجود ، من دون وطن يمارس فيه حياته ليزرع على رياض أديمه ، ما يقوى على غرسه من كل خير، وما نال مرء للعلى ، إن لم تسبق همته يده ، في حمى وطنه ، وقد وظف الشاعر مفردة الموت من أجل بلوغ معنى الحياة ((ليكون اتصالا وثيقا بين الماضي ومخزونه الثقافي من جهة ، وبين الحاضر والمستقبل من جهة أخرى)) (٣).
لقد رضع الصغار محبة الأوطان ، مع حليب كرامتها من الأمهات ، منذ عهد النشأة وتلذذت بضمه ، وكل جيل يأتي تراه ينهل من ذات السبيل ، كي تترسخ مبادئ حب الوطن فيه منذ الصغر، وحين يكبر تكبر معه تلك الثوابت حتى تتحول بمرور الأيام الى رواسخ لايمكنه إزالتها من وعيه ، تحته مكارم أخلاقه في الحفاظ عليها وهي تقول بلسان ودها ومحبتها بلسان شاعرها * * انشودة وطني :

وطني وطني وطني غالي الثمن
أفدي دوما لك يا وطني
روحي مالي نفسي بدني
وطني وطني وطني غالي الثمن (٤)

[مشطور المتدارك]

علاقة رجال العراق بالمكان (الوطن) علاقة ذات قيمة روحية ((لأن المكان في رؤية الذات - بصورة عامة يكتسب خصوصية كقيمة من خلال علاقة الكائن به ، وليس من خلال وجوده الموضوعي)) (٥) .

*.والصحيح (تحيا)

١. مجموعة الأناشيد المدرسية : ٣٦ للشاعر الرصافي

٢- صحيح البخاري بشرح الكرمانلي، الكرمانلي(محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين، ت ٧٨٦هـ) ، دار احياء التراث

العربي، بيروت . لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨١ : ٣ / ٥٣٦

٣. خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني : ١٠٥

* - الدكتور أحمد حقي الحلي (١٩١٧م - ١٩٩٩م) في البدء كان معلما في مدرسة تطبيقات دارالمعلمين الابتدائية في بغداد، وبعد أن غيّر اسم دارالمعلمين العالية الى كلية التربية، وفي الستينيات كان الدكتور أحمد حقي الحلي تدريسيا في جامعة بغداد كلية التربية قسم التربية وعلم النفس ، ذكر ذلك لي د، عدنان العوادي ، عميد كلية الآداب سابقا ، جامعة بابل ، في مقابلة شخصية معه في ٣٠ / ١٢ / ٢٠١٣م.

٤- المحفوظات الطفلية ج١، ج٢، الدكتور أحمد حقي الحلي، دارالمعارف، مصر، ١٩٥٤م : ١ / ٤ - ٥ وقد ألفت هذه المحفوظات سنة ١٩٣٠ - ١٩٣٣م ذكر ذلك د . هادي نعمان في كتاب ثقافة الاطفال : ٢١٤

٥- جدلية الذات والآخر في شعرسجون العصريين الأموي والعباسي، رائد حميد مجيد ، اطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ٢٠١١م : ١١٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

مازالنا قرائح شعراء أطفال العراق تجود بما لديها، وتعمل جاهدة على إيقاظ الهمم ، و نشيد الايقاظ يجري في هذا السبيل ، فقال أحدهم :

إنما العيشُ جدالٌ فابتغوا فيه النّجّاح
واصطدامٌ واقتتالٌ ذلٌّ من ألقى السّلاح

إيه إنّ الروحَ هانتُ دونَ إحياءِ الوطنِ
وصعابُ النفسِ لانتُ دونَ إعلاءِ الوطنِ...^(١)

علاقة الأفراد بالوطن ، علاقة حميمة تقوم على أسس متينة، لا يمكن للفرد الانسلاخ منها ((لأن المؤمن الحقيقي هو الذي ينتصر لله ورسوله وينتزع الحق من الغاصبين له ، وهو الذي يضع يده على الزناد، وجبهته على التراب وقلبه متصل برب العزة))^(٢) إلا اذا تمرّد على كل أخلاقيات مجتمعه وذويه، لأنها راسخة الجذور في أعماق الأرض والأبدان على السواء، ونجاح المجتمعات، يتأتى بوساطة تلاحمها فيما بينها، وتكاتفها، لردع الأخطار المحدقة بها لذا فلا عزيز يقف حائلا دون إعلاء الوطن ، والأرواح أغلى ما يمتلكه البشر، لكنها تهدى رخيصة من أجله . حب البلاد نسائم ود لا تمل الارواح منها، وتتقدم للدفاع عنها ، لذا ترنم الشاعر بحبها في نشيد بلادي فقال :

إنّ عزيّ في بلادي وهنائي ومرادي
أنا منها و إليها باقترابٍ وابتعادٍ
أنا أسعى لأراها بنعيمٍ متمادي
أنا إنّ أحياء سعيدياً أو أمّت يومَ الجلاّد
فحياتي ومماتي لبلادي لبلادي
هي جسمي هي روحي هي عقلي ورشادي
هي درعي هي سيفي هي حصني وعمادي ...^(٣)

تتصاعد درجات المحبة وتنخفض أحيانا ، وهذا يتحكم فيه الباعث لها أولا والبيئة ثانيا ، والشوق أعلى درجات المحبة لأنه يمثل ((نزوع النفس الى الشيء وتعلقها به))^(٤)، وامتزاج الشعر بحدة الشوق وتأججه ، يعطي طابعا وجدانيا ، تكاد تذوب فيه كل معاناة الحياة ، وما يلحق بها من ألم ولوعة ، وسرعان ما يتحول هذا الشوق الى هيام

جارف يتدفق شذاه ليشمل الوطن بأسره ، في زواياه وثناياه ، لتتكامل بذلك الحياة مع الفداء والفداء مع الفادي لأن الشاعر ((لايعامله كقضية مستقلة عن وجوده الكامل ، ولكن كجزء ملتحم من نفسه))^(٥) لتتشكل لوحة الاندماج الاختياري في أبهى صور الفداء والتضحية ، في سبيل الوطن .

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١٦ / ٢ - ١٧

٢. سبيل الايمان ، محمد تقي المدرسي ، دار محبي الحسين ، ط ١ ، ٢٠٠٤م : ٣١

٣. الأناشيد العصرية : ٢ / ٨٢ ، ٨٣

٤. المعجم الوسيط : ٣٠٤

٥. مجلة شعر ، توفيق صايغ ، القصيدة ك ، العدد : ١٦ ، ١٩٦٠م : ٣٤

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

إنّ استحضار الماضي بكل أبعاده ، يُرجع الى الأذهان كيف كانت بغداد حاضرة التأريخ وتأريخ الحضارة ايام عزها في زمن العباسيين ، وكيف كانت مركزا للأشعاع ومهبطا للإبداع، مما يجعل تلك ((الذكريات الوديعة الثائرة على الحاضر المظلم ، فهو يعطي عالم الطفولة، ديناميكية شعرية ، وعمقا في مجال البحث النفسي والثقافي))^(١) لتنهض من جديد، وتدفع عن كاهل هذه الأمة، كل البدع والأفكار الدخيلة، التي قضى الأجداد أيامهم في محاربتها وطردها من موطن الكرامة .

بعدما بث الشعراء أشواقهم نحو وطنهم ، عطفوا بكرامة أشعارهم ، على العلم في نشيد العلم والجهل فقال :

[مجزوء الرجز]

العلم للنباتِ كالماءِ للنباتِ
العلم نورٌ شامسٌ والجهل ليلٌ دامسٌ
والعلم للإنسانِ كالروحِ للابدانِ
العلم رقى الأمما وربّه قد عظّما
العلم سلّمُ العلّا كم واحدٍ به علا
والعلم للأرواحِ كالزيتِ للمصباحِ
فهو الفخارُ الدائمُ به يسودُ العالمُ^(٢)

العلم هو النور الذي زرعه رحمة الله ، في الكواكب أجمعين ومنها الأرض، ولولاه لعاشت الناس في ظلام دامس تتدافع فيه دياجير الرعب ، وتتابع فيه أعاصير الخطب ، ولما استطاع الانسان أن يبني على سطح كوكبه عمراناً ولا يؤسس لحضارة سامية، سطر العلم أسسها بين الغرب والشرق، وارتفعت قوائمها عالية أمام الخلق، ولكي يستحوذ الشاعر على إحساسات ومشاعر المتلقي، بعدما عدد له مايقوى على تعدادهِ من محاسن العلم وفوائده ركز بشكل مميز على أن ((يكون الخطاب هو المحور الأساس المقصود بالكلام، لذا فان الشاعر يتقن في خطابه واقناعه بطرق مختلفة))^(٣) كي يربط ذهنية المتلقي معه ، وينهض برقي أفكاره الى الأمام ، في رؤية وجدانية تساهم في زيادة اشتياقه الى العلم والثقافة في طلبه .

ومن الشعراء من كان منفتحاً نحو الحياة ، وطلب الاجتهاد والعلم ، وهكذا كان شاعر نشيد هزار العرب قائلاً:

[مجزوء الرمل]

يا هزارَ العربِ غرّدْ حيث قد نلنا المرام
وانشدِ الألحانَ دوماً واحيي آثارَ العظام

نحن شبانٌ سعيْنَا باجتهادٍ وثباتٍ
ليس فينا غيرُ ليثٍ رامٌ مجداً للحياة

إنما بالعلم نُحي عهدَ هارون الرشيد

١- ثنائية الذات والآخر في شعر السياب ، علي عبد الرحيم كريم ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل ، كلية التربية ، ٢٠٠٧م : ٣٠

٢- أناشيد وأدبيات الفتاة : ١٨ - ١٩ ، للشاعر حسين الأعظمي

٣- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، تحقيق عبد الله كنون ، معهد مولاي حسن ، تطوان ، ١٩٥٨م : ٧٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

وحياة القوم علمٌ ينفُجُ النشءَ الجديد^(١)

ليس بالإمكان احياء آثار الأجداد ، إلا ببذل الجهد تلو الجهد ، مداومة السهر والتعب ، فما سطرته أنامل عزهم أيام مجدهم ليس هيئا ولا قليلا ، بل شهد بسموه ونبل تصنيفه الأغراب قبل الأصحاب ، ولم يكن كذلك لولا الجد في موضع الجد ، وزيادة الكد فوق الكد والشاعر هنا يستدعي المفردات ، ليشكل عبرها شحنة وضاءة ، يوحى بوساطتها الى ((إنتاج تعبيرى تحال فيه التجربة الانفعالية عند المبدع من مضمونها الذاتي الى خلق فني يتم افرغها فيه والتخلص منها))^(٢) .

لذا فإن الحياة للعلم ، وما يحتفظ به الفهم ، وهو ما ينتفع به النشء الجديد في مسيرة حياته المستقبلية . وكثيرا ما تحول شعراء الطفولة في العراق الى مرشدين ، ومصلحين اجتماعيين ، تخترق أشعارهم آذان الصغار فضلا عن الكبار ، وليس لهم من هم سوى أن يمشي أبناء بلدهم ، الى المستقبل الوضاء ، بخطى الواثق المطمئن لأن السير في الشمس ، غير السير في الظلام والتخبط في الأوهام ، وهذا ما بسط شاعر نشيد البنت الصغيرة التصريح فيه قائلا :

[مجزوء الرمل]

أيها البنتُ الصغيرة أنتِ بالعلم كبيرة
فاطلمي العلمَ وجدِّي أنتِ بالجدِّ جديرة
وفتاة العلم تهدي الناس كالشمس المنيرة
فهي للطفل تُربِّي وهي للبيت مديرة
ما تُربِّي الطفلَ إلا وهي بالطفل خبيرة
فتراه ذا ذكاءٍ وخصالٍ مستنيرة
فتنحّيه عن الشرِّ وويلاتٍ كثيرة...^(٣)

ما تربى الطفل على شيء إلا تغلغل في أعماق ودّه ، وانطوى عليه جهده الى الكبرحتى تتطبع به جميع أعضاء بدنه ويصبح جزءا هاما من محصلة كيانه ، يبعده عن الشر ، ويدنيه من الخير ، لأن صاحب العلم ينير الطريق للآخرين ، بفضل حصيلة مايملك من خصال مستنيرة .

لا زالت همة الشعراء تتدفق ألقا في الكشف ، عن مزايا العلم ومساوىء الجهل ، وبسط ذلك بين أنظار النشء وعن لسانهم ، كما في نشيد العلم والجهل فقال شاعره :

[المجتث]

العلمُ منيةٌ نفسي وأفتديه بلبي

والجهل ما هو إلا كالنار تحرق قلبي
بالعلم نحيا وننجو من كل هون وكرب
اليوم يوم اجتهاد لا يوم لهو ولعب

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢٧/١
٢. النص وأسراره ، د علي حداد ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ٥٢
٣. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٣٠ ، للشاعر حسين الأعظمي

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

اليوم يوم فنون لا يوم أكل وشرب
هل تسمعون بكائي من المصاب ونحيبي ؟
إني أيقظ قومي حيث التيقظ دأبي
وأطلب العلم منهم والعلم منية قلبي (١)

هذان الضدان يعيشان معا في الحياة ، لذا وضعت الأمم المتقدمة ، في مجال التربية والتعليم ، برامج عديدة للقضاء على جهل مواطنيها ورفع مستواهم العلمي ، ايماننا منها بأن العلم هو الأمل الأكبر في نجاح الحياة ، وبلوغه بلوغ التقدم بكل دلالات السمو والرفعة ، فلا زراعة ولا صناعة ولا دراسة ولا عمران بلا علم ، فلا مجال للتراجع الى الخلف ، لان التسابق في كسب العلوم ، أصبح سمة العصر الحديث ، لأن الذات البشرية ذات طموحة* ، وتجرفها يد الأمانى الى أبعد مما تقوى ، ولأن هناك رصانة للمنهج المعرفي ، الذي تتواصل في كسبه ، وهو متصل بوشائج عدة في التراث (٢).

عمد شاعر نشيد فائدة الدرس ، الى ترسيخ حب العلم في النشء ، ودعاهم الى الاسراع في كسبه قائلا :

أسرع لنيل العلم واستنفذ الجهدا **
وكن قوي العزم كي تبلغ القصد

فالبس ثياب الكد ما أجمل الصبر
تحرز رداء المجد في زهرة العمر

إني أرى في الدرس فائدة إذ تسمو
به تطيب نفسي وفطنتي كم تنمو

ولا أزال أسعى يعينني الباري
لكي أنال النفع مع كل أوطاري ***... (٣)

الدروس التي يتعلمها النشء ، ترسخ في ذهنه شيئا فشيئا علوما مختلفة ، وهذه العملية تشابه الى حد كبير عمل البناء الذي يبني صفا ويعمل على تحسينه وإتقانه ، عندها ينتقل الى الثاني ، وهكذا حتى يتكامل عنده البناء بأكمله فالشاعر هنا يستدعي أساليب مختلفة غايتها شد المتلقي ، وإثارة التشويق لديه ، فتارة يوصي الى الاسراع ببلوغ العلم

١. أناشيد وأدبيات الفتاة :٦٠، للشاعر حسين الأعظمي

٢. ينظر شعر حكام الأندلس ، د هادي طالب محسن، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٠٩م : ٢٠٤

*. كذا وردت والصحيح طموح

**. لم يستقر الشاعر على وزن مشطور البسيط في الصدر والعجز، إذ استعمل في صدر الأبيات الأربعة الأولى تفعيل المجزوء

من ذات البحر (مستقل) وجاء في عجزها كلها في الضرب ب (فعلن) وهذه خاصة في المشطور منه ، ثم جاء في البيتين الخامس والسادس على وزن مجزوء الرجز، ثم عاد في البيتين السابع والثامن على نمطية الأبيات الأولى .

***. اوطار : الحاجة الهدف الذي يسعى اليه ، المعجم الوسيط : ٦٢٤

٣. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ٢٠ - ٢١

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

وأخرى يبهره بما في المجد من عزة وسمو بين الناس، واسلوب الترغيب هذا له وقع السحر على مخيلة النشء فينجذب بكل جوارحه اليه ، بل ويكاد يشتعل هياما به ، بوصفه اسلوبا رفيعا من أساليب التعبير، التي تدعو الى الاكثار من المعروف، والدعوة اليه.

يعد هاجس العلم هاجسا مقلقا وكبيرا، ما برحت قرائح شعراء الطفولة في العراق ، يرمون موسيقاه في أذن الفتى والفتاة ، فقد صور شاعر انشودة (العلم) حال هذه الفتاة ، ونفسها تشدو بحبها لما ترجوه قائلاً:

[مجزوء الرمل]

أنا يا قوم فتاة أطلبُ العرفانَ جهرا

وله أفدي حياتي وبه أزدادُ فخرا

هو روحي وحياتي وهو للعليا ذكرا

فالعلى منية نفسي والعلما بالعلم تُشرى^(١)

قال رسول الله محمد (ﷺ) ((انه : إذا عظمت أمتي أمر الدنيا ، نزع منها هيبة الاسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحقها ذلة المعاصي))^(٢) إن طلب عمل المعروف من دواعي صلاح النفس البشرية والمباشرة به دليل خير وديمومة للحياة ، لأنه أحد أعمدتها السامية ، ومن دونه سوف يستفحل المنكر ، ويصبح مرضا مستديما يقضي على كل مظاهر العدل والانصاف ، التي تتحلى بها أغلب الشعوب في الأرض ، وتميل الى فوضى التناحر والاقتيال ، وهذه من رواسب التخلف الذي ابتليت به أمتنا منذ القدم .

خاطب الشاعر في نشيد العرفان وجدان كل حي ، وعزفه على مواطن عدة قائلاً :

[المتدارك]

في العرفان ما يدنيني من كل مجدٍ يعليني

كل الدنيا لا تلهيني عن شرب كأس العرفان

لا يزدانُ يوم أنسي إلا بكتبي أو درسي

والله لا تزكو نفسي إلا برشفي العرفان

ماللإنسان ذو الجهل على الحيوان من فضل

ألا بالعلم والعقل ** أصلُ مزايا الإنسان^(٣)

قيل إن العقل وزير ناصح ، ومن تجرد منه ، سقط حتى التكليف الشرعي عنه ، لذا فهو ميزان الاعتدال ، في رؤوس العقال ، والمعروف نور العلم في الأرض ، ومن دونه تصبح الحياة كالصحراء القاحلة، تلفحها ريح السموم من كل جانب وتذيب حرارتها الصم الصياخيد ، ونسبة العقل في الانسان ، أعلى من نسبة وجوده في الحيوان ، لذا

١- أناشيد وإدبيات الفتاة : ٦ ، للشاعر حسين الأعظمي

٢- صحيح البخاري بشرح الكرمانلي : ٢ / ٢٣١

*- زكا الرجل : تتعم ، المعجم الوسيط : ٢٥٦

** - لا يستقيم الوزن الا باضافة الباء الى العقل

٣- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ١٩ ، للشاعر الرصافي

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

فان العقل متى ما جمده صاحبه تحوّل نتيجة لذلك، الى كبش فداء لشراك الجهل وصار- غالبا. واحدا من ضحاياه والعلم ضد الجهل، فان طغى الجهل على العلم، أصبح أمره مخيفا مروّعا، وإن انقلب العالم الى جاهل لعة من العلل صار ذلك مفزعا ، لأن البيئة والمجتمع يساعدان أحيانا كثيرة على أن ((تنقلب الأشياء الى أصدادها في هذه الصورة المفزعة))^(١) التي تثير الهلع في النفوس .

أصالة العرب ، استدعت شاعر انشودة فتاة الأعظمية لاستجلاء الحميّة ، في الفتاة ، واستنطاق مواطن العزة في بنات العرب قائلا :

[مجزوء الرمل]

أنا بنت الأعظمية ذات عزٍ وحمية
أطلبُ العرفانَ جهراً وأحبُّ الوطنية
لستُ أرضى الجهل قطعاً إنما الجهل بليّة
أنا يا أبناء قومي ربّة النفس الأبيّة
أكره الذلّ لقومي فهو للقوم منيّة
يا فتاة القوم سيري للعلا والمدنيّة
تلك أمنيّة نفسي لبنات الأعظمية^(٢)

استدعاء الحمية* وإظهارها على لسان الفتاة العربية ، هو استحضار لآلاف الفتيات والنساء العربيات اللواتي غادرن الحياة ، بعدما كن مثالا في العلم والمعرفة، وعنوانا للصبر ومقارعة الصعاب وعنهن نقلت الأحاديث ، وقُرات عن نظمهن القصائد ، وهذا التراث يعيد في أذهان النشء تأريخا حافلا بالمفاخر، وزاخرا بالنوادر لأن أمتنا الاسلامية أمة حية ، وسر حياتها في إدامة المعروف وإغاثة الملهوف ، حتى تصل بمجهودها الفعلي الى عالم الطهارة في الروح والجسد ، ويتمكن الفرد فيها ، بعد ذلك من أن تلامس رؤياه ((رؤيا الأنبياء فيرى الحقيقة ويعانقها وينعم بمشاهدتها كأنه في حلم لذيق))^(٣).

اتجه الشاعر الى الأم التي هي الركن الأشد في حياة كل أسرة ، فخطبها في نشيد (الأم ترشد ابنتها) قائلا :

[مجزوء الكامل]

يابنت مالك جازعة؟ وعن الخياطة هارعة
فتعلّمي فنّ الخياطة فالخياطة نافعة
وتعلّمي التطريز كي تضحي فتاةً بارعة
لم تسمعي قولي وكلّ الناس قولي سامعة

قد كنتُ أحسبُ ابنتي ليلي لقولي طائفةً
واحسرتا لو تعلمينَ بأيِّ هونٍ واقعةً

١. الرمز الاسطوري في شعر السياب ، د علي البطل ، شركة الربيعان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م : ١٧٣

٢. أناشيد وأدبيات الفتاة : ١٣ - ١٤ ، للشاعر حسين الأعظمي

*. هي : الالباء ، المروعة ، النخوة ، الغضب : المعجم الوسيط : ١٨٧

٣. الالتزام في الشعر العربي ، احمد ابو حاقه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م : ٣٧١

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

﴿ ١٠٤ ﴾

لنهضتِ ممأنتِ فيه وكنْتِ بنتاً خاضعةً (١)

لولا النصائح التي يقدمها الكبار للصغار ، ما بقي من نسل البشرية إلا القليل ، فكيف بالأمهات اللواتي تخفق أفندتهن بالود والرحمة ؟ وتأثيرهن على أفراد الأسرة أكثر من تأثير الأب على أبنائه وتوجيهاتهن مشاعل من نور وفضائل من سرور ، وما أخذ منها فتى أو فتاة ، إلا وأمسك بين يديه القمر ، فهي دوما الى كل الخير تتصح ، وإن غشي أولادها تفرح ، فالأُم شمسٌ بها كم تهدي البشرُ ويزدهي الرَوْضُ والأنفاسُ والزَّهرُ ، ولا تقوى على الصبر إن مسَّهم الألم بل ترمي نفسها قربانا لسلامتهم ، ولا مرارة أشد على الأسرِ من فقدها الأمهات ، لأن الإرشاد والتوجيه والتراحم يموت بموت أهله ، لذا وجب على الأبناء الاحتفاء بامهاتهم ، والتلذذ بطاعتهم ، وإن قسون عليهم .

أما هذه البنت ، فقد توسلت بأمرها بمنتهى الأدب في نشيد البنت قائلة :

[مجزوء الرمل]

أيها الأمُّ اغرسيني في رياضِ المدرساتِ *

زهرةٌ تستنشقيني بين أزهارِ البناتِ

إنني بنتٌ صغيرةٌ زهرةٌ من ياسمينٍ

لي آمالٌ كبيرةٌ هي في الدرسِ الثمينِ

إن نفسي لمحاطةٌ بالأمانِ النيرةُ

ما بتعلمُ * الخياطةُ وحدها من مفخرةُ

ليس للابناءِ نجحٌ مع جهلِ الامهاتِ

فمتى يصبحُ صبحُ فتزولُ الظلماتُ (٢)

طموح المرء يقوده إمّا الى النعيم ، فيفوز فوزا مباركا ، تشهد برفعته أهل العلم والمعرفة ، أو أن يقوده الى حر الجحيم عندها يتحول طموحه الى كابوس يطارده ، أينما حل وارتحل لذا يجب موازنة الطموح ، مع القدرة التي تستطيع حمله وكما أن للأولاد طموحات مختلفة كذلك للفتيات طموحات متاحة ، والمجد منهما هو الذي يصل الى تلك الطموحات ، وإن ركب على جناح المشقة ، وتحمل عناء السفر ، لأن الأمانى المشروعة ، هي رافد متجدد لنهضة الأمم وعنوان همتها على مدى العصور .

إن انشودة تنويمة الأم ، صفحة ناصعة ، تبرز رعاية الأم بصورة مشرقة ، قائلة :

بني نوم العافية وقتك كل واقية
من شر كل داهية فعش لأجل الوطن
بني عشت سالما تكتسب المكارما

١- أناشيد وأدبيات الفتاة : ٢٧ ، للشاعر حسين الأعظمي

* - المشهور جمع مدرسة مدارس، اما (المدرسات) فهو استعمال غريب ولو قال (الدارسات) لكان اسلم لغة وانقى معنى .

* - والصحيح بتعليم ليتماشى مع الوزن العروضي

٢- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١٣ / ٢ ، للشاعر الرصافي

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

حتى تكون عالما لنفع هذا الوطن

بني عشت فارسا وللعلوم دارسا

حتى تكون حارسا لمجد هذا الوطن ^(١)

للأمهات قلوب خلقت من رحيق الرقة ، وغشتها غشاوة الرحمة ، فهي دائمة الخوف على أولادها ، أكثر من خوفها على نفسها، وكم من أم مخلصه وحانية، رمت نفسها في النار كي تنقذ ولدها، إن داهمتها النار على حين غفلة وتلك لعمري أعلى درجات التضحية في سبيل الأبناء فلا قلق ولا جدال ، ان كانت الجنة تحت أقدام الأمهات فهي الأحق بها، لأن الأبناء مهما فعلوا فليس بمقدورهم الوفاء، وعليه فالأم صرح كبير، تعجز المفردات عن الاحاطة به أو تعريفه، ولكن الشعراء سطرّوا محبتهم أبياتا على الورق ، تفننا في تنويع الأسلوب، ودفع الرغبة نحو القراءة ، لأن الطفل ((يمكن أن يتعلم الكثير حول جماليات الاسلوب والمعاني الجديدة ، بجانب تولد الدافع والرغبة لديه للقراءة)) ^(٢).

للأم حيرة ولوعة كبيرة لا يدركها سواها ، عندما يصرخ طفلها باكيا، ثم يتمم بالفاظ لاتعرف معناها، ولاتعرف ماذا يريد لهذا تنبه الشاعر، لذلك في انشودته (الأم وطفلها) قائلا:

[المبحث]

يا طفل ماذا تنادي وما كلامك هذا؟

أراك عيا عن النطق إن نطقك ماذا؟

نم يا بني بأمن فإن حزنك حزني

وأنت نفسي وروحي ومهدك اليوم حضني

بني لم أدري ماذا تقول حين تنادي

لكن صوتك هذا يهتّر منه فؤادي ^(٣)

مدارة الأطفال في شهورهم الأولى مرارة ، لا يقوى على تجرّعها سوى الأمهات الحانيات ، ورؤوسهن موضوعة على وسادة السهر والقلق، وكلما صرخ الطفل نهضت روحها قبل جسدها لأرضائه ، ثم راحت تقدم ما يشتهي اليه في ساعات تغط الحياة كلها في نوم عميق ، لكن الحيرة تكمن عندما تقدم الأم ما بوسعها تقديمه، وترى طفلها

لايرضى بكل ما يقدم له ويواصل صراخه، فكيف اذا تمت في عبارات لاتفهم منها شيئاً ؟ ولو لم يحط الله القلوب بالضلوع لطار قلبها خوفا عليه .
وهذه اطلالة على تنويع الأم لابنتها ومحملته من معان سامية ، فقالت :

١. الاناشيد العصرية : ١١٣/٢ ، للشاعر الرصافي

٢. أدب الاطفال ، المفاهيم ، الاشكال : ١٩٨

٣. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٣٥ - ٣٧ ، للشاعر حسين الأعظمي

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

[مجزوء الكامل]

يا بنتُ قد جاءَ المسا ءُ وأشرفتُ فيه النجومُ *
وتزينتُ هذي السّما ءُ بنهرِ ذِيَاكَ السّديمِ **

يابنتُ قد حلَّ المنا مُ ووقتُ راحاتِ البشرِ
نامي فقد جنَّ الظلا مُ وصارَ ليلاً واعتكزُ ***

واستيقظي عند الصبا ح الى عبادة ربّنا
كي تكتسي ثوب النجاح إنّ النجاح يهمنّا ^(١)

تبارك الله الذي جعل في الليل راحة للبشر، يخلد فيه للسكون والراحة ، ولولا الليل لواصل الإنسان العمل والبيع والكيل، ولأنهكت قواه وهو لايدري ، وهذه الأم تعمل على تدريب ابنتها على الإستجابة لظاهرة الليل والنهار، كي تحافظ على راحتها، وتستعيد نشاطها لليوم القادم ومن نام مبكرا ، نهض مبكرا ، ليعد نفسه لطاعة الله ، واداء ما عليه من واجبات ونجاح الأفراد لايتأتى بمقدار ما ناموا ، بل بقدر ماحصلوا حين قاموا ، من علم ومعرفة والرزق الحلال ، الذي تتجه له الأنفس الطاهرة .

نعمَ الفتاة التي تستعطف أمها في الذهاب الى المدرسة قائلة :

[مجزوء الرمل]

أيها الأمّ الحنونُ ليس إلّاكِ معيُنُ
قد عشقتُ العلمَ حتى سلبتُ روحي الفنونُ

أيها الأمّ ارحميني قبل أن تأتي المنونُ
ذاب جسمي وفؤادي وهو صعبٌ لايهونُ

خبريه أيها الأم بما قال الأُمِينُ
فرض العلم علينا وهو في الشرع مبينُ ^(٢)

حكاية حوارية صاغها تعنت بعض الآباء ، ومنعهم بناتهم من الدراسة ، واكمال التعليم وبرروا ذلك بخوفهم عليهن من الانجراف والانحراف وهم لا يعلمون أن الفتاة الجاهلة أشد وقعا في كل ما يخافون منه ، لأن أدواته في مقاومة اغراء الشيطان وأعدائه ضعيفة إن لم نقل متلاشية تماما ، وعلى الرغم من أن الله أمر بالعلم ، كقوله

* - توهم الشاعر بإضافة الشروق الى النجوم ، وهو من صفات الشمس لمقابلته مع الغروب، اما النجوم فيناسبها الظهور كونها مستمرة وظاهرة طوال الوقت وقوة نور الشمس هي التي تخفيها، لذا فهي لا تشرق ولا تغرب بل ظاهرة دائما ، ولا يعد هذا الأمر من باب الإنزياح لأنه لا يحمل صفة الإنتهاك في الصياغة كما يقول كوهن .

** - السديم : جمع سُدم ، نجوم بعيدة تظهر للعين ضعيفة النور ، المعجم الوسيط : ٢٧٠

*** - اعتكر الليل : اشتد سواده ، المعجم الوسيط : ٥٣

١- أناشيد وأدبيات الفتاة : ٢٤ - ٢٥ ، للشاعر حسين الأعظمي

٢- المصدر نفسه : ٤٤

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

تعالى (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) ^(١) ، وشجع عليه رسوله الكريم محمد (ﷺ) كقوله (اطلب العلم من المهد الى اللحد) ^(٢) إلا أن بعض الآباء لا يسمعون سوى صوت عقولهم وما يؤفكون.

يشترك البيت مع المدرسة في تربية النشء ، وتوجيهه نحو مواطن الخير والصلاح ، لينشأ نشأة يجني النفع لنفسه منها ولوطنه، ويرى جون ديوي التربية بانها ((وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد وتغذيتها بالافتتاح الفكري)) ^(٣)، فالأمم لاتسمو إلا بالمعرفة ولا ترقى إلا بالعلم ، ولا تهذب إلا في أسس التربية السليمة ، وقدحت الله - تبارك وتعالى - على العلم والتعلم اذ قال ((اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)) ^(٤).

وقد حث الرسول المصطفى محمد (ﷺ) على التوجه نحو العلم فقال : (من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة) ^(٥)، لهذا خصها الشاعر بنشيد المدارس الممتع ، قاصدا التعريف بها فقال :

[المجتث]

إني أحبُّ المدارس وأفتديها بنفسي
منها اقتباسُ النفائس وفي النفائس أنسي

إنَّ المدارسَ أمِّي ووالدي العلمُ فيها
وإنَّ أكثرَ علَمي حصَّلته من بنيتها

لولا المدارسُ متنا بالجهل موتاً حقيراً
فنحنُ منها رضعنا عزاً ومجداً كبيراً

إنَّ المدارسَ نورٌ يضيئُ ليلَ الجهالةِ
منها الوري تستنيرُ والنورُ يمحو الضلالةَ ... ^(٦)

العلم مفتاح الحياة ، ومعرفته وادراكه سبيل النجاة ، يسعى له كل نابه ، وقد تقف كثير من الصعاب عائقا يمنع الحصول عليه وأول هذه المفاتيح هي المدارس ، التي تجنى منها في قابل الأيام النفائس ، فبفضل العلم ينجلي ظلام التخلف والجهالة، بين الشعوب المحبة له ، فالمظاهر الحضارية التي أسستها العقول الراجحة في كل

الأمم ، وعملت على جعلها مراكز إشعاع يضيء أمام الجاهلين ، كفيلة بأن تأخذ بأيديهم الى برالسلامة والأمان فلولا العلم لمات أغلب الناس في الأمراض والأوبئة ، ولحصد الطاعون بقية من عاشوا ، لكن العلماء تداركوا كثيرا من الأمراض ووضعو لكل داء دواء ، فعمرت الأرض بسلامة أبنائها العلماء وصلاح أجسادهم بصلاح قلوبهم من

١. سورة طه: ١١٤

٢. شرح صحيح البخاري ، للحافظ شهاب الدين ابي الفضل العسقلاني ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ : ٤٦٧/٣

٣. جون ديوي ، نقلا عن ابي الحسن الندوي ، أهمية نظام التربية والتعليم : ١٢ - ١٣

٤. سورة العلق : ٣ ، ٤

٥. المصدر السابق : ١٦٥/١

٦. أناشيد وأدبيات الفتاة ، للشاعر حسين الأعظمي : ١٢ - ١٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

الداء لأن القلب هو الوجدان فإن الرسول (ﷺ) يقول ((ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)) ^(١) ولا تصلح القلوب إلا بفضل الهداية والمدارس العلمية والتعاطي معها.

ما انفكت دواعي الجد والاجتهاد حاضرة ، لم تغادر أخيلة الشعراء ، وشاعر نشيد الاجتهاد شدد عليها قائلا :

[مجزوء الرمل]

أيها التلميذ بادِرْ نحو احرازِ المرامِ
واملكِ العزمَ وغادرِ عنكَ أثوابَ الظلامِ

لم تزل غصّاً نظيراً* زاهياً بين البشرِ
فاطلبِ العلمَ صغيراً تسترخِ وقتَ الكبرِ

واكتسبْ ثوبَ الفخارِ من أيادٍ** العملِ
جاهداً كلَّ النهارِ لا تكنْ ذا مللِ

إنما الوقتُ كنوزٌ لايساويه ثمنُ
فهو بالحقِّ عزيزٌ عند ذي العقلِ الحسنِ ^(٢)

ولايتأتى الإجتهد عبثاً ، من دون بذل أوفى المجهود للحصول على المقصود ، وكم تبارى الشاطرون فيما بينهم للحصول على أعلى درجات الإجتهد ، لأن في ذلك فخرا وكرامة كبرى لأيتهم بين الأقران، وكل هذا المجهود يذهب هباء اذا مورس فيه الغش، بل إن الفخر كل الفخر للتلميذ الذي يدفع بنفسه الى الجد والسهر والصبر، لبلوغ الهدف لأنه مازال صغيرا ، كي ينتفع منه عند الكبر، وقد يستخدم الشاعر ((التلويح له والاشارة اليه، فهو أوقع في النفس وأكثر إحداثا للإستجابة)) ^(٣) فمن استغل الوقت بالذاكرة والتعلم ، كان أسرع في كسب العلم وادراك المرمى ، لأن ذهاب الوقت يعني ذهاب فرصة الحياة في التعلم وادراك الخبرة .

حب التلميذ لمدرسته ينعش . تلقائيا . ذاكرته ، لذا فهو يتغنى في نشيد المدرسة ، قائلا :

مدرستي أحبها وحبها فرض علي
أجلها ، وفضلها أذكره مادمْتُ حي
مدرستي جديدة يا ما أحيلها إلي

١- شرح صحيح البخاري للعسقلاني : ١٧٧/١

*- والصحيح النضير ، المعجم الوسيط : ٥٨٢

*- والصحيح أيادي لعدم وجود التنوين فيها بل هي مضافة الى العمل

٢- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢٥ / ٢

٣- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د مجيد عبد الحميد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١٩٨٤ ، ١ : ٢٣٠

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

﴿ ١٠٩ ﴾

العلمُ فيها زاهرٌ يروي عقولَ النشءِ ري
مبدؤها كنُ بأسلاً فالجنُّ مكروهُ لدي
قوميةٌ مدرستي تلميذها حرٌّ وحي
مدرستي كلُّ المنى جميلةٌ في ناظري
مدرستي ركنُ العُلَى مدرستي مني إلي^(١)

من دواعي سرور التلاميذ التغني بحب مدرستهم*، لأنهم يعيشون فيها حياة ثانية ، لم يألّفوها في بيوتهم ، ويرون فيها أقراناً مختلفين عنهم ولو قليلاً في العادات والطباع ، وهذا بدوره يوسع لديهم دائرة الخبرة ، ويكشف لهم عما لم يعلموا به من قبل ، فيتفاعلون مع هذه الأجواء ، وتتكون لديهم علاقات صداقة مع كثير من الأقران ، فضلاً عما يرونه من ترحيب المعلمين بهم وتشجيعهم ، ومكافأتهم بعد كل خطوة تستحق التكريم ، لذا يصبح التغني في حب المدرسة ، هو الفرح بكل ماكسبوه من هذه المؤسسة العلمية ، التي توجّه خامات طرية لا تعرف من الحياة سوى القليل ((لأن التربية الفكرية تقتضي ربط الإنسان منذ صغره بالفكرة التي يعيش لها ، والمبادئ التي يجاهد في سبيلها))^(٢) من أجل الخير والفضيلة .

ولم تكن الأم الغالية ببعيدة عن وجدان وعقل الطفل ، فكان نشيد (من أحب) يصدق مبادراً لرسم تلك العاطفة الكبيرة فقال شاعره :

[مجزوء الرجز]

أحبُّ أمي إنَّها كم غفرتُ لي الزللا
تحبّني وتطبّعُ على جيبني القُبلا

وذا أبي أحبُّه فهو نشيطٌ طيّبُ
في فرحٍ لشغله في كلِّ يومٍ يذهبُ

أحبُّ جدّي إنه يصحبني للنزهة
وجدتي أحبها تؤنسني بقصة

وذا أخي أحبه فهو نصيري في المحن
أحب أختي إنها تخط لي الثوب الحسن^(٣)

من الطبيعي جداً، أن يتوزع حب الفتى باتجاهات متعددة ، لكنها غالباً ماتدور حول الأسرة التي أنجبته وحينما يكبر تكبر واحة محبته الى ميادين أوسع ، حتى يغرق يوماً من الأيام في واحة صغيرة ، يحاول جاهداً الفكك منها

١. مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة ، لم يذكر شاعره : ١١

*. وللاستزاده حول موضوع أناشيد المدرسة ينظر الأناشيد التالية : انشودة الأطفال لافتتاح المدرسة للرصافي ، وانشودة ياصفي للدكتور أحمد حقي وانشودة القلم للشاعر حسين الأعظمي، وانشودة الذهاب الى المدرسة ، وانشود أخرى

٢. اصول الفكر التربوي في الاسلام ، د عباس محبوب ، دار بن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م : ٢٠٤

٣. المحفوظات الطفلية ، للدكتور أحمد حقي : ٤٢/١ - ٤٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثاني : المضمون الوجداني ﴾

إلا إنه لايقوى على الخروج سالماً مهما فعل، عندها يتجذر الحب باتجاه شبه رصين ، وتكون علاقاته محدودة جداً وحصرها مع الذين يشاطرونه الرأي ذاته ، لذا نراه يقدم الأعز فالأعز حتى وصل الى الاخوان ، وهم من يسايره في هذه الحياة ((فاذا عاش الطفل في وسط عائلي ، يحيطه بالرعاية والحب ، ويشعره بمكانته في المنزل ، ويقدم له الكثير في سبيل إسعاده ، أحس بالأمن والطمأنينة ، ونما نمواً طبيعياً))^(١) عاش به حالة الحب المستفيض لأمه وأبيه، وجده وجدته، وأخته وأخيه .

وخلاصة المبحث :

أن لهفة شعراء الطفولة في العراق شددت على ما مال له وجدانهم ، عن الوطن والمدرسة والأم والبنات والعلم والاجتهاد ، وكان حنينهم لوطنهم - رحمهم الله أجمعين - جارفاً أخذ عليهم معارج الخيال ومدارج الخلال ، فأكثرُوا من الأناشيد الوطنية التي عبّرت عن شدة ولائهم لهذا الوطن العزيز ، أما الأم فقد شاغلت أفعالها مع بناتها خواطرهم فزينوا أناشيدهم بذكرها وذكر أفعالها مع بنتها ، وعرجوا بشكل ممتع عن العلم ومايدر على النشء من فائدة تنويرية تجعلهم يسرون بثقة كبيرة الى كسب المستقبل ، عند الدخول في المدارس والتخرج فيها بنجاح محمود .

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

المبحث الثالث : المضمون الترفيهي *

لاشك بأن الترفيه جزء مهم ومؤثر، في عقلية الطفل ، ويعمل بكل قوة على إعطائه شحنة دافعة تعمل على تنشيط عوامل الشعور بالفرح وتدفعه لبلوغ مواطن الهمة ، وإحدى الأساليب الحداثوية الهامة ، التي درج العالم المتحضر على اتباعها ((لأن شعر الأطفال لا يقتصر على مخاطبة الوجدان لإثارة العواطف والانفعال ، بل هو يخاطب ايضا الأحاسيس والحواس))^(١) ، وأصل الترفيه اللغوي ((رفة رفاها ورفاهية ورفاهة : العيش لأن واتسع ورفه ترفيهاً: الشخص جعله في رفاهية ، وعن الشخص : أزال عنه الضيق))^(٢).

أما في الاصطلاح فهو: ((نوع أدبي يميل الى الفكاهة والإمتاع وإزالة الأكدار عن النفس))^(٣). لقد تتبعوا المعنى الإصطلاحي واستفادوا منه ، فامتدت دائرة الترفيه لدى شعراء الطفولة في العراق في (الضحك، المدح ، الرياضة، اللعب بأنواعه ، الإبتهاج ، الطبيعة الصامتة، الطبيعة المتحركة، العيد) وكل مايزيل عنهم الضيق ، ويزرع البهجة والمتعة والتشويق لأن ((المرح : الشعور بالنشاط والفرح الكبيرين ، والمرح: شدة الفرح والنشاط حتى يتجاوز قدره ... وهو النشاط والخفة))^(٤)، ولعل شاعرنا كان يراقب بدقة متناهية ، الحالة النفسية للتلميذ ، لذا دعاهم في (انشودة اضحك) ** قائلا:

[مشطور الرمل + الترفيل أو وزن مستحدث]

لا تَقْزُرْ يائِساً وائِسَ الذي هَمَّكَ
لا تَقْطُبْ عابِساً إِنْ حادَتْ قد غَمَّكَ ***
لا تَبالي بالقُضا إِنْ ساءَ أو سَرَّكَ
خَلِّ ما لا يَرْتجى واقنُعْ بما عندَكَ
واذا خَطَبَ دجا فاهِزاً به واضْحَكْ^(٥)

إن التفكير في اليأس حالة ممقوتة ومرفوضة من الله - جل وعلا- والمجتمع والناس أجمعين، لذا حذر الله تعالى منه قائلا ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ

*. قد يعترض أحدهم ويقول: قد نفيت في صفحات سابقة وجود أهداف ترفيهية للأناسيد المبكرة ، وأفردت هنا مبحثاً خاصاً بها ونقول: لم يكن بمقدور شواعر وشعراء العصور القديمة التفكير في الترفيه لقسوة الحياة التي يعيشونها في الصحراء القاحلة ، وعدم الاستقرار في

مكان معين بحثاً عن الماء والكأى يدعو الى القلق ، أما شعراء العصر الحديث فقد التفتوا له ، فالتفتنا كما التفتوا وخصص المبحث لإبداعهم فيه.

١. من أغاني المهدي في الكويت ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي ، الدوحة ، ١٩٨٦م : ١٣٥

٢. المعجم الوسيط : ٢٤٤

٣. السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د نعمان محمد أمين ، دارالتوقيفية للطباعة بالأزهر ، ط١ ، ١٩٧٨م : ٧

٤. لسان العرب : مادة مرح

**. قد توهم ناشرها الأول خليل طوطح سنة ١٩٢١م ، حين اعتبرها من مجزوء الرمل ، وتابعه ناشروديوان الرصافي وآثاره في النقد

والأدب ، الجزآن الثاني والثالث ، جمع وتقديم : ا د داود سلوم ، ا د عادل كتاب ، دارالجمال ، بغداد بيروت ط١ ، ٢٠١٣م : ٦٧٤

***. قد : حرف زائد على الوزن

٥. مجموعة الاناشيد المدرسية ، للشاعر الرصافي : ١٤

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

الْعَفُورُ الرَّحِيمُ))^(١) وعليه وجب على النشء ، أن يحذروا من اليأس وهم في مقتبل العمر ، ويقبلوا بروح من التفاؤل وأن ينظروا فضل الله عليهم ، وإن أظلم عليهم أمر من الأمور ، أن يهزأوا به ويضحكوا منه ، وهذه إلتفاتة رائدة من الشاعر سبقت زمنها ، لأن الأبحاث النفسية الحديثة ، أثبتت أن الضحك علاج ناجع يساعد في تخفيف حالات الكبت والحرمان ، وعليه فإن الترفيه ((مرآة صادقة للحقيقة من ناحية ، كما أنها طريق للتعبير عن الاضطرابات والمساوىء والسيئات ، ومعاييب الفرد والمجتمع من ناحية أخرى))^(٢).
إن المدح يثير النشوة في النفوس ، ويفرح الوجه العبوس ، وهو لا يتأتى إلا اذا وجدت صفات ، تساعد المادح على المدح فاما الصغار فالاجتهاد وسمو الأدب ، كلاهما يعينان على المدح ، ولهذا قال شاعرنا في (التلميذ المجتهد) قائلاً:

[مجزوء الرمل]

امدحوه امدحوه أيها الأطفال جمعا

فهو تلميذٌ مطيعٌ

كرّموه كرموه إنه للمجد يسعى

وهو في السعي رفيغ

قلّده قلّده فلقد أحسنَ صنعا

فهو ذو خلقٍ وديعٍ

وعلى الأكتافِ هيا نرفعُ السّاعي رفعا

فهو محبوبُ الجميع^(٣)

دواعي المدح لاتخرج عن قاعدة الثواب تجاه من أحسن ، فهي عامل تشجيع ، يعمل على تحفيز الممدوح لأجل تقديم المزيد ، وهو حالة نفسية شعورية ، يأتي قطف ثمارها فيما بعدها لذا كرر قوله (امدحوه امدحوه) لأن في التكرار أثرا بلاغيا ونفسيا على أذن السامع لا يتأتى في سواه ، ول يدرك إلا من خلاله معناه ، حيث إنه ((يضيف الى الموسيقى تأثيرا جديدا ذلك ، لأن تكرار كلمة معينة أو فقرة بذاتها تؤكد التأثير الصوتي ، أو تخلق التكرار في الموضوع ليتأكد معناه وموسيقاه ، وفوق ذلك يسعد الطفل أيما سعادة بهذا التكرار))^(٤) ثم طلب تكريمه ، لأن في التكريم حافزا

قويا كونه للمجد يسعى ، ثم قال قلّوده ، لأن الفعل الحسن ، يغري العارفين بتقليده وتكراره ، لأنه أحسن صنعا وذو خلق وديع ، وتمنى أن يرفعه على الأكتاف، لأنه محبوب الجميع.

ويصف الشاعر متعة الطفل في بعض الابتكارات الحديثة ، وهي الدراجة الهوائية ، في نشيد دراجتي قائلا على لسانه:

١. سورة الزمر: ٥٣

٢. السخرية ، لغتها، أشكالها ، ودوافعها، أ. د أبو القاسم راد فر، الشبكة الدولية للانترنت ٣:

٣. المحفوظات الطفلية، الدكتور أحمد حقي الحلي: ١/ ٣٠ - ٣١

٤. ادب الاطفال، د علي الحديدي: ٢٩١

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

[مجزوء الرجز]

دراجتي البديعةً بسيرها سريعةً
أركبها متى أشاء مريحةً وديعةً

تسيرُ في البطاحِ بسرعةِ الرياحِ
وتارةً في مهلٍ تسيرُ بارتياحِ

متقنةً ومحكمةً معلومةً مرقمةً
تسرّني في نزهتي دراجتي المفخمةً^(١)

روح الفكاهة التي بثت في هذا النشيد ، تكاد تتسابق ودوران عجلات هذه الدراجة ، وسرعة مفرداتها ووضوحها زاد قبولها ، والتمتع بها ، فخفة جمال المفردات ، قام بشرحها، مما يؤكد خصوصية النظم في شعرا الأطفال، في مثل هذه الروحية ، المفعمّة بالترفيه وجلب المتعة لأن الترفيه ((استعداد فطري في الإنسان لا يكتسبه بالتجربة، وهوانفعال انساني خاص يتميز به عن بقية الكائنات))^(٢)، فاللعب في الدراجة، رياضة للروح والبدن ، تمنحه المتعة والصحة. ما أروع التفاتة المبدعين ، حينما ترسم بريش عبقريتها ، صورة نابضة في الحياة ، فريشة ابداع شاعر نشيد (المعمار الصغير) أشد دقة من ناظره ، فحينما أبصر المعمار ، وجده أهلا للتخليد، فخصه مصورا حاله ، وهو بعد صغير العهد في ابداعه ، وفي ترتيب قطعه الخشبية ، بنشيد خلد ذكرهما معا فيه فقال :

[مجزوء الرجز]

لي قطع من خشبٍ ألهو بها في اللعبِ
أبني لكم داراً بها حاويةً كلَّ البها
أصقُّها فتتنظّم ثمَّ جميعاً تنهدمُ
فاعترفوا لي بالفطنُ ألسْتُ معماراً أذنْ ؟
فانظُرْ لما أوُسُّ إنّي أنا المهندسُ
جميعُ أهلِ حارتي تعجبهم مهارتي^(٣)

سعى الشاعر جاهدا ، في أن يضيف لمحة شعرية ممتعة، خص بها المهارة المبكرة التي تظهر لدى بعض الأطفال نتيجة الفطنة المختلفة بين فرد وآخر، فتأمل بعض الأطفال في الأشكال الهندسية ، وتقليدها ، يعد حالة متقدمة لذكاء ذلك الطفل ، من دون أقرانه ، في ترتيب لعبته بشكل جميل ومنتظم ، وهذا النشيد من أروع ما نسجته

عبقرية الرصافي في جميع ماكتب للأطفال ، ولأزال حيا ، والسبب في ذلك بساطة العرض وسلاسة نظم المفردات وجمالية الفكرة ، والقصدية المتقنة ، وقصر الوزن ساهمت جميعا في استمرار النشيد وديموته لثمان وثمانين سنة. فالشاعر يقترب من روح الترفيه ، لبيان ما سيكون للصغار في المستقبل، اذا ما أحسنوا الذكاء في الفعل الأجمل. لازالت الألعاب الشغل الشاغل للأطفال ، في كل العالم ، فقد وجدوا أنفسهم في ميدان اللعب ، ونشيد اللعبة مرآة

١. المحفوظات الطفلية ، الدكتور أحمد حقي الحلي : ١/ ١٢ - ١٣

٢. السخرية في الأدب : ١

٣- الأناشيد المدرسية ، للرصافي : ٢/ ٦

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

هادفة صوّرت ذلك ببسر وسهولة ، على لسان طفل صغير ، فقال :

[مجزوء الرجز]

بالعبتي	ياسلوتي	لأنت لي نعم السّمير
هيا انهضي مسرعة	لتلبسي ثوب الحرير	
بالعبتي	محبوبتي	نامي على هذا السرير
له صديق عجباً	قطّ لطيف وصغير	
فيلعبان دائماً	مالهما قطّ نظير ^(١)	

من شدة التعلق بها أولاً وثانياً هم حديثو عهد في الحياة ، فلا يتصورون أن ما صنع على هيئة حيوان ، أو أي شيء آخر ، صامت لا يتكلم لذا يجدون لذة في محاورته عله يرد عليهم ، كي يلعبوا معه .

روح الطفولة لامست أبيات شاعر هذا النشيد ، لأن اللعب جزء من كيانه الغض لذا قال :

[مجزوء الرجز]

فلنلعب	فلنلعب	ونغني الأغاني *
ولنرقص	ولنطرب	بلا ** تواني
فلننصب	القمامات	ولنسرع الخطوات
ولنمشي	للامام	طراً بنظام *** ^(٢)

دعوة للعب ، والتغني للفرح ، والرقص والطرب الطفولي البريء ، لأن فيها تتكامل صورة البهجة ، وترسم البسمة على شفاة البراءة وتتورد الخدود بندى السرور، في يوم بهيج .

لازالت أناشيد الشعراء تنقلنا من لعبة الى أخرى لعبة مبتكرة ، كي تمد الترفيه بتنوع أنيق وبلغظ رشيق ، يلتبس فيه المتلقي متعة وراحة وعلى هذه التريدة المفعمة بالحب واللعب ، جاء نشيد لعبة الربيع ، ليلعب الأطفال بها لذا أحببنا أن نعرفها مع الصغار فقال شاعرها:

[المجتث]

اقطف من الروض ورداً	وأعط أختي سنيّة
انظر إليها تهادث	بحلّة نرجسيّة

ياحسن ثوب لأختي	مطرز بالأزاهر
بالأقحوان	موشى وللرياحين

١. المحفوظات الطفلية ، للشاعر الدكتور احمد حقي : ٢٠ - ٢١

- * هذه الأثشودة على شدة قصرها إلا أنها مختلة الأوزان ، فعجز البيت الأول كانت التفعيلة الأولى متفاعلٌ والثانية فعولن لذا فالأولى من الكامل والثانية أصلها للمتقارب ، وعليه فهو على أوزان غريبة ومختلفة .
- ** - لم يكتمل الوزن العروضي بهذه الهيئة ، والأصح أن يقول (بلا بلا تواني)
- *** - كذلك في عجز هذا البيت لم يكتمل الوزن ، والأصح أن يقول (طرا وبانتظام)
٢. الاناشيد المدرسية ، للشاعر معروف الرصافي : ١٩/٢

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

واهتف لها بسرورٍ لتحى * هذي الأميرة^(١)

صور الشاعر فرحه في الربيع ، ومايبعثه هذا الفصل في نفوس البشرية ، من بهجة وسرور ، وابتكار هذه اللعبة دغدغ بوساطتها فرح الأطفال فيه ، حين يشكلون حلقة دائرية ، وفي يد كل واحد منهم وردة ، ثم يدورون حول هذه الطفلة الجميلة ، تعبيرا منهم عن الإبتهاج والترفيه والمرح لأن الرؤية الترفيهية ، تتسع لكل المضامين الهادفة في الحياة .

وللعيد أتركب على الأطفال ، فهم يترقبون قدومه بشغف كبير ، وشاعرنشيد العيد تحسس تلك اللهفة قائلاً:

غدا العيدُ صباحاً فبه يفرح قلبي
للأراجيح أروح مع إخواني وصحبي
وسأقضي كلَّ يوم * في زيارتٍ ولعبٍ
سوف تأتيني الهدايا وبها أملأ جيبِي
وسأهدي الفقراء بعض ما يمنح ربِّي
هم أعزائي حقاً فلهم عطفي وحبي^(٢)

فرحة العيد ، تتكامل بقاء الأصدقاء والأهل والأحباب ، فضلاً عن ملئ الجيوب ، في هدايا هذا عطايا ذاك فكيف يكون الأمر؟ وقد برزت الألوان الزاهية ، برّاقة لمّاعة ، لسان بهجتها يقول، أنا أول مرة يلبسني هذا الفتى أو تلك الفتاة وتتعالى بينهم الضحكات .

التلذذ بمحاورة الطبيعة المتحركة ، وما تحمله من روائع ، تكرمّ الرحمن في ايجادها لخلقها، هواستشعار الألفة مع الطبيعة ومعاشرة الأنس معها ، والشعور بالحياة النابضة ، فتنتقل به الى ((الحياة الواقعية وتحمله بعيدا عن مشاكله وآلامه ، ويجد في حبه لها وحبها له مايسليه عن آلامه الأخرى))^(٣)، ويبعث به الى حالة النشوة والارتياح من جديد فيتجدد نشاطه .

في نشيد غزالي نجد أن المحاورة ، تتم عن الود والمحبة ، وحين يقرؤها الطفل ، تنتقل روحه وعقله قرب الغزال فتراه يهّم بمناداته قائلاً:

غزالي الجميل أليف التلال
فحسنك عندي مثال الجمال
[مشطور المتقارب]

تبيت وترعى بجنب الغدير
وتأكل عشباً طرياً نضيراً

* - والصحيح (لتحيا)

١. المحفوظات الطفلية ، للشاعر الدكتور احمد حقي: ٣٠/٢ - ٣١

** - أشك ان هفوة وقعت في كلمة يوم والأصح ان يقول يومي بدليل قوله سأقضي

٢. المحفوظات الطفلية : ٢٠ - ٢١

٣. وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، حياة جاسم ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية ، بغداد، ١٩٧٢م: ٢٢١

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

أراك نفوراً تحبُّ القفار
تعال إليّ لماذا النفار
غزالي غزالي مثال الجمال^(١)

شكل الغزال وما عليه من حسن الجمال ، مثار أعجاب الصغار والكبار ، فكيف اذا رآه وهو يقفز بخفة وسرعة فوق التلال ، سريع الالتفات ، حذر من المفترسات ، كثير النفور سيشتد اليه ، لأن الطبيعة بشقيها الصامته والمتحركة مصدر إلهام للشعراء ، على مدى العصور وهي كما هي لم ((تتغير ولكن تأملات الشعراء فيها ، هي التي تتغير تبعاً لإحساسهم ومشاعرهم))^(٢) ، التي أخذت من روائعها غذاء روحياً ، يغير صفحات الألم ويكتب فوقها نفحات الهمم . للحيوانات الأليفة ود في قلوب الناس ، لذا التفت شاعر نشيد (قطتي البيضاء) لهذه الرؤية قائلاً :

قطتي كالثلج بيضا ولها شكل جميل
شعرها الناعم حلو وكثيف و طويل
معها ألعب دوماً فهي لي نعم الخليل
قطتي البيضاء حسناً مالها قط مثيل

كلما الصبح تجلّى جاءت القطّة جنبي
نبّهتني من منامي بدعابات ولعب^(٣)

وصف الحيوانات الأليفة متعة الشاعر ، ولذة المتلقي الناظر ، لأن هناك علاقة ود وحميمية مرتبطة ما بين الطرفين معا ، وتجسرت هذه العلاقة من خلال المعاشاة المستمرة والمداعبة أحيانا ، ومن هذا يولد التلذذ ، الذي غايته بث المتعة في ذائقة الطفل ، وجعله يعيش معها كأنه يراها ويلعب معها ، فالطفل يحب الحيوانات الصغيرة ، ويجد لذة في التحوار معها أو مداعبتها ، والقطط تعيش في البيوت ، وهي الأقرب والأحب الى مرحهم ومتعتهم .

لم نعرف طوال حياتنا ، أن هناك ديكاً فصيحاً ، وآخر غير فصيح ، ولكن حاجة الشاعر للتصريح دعتة ليكتب نشيد الديك الفصيح قائلاً :

[مجزوء الرمل]

كان لي ديكٌ فصيحٌ إن بدا الصبحُ يصيحُ
قوقو ريقو قوقو ريقو* أيها الناس أفيقوا

قد كفى هذا المنام فلقد حان القيام
والى الأعمال هيا بنشاط وانتظام

١. المحفوظات الطفلية ، للشاعر الدكتور احمد حقي : ١٤ - ١٥
 ٢. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو، ترجمة محمد ابراهيم الشوش ، بيروت منشورات مكتبة منبينة ، ١٩٦١م : ٢٤٥
 ٣. المحفوظات الطفلية، للشاعر الدكتور احمد حقي : ١ / ٣٦
- *. لم يوفق الشاعر في جعل هذه العبارة موائمة مع الوزن، بل أمسك منها القافية وحدها، وهذا وحده لا يكفي والأصح أن يقول
(قو وقو قو ، قو وقو قو) لتتحقق قلقة الصوت المحبوب ، واستقامة الوزن العروضي وهو (فاعلاتن فاعلاتن) ولا يستقيم الأمر
إن حسبت على إنها فعل أمر (قُؤ) لأنها وصف لأحد الأصوات.

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

﴿ ١١٧ ﴾

طلعَ الفجرُ ولاخَ وبدا حسنُ الصباحِ
فاسعَ يا تلميذُ دوماً إنَّ في السعي النجاحِ
قوقوريقو قوقوريقو أيها الناسُ أفيقوا (١)

إنَّ للرياضة متعة في قلوب النشء ، وحين يرون الكرة ، تكاد قلوبهم تطير معها ، اذا طارت من ضربة سريعة
لذا خصها أحد الشعراء في هذه الانشودة ، وبَيَّن محاسنها المهمة قائلاً:

سيروا بلا غضاضةً لنربحَ الرياضةُ
ففيها نلقى حقاً فوائداً كليّةً

شدّوا لها الرحالا واستقبلوا الاشغالا
من غرفِ المنام والسريرِ العليّة

نزفُ هذي الطابة * الى ليوِثِ الغابةِ
انْ حافظوا عليها فهم أولو الحميّة

نزفُها في السهلِ للصحبِ بل للأهلِ
هيا اسرعوا اليها بهمةٍ عُرْبِيَّة (٢)

الغضاضة هي العيب او المذلة ، لذا نهاهم الشاعر عن التردد ، ودعاهم أن يسيروا من دون تردد ولا عيب لنربح
الرياضة لأنها تروض الجسم ، وبها فوائد عديدة ، لذا شدوا لبلوغها الرحالا ، واستقبلوا كافة الاشغال من أجلها
بسرعة وبهمة عربية ، بدء من غرف النوم وانتهاء بساحات اللعب ، فهي بلا شك إحدى وسائل الترفيه ، والمتعة
التي لاتضاهيها متعة لدى الصغار والشباب ، فضلاً عن كونها تعمل ، على تنشيط الجسد والفكر والذوق الرفيع
وبممارستها يتعلم النشء مكارم الأخلاق ، وحسن السلوك في التعامل مع الآخرين وتجاوز أخطاء الخصم اللاإرادية.

وقد نجد المرح والبهجة في تعلم مهارة فن السباحة ، في نشيد (هيا الى السبح كما تسبح البطة)، قائلاً:

وفي الحقلِ لنا بطّة تهزُّ الذيلَ إن سارتْ
جناحها قويان تباري الريحَ إن طارتْ

[الهزج]

ورجلها مجاذيفُ إذا تسبحُ في النهرِ *
تصيدُ السمكَ الحيَّ ** ودوماً خلفه تجري

١. المحفوظات الطفلية : ٣٤/١ - ٣٥

*. عنى بـ (الطابة) في اللهجة العامية : كرة القدم

٢. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢٧/٢ - ٢٨، لم يذكر شاعره

*. أخطأ الشاعر في عجز هذا البيت عروضيا والأصح أن يقول (إذا عامت لدى النهر) ليتوافق ذلك مع تفعيله الهزج مفاعيلن

** - تكرر خطأ الشاعر في صدر هذا البيت عروضيا والأصح أن يقول (وصادتُ حيَّ أسماكٍ) أو (وقد صادتُ لأسماكٍ) وكلاهما يوافق الوزن ويتمشى معه

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

لها ريشٌ حريريٌّ جميلُ اللونِ للرأي
وهذا الريشُ مدهونٌ فلا يبتلُ في الماءِ

فقولوا أيها الصبُّ ليحي السبحُ في الشطِّ
الى السبحِ الى السبحِ بهذا الماءِ كالبطِّ (١)

دواعي فخرنا تتجدد في شعرائنا ، كونهم قدموا للنشء ، قصائد غاية في التبسيط والنفع ، حتى تكاد أبياتها تشرح نفسها ، حال ورودها على مسمع الطفل ، فيتفاعل معها ، وتتجدد رغبته في قراءتها والتمتع بها ، ومنها هذه الأنشودة المحببة والممتعة ، التي صاغها بشكل جميل ، كي تنتقل رغبة الطفل في تعلم فن السباحة ، الى حيز الممارسة الفعلية لأن المخاطب مقيم على شاطئ النهر ولم ينزل اليه ، وبقيت أشواقه وحدها هي التي تسبح مع البط لأن رغبته في تقليد الطيور ، في السبح وإنشاد الأصوات التي يطلقها الطير ، لم تقف عند حد معين فكيف به وهو يرى على الشاشة يوميا آلاف الطيور ، التي تمارس السباحة في الأنهار والبحار ؟.

وابتكرت مخيلة شعرائنا الكبار ، قصصا شعرية سعوا بوساطتها ، الى رصد كل دواعي الحكمة والعبرة ، وعدم التهور ، ثم الضحك لحنكة المكيدة ، التي دبرها الفئران ضد القط ، في نشيد الهر والفيران ، بإسلوب قصصي ممتع قائلا :

[الرجز]

قد استبدَّ الهرُّ بالبيوتِ	اذ منعَ الفأرَ اختلاسَ القوتِ
فهاجتِ الفيرانُ جوعاً وعطشٌ	ومن حظى بخبزةٍ قد انتعشٌ
فاجتمعت يوماً بوسطِ الناديِ	من غير جاسوسٍ ولا معادي
فقال شيخٌ لهم ياقومي	الى متى بقاؤنا في الضيمِ؟
فانني أرشدكم سبيلا	لعيشةٍ طيبةٍ كفيلا
من يأتي منكم بلحمٍ وإبر	فذاك شهْمٌ وهو فينا مُعتبرٌ
فجاءه صغيرهم بما طلب	لكي يذيقوا الهرَّ أنواعَ العطبِ
وقدماها في طريقِ الهرِّ	حتى رآها الهرُّ في الممرِ
فظنها كأكلةٍ غريبةٍ	وهي لعمرى حيلةٌ عجيبةٌ

بليّة داهية مصيبة قد أعقبته موتة كئيبة
لما أتوه قطعوه إربا فانظرألى المغترّكيف انغلبا!
إنّ القويّ يغلبُ الضعيفا فاجتهدا ولا تكن نحيفا (٢) *

١. المحفوظات الطفلية ، للشاعر الدكتور احمد حقي : ٣٢/٢ - ٣٣

٢. مجلة التلميذ العراقي، للشاعر الدكتور مصطفى جواد ، العدد: ٢٢ في ١٩٢٣م: ٣٤٧، وقيل انه استلها من قصص لافونتين ، ولم نتأكد من ذلك .

*. قد أخطأت الباحثة أنعام عباس ، حينما أيدت الباحث جعفرصادق من دون أي دليل عندما نقلت في رسالتها الطفولة في الشعرالعربي الحديث: ٣٩ قوله ((من ان د مصطفى جواد له فضل السبق في كتابة الحكاية المنظومة، وقد سبق الرصافي)) وهذه قراءة خاطئة=

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

عمد الشاعر الى تشكيل الصورة الكلية للقصة ، عبر استدعاء عناصرالبناء الدرامي مستفيدا من المونولوج الداخلي والسرد القصصي الذي ألبسه طابع التشويق والمفاجأة ((وذلك لتمثيل الصراع والحركة فهما جوهر الدراما))^(١) بواسطة تحريك الأحداث ، والاستفادة من عامل الزمن ، للفوز بالمكيدة المدبرة ، حتى وصلت الأحداث الى الذروة في أكل ذلك الهر للطعم المملوء بالأبر، عندها بدأ الحدث النازل في الوصول الى النهاية ، وخلصتها أن الضعيف يجب أن لا يُحتقر لضعفه ، وأن القوي يجب أن لا يغتر بقوته ، لأنه سوف يحتاج في يوم من الأيام الى الضعيف ليعينه على بلواه ، لعدم دوام القوي في قوته ولا دوام الضعيف في ضعفه ، كحال الهر الذي استقوى على الفئران بقوته وحجمه قياسا لها ، فرموها له في الطريق حتى اذا ما رآها انقض عليها بشراهة ، وابتلعها مع الأبر التي فيها ، لذا عمدت الى تمزيق بلعومه ، بعدما اقتنص الفئران له في مكان خلصة ليروا من بعيد ماذا سيجري له ، بعد أن وقع في الفخ الذي نصب له ، وأدى الى موته بعد ذلك .

أما انشودة التشوق للحرية فقد جمع بها شاعرها آمانيات بعيدة ، قائلا .:

[مجزوء الرمل]

ليتني كنتُ هزاراً طائراً بين الجنانِ
فوق غصنِ الوردِ أشدو بأناشيدِ الزمانِ

إنّ قلبي ليس يهوى غيرَ أزهارِ الرياضِ
بالمباني ليس يرضى وبسكنِ الروضِ راضٍ^(٢)

إنها الأمنيات العابرات ، الى حدود الأفق الواسع ، شوقا الى الحرية ، في الجنان العلية ، كي يكون بينها هزارا شاديا وفي النعيم راضيا لأنه أحب حرية الحياة ، والروض الأنيق ، وأصبح الفضاء جزء من بيته الرشيق ، الذي تتخلله أنفاس الحريق ، لتطيب سكناه فيه .

الإبتهاج أحد معالم الترفيه وهو ذروته لأنه السرور والفرح، ودوام فرح الطيور في قدوم الصباح ، الذي أراده شاعر

= تعاكس الحقيقة، فقد نظمها الرصافي سنة ١٩٢٠م ونظمها الدكتور مصطفى جواد سنة ١٩٢٣م ، وعدم التدقيق في سنة التأليف ، سُنّة اتبعتها الباحثة في كل رسالتها ولم تعرها أي أهمية، حالها حال غيرها من الباحثين الذين لايعتمدون الدقة في ايراد المعلومة في رسائلهم وهذا ينسحب سلبا على من يأتي بعدهم ، لذا فان سنة التأليف عمود الفجر لكل فضل وسابقة ولو توسعنا مع الباحثة الفاضلة في كل ما خبطت به خبط عشواء ، لم يبق من رسالتها سوى العنوان، الذي استعارته نصّا من كتاب الدكتور ابراهيم محمد صبيح (الطفولة في الشعر العربي الحديث) ولم نر في كل رسالتها، أنها أخرجت مجموعة واحدة خاصة في شعر الأطفال، وما أكثرها على رفوف دارالكتب والوثائق في بغداد،

التي ظلت تنادي صارخة بوجه كل من جاء وراح ، طالبة النجدة من أكوام الغباروالأتربة التي أثقلت صدر كرامتها! مع غاية توقيرنا واحترامنا الكبير للباحثة الفاضلة، لأن الإشارة إليها يغري التتبع وعدم التسرع لغيرها، ورب قائل كريم يقول:لاتبخرس جهود الناس وتغمرط حقهم فلهم فضل السبق وهم السراج الوضاء لمن جاء بعدهم، وله أقول شاكرًا، بلى والله ليس هذا من ديني ولامرعلى يقيني لكن كما تطلب مني الأمانة العلمية في أكون دقيقًا في تثبيت أية معلومة في رسالتي،لذا أحيل ذلك لأخواتي وإخوتي، من باب الشك لمن ذكرني بعيوبي هذا أولاً وثانياً : لهم فضل السبق في إيصال المعلومة الصحيحة إلينا وليس الخاطئة، وهم السراج الوضاء في نقل الحقيقة

١. الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨م حتى عام ١٩٥٧م، د صالح أبو أصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م : ٧٧

٢. أناشيد وأدبيات الفتاة ، للشاعر حسين الأعظمي : ٥٤ - ٥٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾ ﴿ ١٢٠ ﴾

(نشيد الصباح) همسة مريحة في أذن طفل عابس الوجه ، ليحاكي فرح الطير ويعمل على تغيير حاله مثله ويعيش الفرح قائلاً :

[منهوك الرجز]

الطيرُ	غنى	والغصنُ	مالُ
والشمسُ	لاحثٌ	فوقَ	التلالِ
فقمُ	نغني	جاءَ	الصباحُ

فوقَ	الزهورِ	الندى	يلوخُ
فشمُ	منها	عطرًا	يفوخُ
فالقلبُ	أضحى	رهنَ	ارتياخُ

والزهرُ	غافٍ	على	الغصونُ
قد	داعبته	الريحُ	الحنونُ
والوردُ	طيباً	بالعطرِ	فاخُ (١)

استبشار الطير في الصباح ، فرحة عارمة ، فهو يعبر عنها تارة عبرالتغريد والزقزقة ، وتارة عبر الرفرفة والتحليق وأخرى عبر جمع القش وبناء الأعشاش ، فالطير دائم الحركة والعمل يخرج خصافا ويرجع مبطانا، وهو يومىء الى الانسان، أن اعمل مثلي، فانا لولا عملي لحاصر الجوع بدني، وأمات أفرaxي، فانهض صباحاوالشمس مشرقة ، تجده كل الخير بانتظارك ، واعمَل لتلقى أفرحك وسرورك مع العطر الذي فاح ويفوح الى جانبك ومن حولك .

هديل الحمام أضفى على انشودة الحمام مسحة جمالية ، تتاغم مفرداتها رونق الحياة ونسائم الفرحة ، حينما قال :

[منهوك الرجز]

نحن حمامُ البستانِ	لنا الرياضُ الأوطانُ
نلعبُ فوق الأغصانِ	نشدو بقلبِ فرحانِ
كوكوتي كوكوتي كوكوتي	

نحن الحمامُ القمري	نطيرُ وقتَ الفجرِ
فوق الرياضِ الزهرِ	نشدو بقلبِ حرّ
كررر كررر كررر (٢)	

للحمام هديل جميل ، يؤنس به سامعيه، وهو أحد معالم الرياض والبساتين ، التي من دونه مع الطيور الأخرى ينعدم معناها بل ويغيم ضحاها، ولا يمكن أن نتصور بستانا ، أو روضة قد خلت من الطير، والحمام القمري، كيف تصبح حالها؟ لأن الطيور هي التي تضيء عليها سعادة وجمالا، لهذا عبّر الشاعر عن رؤيته الترفيحية ، بنقل ابتهاج الطير، بتقليد صوت هديل الحمام، وكتابة مجموعة من الحروف في(كوكوتي) عله يعمل على تقريب ما يعني ذلك

١. المحفوظات الطفلية ، الدكتور احمد حقي : ٣٦ - ٣٧

٢. المصدر نفسه : ٢٢ - ٢٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيحي ﴾

الصوت من معنى الى أذهانهم ، وإن كان تقريبياً ، وهذا يفسر لنا عمق التفاعل مع الطبيعة ، وتحسس معانيها الخالدة، فكم من طفل سمع هذا الهديل وعمل على تقليده مستأنسا به ، بل ويشعر في سرور شديد في هذه المحاكاة وهذا ما أراد الشاعر إيصاله الى النشء .

قد وقف الشاعر طويلا أمام الروض في أنشودة الزهرة مبتهجا به ، لا لنفسه ، بل يدعو الأحبة الصغار ليبتهجوا به كي يزيلوا ما علق بأنفسهم من حشرات عابرة قائلا :

زهره الروض جميلة	حسنها يشفي العقول	[مجزوء الرمل]
ثوبها ثوب لطيف	ولها تاج جميل	
فهي فوق الغصن تزهر	ولها الغصن يقول	
قد فتنت الناس زهواً	فارتدوا ثوب الذهول	
لست ترضين مقراً	غير أغصان الحقول	
مالها في الحسن ثان	اذ بها الحزن يزول	
ولها البلبل يشدو	بأناشيد الفصول ... (١)	

فجمال الزهرة وحسنها يشفي العقول ، وهذه استعارة ممتعة ، ادخل اثر الجمال والحسن يفعل فعل الدواء في البدن وشبه أوراقها بالثوب اللطيف لعلاقة الاحتواء ، وتاجها كان جميلا ، وهي تخلص أي تفتن العقول بحسنها ولها القلب يميل حينما تكون فوق الغصن زاهية ، وقد فتنت الناس بزهرها اليانع ، فارتدوا ثوب الذهول ، وهذه من الاستعارات الرائعة المتقدمة، اذ استعار للذهول ثوبا ترتديه الناس لشدة فتونهم بها ، وأنها لاترضى أن يكون مقرها غير أغصان الحقول، ولم يكن لحسنها ثان في مخلوقات الزهور، فهي تزيل حزن المحزون إن أقبل عليها بروحية المتأمل في إعجازخلق الله ، وتفرده - جل وعلا - بكل مذهب ومثير، والبلبل من شدة ولعه بحسنها فهو يشدو لها كل الفصول .

إن من المهم جدا كيف يلتقط الأديب تلك المفردة ، التي تثير في نفوسهم البهجة والانشراح ، وتؤسرلديهم المهجة بالارتياح؟ تلك هي المهمة الصعبة التي تنوء بحمل ثقلها الافئدة ، لأن ((أدب الاطفال أقوى سبيل يعرف به الاطفال الحياة ، بأبعادها الماضية والحاضرة وحتى المستقبلية)) (٢) وبذلك تبني الخبرة لديهم .

إن مجرد ذكر اسم الربيع ، فهو يثير الفرح والسرور، في النفوس والمتعة في القلوب، ولدى جميع الشعوب ، لهذا تأمل أحد الشعراء فيه في (انشودة الربيع) فقال مبتهجا، عله ينقل معه روحية الصغار، ليعشوا الفرح ويشربوا السرور من شم ثغر الزهور ويعيشوا فرح الربيع بعد أن لاحت بوادر قدومه قائلا :

١. أناشيد وأدبيات الفتاة ، للشاعر حسين علي الأعظمي : ٥٩

٢. ادب الاطفال ، د علي الحديدي ، مقدمة ط٢ ، ١٩٧٦م

*. أدغم الشاعر ألف كلمة عليها مع كلمة تا من تاج التي تليها لتكون لديه (متعلن) والأصح عدم الإدغام لخلوها من الضرورة وربما هنا جرى تصحيف لكلمة علاها أصلاً

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾

ما أحلى أوقات الربيع وزهره الزاهي البديع

فيها سرورٌ للجميع أهلاً وسهلاً بالربيع^(١)

وما حسناء الربيع ؟ إنها البهجة والفرح المنبعث من الزهور ، فقد شبهها بالحسناء التي تمشي أي استعار لها هيئة ذات قامة فأخذت تمشي بين الأنوار ، وتاجها البديع من الأزهار لأن وقته وزهوره ، فيها سعادة الجميع ، وراحة أنفسهم ، وتنتقل الشعراء في الموضوعات دليل على أن لهم رؤية ذات عمق ترفيهي ، وقصدية متوازنة في بث روح المرح لدى النشء ، كي يقبلوا على الحياة بروح واعية ومنفتحة ، تتخللها البسمة وتميل بروعة شذاها النسمة . وللشعراء نظرات متأملة ، في الزوايا الخفية من الطبيعة الخلابة ، لهذا تغنن الشاعر في نشيد (قطرة الندى) قائلاً :

[مجزوء الرجز]

يا قطرةً تلاً لأت فوق الزهور الناضرة
رقيقةً جميلة فاتنةً وساحرةً

في العشب تبدين إذا ما الصبحُ لاح وابتسم
لؤلؤةً تألقت في شكلك الحسن ارتسم

أما إذا الليل أتى فأنت بدرٌ في السما
براقةً لماعةً تفاخرين الأنجما^(٢)

توزع السحر المبهر ، في مخلوقات الله ، ومن بينها قطرات الندى ، التي تخلص اللب صباحاً ، وقد تكورت هادئة فوق أوراق الشجر واستحبت الزهور ، كأنها حطت رحالها قرب الورود ، بعدما أنست لطيب شذاها المنبعث من ثغرها ، المفعم بالأريج ، فالحسن والجمال قد مد صفحة وشاحه البهيج لتعتليها ، كي تسطع لماعة كالنجوم ، إذا الليل أرحى سدوله .

حين يقدم الربيع فلا صوت يعلو ، فوق صوت حسنه ، ولسان الفضاء بكل بهجة يقول :

[المجتث]

جاء الربيعُ فغنّ كما تغني الطيورُ
فالعصنُ مالَ رطيباً قد ضاحكته الزهورُ
والأرضُ بالعشبِ خضرا يبدو عليها الحبورُ
والريحُ هبّت وفيها من الرياضِ عطورُ
فأنشقتنا عبيراً فطاب ذاك العبيرُ

فللطيور غناء وللسواقي خريز
أنت الربيع جميل بك الهنا والسرو
هيا نغني جميعاً كما تغني الطيور (٣)

١- الأناشيد المدرسية ، لم يذكر شاعره : ٢ / ٢٠

٢- المحفوظات الطفلية ، للدكتور احمد حقي : ١٣ / ٢

٣- المصدر نفسه : ٢٤ - ٢٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الثالث : المضمون الترفيهي ﴾ ١٢٣ ﴿

حينما تلخع الأشجار أوراق ردها، بعد عام من ارتدائه ، تستقبل الربيع بنشوة الحياة واللهفة يحثها الأشتياق ، وتدفع همتها الأشواق ليوم جديد وعهد فريد ، تتجدد فيه الأوراق ، وتكتحل فيه الأحداق ، وتستقبل الأغصان اخضراراً يسحر بروعته الناظرين ، ويلهم بمتعته الملهمين ، والروض يلبس ثوب الحياة من جديد ، ويرمي فوق مانتاثر، من أوراقه اليابسات كل لوعة عاشها، من عطش أو قلة في الغذاء فيفتح الروض ذراعيه ، ويستقبل الربيع بعينييه ويهتزان طرباً لنقاء الفضاء وشاكراً لرعاية السماء للخلق في هذا الفصل .

ليس ألد على الروح من نشيد الروضة ، فهو يعطيها زاداً تشم في أريحته الحياة قائلاً :

اقطف زهوراً جميلةً من بين تلك الخميّة
انظر تجدها بليّة عند الصباح المذهب
دعنا الى الروض نذهب نشدو هناك ونلعب

هذي الرياض البدية في الحسن حلت رفيعة
قد ألبستها الطبيعة ثوباً جميلاً محبب

دعنا الى الروض نذهب نشدو هناك ونلعب
هيا نغني ونهنا أما ترى الطير غنى ؟
هل عاد أطرب منا طير على الغصن يطرب ؟ (١)

ولاشك أن المنشد اذا أنشد ، هذا النشيد في الروضة ، مالت معه الأغصان ، واهتز الورد والريحان ، حتى العشب الذي طول قامته لايعيه ، فهو يأنس في رنينه ، ويميل الى حنينه ، وترى الزهور تبعث من عيونها قبلة الأريج وترميها في الروض البهيج، أما حفيف الشجر فهو يعزف لحن السرور، ويتركه يتهادى بين الأغصان والشغور، كترنم الوتر بين أوراق الشجر.

وخلاصة هذا المبحث: أن أناشيد شعراء الطفولة العراق ، توزعت على محاربة اليأس وبذل المدح للمجدين وذوي الفطن، ثم دعوهم الى ممارسة الألعاب المسلية، وممارسة الرياضة والسباحة ، لزرع حالة الترفيه والمتعة وأرشدوهم الى التتره في الرياض النظرة كي يؤنسهم الطيب ، ويرمي شذا الأريج على أنفاسهم ، من روائع أثره ، ايام العيد

والراحة ، وشاغلوا ذائقتهم بمشاهدة الطيور والغزلان والقطط والبط ، ومداعبة اللعب مع الدمى ، وعطفوا بعض أناشيدهم الى التمتع في المخترعات الحديثة ، والإقبال على الزهور أيام اطلالة الربيع ، والتغني بمفاتيح جماله المستحسن لدى الجميع.

١. المحفوظات الطفلية، للشاعر الدكتور احمد حقي : ٢ / ٣٤ - ٣٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع : المضمون التعليمي ﴾ (١٢٤)

المبحث الرابع : المضمون التعليمي :

ولد الشعر التعليمي في اليونان في القرن الثامن ق. م ، وتحديدًا على يد شاعرهم (هسيود)^(١) الذي نظم فيه البطولات التي عالجتها الحياة اليومية ، وجاء بعدهم الرومان ، فتلقفوه وأبدعوا فيه ، كما فعل فرجيل في مطولته الزراعيات التي نظمها سنة ٢٨ ق. م ^(٢). ثم أخذ ينمو من قرن الى آخر ، فمرة ترتفع رايته، وأخرى ترتفع راية النثر من دونه .

أما العرب فقد عرفه لسان حكمتهم ، وما اكتنزوه من مبادئ سامية ، وبرز كبار شعرائهم لينقلوا تلك الحكم على السنة إبداعهم شعرا يترنمون به، فيهتز له الوعاة شوقا، ويزداد الطغاة به حنقا، وقد جرى خاطرهم بذلك من دون أن يكون لهم اتصال أيام جاهليتهم بالأغريق أو الرومان ، لهذا لم يكن مصطلح الشعر التعليمي معروفا لديهم معرفتنا به اليوم ، بل زينوا حسان قصائدهم به فأثروه إثرة الود في التلاقي ، وأجروه مجرى العذب في السواقي بوساطة وجود التضاد في عدد من المصطلحات الشائعة لديهم آنذاك مثل الخير والشر والسلم والحرب والظلم والعدل والجود والبخل والفحش والعفاف ، والشجاعة والجبن والصدق والكذب الى غير ذلك ، وبدا هذا واضحا عند الشاعر طرفة بن العبد إذ يقول:

والأثم داءٌ ليس يُرجى برؤه والبرُّ برءٌ ليس فيه مُعْطَبٌ
والصدقُ يألُفه اللبيبُ المرتجى والكذبُ يألُفه الدنيُّ الأخيبُ ^(٣)
وعند الشاعر عنترة بن شداد إذ يقول :

إذا كذبَ البرقُ اللموغُ لشائمٍ فبرقُ حسامي صادقٌ غيرُ كاذبٍ ^(٤)

وكان الشعر السياسي من مرتكزات الشعر التعليمي ، لدى شعراء الأحزاب ^(٥)، الذي شاع في العصر الاموي فكل شاعر ينحاز للفئة التي ينتمي لها، وما أن يقول هذا الشاعر أبياتا أو قصيدة، ينتصرفيها للمجموعة التي ينتمي اليها حتى تتلقفها مسامع مجموعته وتتغنى بها، وتنشرها محتجة ومفتخرة بها، بين القبائل، ويرد عليها شاعر الفئة الثانية مفندا ما جاء بها من حجج ، ومنتصرا لفئته وإن وقعت عليها البيئة، طمعا منه في الشهرة وكي تكون قصيدته حديث الناس ، وهكذا نشط الاحتجاج في أحضان الشعر التعليمي ، لهذا كان الجانب الفني خافت الظل فيه أحيانا كثيرة وفي أواخر العصر الاموي نهضت المسائل العقلية، وأخذت تتجه نحو الفلسفة والى المادة العلمية في الشعر لذا جفت

طرواته وخفّت حلاوته، لأن التكلف خطف عن النظر بريقه وأفرغ من الزهر رحيقه، فغدا في أغلبه أوزانا تساق بعدها القوافي ، فلا روح ولا نشوى فيه .

وعندما أخذ ((يطرد ويتكاثر ويغلب على مَرِّ الزمن خلال العصور العباسية ، مصحوبا بالمادة الفلسفية والعلمية

١- ينظر: تاريخ الأدب اليوناني ، محمد صقر خفاجة ، القاهرة ، ١٩٥٦ م : ١٩- ٢٠

٢. ينظر : أناشيد الرعاة لفرجيل ، ترجمة امين سلامة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ م : ٣٠٠.

٣. ديوان طرفة بشرح الشنتمري ، مكس سلغسون ، مطبعة شالون ، فرنسا ، ١٩٠٠ م : ١٠٣

٤. ديوان عنتر بن شداد ، جمعه خليل خوري ، مطبعة الآداب ، بيروت ، ١٨٩٣ : ١٦

٥- البيان والتبيين : ١ / ٢٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾

وأقل مايعنيه ذلك توطد الشعر التعليمي بمعنييه الواسع والضيّق، فالواسع الذي يقوم على الحكم الجافة والنصائح اليايسة ؛ والضيّق الذي يتناول مادة العلم (الصرف) ^(١) وعليه فإن هذا الشعر مال في هذا العصر الى ميزتين الأولى: أن قسما منه وهو الأكبر إتجه الى التعلم الفلسفي وجفاف المادة العلمية ، والقليل الاخر منه إتجه الى مايناسب الطفولة ولو بدرجات متفاوتة ، كما فعل ابان اللاحقي في نظمه لقصص كليلة ودمنة * شعرا.

وللعرب نظرة ثاقبة عن الطفل وأحواله، وقد خبروا بشكل مستفيض ما يناسبه، وتمثل ذلك في قول الراغب الاصبهاني ((الطفل في حالة صباه كالشمع ، تشكل بكل شكل يشكل به)) ^(٢) .

لذا فان أهمية الجانب التعليمي بالنسبة لعالم الطفولة بالغ الخطورة والتأثير، لأنه الريشة التي ترسم في ذاكرة الطفل معالم الحياة وصورها المشرقة وتنقش أمام ناظره خطوط السير الدؤوب الى عوالم الخير وعزائم الفضيلة ولاشك بأن الشعر خير من يعمل على تعليم الاجيال ويحيطهم علما بما يجهلون، فغالبية شعر الاطفال يتجه دائما الى الشعر التعليمي بالدرجة الاساس ((لأن هناك قصيدة وراء كل ما يقدم الى الاطفال ، من ابداعات أدبية خيالية ومنها الشعر، لذلك نجد أن الجانب الاكبر من الشعر، الذي يقدم للاطفال يحفل بالجانب التعليمي التربوي)) ^(٣).

وعُرِفَت القصيدة التعليمية أنها ((تهدف الى تقديم مضمون تعليمي، يحتوي على بعض الحقائق والأفكار بصورة وعظية مباشرة لاتخلو من الجفاف ، وتركز على المعارف، والمعلومات لطلبة المدارس ، من خلال مواقف تعليمية وتربوية هادفة)) ^(٤)، تجعل من شخصية الطفل تنمو نمو نافعاً لذاتها ولمجتمعه ، وتسير بخطى واثقة نحو كسب العلم والمعرفة ، لتساهم لاحقا في تطور بلدها والانسانية جمعاء ، والعرب القدماء اهتموا بابنائهم ، وسعوا جاهدين الى تلقينهم لغتهم وفصاحتهم ، وبلاغتهم واصطحبهم الى المجالس ، ليزدادوا فوق ما عندهم ثراء وتمكنا لهذا نجد ((أن أدب الطفل في التراث العربي له جذوره ونتاجه النثري والشعري في الأدبين الرسمي والشعبي ، وإن لم يحظ طوال القرون الماضية بمهمة بحث جوانبه وتوجهاته وتشببت دعائمه فوق خارطة الأدب بالدرس والتأصيل وكان للادب الموجه للطفولة ودوره الذي لا يقل أهمية عن الادب المكتوب عنه)) ^(٥).

يستعمل الشاعر محمد الهاشمي، منهاجا واضحا للدلالة الكونية، وماتحملة من جمال كبير إذ يقول في نشيد الشمس:

طلعتْ شمسُ السماءِ كإلهٍ من ضياءِ

لبستْ ثوباً رقيقاً من ضبابٍ وهبائٍ ^(٦)

عمد الشاعر عبر التشبيه إدخال منهجية تعليمية ، تحاول تقريب كوكب الشمس لهم ، بعدها فسر هذا التوهج وعزاه الى ضباب وهباء لبست ثوبا رقيقا ، وإجمالية الفكرة ، إرساء دعائم علمية لظاهرة كونية ، يرونها كل يوم لكنهم عاجزون عن معرفة سرّها ، أو أي شيء عنها ، فتعتمد الى العرض البسيط ، والتشبيه ليخلق صورة تقريبية

١- مقدمة في النقد الأدبي : ١١٦

*- ينظر : ص ٢٩ - ٣٠ من رسالتنا

٢- الذريعة في احكام الشريعة ، الباب الخامس والعشرون ، د ت : ٢٤٣

٣ - ادب الاطفال ، المفاهيم والاشكال والتطبيق : ١٤٢

٤- دراسات في أغنية الطفل، نصوص أغاني الأطفال في الشكل والمضمون، محمود الشلبي، المهرجان الأردني، ١٩٩٣م : ٤٢

٥- ادب الطفولة : ٥٢

٦- ديوان عبرات الغريب : ٣٩

﴿ الفصل الثاني / البحث الرابع : المضمون التعليمي ﴾

لأذهانهم لتحفيزها وجعلها تتأمل في مخلوقات الله وعظمة خلقها .

ثم عرّج على فصل الخريف ليصفه قائلا:

قد جفت الاوراق وأسقطتها الريحُ

وبلبل سائح في فننٍ ينوح^(١)

لا أدل على الشيء أكثر من دلالاته على نفسه ، فنوح البلبل على الغصن ، لوعة منه لتساقط الاوراق ، في هذا الفصل ؛ لأن جفاف الأوراق يعني عدم صلاحيتها لعام آخر ، لذا أوحى الله بتجديدها ، لتزهو أوراق أخرى بدلا عنها تمتلك الحيوية والنشاط ، تتدفع مع إطلالة كل ربيع جديد من كل عام ، ويستشف من هذا الأمر أن الحياة تتجدد بولادة الجديد من كل المخلوقات.

ويحاول الرصافي بيان قدرة الله الباهرة في جميع الخلق ، لكنه أراد أيضا جزء يسير عن تلك القدرة الكبيرة عبر نهج تعليمي متدرج يتصاعد شيئا فشيئا في (نشيد الله) وتعليم النشء إعجاز تلك القدرة ، في شيئين ظاهرين يراهما ولايعرف عنهما شيئا قائلا :

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة

كيف نمت من بذرة؟ وكيف صارت شجرة؟

فانظر وقل من ذا الذي يخرج منها الثمرة؟

وانظر الى الشمس التي جذوتها مستعرة

ذاك هو الله الذي ويل لمن قد كفره

نو حكمة بالغة وقدرة مقدرة...^(٢)

حاول الشاعر جاهدا استعمال المفردات البسيطة ، كي يبث بوساطتها منهجية تعليمية ، تعتمد التركيز على أحد مخلوقات الله (الشجرة) وإثارة تساؤلات كثيرة حولها ، وهذه التساؤلات ، تستدعي ذهنية الطفل للتفكير معه في القدرة الخارقة في خلقها ، وفي خلق ما هو أكبر وأوضح منها ألاوهي (الشمس) التي تبث للكون جذوتها المستعرة . ولم يقتصر الشعر التعليمي على شيء محدد لايجوز تخطيه ، لدى شعراء الأطفال ، بل هو مطلق ، يتعدى لكل مضمون سام وهدف نبيل، لهذا نرى أحد الباحثين يفضل أن يتحلى الشعر التعليمي بحلية الفكاهة، فيقول ((يفضل

أن يتحلى الشعر التعليمي بروح الفكاهة والمرح لبث الاحساس بالسعادة والمرح في وجدان الطفل ((^(٣) وعلى الرغم من روعة مثل هذه الحلية في هذا الشعر، لكنها تتطلب روح شاعرية تتفجر الفكاهة من ثناياها ، وهذا نادر جدا، لكنه غير معدوم .

لذا يمكننا القول : بأن الشعر التعليمي هو الشعر الموجه بقصدية هادفة لفئات عمرية مختلفة ، ويحمل في طياته مضامين تربوية وعلمية وأخلاقية وثقافية وترفيهية وفكاهية وفكرية ودينية ، وكل مايمت للحياة الإنسانية بصلة في تراثها وحضاراتها وحاضرها وماضيها.

١. ديوان عبرات الغريب : ١٢٠

٢. تائم التربية والتعليم : ٤

٣. ادب الاطفال، ا د كمال الدين حسين: ١٤٤

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾ ﴿ ١٢٧ ﴾

واغتتم شاعر أنشودة الحكم قدرته الشعرية الواسعة ، في صياغة مجموعة من الحكم الرائعة ، التي حاول بثها الى النشء علهم يقتطفون من ثمارها ما يرغبون فيه قائلا :

إنهض الى رفع العلم وخذ المهنة والقلم
فلكم رجوتكم وكم وكم أن تلحق اليا بانا

كن عسكرياً باسلا أو هندسياً عاقلا
أو كن طبيباً فاضلا أو ناصحاً معوانا ^(١)

وجمالية الفكرة تتأتى ، من خلال استدعاء الحكمة ، والتناغم معها، لتكون رافدا قويا، يرغب النشء أن ينهل منها برغبة جامحة وهمة واضحة ، تعينه على التوجه لطلب العلم ، بوساطة رمزية القلم ، ثم التهيؤ لحماية الوطن وما يحمله ، من إرث ثقافي ، وحضارة متجذرة في أعماق التاريخ ، وقيم متوارثة، تربي الصغار والفتيان عليها وأصبح لزاما الدفاع عنها .

ولاشك أن الأنشودة الطفلية ، تحمل في خفايا مضمونها، روح التعليمية المحضة ، كي تضع بلا أدنى شك ومضة مشعة في صفحة البراءة ، لتشكل مع ومضات أخرى يكتسبها من المجتمع والبيت والمدرسة ((فالقصيدة الطفلية تعليمية المحتوى ، ولكنها تحمل مفهوما للحكمة وغالبا ، ما تختم قصيدة الطفل ببيت، أو اثنين يحملان حكمة من الحكم ، وفلسفة من الفلسفات التي يمكن تبليغها للطفل)) ^(٢) .

أما الشاعر حبيب العبيدي الموصلي، فقد أحب أن يعلمهم مواطن الفخر لهذه الأمة فقال:

فيما الكتاب المنزل منا النبي المرسل
والخلفاء الأول في الأرض مثل الشهب

نحن على رغم العدى المنتهى والمبتدا
منا انجلي نور الهدى في مشرق ومغرب ^(٣)

من دواعي الرحمة أن يكون الكتاب المنزل وهو القرآن الكريم ، قد نزل فينا ، حتى أضحي ((التعامل الحاسم في الإستجابة لمضمونه التعليمي)) ^(٤) منهجا واجب التطبيق، ولايجوز الإكتفاء بلذة السماع اليه، والتعلق في روائع

بلاغته والتغاضي عما درته روائع حكمته ، بل أصبح بابا للتعلم سواء كان على مستوى الصغار أو الكبار ، فكيف بنا وقد جعل منا النبي المرسل محمد(ﷺ) ، والخلفاء الراشدون ؟ وهم مثل الشهب في السماء ، ومنا انجلي نور الهدى في مشرق الأرض ومغربها ، ليضفي بخيره على الأمم كافة .

١- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣١ - ٣٤

٢- نقد الشعر في المنظور النفسي ، ريسان ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ج١ ، ١٩٨٩م : ١٥٨

٣- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٧ - ٨

٤- النص القرآني وآفاق الكتابة ، أدونيس ، دار الآداب ، بيروت ، ط٢٠١٠م : ٤٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾

بينما نظر شاعر آخر إلى العلم نظرة ثاقبة ، تلمس من خلالها دقة التعبير وريادته فقال :

أيها الشعبُ تعلّم إنما العلمُ سلاحُ
واتقِ الله لتسلم زينة العلمِ الصلاحُ

في سبيل العلم ضحوا كلّ غالٍ ونفيسٍ
فهو في الدارين ربحٌ وهو للروح أنيس^(١)

نعم ما قال به ، فالعلم سلاح فتاك ، أنزله رب الأفلاك ، من أجل عيشك ورقيك وحماك ، فكيف اذا أضفت له التقوى وهي مخافة الله؟ فتلك زينة الصلاح ، ودعاهم الى التضحية بكل غال ونفيس في سبيل العلم ، فهو ربح الدارين والأنيس الدائم الى الروح ، وما هذا الهيام الا للصدق الشعوري والفني ، فما أروعهم وقد صار نشيدا ، تترنم به شفاة الصغار الندية.

إن استنطاق المعاني السامية ، وصياغتها في عبارات وافية ، تستدعي التأمل في المنهجية الفذة ، التي أعتمدها الشاعر الذائب روحيا وشعوريا معها ، فبلاده الجسم والروح والعقل.

ولم يخل الأدب الإنساني بصورة عامة ، وتراثه الكبير في الحضارات القديمة ، من الإهتمام في العلم والحكم والمواعظ الأخلاقية والدينية ((ويذكر المؤرخون تلك الكتب التي كتبت للصغار باللاتينية في القرن السابع عشر وكان هدفها تعليم الدين وأوليات الكتابة ، ومن أشهر هذه المواعظ والوصايا مواعظ لقمان وأيسوب وبتاح حوتب وإيبور وغيرها ، مما يطلق عليه الأدب التعليمي أو التهذيبي))^(٢) .

لقد كانت المدارس وتبقى منبرا ، تستقي منها الاجيال على الدوام ، منهل أنوار العلم ومكارم الاخلاق ، لهفي على أبناء بلدي إن لم يدخلوا رياض المدارس ، فلاحياة لأي شعب من الشعوب ، بغيرالعلوم التي تتلقاها أبناؤهم في المدارس لأن بهامن العلوم النفائس، وهي الأم التي تتربى بأحضانها الأجيال ، ولولاها لفتك بنا داء الجهل العضال. نبّه الشاعر الرصافي في أنشودة الأطفال لافتتاح المدرسة على مواطن كثيرة ، كل الأطفال بأمس الحاجة لها

إذ قال :

قد مضت عطلتنا فرجعنا للدروس
هذه بغيتنا فلتطب منا النفوس

قد مضى لهوالمصيف فبرحنا مأنسة
وأتى فصلُ الخريف فحضرنا المدرسة

إنَّ أيامَ الصبا فرصةٌ للناشئينُ
من قضاها لاعبا سيُرى في النادمينُ

١- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢/ ١٠- ١١

٢- أطفالنا في عيون الشعراء ، احمد سويلم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٨٧م : ١٩

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾ (١٢٩) ﴿

فأجدّوا الطلاب إنما الوقتُ ثمينٌ (١)

إنَّ النفوس اذا طابت ، التفت الى مواطن الخير والرفعة، والانفتاح نحو آفاق يرفرف في وديانها الترحاب وتُقطف من ثمراتها الأطياب ، ونباهة الشاعر الرصافي ، مدّت يد براعتها لتفتح باب المدرسة ، لأنها الباب الذي يفتح مصراعيه ، على المستقبل الواعد الذي يلوح فيه مشعل التقدم والتطور، وتلك منهجية مقصودة ، ينشد بوساطتها الشاعر الهمس في آذان الصغار بلغة شفافة محبة ، تومئ لهم لدخول ذلك الباب كي يغتنموا فرصتهم فيه كي لايندموا، كما ندم الذين سبقوهم ، ولم يدخلوا للمدرسة ، لأن الوقت إن ذهب لايعود.

وليس الشعر التعليمي يهدف الى التعليم والتهذيب وحده ، وإنما واسع يتسع الى التسلية والى الفكاهة والألغاز وغيرها ((وهو فن ليس له في نفسه قيمة أدبية، ولا سيما في العصور المتحضرة ، التي كانت لاتقصد الى الجمال الفني في الشعر بقدرما تهدف الى التعليم والتهذيب والتسلية))(٢).

تشكل حالة الفتاة الجاهلة ، حالة هدم للركن الأكبر في المجتمع ، لهذا نرى الشاعر قد شخصها ، وحاول أن يكشف همها وهمومها وندمها في نشيد ندم الفتاة الجاهلة قائلاً على لسانها:

ليت أهلي هذبوني فأساوي العاملاتِ
قد جرى دمُعُ عيوني من رزياتِ الحياةِ

أطلبُ العلمَ ووقتُ العلمِ ولى وانقضى
وذوى القلبُ وكادَ الجسمُ أن ينقرضا

أنا في ثوبِ الندامةِ حيث لايجدي الندمُ
فعلى قلبي السلامةُ وعلى جسمي العدمُ (٣)

سعى الشاعر إلى استدعاء حالات الألم واللوعة ، التي تعانيها الفتيات اللواتي لم تتح لهن فرصة التعلم ، لأسباب مختلفة وغض الطرف عن الخوض فيها ، ليكشف مدى قسوة الندم وحدة الألم ، من خلال نهج وظّفه تعليمياً وأعدّه ليكون حافزاً للأباء ، كي لايمنعوا بناتهم من التحصيل العلمي ، ويجعلوا منهن مواطنين للألم والندم والتخلف.

إن تلقين المعارف عبر الشعر التعليمي لا يعد عيباً، أو منقصة يلزم بها بعض العاجزين عن نظمه ، فضلاً عن تراجع قدرتهم عن هضمه ، وفي هذا يقول أحد الباحثين ((أن الشعر التعليمي أصبح مصدراً مهماً من مصادر تعليم الأطفال وتثقيفهم من حيث كونه يراعي التلقين المعرفي الذي يرى المربون ، وعلماء التربية والنفس والإجتماع غاية مهمة وضرورية في تنشئة الجيل الجديد))^(٤) .

أما الفتاة اليتيمة ، فشكت رغباتها لأُمها، على لسان شاعرها، لكن ظروفها منعتها أن ترى شيئاً قائلة :

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ٣٥

٢. حديث الأربعاء ، د طه حسين : ٢٢٣

٣. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٣٥

٤. الطفولة في الشعر العربي ، د ابراهيم محمد صبيح : ١٧٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾

يا أُمِّ هَلَّا تَعْلِمِينَ بِأَنَّنِي أَهْوَى الْفُنُونُ
وَالْعِلْمَ وَالْأَدَابَ وَالتَّطَرُّيزَ وَالْدَّرْسَ الثَّمِينُ

يَا أُمِّ مَاذَا قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكِ حَتَّى تَحْرَمِينِي ؟
مِنْ لَذَّةِ الْعُرْفَانِ وَالْأَدَابِ لَا لَا تَمْنَعِينِي

لو كان عندي والدٌ ما كان مثلكِ يمنُّ^(١)
إني إلى الربِّ الرحيمِ مصابٌ قلبي أرفعُ

رغبتها الجامحة دفعتها للتصريح بها مع أمها، فهي تحب الفنون والآداب، والعلم والتطريز والدرس والكتاب، لهذا نرى أن النشيد يقترب من الجانب التعليمي، في إرشاد الطفل أو الطفلة ، إلى الفنون وأهميتها ، ولا سيما العلم والآداب فالطفلة بين ثنائية (العلم/ الجهل) و(الفقر/ الغنى) و(الحصول/ المنع) فهو في كل ذلك يذهب إلى قصيدة واضحة في إيصال هذه المعاني الكبيرة بوعي تام كي ((يتحرك الجسد في محيطه الطبيعي، كأيقونة مجسدا النسق الذهني والثقافي))^(٢) في طلب ما يتمناه في ضوء ثقافة المجتمع ، وقصدية الشاعر في توصيل حاجاته إلى الأطفال وتوعيتهم ، بمعنى آخر أنه يقدم منهاجاً واضحاً للنشء في الممارسات الحياتية ، بحيث جعل حالة التلهف لطلب العلم وسيلة البنات ورجائها الوحيد لدى أمها كي لاتحرمها من هذه العلوم جميعاً، وتذكرها أنها لو كان والدها حياً

ما كان يمنعها أبداً، لذا قالت في انشودة العلم :

أنا	يا قومُ فتاةٌ	أطلبُ العرفانَ جهراً
وأحبُّ العلمَ حبّاً	مستزيداً	مستمراً
وله أفدي حياتي	وبه أزدادُ فخراً	
هو روعي وحياتي	وهو للعلياءِ ذكراً	
فالعلی منیةً نفسي	والعلا بالعلم تُشرى ^(٣)	

إن طلب العلم ، أمر شرعه الإسلام العظيم في نهجه القويم ، عن طريق أحاديث رسوله الكريم محمد (ﷺ) المتعددة في هذا الخصوص لذا تحدث الشاعر بلسان الفريضة لفئة عريضة ، من المجتمع ألا وهي الفتيات ، والشاعر حسين الأعظمي تطوع مثابا لحمل همها وهمومها ، بوساطة ديوانه المخصص لها ، إذ استدعى لكل الفضائل التي يبث العلم شذا أريجها ؛ على الفرد والمجتمع وساق منهجية وإعية ، تتدرج في ذكر تلك الفضائل لكي تكون عاملا فاعلا ومشجعا ، للأسر في تعليم بناتها ، في زمن لاتزال أذيال التخلف تجر برأسه الى دياجير الظلام ، لذا كانت هذه الإنشودة وما شابهها شذرات لامعة فوق الحدود المانعة ، لتسهم في إزالتها ، وإبعادها عن الحياة .

ورب سائل يقول : إن الجوانب التعليمية ، أخذت شهرتها في الألفيات النحوية المطولة ، ولم تشتهر في سواها

١. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٤٠ - ٤١

٢. نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة، د عبد العظيم رهيف السلطاني، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، ط ٢٠١٠م ، ٢٧:

٣. المصدر السابق : ٦

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾

لذا أجاب أحد الباحثين عن هذا قائلا ((لم تقتصر الجوانب التعليمية في استعمال هذا المنهج على الجوانب التعليمية النحوية، كما كان يتصور بعضهم بأنه قد استعمل على قواعد اللغة العربية ، في تعلم القرآن الكريم ، وما وضع في المتون من معارف وعلوم مختلفة))^(١) بل تعدى هذا الأمر الى زرع الطموح وتجاوز مازرعه المجتمع باتجاه المرأة وضرورة التعلم وحب الحياة ، والولوج الى المعارف المختلفة ، فقصيدة الباث واضحة في إيصال رسالته الى المرأة والمجتمع على السواء ، مما جعله يعتمد على العمليات المنظمة للاقترب من الأهداف التي تنطوي عليها العملية الإبداعية ، بوصفها حاجة ضرورية للوقوف على الظواهر الإنسانية^(٢) .

ومنذ أن عُرف الكتاب، عُرف العلم وأدرك الصواب، وامتدت يد البشرية ، الى مكامن الفلاح ونشيد كتابي واحد من الأناشيد الرائعة التي كتبت في بداية تشكيل الدولة العراقية ، ولم تنتشر المدارس بعد في العراق ، لذا كان الشاعر منظرًا بارعا له ، وللرغبة في اقتنائه قائلا:

كتابي أنتَ محبوبي ومطلوبي ومرغوبي
وأنتى سرُّ مصحوبي ففيك العزُّ قد سطر

فإنك بهجة النفس بفضلك قد نأى تعسي
بدرسك قد نما حسّي فأنت تُشتت الضجرا

فكم محضت لي النصحا فقلت بنصحك النجحا
وكم أكسبتني الربحا فصرت بذاك مفتخرا

فليتك لي مدى العمر تلازمني بلا هجر
لأنك منبع الخير ومن صفحاتك انتشرا^(٣)

وأول من سمى هذا النوع من الشعر، بالشعر التعليمي هو الدكتور طه حسين ، بعدما نشر مقالات متوالية ، عن الشعر العربي في جريدة السياسة ((بسلسلة حديث الأرباء ، ووصل في بحثه الى والبة بن الحباب وإبان بن عبد الحميد ، فنشر الحلقة في ٢٩ مايو ١٩٢٤م وذكر الشعر التعليمي لديهما ، ثم جمع هذه المقالات في كتاب حديث الأرباء صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٧م ، وسارت اللفظة مصطلحا وكأنه هكذا وجد لدى العرب ، من قديم الزمان لدقتها والحاجة إليها))^(٤) وكأنه اتبع منهجا جديدا ، لم يقو على البوح به صراحة ، وهو المنهج التعليمي الذي وصفه سيبويه والجرجاني في اللغة وتجاهله بعضهم في الأدب^(٥).

- ١- ينظر: الاحتجاج العقلي في النحو العربي، محمد جواد الطريحي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٩٠م: ٤٠.
- ٢- ينظر: المتخيل السردى ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٠م : ٥
- ٣- مجلة التلمذ العراقي : العدد : ١٢ في ١٩٢٣م : ١٨٩
- ٤- مقدمة في النقد الأدبي : ١٣٨
- ٥- ينظر: منهج البحث النحوي عند الجرجاني، محمد كاظم البكاء ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨١م : ٢٤٢

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾

إذ يعتمد على قصيدة الشاعر في إيصال رسائله التعليمية ، في منهج واع للتعامل مع ما يكتبه، لذلك ولاسيما المخترعات الحديثة ، وأثرها في تفكير الشعراء والعلماء، لذا أحب الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي، أن يجعل من التشبيه سبيلا، يُقَرَّب به بين المشبه والمشبه به في نشيد الطائفة في الثلاثينات من القرن العشرين ، الذي لم تشتهر فيه آنذاك في بلادنا فقال :

[مشطور المتدارك]

مثل النسر مثل النسر
دوّت تجري دوّت تجري

طوراً تعلو طوراً تنزل
نجماً تبدو فوق المنزل

صوت دوى مثل الرعد^(١)

توسع شاعر الأطفال المبدع ، في إدخال عالم المخترعات الحديثة ، الى شعر الأطفال وهو ثاني شاعر عراقي ألقت الى أهمية ذلك بعد الدكتور مصطفى جواد ، وعليه فقد استرسل في التشبيه عبر حبكة لغوية يسيرة وواضحة أنت أكلها في منهجية تعليمية منتقاة ، من بين آلاف المخترعات ، ليؤسس بذلك التفاتة موفقة، تزرع بين طياتها العلم والمعرفة للهدف المقصود وهو الطائفة ، كي يعمل الطفل على المقارنة بين شكل النسر، وهو أكبر الطيور وأشدّها قوة وفتكا، وبين شكل الطائفة * وكلاهما يطيران في الفضاء .

إن العمليات الحسابية مهمة بالنسبة للصغار، كأهميتها للكبار، لذا سعى شاعرنا المبدع الدكتور أحمد حقي أن يوزع تنوعه في أكثر من اتجاه وأن يجعل للحساب نشيده كم بقي؟ ليعلمهم عن طريقه الجمع والطرح فقال :

فلسين* أعطاني أبي فقلتُ شكراً يا أبي

فلسين من أمي لقد أخذتها في طرب

ومذ رأيتُ جدتي أخذتُ منها حصتي
صارَتْ لديّ تسعةً فكم حببتي جدتي ؟

في الكيسِ قد حفظتها للسوقِ قد رحْتُ بها
فلسين قد صرفتها للعبةٍ أخذتها

مددتُ في جيبِي يدي فصارَ وجهي أصفرا
فلم أجدُ كيّسي وقد رجعتُ أعدو للورا

١- المحفوظات الطفلية : ١٠ - ١١

*. في نشيد الطيارة ، مجلة التلميذ ، العدد : ٢٨ ، سنة ١٩٢٣م : ٤٤١

*. الفلاس أصغر عملة نقدية كان يستعملها أهل العراق في العشرينات الى السبعينات وهي من النحاس ثم اختفت بعد هذا التاريخ

﴿ الفصل الثاني / البحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾ (١٣٣)

أضعته وأأسفي فكم أضعْتُ ياترى ؟ (١)

رافد التنوع في الأناشيد الطفلية رافد مهم ، لأن المنهجية التعليمية تتسع لأكثر من علم ، كي تتمكن من إغناء العقلية الناشئة ، التي بحاجة ماسة لأنواع العلوم ، والقصة الشعرية كانت ولا زالت أحد الأنواع المحببة لدى الطفل بوصفها تعتمد على سرد الحدث ، حتى تصل به الى الذروة ، وبذلك تتداخل العمليات الحسابية مع الصياغة القصصية ، لتولد كسباً ذهنياً يعتمد الحساب مرتكزا له .

وللعلی لدى الشاعرحمد باقر الحلي مرتبة عالية ، نصحنشء بتتبعها في نشيد العلقائل:

سرُ للعلأ بتعاضدِ يالها النشاء النبيل
واعمل لشعبك صادقاً بالقول والفعل الجميل

وابغِ المنى متسامياً واطلبْ لك العلمَ المفيدُ
واسهرْ لقومك عاملاً بالرأي والفكرِ السديدُ

شمّرْ ولاتكُ غافلاً واحذرْمن الجهلِ المميثِ
والعلمُ أصدقُ صاحبٍ فاصحبه مهما أنْ بقيتُ (٢)

لمكارم الأخلاق مراتب عليا تنهل منها الأجيال ، على طول مسيرة الحياة ، وهي الرافد الدفاق ، الذي يشكل رصيذا حيا ، تتكسر على صخرة صموده ، كل معاول الأشرار مهما بلغت من الحدة ، لذا التفت الشاعر الى ماضي أمتنا العتيق مستنطقا عنفوان الحاضر ، في نهج يسترد عافية الأقبال نحو التعليم ، ليكون السير نحو العلى ، حافظا توازره الهمم بالتعاضد وتتخطى نوازعه مرارة الجهل المميث .

وهناك دعوات شاذة من قبل المتطفلين على قصيدة الطفل ، جنح بها أصحابها خارج جادة الصواب ، ودعوا بها الى مرافئ الارتياب قائلين ((ان الطفل في القرن الحادي والعشرين ، سوف لا يحتاج الى وصف الوجود أو تفسيره انه بحاجة الى نفس هذا الوجود لإعادة بنائه ، وان ابقاء الابواب مشرعة أمام خيال الطفل القادم للربط بين الأحداث والحقائق ، وإقامة جدله مع الاشياء هو شرط القصيدة المطلوبة))^(٣) ولم تقدم أقلامهم قصيدة واحدة عن هذا الوجود المنسوف، كي يعيدوا بناءه بها بعد نفسه، وهل هم خارج أم داخل هذا الوجود بعد نفسه ؟ ولو ترك للطفل حرية الربط بين الأحداث والحقائق لوحده ، لما أجلسه أبواه عشرين سنة أو أكثر، على مقاعد الدراسة كي يتمكن بعدها من الربط بين الأحداث والحقائق ، لكن الشطط الفكري لهؤلاء دعاهم أن يفلحوا في صياغة عبارات تتنافر مفرداتها فيما بينها ، ولا تكاد تلتأم إلا على ركام من الخرافة والوهم والخيال الجامح والتسطيح الفكري .

ليس هناك من عروة ، أشد صلابة على مدى العصور من عروة الحق، فهي العروة الوثقى، وهي الصفحة الأنقى من دون كل الصفحات ونشيد العروة الوثقى ، خلد مكارم الأخلاق فيه ، ودعا للاستمسك بها قائلاً:

١- المحفوظات الطفلية : ٤٦ - ٤٧

٢- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ٢٧

٣- وجهة نظرفاروق سلوم ، نقلا عن كتاب قصائد الاطفال في سورية ، محمد قرانيا ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، ١٩٩٦م: ١١٥

﴿ ١٣٤ ﴾

﴿ الفصل الثاني / المبحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾

يا حياة المجد عودي للحمى طال المطال
وارحمي الشرق وجودي لبنينه بالوصال

سامه الدهر هوانا مذ بدا التفريق فيه
وبكى الحق زماناً يائساً من منصفية

وطني قبل انتفاعي أمتي قبل الأمم
لغتي أشهى سماعي علمي أبهى علم

نحن بالأخلاق نرقى مثل آباء كرام
عروة الأخلاق وثقى مالها قط انفصام^(١)

للمجد حياة في ضمير الواعين ، لن يسلبها الجاهلون وإن حاولوا طمسها من أرض الوجود ، ومحاولة الشاعر استدعاؤها للعودة ، إنما استدعى إرثاً ثقافياً عبرها، نزل الى ساحة التناء في هذه الحياة ، لآلاف خلت ، وسطرصرح عليها الأجداد ، بما قدموه ، وبما حفظته دماؤهم الزكية في مسيرة حافلة بكل المفاخر والألم، ولم شمل الأمة الواحدة على الخير والعدل ، أحد أسرار بقاء هذه الأمة في مسيرة الحياة وسبيل التطور، وإلا لتحولت الى شراذم متناثرة لهذا اتخذ الشاعر منهجية تعليمية ، واعية تستنهض الهمم ، وتستقرئ الحاضر بمكارم الأخلاق .

ويرى أحد الباحثين ((إن الجانب التعليمي في شعر الأطفال في العراق يبرز ، ويمثل ظاهرة وهو ضرورة ملحة بالنسبة لتعليم الأطفال وتوسيع مداركهم ، لأن الشعر سريع الحفظ وسريع التأثر بإيقاعه المنسجم ، وغنائياته المحببة وصوره الجميلة ، وألفاظه سرعان ماتعلق في الذهن، وقد كان وسيلة للتعليم منذ أقدم الأزمان))^(٢).

ومن خلال الشعر حاول الرصافي ، أن يعلم الابناء العزة في نشيد العليا ، وقدرها بين المجتمعات كي يجدوا لذة في الاقبال عليها ، وأن يدركوا انها ، لا تأتي الا بعد مشقة وجهد، وجد يتبعه الجد ، ليقطفوا أثمار ما يعملون فقال :

نفسى الى العليا	تطوي	مداها
ما أنحس المخيا	لولا	مناها
في أرضنا نحيا	تحت	سماها
لم نرض في الدنيا	شيئا	سواها

نحن بنو من همم بالعلم قد سادوا
كل الورى منهم قد استقادوا ...^(٣)

١- الاناشيد العصرية : ١٥- ١٦

٢- ادب الأطفال ، د عمر أحمد الطالب : ٤٠

٣- الاناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢٣- ٢٤

﴿ الفصل الثاني / البحث الرابع: المضمون التعليمي ﴾

بوساطته المستقبل ، فما ساد قوم على قوم إلا بمقدار مابلغوا من العلم على سواهم وفي هذا حافزهم أخذ الشاعر منه منهجية واضحة جليلة، تنبض في الحياة والرقى وتغادر بكل همة ورفعة ، كل زوايا الخمول والتردد والتخلف لتعرض أمام النشء ماضي الأمة الوضاء لتتلقفه أعين الحاضر بوعي المستقبل ، لأن الحياة قامت على جدلية (العلم/ الجهل) ويقابلهما (التطور/التخلف) وكل منها يحاول إزاحة الآخر عن طريقه، ولكن أيادي العلم لدى النشء أقوى عضدا وأشد ساعدا ، في محاربة الجهل وطي أيديه الخاوية .

وقد قيل عن الشعر التعليمي((بأنه يُنظم لإيصال معلومات ، تتعلق بالطبيعة أو المجتمع ، أو الجوانب المختلفة من الحياة لأغراض تربوية كي يسهل على الطفل معرفتها ، وهي محفوظة في ذاكرته))^(١)، فلو كانت محفوظة في ذاكرته بما تحمله من معان، لأصبح أمر نظمها يعد عبثا لا طائل من ورائه، ولكنها تُعطى له لكي يعرفها، لأن من أهم فوائد الأناشيد :

١- تطويع اللسان في لفظ المفردات

٢- التعرف على الإسلوب الأدبي

٣- التعرف على أثر الموسيقى في الشعر

٤- ترقية الميول الأدبية والوجدانية والترفيهية لديهم

٥- بعث ملكات التذوق اللغوي والإكتساب المعرفي

٦- إثراء الطفل بما يحب من المفردات التي يحفظها ويرددها

وخلاصة المبحث : أن الشعر التعليمي أو الذي يحمل مضمونا تعليميا، هو أحد الوسائل المهمة في الحياة العصرية لأنه يحمل فوق أكتاف أبياته كل ما يصبو كبار كل أمة تبليغه الى أبنائهم ، ويرون فيه نفعا لأجيالهم القادمة ، لأنه بلا شك يحمل موروثهم الثقافي ، الذي رأوا فيه خير معين لا ينضب ليحافظوا عليه كي لا يذهب ، فإدامة ترديده يبعث الأمل على تجديده في ضمير الأبناء مع مرور الحياة .

وتبين لنا كذلك أنه لا يقتصر على الألفيات النحوية التي تسمى كثيرا بالمنظومات التعليمية، بل توسع حديثا ليشمل كل شيء ينفع الصغار والكبار معا.

١. الشعر في أدب الاطفال ، كاظم سعد الدين ، مجلة آفاق عربية العدد : ٧ ، ٢٠٠٠ م : ٥٢

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾

﴿ ١٣٦ ﴾

المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي

الطفل شاعر صغير، صاغت براءته خيالاته ، وأنتجت عفويته كلماته، والشعر أحب انواع الفنون الادبية اليه لذا فانه يتفاعل مع الشعر بشكل كبير، وتأخذه موسيقاه ليهتز معه ، اذا أحسنت أمه أو أبوه قراءته عليه أو شارك معلمه في إنشاده بشكل متقن، لأن من الواجب ، أن نعطي الطفولة أحلى ما نرسم ، وأروع ما نكتب ، وألذ ما نتصور كي نساهم دائما، في رفد أذهانهم بما يحلمون ، وأذواقهم بما يحبون ، لتأصيل الميل الى الفن والأدب والثقافة عامة، بما يتناسب مع مداركهم ، ودرجة استيعابهم ومقدار تذوقهم ، مما يقدم اليهم .

ومن المسلم به أن تكون المضامين الاجتماعية ، حاضرة في أذهان شعراء الطفولة ، كي يبرزوا بوساطتها، كل المعاني الاجتماعية التي يعيشها الطفل ، في حياته أو يراها عند أصدقائه أو يسمع بها عند إناس آخرين ، فيتفاعل معها ويتحسسها بل ويشارك وجدانه أقرانه فيه ((وبدا لنا افلاطون أول ناقد ، يهتم بالناحية الاجتماعية باعتبارها معيارا لاستحسان الشعر، فقد طرد الشعراء ، من جمهوريته الفضلى لأنهم يفسدون الأخلاق ، أما الذين ينظمون الأشعار لتأجيج حماسة المحاربين فلهم التقدير كله))^(١) .

والناظر الى أشعار الرعيل الأول ، يجدهم قد ركزوا بشكل مميز، على الظلم جراء الاحتلال العثماني وآثاره المؤلمة التي هدّت قوى الشعب ، وحاول جاهدا تأخيرها عن ركب النهوض وبلوغ التقدم ، وقد عزا هيولييت تين ((العبقريّة في الأدب الى ثلاثة عوامل هي: البيئة والزمن والجنس وليست هذه العوامل ببريئة من البعد الاجتماعي، فبيئة أي كاتب أو شاعر هي مجتمعه))^(٢) أما قضية الالتزام والالتزام فهي قضية خلافة ، والمقصود بالالتزام الاعتناق ((ثم خصص المعاصرون هذه الكلمة في استعمالهم الفنية والأدبية ، وأصبحت مصطلحا من المصطلحات

يعني المشاركة في قضايا الجماهير ، والعمل على حل مشكلاتهم))^(٣) لذا خرجت قصائد شعراء الطفولة - على قلتها- موافقة لهذا القول فمنها ما جنح نحو الخيال الجامح ، ومنها ما مال الى الالتزام ، بكل ما يؤلم المجتمع وحاول جاهدا رفضه ورفض كل سوء ومنكر، ونَبّه على مكارم الأخلاق التي سادت ، وتسود اليوم مجتمعنا العراقي الكريم الذي يستقبل الضيف بكل معاني الترحاب وبكف المودة يفتح له الباب ، وهذه المواطن هي التي اشتهر بها العرب في إكرام الضيف ومعانقة السيف ، ورفض الحيف ، وهذه كلها روافد اجتماعية ، تساقاها النجباء كابر عن كابر وروّا شذا أريجها للأجيال اللاحقة.

وعليه نذكر الشاعر الرائد داود الملاح بهذه المكارم قائلا:

أليس نحنُ الألى؟ كَتَا دعاة الضيف
لنا ملوكُ الورى دانثُ بحدّ السيف

١- النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكير ، د ابراهيم محمود خليل ، دارالمسيرة ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م : ٦٦

٢- المصدر نفسه : ٦٦

٣- قضايا النقد الأدبي ، ا د بدوي طبانة ، دار المريخ للنشر، الرياض ، ١٩٨٤م : ١٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾

﴿ ١٣٧ ﴾

كيفية نُغضي على هذا الردى و الحيف ؟^(١)

يتكئ النشيد على ثيمة اجتماعية واضحة بالعودة الى إكرام الضيف ، عند العرب ، تمثل العودة الى البيئة الاجتماعية السابقة وضرورة التحلي بها عند الأجيال اللاحقة، فربط الشاعر بين الألى في زمان ومكان سابق وبين الحاضر المعيشي الذي يمثله النشء الحاضر، لغرض غرس المفاهيم الاجتماعية السائدة ، بوساطة المنهج الاجتماعي المقصود في النشيد ، فإكرام الضيف ظاهرة اجتماعية تناقلها الاباء من آبائهم ، وعلموها الى أبنائهم واشتهروا بها من دون كل القوميات الأخرى ، والظلم تعاطاه الظالمون لدوام ملكهم ، وتلقاه المجتمع بصبر حيناً وثورة أحياناً أخرى فان كَلَّت مقابض السيوف ، رشقتهم ألسنة الشعراء بأفضع القصائد التي تدني الحتوف داعية للنهوض ومؤلبة القلوب ضدهم .

ولم يكن النقد الاجتماعي معروفا سابقا إذ ((يعد العام ١٨٠٠م من المفاصل الحاسمة في تاريخ النقد الاجتماعي ففيه ظهر كتاب باللغة الفرنسية، عنوانه حول الأدب لمدام دوستايل (١٧٦٦-١٨١٧م) أكدت فيه أننا لانستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقاً حقيقياً، في معزل عن المعرفة بالظروف الاجتماعية ،التي أدت الى إبداعه وظهوره، وألقى بونالد محاضرة دعا فيها الى مادعت اليه ، وأطلق عبارته الشهيرة الأدب تعبير عن المجتمع))^(٢) لذا نرى أن الأدب في تلك المدة المهمة من تاريخ العراق ، كان تعبيراً صادقا عما يدور في المجتمع من ظلم وقهر وبطش وذعر، جعل منه الناطق الوحيد ، بلسان لوعتهم في حيادية وصدق ، ومن هنا ((يأتي دور أدب الأطفال بأجناسه الأدبية، ذات المغزى الروحي والوطني، لينمو الصغير في حالة التمرکز حول ذاته ، الى كائن اجتماعي يتمركز حول الآخرين ، ويتحول من المتعة الى الاحتمال ومن الاحتمال الى المشاركة الوجدانية ، ومن المشاركة

الوجدانية الى الاحساس العقلي بشعور الآخرين))^(٣) فالتعايش مع المجتمع ، والتعرف على عاداته وتقاليده وثقافته من أسس المعرفة لأن الذي يأكل الطعام لسد حاجة الجسم اليه ، غير الذي ينال من ثقافته بشهية وتلهف ، لذا يجب موازنة الغذاء الروحي مع الجسماني، فهما معا ينمو الجسد والعقل.

إن ارتقاء البنين والبنات ، من المرتكزات الأساسية ، لنهوض أي بلد من البلدان ، لذا كانت الشاعرة الأنسة سلوم * موفقة الى حد كبير حينما أعطت هذا الأمر، جل عنايتها في نشيد النساء العاملات ، من أجل الاجتهاد الحسن في جميع الواجبات قائلة :

أرتجي أن ترتقي أوطاننا	بالنساء العالمات العاملات
نرتجي منهنّ سعياً حسناً	واجتهاداً في جميع الواجبات
وكمالاً واعتدالاً لائقاً	واقتماداً في صنوف النفقات
ليس يجدي العلم أن لم يقترن	بالسجايا والفعال الصالحات

١- الاناشيد الموصلية : ١٧

٢- النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك : ٦٦ - ٦٧

٣- في ادب الطفولة : ٩٤

*. لم نعثر على ترجمتها

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾

يابناتِ العصرِ صرتنَّ بفضلِ صروحِ العلمِ من أرقى البناتِ
والبلادُ اليومَ تحتاجُ الى هممِ المجتهداتِ الفاضلاتِ
واحترمنِ العلمَ واعملنَ بهِ واتقينَ اللهَ ربَّ الكائناتِ^(١)

السعي بالاجتهاد في جميع الواجبات ، مع اكتساب الخبرة ، والعلم الذي أصبح ((الأنموذج لكل أشكال المعرفة المفيدة اجتماعياً))^(٢) من دعائم النهوض ومكارم الفروض ، فالحاجة للمجتهدين والمجتهدات الفاضلات ، لايقف عند زمن معين بل هو دائم ومستمر من أجل رقي الشعوب، لذا دعتهن لاحترام العلم ، لأن البلاد لا ترتقي الا بالنساء العالمات العاملات والاجتهاد والسعي الحسن في جميع الواجبات ، ثم كمالاً واعتدالاً في صنوف النفقات ، لأنه لا نفع للعلم إن لم يقترن في الفعال الصالحات، فالبلاد تحتاج الى المجتهدات الفاضلات، اللواتي يتابعن العلم ويعملن به ويتابعن تقوى الله رب الكائنات للفوز برضاه .

لم تزل مصائب الخلق تصب، عبراً الى سواهم لمن فيها اعتبر، وما ابتلى الله قوما الا ليرى فعلهم ، وماذا هم صانعون إزاء مايرون ؟ لهذا امتد أفق شاعرنا الفيلسوف الزهاوي الى الضريفي نشيده (أماه) ليعبر عن مشاعر وجراح هذا الضرير، عن لسان نباهته وفكره بدقة عالية ولوعة ، تنكسر لأنتها الضلوع ، وتقطر لقسوتها الدموع قائلاً:

أمّاهُ إني ضريُّ والقلبُ مني كسيرُ
أعمى فلستُ أرى يو ماً ما يراه البصيرُ
إني الى حاجةٍ لي بلا عصا لا أسيرُ
أمّاهُ ما في حياةِ الطفلِ الضريرِ سرورُ

أَمَّاهُ إِنِّي إِلَى أَنْ أَرَاكَ يَوْمًا فَقِيرُ
وَأَنْ طَرَفًا يَرَى وَجَهًا مِنْ أَحَبِّ قَرِيرُ
صَفِي النَّهَارِ فَإِنِّي مَا بِالنَّهَارِ خَبِيرُ... (٣)

لوعة الضرير لا تحيط بها الابيات القلائل ، بل هي ممتدة مع طول حياة المبتلي ، فهو كسير القلب ولا يرى ما يراه الإنسان ولولا العصا لا يقوى على المسير ، وهولا يعرف السرور وذو شقاء كبير ، ومناه أن يرى وجه أمه ، لأنه فقير الى ذلك أشد الفقر ، لأن العين التي ترى من تحب من حقها ان تكون قريبة أي باردة فرحة ، فيا حبذا أن تصف له النهار ، فهو ليس خبيرا في النهار وكل هذه المعاناة تمثل روافد لمنهجية اجتماعية أراد الشاعر بوساطتها اثارة العطف والشفقة ، في نفوس النشء تجاه من يروونه أعمى ، لمساعدته على الحياة .

مازال اليتيم ظاهرة اجتماعية مألوفة ، توقف عندها كثير من الشعراء ، بحرقة وألم ، وكان الشاعر الرائد حسين الأعظمي واحدا منهم ، اذ عبر في نشيده (الطفلة اليتيمة) عما يدور حولها قائلاً:

يَا أُمَّ جَاءَ الْعَيْدُ وَاکْتَسَتِ الْعَبِيدُ

١- الاناشيد العصرية : ٩٠ / ٢

٢- مابعد الحداثة دراسة في المشروع الثقافي الغربي ، باسم خريسان ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م : ٤٠

٣- ديوان الزهاوي : ٢١٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾

وليس لي رداء حلَّ بيَّ البلاء
ابكي بدمعٍ ودمٍ فهو مثيِّرُ ألمي
والكربُ للفتاة لاشكَّ كالمماتِ
فالعيدُ فتَّ مهجتي قهراً وفيه حيرتي
وقد نظمتُ أدمعي شعراً وإن لم ينفع
يا شعراً أنت سلوتي في وحدتي وخلوتي... (١)

لوعة هذه الفتاة بدت واضحة على اطراف فمها ، فما أن رأت وجه أمها صباح العيد ، حتى نثرت أمام أمها شجون لوعتها وأتون حسرتها ، والألم أكثر لوعة من إبتها ، لكن صبرها وتجلها ، أظهرها مظهر غير المكترث ، لذا امتحن الله عباده باليتامى ، ليرى ماذا إزاءهم سيفعلون؟ وبعدها سيكون الحساب ، وتوخى الشاعر القصيدة المفرطة في تعرية اليتيمة إذ ليس لها رداء تلبسه ، فهي تبكي بدمع ودم بسبب اللوعة والألم ، لأن الكرب وهو المصيبة بالنسبة للفتاة كالممات وجعل من حضور العيد منطلقاً زاد حيرتها ، وفتَّ مهجتها ، بعدما نظمت هذه اليتيمة أدمعها شعراً ، وإن لم ينفع ، وأراد عبر كشف هذه المآسي المتعددة ، أن يبيث منهجية تعبر عن البيئة الاجتماعية التي تعيش في كل زمان ومكان مثل هذه الحالة فيها ، وإبلاغها النشء ، ليؤسس الى التعاطف والتراحم ، كي يبعد اليتامى عن دنيا الضياع والإحساس بالوحدة .

ومثل ذلك نلاحظه في العائلات التي تعيش معاناة مريرة ، هي عوائل شهداء الوطن ، وهذا في كل المجتمعات
لذا التفت شاعرنا الرصافي لها ، ورسمها بريشة براعته المعهودة ، في نشيده تنويمية (امرأة الشهيد تتوم ابنها) قائلاً
على لسان كرامتها :

نم يابني قليلا وعش كريماً نبيلاً
أبوك مات قتيلاً من أجل هذي المواطن

نم يابني مديداً وعش حميداً مجيداً
أبوك مات شهيداً في حب هذي المواطن

بني نم مستريحاً وعش قوياً صحيحاً
أبوك مات جريحاً من أجل هذي المواطن

عش يابني كريماً وكن رؤوفاً رحيماً
إذا رأيت يتيماً فكن أخاه المعاون... (٢)

إن مناداة الأم لابنها ، وهي تهدده كي ينام ، إنما تبثه زفرات لوعتها وألمها ، بعد أن ودعت والده شهيداً
والرصافي بارع في القصائد الاجتماعية ، ولا نغالي إذا قلنا أنه الشاعر الاجتماعي الأول في الوطن العربي بامتياز

١- أناشيد وأدبيات الفتاة : ٤٨

٢- تمانم التربية والتعليم : ١٤ - ١٥

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾ ﴿ ١٤٠ ﴾

بشهادة أهل المعرفة في الأدب ، فهو ((خبير في صور آلام الفقراء والمحرومين ، وديوانه يزخر بقصائد كثيرة في
وصف هذه الآلام، بل إن شاعريته بدأت ظواهرها وانبعثت أسرارها وفاضت بحارها، في هذا اللون من الشعر الذي
ينبعث فيه الأنين وتصعد الزفرات)) (١).

وكل القصائد الاجتماعية، التي قالها شاعرنا ، إنما توحى بما لايقبل الشك ، أن الشاعر سار على وفق منهجية
اجتماعية رصينة أخرجت تلك المآسي الى السطح ، كي تحفز النشء للتفاعل معها ، وإعانة هؤلاء لاحقاً عندما
يكبرون ، والنظر اليهم نظرة المساعد والمعين لا نظرة المتباعد المهين .

كل مواطن صالح في بلده ، هو جندي للوطن الذي تربى فيه ، وعاش على خيراته ، لذا نرى الشاعر عبد
الرحمن البناء قد وقف عنده ، وتباهى به وتمنى فداه ، في نشيده (ببلادي أتباهى) قائلاً:

ببلادي أتباهى ليتني صرْتُ فداها
بدمي أحمي حماها من جميع النوب

فاذا نادى المنادي قلتُ : لبيك أبي
أنا جنديُّ أبي وطنيُّ عربي (٢)

إنّ التباهي في الوطن ، أحد الروافد التي تكتنزها الأرواح ، لتعبر عن صدق ولائها وإخلاصها لترابه العزيز الذي تكحلت به عيون المودة وطهرته الدماء التي سالت عند حده ، في الحفاظ والدفاع والتفاني من أجله ، وهذا يؤسس لمنهج اجتماعي سلكته الشعوب للحفاظ على وجوده ، وديمومة تآلفها ، أراد الشاعر من خلال بثه وتغذيته للأجيال ليستمر في المجتمع.

دأبت الأعراف الدولية ، أن لكل دولة علماً، يمثل رمزية معينة ، قد ارتضوها جميعاً، وسيادة البلد باحترامه ، لذا ترنم شاعرنا الدكتور مصطفى جواد ، فيه لأنه للعرب في (نشيد العلم العراقي) بوصفه رمزا وعزا وكرامة وظاهرة اجتماعية عالمية للشعوب قائلًا:

علم العرب فداكا	ما لقلبي قد هواكا
أنا صبّ مستهائم	بك فامكث في علاكا
لا تقلّ إني وحيدٌ	إننا نحمي حماكا
فرجالُ العرب كلُّ	سامعٌ صوتِ نداكا
ومُرّ الرّيح لتسري	حيث تهوى في سُراكا
أيها الشامخُ فخراً	قف ورفرف في دُرّاكا
إنما النشءُ حفيظٌ	لك من بأسِ عداكا

عَلَمِ الْأَمْنِ وَرَمُزُ الْعَرَبِ لَا أَهْوَى سِوَاكَ... (٣)

١. معروف الرصافي ، بدوي طبانة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٤٧ م : ١٣٦

٢. الأناشيد المدرسية : ١ / ٢٦

٣. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الاجزاء الخمسة : ٤ / ١١١ - ١١٢

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾

لا زالت الامم منذ القدم ، تقاثل تحت هذه الراية ، ولا تقبل أن يمسها أحد بسوء ، وكم قامت حروب طاحنة اذا أهينت أو أنزلت من علوها الشامخ، فهو يفتيه لأنه علم العرب وقلبه قد هواه دون سواه ، لأن العلم يعد رمزا وطنيا كبيرا ، وقيمة رئيسة في الأناشيد الشعرية ومنها يسلكه الشعراء بصورة واعية ومقصودة لتعلم النشء رمزية العلم واقبال البيئة الاجتماعية في كل زمان ومكان ، في الحفاظ عليه وحمايته ، لذا عمد الشاعر الى إثارة كل ماتحمله تلك الرمزية من مشاعر الود والفخر والإعتزاز ، وتقديمها الى براعم النشء كي يقبلوا عليها .

وللمعلومات التاريخية أهمية كبرى في التأثير على الأدب ((إذ لا يمكن إنكار أهمية المعلومات التاريخية لعملية التفسير الشعري ، فالكلمات لها تاريخ والأشكال والأساليب الأدبية تنحدر من تراث ، والقصائد كثيرا ما تشير الى وقائع معاصرة لها ، ويرى الناقد كليانث بركس كيف تكون المعلومات ، التاريخية ضرورية أحيانا لفهم بعض القصائد)) (١) وفي ضوء ماتقدم ، فلا مندوحة لمن يريد فصل التاريخ عن الأدب فكلاهما يتغذى على رحيق الآخر ، ولولا رفقتهما معاً لمات أحدهما حزناً فوق رفات الآخر ، وطويت صفحات أشرقت بهما معاً ، ومن لم يحط علماً بحوادث التاريخ ، وما أنتجه الأدب في تلك المدة ، مشى في دياجير الظلماء ، وخبط بتقييمه له خبط عشواء ، وعليه فإن لكل شيء في الحياة تاريخ ، فاللحظة السارة والمحنة لها تاريخ ، وللعلم والثقافة تاريخ ، وللأدب واللطافة تاريخ ولكل مادار ويدور في الحياة من أحداث تاريخ.

اللغة العربية ظاهرة اجتماعية ، تنمو وتكبر وتستقر ، لذا تفردت لغتنا عن سائر اللغات بثنائها ، وهناك علاقة حميمة بين اللغة والمجتمع وعنها عبر فندريس بقوله ((في أحضان المجتمع تكونت اللغة ، ووجدت يوم أحس الناس ، بالحاجة الى التقاهم فيما بينهم))^(١) لذا حاول أحد الشعراء أن يشملها بلطفه فقال :

لغة العرب اذكرينا واندبي مافات
كيف ننسأكِ وفينا نسمة الحياة ؟

نحن في عصرٍ جديدٍ يا بني الاوطانِ

فلننرِ سبلَ الوجودِ في ضياءِ العرفانِ ^(٢)

الحفاظ على هذه اللغة وعلى رونقها الندي، وسقيها للنشء بأقذاح الإجادة وكف التودد ، هي واجب كل شريف والابتعاد عن اللهجة العامية قدر المستطاع ، كل هذا يساعد في زرع المفردات اللغوية تدريجيا ، في أذهان رغبتهم الجامعة ، لأن أهم ما يتميز به الأطفال جميعا هو سرعة تقبل الخبرات ، والمعارف المبكرة واللهفة العارمة في ممارستها، فلننرِ سبل الوجود بالمعروف فيقدم ((نفسه في أحادية الآخر اللغوية بأنه ذلك الكائن الذي لايمتلك سوى لغة واحدة))^(٤)، تساهم في إنتاج الأثر الأدبي، المرهون بثقافة المنتج له، فهو الذي يوجهه على وفق ما يراه مناسباً

١- مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة د محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م: ١٤

٢- اللغة ، فندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، القاهرة ، ط١، ١٩٥٠م: ٣٥

٣- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ٧ . ٨

٤- أحادية الآخر اللغوية ، جاك دريدا ، ترجمة وتقديم ، د عمر مهيل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م: ١٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾

أما اذا وضع في قصص الاشتراط المسبق ، فان وقعه في النفوس سيميل الى الذبول والأفول ((لأن العبقرية التي تنتج الأثر الرائع الفني ، لكالجنى يصعب حبسها في قمقم فهي حين تحصر أو يضيق عليها لا تلبث أن تشق لها منافذ تتطلق منها الى عالمها الفسيح ولا يمكن لأحد أن يروضها أو يذلها))^(١) ولكونها كفيلة بتأمين سبل الحياة لنفسها ، مهما بلغت أمامها الصعاب بفعل جدها واجتهادها وتواصلها مع الفيض الفكري المتمكن.

لكل فتى وفتاة عددا من الأمنيات ، ولكن هذه الفتاة رصدت ، أمورا كثيرة ، وأحبت أن تعين على التخلص منها قدر استطاعتها فأجملت أمنياتها، وبثت همومها على لسان شاعرها حسين الأعظمي في نشيد أمني الفتاة فقالت بكل جرأة وقوة :

إني أحبُّ بأنْ أكونَ طبيبةً أشفي القلوب
مما أَلَمَ بها من الذلِّ المبرِّحِ والخطوبِ

إني الطبيبةُ والخيرةُ بالنفوسِ الجاهلة
ليس الدواءُ لدائها غيرَ العلومِ الكافلة

لو يعلم الانسان أنَّ الجهل من نوع الممات
لرأيته بالعلم يسعى للبنين وللبنات (٢)

شفاء القلوب غير شفاء الاجساد ، لذا فان هذه الفتاة تكاملت لديها مواطن الهمة ، كي تكون طيبة للقلوب وتلك
أمنية الوثائق الصابرات ، لأن العلوم هي الكفيلة التي تعمل في مداواتها ، وهي الأسلم في بث الحياة فيها ، ولوعلم
الانسان أن الجهل من نوع الممات ، لرأيته بالعلم يسعى للبنين ، على السواء مع البنات .

وما دام الحديث عن المضمون الاجتماعي، فقد شدد مريدوه ومن تبنوه ((الزج بين الدراسات الأدبية ، والدراسات
الاجتماعية ، إذ لايجوز عندهم دراسة الأدب ، بمعزل عن دراسة المجتمع ، وقد أدى هذا المنهج في النظر، الى
طبيعة الأدب الى ظهور مقياس جديد أخذ من النقاد والباحثين جهدا كبيرا ، ولايزال يأخذ ، حيث وجدنا أنفسنا
أمام قضية (الالتزام والالتزام) في الأدب ، التي أثارت اختلافا حادا بين النقاد ، في كون الأدب للادب أو
للمجتمع)) (٣) .

وهذه مسألة خلافية ، حالها حال قضية الفن للفن أم للمجتمع ، ولكل منهما وجهة نظر أصحابها ومريديها .
إن تعدد المناهج في دراسة الأدب ، لاتعمل على تغيير جوهره ، بل ينحصر جل جهدها في استتطاق مواطن الرفعة
والجمال فيه ، وماتثيرة المفردات من إشارات مختلفة ، هي بمثابة دلائل موحية الى المقاصد الخفية ، التي
تحتفي بالقيم العليا لكل مجتمع ، ومدى عكس ذلك الأدب لواقع الحالات البشرية والنفسية والثقافية ، في
الصور الفنية المختلفة له ، يكون قد خدم المجتمع.

١. كيف أفهم النقد ، د جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣، ١٩٨٣م ، ٥٩ :

٢ . أناشيد وأدبيات الفتاة : ٢٣- ٢٤

٣. البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات ، والمناهج ، والاجراءات) ا د هادي نهر، دار الأمل ، الاردن ، ٢٠٠٥م : ١٠٠

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾ (١٤٣) ﴿

ولا يمكن فصل العلاقة بين الأدب والمجتمع ، لوشائج المحبة والألفة بين الأدباء والمجتمعات التي يسكنون فيها
وتواددهم فيما بينهم ، يقول هاري ليفن ((إن العلاقة بين الأدب والمجتمع متبادلة ، فالأدب ليس مجرد معلول
لعلة اجتماعية ، بل إنه العلة لمعلومات اجتماعية)) (١) لذا فلا مناص أن يكون الأدب من المجتمع واليه ، لأن
للأديب روابط ، عميقة مع المجتمع ، لا يمكنه نزعها أو التخلي عنها، بعدما لبس جلبابها صغيرا وشاب عليها
كبيرا ، فعالج قضايا دأب عليها المجتمع في مسعى النهوض.

من العادات التي دأب عليها المجتمع الشرقي، هو النهوض المبكر للأباء صباحا ، ثم العمل على إيقاظ أبنائهم
لذا خلد الشاعر هذه الصورة الجميلة ، بعد أن رسمها بريشة الحنان والود ، في أنشودته التي أسماها (الأم توقظ
ابنتها من منامها) قائلا :

با بنتٌ قد طلعَ الصبا حُ وأشرقَت شمسُ النهارِ
قومي اذهبي للدرسِ إنَّ الدرسَ نحوكِ بانتظارِ

إنَّ المدارسَ فتحتْ أبوابها للطالبات*
قومي إليها واذهبي فلقد ذهبَ لها البناتُ

إن فاتكِ الدرسُ الثمينُ إذنْ فأنتِ الخاسرةُ
يابنتُ هلاً تذهبينَ الى العلومِ مبادرةً

يابنتُ جدِّي واعلمي إنَّ السعادةَ بالعلومِ**
هيا إليها واقدمي فالخيرُ في هذا القدوم... (٢)

إن المدارس فتحت أبوابها للطلبة والطالبات، بعد أن أشرقت شمس النهار، لأن الدرس بالانتظار، فان فوات الدرس الثمين ، خسارة لا تعوض بثمن، لذا يجب أن تكوني مبادرة لكسب العلوم ، فالسعادة كل السعادة ، في الحصول عليه ، وقطف جنيته المثمر، لذا جدِّي واعلمي أن السعادة تكمن في إدراكه وكسبه ، وفي هذا إشارة للنهج القويم المتبع من قبل البيئة الاجتماعية التي تتسابق فيه مع طارق الزمن، جيلا بعد جيل، من أجل الفوز به، وبلوغ الرفعة. ولاشك أن السجون تشكل رادعا للمتجاوزين ومقرا - ولو بعد حين - للأحرار المخلصين ، الذين يرفضون كل أشكال الاستعمار والتبعية وتدفعهم شهامتهم أن يستحبوا السجن وقيوده وآلامه ، وشجون لوعته وظلامه المؤلم، على العيش الرغيد في ظل العبودية والتبعية المذلة للاجنبي ، وقد صور نشيد(السجون) للشاعر نجيب الريس كل ذلك قائلا:

-
- ١- مقال في الأدب كقانون، مجلة اكسنت ربيع ١٩٤٦م، نقلعن كتاب مقالات معاصرة في النقد، ويلبرس سكوت، ترجمة د عناد غزوان، وجعفر صادق الخليلي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م : ١٣٨
- *. أخطأ الشاعر اذ جعل البيت من مجزوء الرجز والانشودة من مجزوء الكامل
- ** - أخطأ الشاعر مرة ثانية إذ جعل هذا البيت والذي يليه من مجزوء الرجز
- ٢- أناشيد وأدبيات الفتاة : ١٦

﴿ الفصل الثاني / المبحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾

ياظلامَ السجنِ خيمَ إننا نهوى الظلاما
ليس بعدَ الليلِ إلا فجرُ ليلٍ يتسامى

إيه يادارَ الفخارِ يامقرَّ المخلصينْ
قد هبطناكِ شباباً لا يخافونَ المنونَ

وتعاهدنا جميعاً يومَ أقسمنا اليمينا
لن نخونَ العهدَ يوماً واتخذنا الصدقَ ديناً

لستُ واللهِ نسيّاً ماتقاسيه بلادي
فاشهدني يا نجمُ إنني ذو وفاءٍ وودادٍ... (١)

عرفت البشرية السجن منذ القدم ، وأصبح عرفا في البيئة الاجتماعية ، للحد من الجرائم التي ترتكب من دون وجهة حق داخل المجتمع ، لكنه حول تدريجيا ليضم ، كل الأحرار المطالبين بحق الحرية المتزنة ، والحقوق

المشروعة التي صانتها الشرائع السماوية، وانتهكها الحكام الظالمون عبر مرور الزمن ، وقد تكون ((لحظة انكسار الذات السجينة أمام السلطة عندما تدرك أن الآخر لا يولي اهتماما لتلك الصرخات، التي تطلقها الذات من قعر السجون))^(٢) عند من لم يؤمنوا بقضيتهم التي سجنوا من أجلها، أما الذوات المؤمنة بعدالة قضيتها فإنها تنادي بلسان جرأتها قائلة : يا ظلام السجن خيم ، في قلوب صابرة تتحدى عزائمها الظلام وأهله.

لم تزل معادلة الفقر والغنى بين الافراد في المجتمعات ، سُنّة أوجدها الله ، ليرى ماذا سيفعل الاغنياء ؟ حينما جعل أرزاق الفقراء في أكفهم ، لهذا عالج شاعرنا الرصافي، من منظار عادل ومنصف ، هذا الأمر في نشيده (الأغنياء والفقراء) قائلا:

أيها الناظرُ ذا الفقرِ بعينِ الإزدراءِ
لاترُدْ بلواه من فعالك هذا ببلاءِ
أنتَ تغدو بكسائٍ وهو من غيرِ كسائٍ
وشواءٌ تتغذى وهو من غيرِ غذاءِ
ولكم باتَ عشيّاً طاوياً دونَ عشاءِ
كنْ - اذا كنتَ غنياً - راحماً للفقراءِ
أنتَ لولاهم لما أصبحتَ بعضُ الأغنياءِ...^(٣)

١. الأناشيد المدرسية والألعاب : ٤٥ - ٤٦

٢. جدلية الذات والآخر في شعر سجون العصريين الأموي والعباسي، اطروحة دكتوراه ، رائد حميد مجيد ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ٢٠١١م : ٤٤

٣. تماء التربية والتعليم : ١٩ - ٢٠

﴿ الفصل الثاني / البحث الخامس : المضمون الاجتماعي ﴾ ﴿ ١٤٥ ﴾

ليس الفقر عيباً ، حتى يمارس بعض الجاهلين ، احتقار الفقراء وإذلالهم ، إذ أن البيئة الاجتماعية الحاضنة لهم تحاول مساعدتهم ورفع مستوى معيشتهم ، والشاعر الاجتماعي الرصافي كان راصداً دقيقاً، لكثير من هذه الحالات واتبع منهجية واضحة ورشيده ، في الكشف عنها شيئاً فشيئاً ، بوصفه واحداً من الشعراء المصلحين ، ليقدم الى النشء زادا ثقافياً، متى ما تلقوه ووعوه فإنهم سيفهموه ، ويعملون على مد يد العون اليهم لاحقاً، وهذا ما يأمله الشاعر وكل منصف.

وللنجدة قيمة عليا، في ضمير الوعاة ، لذا خلد الدكتور مصطفى جواد، فعلها الكريم في (نشيد استجداد العراقي) قائلا:

يا أيها العراقي الشهمُ الغيورُ الراقي
رحبتُ باسترقاقي مالذَّ من مقامي

قد ضررتني أعدائي وهدموا سمائي
مذ ثرتُ في أرجائي فسُرُّ للانتقام^(١)

لوعة الاسترقاق تدعو الى الاشفاق ، كون البيئة التي نشأ فيها ، تلاشت وهوت بمرور الزمن ، وتلك مشيئة الله في خلقه ، ولما كانت البيئة الاجتماعية العراقية ، عرفت عنها النخوة والشهامة والغيرة ، لذا قصدها هذا العربي لانثا بها لسمو ما يحمل أهلها من دواعي الكرامة ، لهذا نرى الشاعر سار في قصيدته عبر منهجية اجتماعية استتارت أبياتها من واقع معاش ، قاصدا بها تذكير النشء بما كان عليه أجدادهم ، من مكارم الأخلاق ، ليحذو حذوهم في قابل الأيام حينما يكبرون.

وخلاصة المبحث : أن الشعراء شددوا في أناشيدهم على الظلم والجور كظاهرة اجتماعية ، شاعت طيلة الإحتلال العثماني ، وبدا الفقر والجوع يلوح في البلاد من جراء تفشيها واستمرارها، كما شددوا على الإهتمام في نقل مكارم الأخلاق والثقافة عموما الى الأجيال اللاحقة ، لذا نظم أحدهم عن حالات الضرير، وعن معاناة امرأة الشهيد في تنويم ابنها ، وآخر عن فرح العيد، وعن التباهي بحب الوطن ، ورفرفوا مع علمه الغالي، وامتدحوا غيره أهل العراق ونظم آخرفي لغة العرب، وعن أمانى إحدى الفتيات، بحيث أحاطوا في الأمور الإجتماعية التي وعوها داخل البيئة.

١- الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الاجزاء الخمسة : ٤ / ١٢٢ - ١٢٣

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

المبحث السادس : المضمون النفسي

إن دراسة المنهج النفسي للادب بدأ حديثا ، وتزامن بعد ظهور نظريات فرويد عن الشعور واللاشعور والسلوكيات المختلفة في مدرسة التحليل النفسي التي شيد أركانها في الثلاثينات من القرن العشرين .
والنفس البشرية منذ الأزل، تأخذها ساعات الفرح فتنتشي بها، وتعبر عنها بمختلف طرائق التعبير الأدبية ، ويدهاها الحزن ، فتلتوي ألما ولوعة منه، لكن تعبيرها أيام حزنها يختلف تمام الاختلاف ، عما يريحها أيام فرحها وسرورها.
وموضوع الشعر بصورة عامة، متعدد الجوانب والمشارب، وأهمها مايقدمه التحليل النفسي الينا من أمور معرفية نجلو بوساطتها كثيرا من الخفايا التي رافقت ولادته ، بوصفه منجزا إبداعيا للكبار أو الصغار على السواء وعليه فهو يسعى جاهدا للكشف عن مكوناته وعن اللمسات الابداعية التي غدت عناصر التأثير فيه وشدت بمجموعها أنظار وأفكار المتلقي اليه، وعليه((فان علماء التحليل النفسي لايمكن أن يكونوا بالضرورة نقادا للادب لمجرد أنهم يستطيعون تفسير الاشارات والرموز التي ترد في العمل النفسي))^(١).

لذا فهم يحاولون كشف الانفعال الذي أدى الى هذا العمل الادبي أو ذاك ، ومعرفة مدى قوته أو خفوت شرارته تبعا لمعطيات مختلفة لها أبلغ الاثر في تهيجه ، وشدة وقعه في النفس ، ووقفوا عند كل حالة للتمييز بينهما، وقفة

علمية أدبية ، وذلك استجابة لثنائية الفكر والشعور اللذان يشتركان معا في ولادة المنتج الابداعي ، وإظهار ما به من لفات جمالية الى المتلقي .

يقول هويلى ((إن الشعور ليس شيئا يضاف الى الصور الحسية ، وإنما الشعور هو الصورة أي أنها الشعور المستقر في الذاكرة ، الذي يرتبط في سرية بمشاعر أخرى ويعدل منها))^(٢) ولاشك أن أناشيد الصغار يجري عليها ماجرى على غيرها فالأدب واحد سواء أكان الشعر موجها للكبار أم للصغار ، فإن منظور التحليل النفسي يتأمل في تعبيراته ويتغلغل في خفايا أبياته ليعلل الدوافع الكامنة وراء تلك الصور الشعرية ، التي ساهمت في نتاجه ليكون الحكم بعدها منطقيا على وفق الاعتبارات الظاهرة في النص الأدبي ، وتلك المنارات التي بدت منه ، وقد تطورت دراسة الأنا في ظل مدرسة التحليل النفسي ورائدها سيجموند فرويد (١٨٧٠- ١٩٣٧ م) على الرغم من أنه لم يشر الى مصطلح الذات ، إذ قابل الأنا الذات الواقعية ، بينما تقابل (الهو) الذات الغريزية وتقابل (الأنا العليا) الذات المثالية الضمير الكابح ولاسيما أن الذات تنشأ أصلا من الأنا ، عندما يبدأ الطفل في التمييز بين جسمه والعالم المحيط به ، وهو ما يطلق عليه الأنا البدائي^(٣).

وفي ضوء ما تقدم ، فلا تخلو النفس البشرية ، من تأثير هذه الذات المتحركة داخليا، في مسير اتجاهاته وتفكيره وكل منها يحاول أن يجره الى جانبه، والذات المبدعة، أشد تأثرا بهذه التجاذبات الداخلية الفاعلة والمؤثرة، وأما الابداع فينظر له :على أنه فعالية نفسية ترتبط في أغلب الأحيان بتوتر نفسي ، وتهيج انفعالي من المحيط الى الذات^(٤).

١. التفسير النفسي للادب : ٢٥

٢- نقلا عن المصدر نفسه : ٧١ p. 76 whalley.poetic process

٣. ينظر مبادئ علم النفس الفرويدي : س كالفن هول ، ترجمة دحام الكيال، مكتبة دار المتنبي، بغداد ، ١٩٨٨ م : ٢٨

٤. ينظر الدافعية والانفعال: ادواردج، موارى ، ترجمة د احمد عبدالعزيز ، د محمد عثمان نجاتي، دارالشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٨ م: ٢٨

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

فالشاعر الرائد (داود الملاح) آلمه انكسار نفسية الشعب وخموله، في مقارعة الاحتلال العثماني ، وهذا المؤثر وإن كان خارجيا ، إلا أنه كان مؤلما وموجعا له فضج قائلا :

فثبوا ممّا عراكم واخلعوا ثوب الخمول
فلکم قد شهدَ العا لُم في كبر العقول

واذ کروا أسلافکم اذ دَوخوا تلك البلاد

وأنا روا بشموس العلم أ فکار العباد^(١)

ينبني النشيد على ثيمة رئيسية ، ترتبط بالجانب النفسي ، ويميل بالعودة الى التأريخ الذي حفلت جوانبه المشرقة بكل ما يرفع أعمدته الى المجد والسؤدد ، إن إثارة همهم وتوجيه الأمر اليهم عامل نفسي مؤثر، يدفع بمشاعرهم نحو التأجج والحمية ، خاصة وأن التذكير بفعل الأجداد يثير الحماس بين كل الناس ، ويدفعهم الى دفع الشعور بالاحباط واليأس عنهم كي ينهضوا، في مواجهة المحتلين .

ومن الملفت أن دراسة النصوص الأدبية للتحليل النفسي ، وسّعت النظر ، في اكتشاف ما لم تكتشفه الحقول الأخرى حينما ((أعطت دراسة النصوص الأدبية للتحليل النفسي الوليد ، فرصة تجاوز الحقل الطبي المحض ليجعل من نفسه ، نظرية عامة للنفسية والضرورة الانسانية))^(١) .

وقد تجد بعض النفوس راحة في البكاء ، من شدة الألم واللوعة ، التي تفتح محاجر العيون ، فينفجر ينبوع الدموع حارا جارحا ، وأشدّه ماكان يتأتى في الندبة، والشاعر محمود الملاح ، كان مفجوعا بقومه ، الذين غادروا الدنيا، لكن فعالمهم الكريم ترفض الرحيل ، لهذا قال :

نفسى الفداء لقوم في الأرض كانوا نجوما
إذا بكيت عليهم دماً فلست ملوما
بالسيف والعدل سادوا صيناً و فرساً و روما
وكم أجازوا بحاراً وكم تعدّوا تحوما
وكم جَلّوا بالعوالي من الضلال غيوما^(٢)

انتدابه لقومه دليل على انكسار نفسه وتلاشيها ، بعدما ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، لذا تمنى أن تكون نفسه فداء لقومه ، الذين كانوا نجوما ، وقد شبههم بذلك دلالة على جهادهم في تبليغ الهدى ، الذي به اهتدت الامم مثل اهتداء الساري بالنجوم ليلا ، فاذا بكى دما عليهم فليس ملوما، وقد استعار الدم بدلا من الدموع ، لاشعار الآخرين بشدة الألم في نديهم ، وحدة ذكراهم في الضلوع ، وهذا استشعار داخلي، هزه من الاعماق ، فلم يقو إلا أن يجيبه بنفثاته الشعرية لتفريغ شحن ة الألم وبثها عبر الأبيات المتتالية ، لأن التجربة الانفعالية بكل معطياتها ((لاتتم

١- الاناشيد الموصلية : ٢٠

٢- مدخل الى مناهج النقد الأدبي، النقد - التحليلي - النفسي، مارسيل ماريني، ترجمة د رضوان ظاظا، مجلس الثقافة، الكويت، ١٩٧٨م
٥٠:

٣- المصدر السابق : ١٦

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

داخل ذات الشاعر فقط ، وإنما جزء كبير منها يأتي ، نتاج تماس تلك الذات مع العالم الموضوعي))^(١) .
وقد سادوا بعدلهم وسيفهم ، بلاد الصين وفارس وبلاد الروم ، وكم عبروا البحور وتعدوا بجيوشهم الثغور، وكم جلّوا أي أزاحوا بالعوالي وهي الرماح من الضلال غيوما ، وقد برع الشاعر في هذه العبارة إذ جمع بفني البلاغة الأول تقديم الجار والمجرور على المفعول به (غيوما) وأصل الجملة (غيوما من الضلال) والثاني شبه الضلال بالغيوم دلالة على الليل والسواد الذي يحجب النور ويمنع الرؤية ، وهذه الصورة البلاغية أوحّت بما يجلي المعنى ويزيده وضوحا ويؤثر نفسيا على المتلقي ويشده اليه.

إن الاطفال بصورة عامة يحبون تعلم كل شيء ، ويلحون أحيانا كثيرة بأسئلة متعددة ، وهذا العمر كله ، لا يكفي طفلا ويشبع نهمه لون من الأدب والفن ، بل إن روحه تستوعب الثقافة كلها وما يحيط بها ، لأنه يحاول جاهدا فهم الآخرين ليسهل عليه التفاهم معهم ، لذا فإن مسعاه يتركز في ((مايكسبه بالدرجة الاولى هو التهيؤ لفهم الآخرين والتفاعل معهم بما يناسب المواقف ، والقدرة على عمل الاشياء وتوليد الافكار ومواجهة المشكلات))^(٢) .

وقد أخضع علماء علم النفس الإرتقائي ، الطفل في مراحل نموه المختلفة ، لعدة بحوث ودراسات ، تتعلق بطبيعة ودرجة اشباع الحاجات عنده ، وأهم هذه البحوث البحث الذي قدمه ستين تحت عنوان (استئارة الابداع عند الطفل) إذ وجد أن الحاجات الانسانية ، تبدأ في مدرج قاعدته اشباع الحاجات الفسيولوجية ، وعلى قمته الاشباع الروحي أو الوجداني من خلال مفهوم التقدير واحترام الذات .

والشاعر محمد سعيد الجليلي نبه النشء ، وهياً نفوسهم لرفض الذل وإشباعها من العزة قائلاً :

واخلعوا أطمارَ ذلٍّ وثبوا وثبَ الأسودُ
واشبهوا أسيافَ علمٍ واقطعوا هامَ اللدِّ وذُ
فبذا نحيا ونسمو وبه حقاً نسودُ (٣)

إذ شدد في القول عليهم ، قائلاً : واخلعوا أطمار ذل ، وهذه استعارة لطيفة ، إذ جعل للذل أطمار وهو الثوب البالي فكأنه يعيب عليهم لبسه ، ويقول لهم الذل ثوب بال وعتيق ومتهر فاخلعوه ، كيف ترتضوه ؟ بل البسوا ثوب الكرامة ، والعزة بديلاً عنه ، وهذا من باب تكريه النفوس في الشيء غير الحسن ، ولفت النظر الى الأحسن ، بعدها وثبوا أي اهتموا وانقضوا مثل الاسود ، وقد حذف أداة التشبيه (مثل) كونه أبلغ وكون مصدر وثب (الوثوب) يعوض ويدل عليها في السياق ، وثمة جدلية قائمة بين الحاكم أو المحتل غير الشرعي للبلاد ، فمثل النشيد ((حالة انقلاب فردي ، آليته النفسية الاستنباط فالشاعر يستنبط موضوعين ، او بالمعيار الأصح ، وجهين لموضوع أو رأيين في موضوع أو صورتين لموضوع)) (٤) فكلاهما يمارس الظلم والقمع والتعسف إزاء من يتفوه بطلب الحقوق وهذه الجدلية هي التي تمكن الشاعر ، من أن يشعر بذاته ويلبي عن طريق قول الشعر طموحاته ، بعدما عجزت عن تحقيقها امكانياته .

١- الرؤية والعبارة (مدخل الى فهم الشعر) عبد العزيز موافي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٨٠

٢- ملف العام الدولي للطفل ، مجلة المنهل ، العدد ٤٣٤ ، السعودي ، ١٤٠٥هـ : ١٩٩

٣- الاناشيد الموصلية : ٥٢

٤- نقد الشعر في المنظور النفسي ، د ابراهيم ريكان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ١٩٨٩م : ٤٠

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

اذ أن ((الانسان لا يمكن أن يشعر بوجوده حقاً إلا في علاقته بذلك الآخر ، الذي ينكره ويعارضه)) (١) واشبهوا أسياف علم ، وهذا مجاز عقلي أشد وأقوى من الاول ، إذ جعل للعلم أسياف ، يقرعون بها وجوه الأعداء ، أي احملوا العلم سيفاً نحارب ، ونقطع به هام الخصم اللدود شديد العداء لنا ، لأننا بهذا نحيا ، ونبلغ العلى ، ونكون بشموخنا سادة القوم ، وهذه العبارات جاءت عبر منهجية نفسية غايتها استثارة مشاعر المواجهة ، ومقارعة الخصوم .

للطفلة أو الطفل الذي درس في المدرسة بهجة ، تعاوده اليها كلما سمع أن المدرسة قد بدأت دوامها ، لدوافع عدة منها لقاء أصدقائه وزملاء صفه ومعلميه ، وولعه في معرفة المزيد من الدروس ، لذا أحب شاعرنا الرصافي أن يرسم حالة الفرح والتهيؤ النفسي للعام الجديد في انشودة الاطفال لافتتاح المدرسة فقال :

قد مضت عطلتنا فرجعنا للدروس
هذه بغيتنا فلتطب منا النفوس
إن في الدرس المنى إنه ينفي النحوس

قد مضى لهوالمصيفُ فبرحنا مأنسه
وأتى فصلُ الخريفُ فحضرنا المدرسة
ملبسُ العلمِ شريفُ فاجتهدُ أن تلبسه

إنَّ أيامَ الصبا فرصةً للناشئينُ
من قضاها لاعبا سيُرى في النادمينُ
فأجدوا الطلابا إنما الوقتُ ثمينُ (٢)

إن الذات الواقعية للطفل تجبره أن يميل الى الذهاب للمدرسة ، التي سوف تحدد مستقبله وما ينفع به نفسه ومجتمعه لكن (الهو) تجرّه الى غريزة اللعب واللهو، كون الأقران وهم مؤثر خارجي ، يمارسونه أمامه ، لذا فرّق علماء النفس بين آليتين من آليات البواعث النفسية هي الحافز وهي المثيرالقدام الى الفرد، من الوسط المتجه من خارجه والثانية الدافع وهو الضغط الداخلي النابع من الفرد تجاه الوسط المحيط به (٣) .

لذا مضت العطلة وحان وقت الرجوع للدروس ، وهذا مانطلبه ونريده وبه تطيب النفوس ، لأن في الدروس المنى وكل ما نهوى ، فهو ينفي عنا كل شيء مؤلم ونحس ، اذ أن لهو المصيف قد مضى ، وهنا تبدو ملاحظ الشاعر المهمة التي يصور فيه الطفل ، وقد غادر الدوافع الداخلية ، واندفع نحو مغادرة ماكان يؤنسه سابقا ، وبرحنا أي غادرنا أنسه واندفع ذاتيا الى الجو الدراسي، وهذه المنهجية النفسية تشكل باعثا قويا، يرافق الذهنية الطفلية ويعمل على تنشيطها ، ويدفعها نحو الدرس والمدرسة والأصدقاء ، لتشكل بذلك وحدة متكاملة في بنائه .

١- مشكلة الانسان ، د زكريا ابراهيم ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، د ت : ٥١

٢. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ٣٥

٣. ينظر: سيكولوجيا الدافعية والانفعالات ، د محمد محمود بني يونس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، ط٢، ٢٠٠٩م

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

وله أنشودة ثانية ، لاتقل روعة عن الأولى وهي (اضحك) إذ كان شاعرنا يراقب بدقة الحالات النفسية للتلميذ والطالب ، وأخذ يعبر عما يجول في خواطرهم ، تجاه المدرسة والحياة عموما ، حيث منعه من التفكير اليأس ودعاه أن ينسى الذي جلب الهم اليه قائلا:

لاتفكرْ يائساً وانسَ الذي همكُ
لاتقطّبْ عابساً إن حادثٌ غمكُ
لاتبالي بالقضا إن ساءَ أو سرّكُ
غالبنه بالرضا واضحكْ له واضحكْ
خلّ ما لايرتجى واقنعْ بما عندكُ
واذا خطبّ دجا فاهزاً به واضحكْ (١)

اليأس حالة نفسية صعبة ومريرة ، تؤدي الى الفشل والاحباط فينطوي الطفل ((ويعيش في عزلة عن أحداث يومه ، فهو لا ينظر خيرا في المستقبل، ولا يتوقع خيرا من الناس))^(٢)، لذا أمره بنسيان الهموم كي يتجدد نشاطه ويُقبل على الحياة بروح مبتهجة ، ونهاه أن يُقطب وجهه ويكون عابسا ، لأن العابس عاكس للحزن وشارد للذهن ولا تبالي فيما يقضى لك من أمر سواء أساء اليك أو سرّك، وهنا كان تركيز الشاعر على المؤثر الخارجي حيث اتخذ الدارسون ((علم النفس وسيلة مهمة وأساسية لفهم الأدب وتفسيره))^(٣) وحذّره من أن لا يتأثر بما يلاقي في الأيام لسبق علم الشاعر وخبرته في الحياة التي منحته بعدا فكريا، يستقرأ فيه أحداثا وقعت أو لم تقع ، وأمره بشق ثوب الهم ، وهذه من العبارات المجازية ، لعلمه عدم دوام الضنك والألم ، وكذلك النعماء ، وكلاهما يمر ويستخلفه غيره وبسط بين يديه منهل القناعة كي يرد راشدا منه لأنه قريب الى متناوله وهو عنده ، وأن يغادر بيمين عن كل ما لا يرتجى من الأمناني البعيدة المنال ، لأنها تتعب في مرادها الأجسام ، وإذا الخطب دجا أي اذا أتتك مصيبة وصارت عليك الدنيا مظلمة ، فلا تتبأس بل فاهزأ بها وضحك ، لأن حالتها هذه لن تدوم ايضا، إذ تعامل الشاعر مع المنهج النفسي بتتبع دقيق ، أثمر في التهيئة لاستقبال الشيء وضده ، كي يولد شحنة إضافية ، من الدافعية للتعامل مع الحياة ، في أيام مرارتها وحلاوتها لدى النشء .

ومثلما يتشاغل الفتى ، ويطلب أمان كثيرة ، وهو يمتلأ لهفة كي يراها تتحقق ، ولو بالتدرج فكذلك رصد الشاعر العراقي المبدع حسين الأعظمي حال هذه الفتاة ، ونفسها تشدو بحبها لما ترجوه في انشودته (العلم) قائلا :

أنا يا قومُ فتاةٌ أطلبُ العرفانَ جهرا
وأحبُّ العلمَ حبًّا مستزيداُ مستمراُ
وله أفدي حياتي وبه أزدادُ فخرا

١- مجموعة الأناشيد المدرسية : ١٤

٢. الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د كريم حسين اللامي ، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨ م ٩٣:

٣. التفسير النفسي للادب : ٢٢

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

﴿ ١٥١ ﴾

هو روعي وحياتي وهو للعلياء ذكرى
أنا (بنتُ العربِ) أبغي أن يعيشَ الشعبُ حرّا
فالعلی منیةً نفسي والعلّا بالعلم تُشرى ^(١)

نفسها تحب عمل المعروف وتطلبه ، وكذلك تحب العلم حبا يطمح ، دوما الى الزيادة والاستمرارية منه وتقدي حياتها من أجله، وهنا نقف الى أن هذا الحب قد وصل في الروح الى حد العشق، وهو أقصى درجات الحب وأشدها لذا فان (الذات) كانت شديدة التأثير عندها بحيث أن (الهو) خفّت حدتها، قياسا اليها ولا يخرج الابداع رصينا أخلاقيا مبهرًا ، إلا عندما تتوافق المؤثرات فيه داخليا فيما بينها، بشكل تكون فيه الذات الواقعية ، أكثر رجحانا من الذات الغريزية والمثالية ، كي لاتذهب حدا تجنح فيه الى الخيال، ولا تتلاشى تحت سلطة الغرائر، لذا أكد برجستون أن جوهر الابداع هو الافتعال ، الذي يعد بمثابة هزة عاطفية في النفس^(٢) فهي تنتشي - إن بلغته - مفتخرة به

ونتيجة لعشقها للعلم فهو لديها مساو للروح والحياة ، لأنه يمثل ذكرى العلياء على الارض ، وهو بلا شك ذرى
همة الواعين ومسرى المهتدين في كل زمان ، حيث سخر الشاعر كل طاقاته ، في قراءة المنهج النفسي ، ومدى
تأثيره على الفتاة ، ومتابعة حالة الفرح والنشوة لدى الفتاة ، عند بلوغ مرادها في كسب العلم والمعرفة ، كي تدرك
بهما مرافىء العلى والرفعة .

للأم حيرة ولوعة كبيرة لا يدركها سواها ، عندما يصرخ طفلها باكيا ، ثم يتمتم بألفاظ لاتعرف معناها ، ولاتعرف ماذا
يريد وهذه التمتمة المبهمة ، تشابه الى حد كبير فعل المبدع اذا كان أسلوبه غير واضح المعالم ، بحيث يختفي
المضمون الهادف خلف جدران الابهام ، لأن في الأدب والتحليل النفسي ((يحتل الاسلوب مكانا رفيعا ، بل هو
المفتاح لفهم الدوافع الكامنة وراء الاصوات العديدة ، ولذلك فان دراسة الفن ، على أساس التحليل النفسي ، يجب
أن تهتم بالصورة (الشكل))^(٣) لذا رصد الشاعر الرائد حسين الأعظمي حيرة الأم في نشيد (الأم وطفلها) قائلا :
يا طفلُ ماذا تنادي وما كلامك هذا؟
أراك عيًّا عن النطقِ إن نطقك ماذا؟

نم يا بني بأمنٍ فإنَّ حزنك حزني
وأنت نفسي وروحي ومهدك اليوم حضني

بني لم ادر ماذا تقول حين تنادي
لكن صوتك هذا يهتزُّ منه فؤادي^(٤)

فهي لاتعرف ماذا وراء كلامه حين ينادي ، فهي تراه عيًّا عن النطق ، لذا فهي تهزه في حضنها وترغب أن
يكون نائما آمنا ، ولا تريد أن يكون حزينا ، لأنه نفسها وروحها ، وقولها مهدك اليوم حضني، اشتمل على علائق

١. اناشيد وأدبيات الفتاة : ٦

٢. ينظر : الحدس والابداع ، د عبد اللطيف محمد خليفة ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠م : ٤٢

٣. التفسير النفسي للادب : ٧

٤. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٣٥ - ٣٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

الروح تجاه الوليد فكما أن المهد يغطي جسم الطفل ويحتويه فالحضن يقوم كذلك ، لأن صوت بكائه يهز فؤادها .
ويذهب بعض العلماء الى ((إن الألفاظ ليست إلا رموزا تعبر عن المعاني الكامنة في النفس))^(١)، وعليه
فان هذا الطفل ، وإن كانت تمتته غير معلومة المعنى ، لكنه يريد شيئا ، وقد دفعه اليه لا أراديا مؤثر داخلي
لا يقوى على رده ، لذا أخذ يهذي بحاجته، من دون أن يعرف ماذا يقول ، لذا فإن التعابير الأدبية كشفت عن حالة
الحيرة النفسية، لأن بين علم النفس والأدب وشائج عديدة ، تقوم على التبادل المعرفي بينهما دائما ، فالخبرات
الموجودة في الأدب، يتأمل فيها القارئون على التحليل النفسي ومبدعو الأدب ينظرون في نتائج التحليل النفسي
على أنها طرق علمية تكشف خفايا، إشارات تركوها في نتاجهم الابداعي، ولكن هل يستطيع علم النفس من إنشاء
الادب؟ إذ نفى أحد الباحثين في هذا المضمار ذلك قائلا: ((واذا كان بين علم النفس والأدب اشتراك ، في كثير
من القضايا ، فليس معنى هذا، أن علم النفس يستطيع أن يفيد في إنشاء الأدب))^(٢) لأن الأخيلة الأدبية أنهار

جارية لديمومة الاتصال مع الطبيعة ، واكتشافها من جديد ، فما أكثر النفوس التي تهوى الابداع ، وما أقل من ينتج منها إبداعا ، ويبعثه حرا طليقا ، في فضاء الناظرين ((فالنفس المبدعة إذ تدع ، تمر ولاشك بدورة تتمثل فيها خلجات الروح منفعة بادراك الواقع الذي يحرك النفس الشغافة ، فيهبز منها وتر الاحساس))^(٣).
الجزع أحد الأمراض النفسية ، التي يحاول علم النفس العمل على معالجتها ، عن طريق البحث في أسبابه والمساعدة على تخفيف وقعته على النفس البشرية ، والشاعر حسين الأعظمي في أنشودة الأم ترشد ابنتها ، عالج هذا الأمر وتتبع دقائقه قائلا :

يابنتُ مالكِ جازعة؟ وعن الخياطة هارعة
فتعلمي فنَّ الخياطة فالخياطة نافعة
وتعلمي التطريز كي تضحى فتاةً بارعة
مابالُ نفسكِ هكذا تهوى البطالة جازعة
لم تسمعي قولي وكلُّ الناسِ قولي سامعة
قد كنتُ أحسبُ ابنتي ليلي لقولي طائعة
واحسرتا لو تعلمينَ بأيِّ هونٍ واقعة
لنهضتِ ممأنتِ فيه وكنتِ بنتاً خاضعة...^(٤)

للآباء والأمهات نظرات ثاقبة ، في مراقبة أبنائهم ، ومتابعة مايفعلون ، وهم الأدرى من سواهم بما يصدر من سلوكيات مختلفة منهم ، لذا فهم يحاولون توجيه أبنائهم الى أحسن مايرغبون ، فان رأوا فعلا منحرفا، منعوه وعاقبوا عليه ليشكل ذلك رادعا للمخطيء ، كي لا يكرر فعله ، وإن أحسن أحدهم ، كافئوه وشجعوه ، وربما أكرموا ، طمعا

١- المدخل الى علم اللغة ، د رمضان عبد التواب ، ط٢ ، ١٩٨٥م : ١٣٧

٢- التفسير النفسي للادب : ٢٤ - ٢٥

٣- سيكولوجيا الابداع في الحياة ، د عبد العلي الجسماني ، مطبعة الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م : ٢٣

٤- أناشيد وأدبيات الفتاة : ٢٧

﴿ الفصل الثاني / المبحث السادس : المضمون النفسي ﴾

في تكرار فعله الحسن ولاختلف في هذاغالبية المجتمعات ، فهذه من الثوابت الانسانية والأسس التربوية ، فان رأت إحدى الأمهات جزع ابنتها من عمل من الأعمال، شجعته كي تتجاوز نفسيا حالة التردد التي منعته، من التواصل في هذا العمل أو أي عمل آخر بفعل الإرادة التي تعني بها ((نوع المعاندة الذاتية ، وتوفر عنصر التحدي والإصرار على الاستمرار بالوجهة التي قررتها الرغبة))^(١) لأن النصيح والارشاد، أحد العوامل النفسية التي تعطي حافزا معنويا وروحيا خفيا ، يعين على العمل ويستقبل الطاعة ، لأن هذه البنت واقعة في الهوان والذل ، ولوعرفت خزي ما وقعت فيه ، لكانت بنتا طائعة، إذ ربما عاشت هذه الفتاة انهيار الذات الواقعية ، لعدم إمكانيتها، في عمل التوازن بين ماتطلبه(الهو) وبين الذات وعدم الموازنة بين هذه المؤثرات قد يؤدي أحيانا الى كسر الذات وتحطيمها وتلاشيها .

إن عماد أدب الاطفال في كل أمة من الأمم ، هو أن يحمل مقاصد تربوية وثقافية ، لينقل ماورثه الآباء عن آبائهم وأجدادهم، ويضيف اليه كل ما يبرز من اشياء حداثوية، ليكون الرابط بين الماضي والحاضر دقيقا ومتوصلا

لذا فان ((أدب الاطفال في الأغلب الأعم يحمل مقصدا تربويا ، بالضرورة يساعد في تنشئة الاطفال معرفيا واجتماعيا وأخلاقيا ونفسيا، وثقافيا، من خلال ما يقدمه من خبرات ونماذج يحمل كل منها قيمة أو مفهوما اجتماعيا كي يجسد قيمة أخلاقية أو ثقافية أو أكثر))^(٢)، وهذا ما يسعى له كل القاصدين لهذا الأدب والعاملين عليه.

لقد حظيت دعوى فصل مرحلة الطفولة ، عن المراحل الأخرى ، باستجابات واسعة ، لذا دعا المتخصصون في شؤون الطفل، الى دراسة كل مرحلة على حدة دراسة مستفيضة ، تبدأ من البداية حتى النهاية ، كي تكون شاملة ووافية حيث أن ((اكتشاف علم النفس مرحلة الطفولة كمرحلة مستقلة ، من عمر الانسان لها ميولها واهتماماتها ودوافعها المستقلة عن الكبار ، فتح الطريق للمعرفة الصحيحة بالطفل ونفسه))^(٣) ثم سهل على أرباب التربية انتقاء ما يروونه قريبا من عقولهم ، ولايخرج في مضمونه عن قدراتهم الفكرية وأعطاهم الحرية في تنوع ما يقدمونه للطفل كي يغنوهم بخبرات معرفية وأدبية مختلفة ، تساعد في كسبها وفهم الحياة من خلالها فضلا عما يكتسبونه من المحيط الذي يعيشون فيه.

شكل العطف على اليتيم ، من أولويات الدين الاسلامي والاعراف الاجتماعية ، لذا أحب الدكتور أحمد حقي أن يجعل من العصفور اليتيم منطلقا الى اليتيم بصورة عامة ، في انشودته العصفور الصغير قائلا :

أنا عصفورٌ صغيرٌ أنا عصفورٌ صغيرٌ
قتلَ الصيادُ أمِّي ليس لي اليوم نصيرٌ

أنا في الغصنِ مقيمٌ أنا عصفورٌ يتيماً
ليت لي جناحاً قوياً ليتني الآن أطيّرُ

من ترى يحنو عليّ؟ يرسلُ الحبَّ إليّ

١. نقد الشعر في المنظور النفسي : ١٦٢

٢. أدب الاطفال ، ا د كمال الدين حسين : ٣٩

٣. المصدر نفسه : ٩٢

ارحموني أطعموني أنقذوني أستجير^(١)

العطف على اليتيم واجب انساني تجاه الانسان أو الحيوان ، قبل أي اعتبار آخر، لأننا بوساطة العطف نحارب الروح الوحشية ، الشريرة الكامنة في دواخلنا، وإبعادها عن ساحة الانسانية ، والألفة والتوادد والتراحم والتكافل بين أفراد المجتمعات، كذلك إفهام النشء حرمة القتل للانسان والحيوان بلا مبرر، لأنه سوف يكثر من اليتامى والجوعى والباكين والحائرين والمشردين، لذا ترى هذا العصفور، تحدث عن قتل الصياد لأمه، كي يشعر الآخرين بلوعته ومدى تألمه، لأنه لايزال صغيرا ولا يقوى على اطعام نفسه ، فكيف سيعيش؟ وفي نفسه حاجة الى الأكل والشرب فماذا سيفعل؟ وقد اشتد عليه جوعه فصاح ارحموني أطعموني أنقذوني ، فإنني بكم أستجير ، وحين وصفنا الطفلة اليتيمة في المنهج الاجتماعي ، فذاك عن حالة الإنسان بموت والده موتا طبيعيا، وهي حالة اجتماعية مألوفة أما هنا فالإشارة لحالة قتل الحيوان بلا مبرر، فتسبب هذا الفعل ، في إيجاد عصفور يتيماً والغاية كي يفرق النشء بين الحالتين في اليتيم ، واحدة طبيعية لا مرد لها وأخرى بفعل فاعل ، وفي هذا إشارة الى كل الأطفال ، كي يمتنعوا

عن أذية صغار الطيور أو العبث بها، كي لا يكثر مثل هذا العصفور اليتيم ، وقد تمكن الشاعر من إثارة عواطف المتلقي عن طريق الرمز لهذا الفعل المكروه، لكي تعمل هذه الآثارة من طرف خفي الشفقة والتآزر مع اليتيم، وتدفع لمساعدته من قبل الآخرين .

العبث بكل أشكاله مرض نفسي ، مضر ومدمر في المجتمع والبيئة ، وتجنبه واجب المربين والمجتهدين والاباء أجمعين ، ولو نظرنا لهذا الطفل الذي عبث بالأفراخ الصغار، في انشودة (سليم والفراخ) للدكتور أحمد حقي قائلاً:

رأى سليم فراخاً في عشّ طير الحمام
قد راح للعشّ يوماً والطير رهْ المنام

وأنزل الطير قسراً وراح يلعب فيه
تعباً له من غلام فما له من شبيه

جاءت الى الوكر تسعى أم الفراخ وعادت
لم تلق فيه الصغارا بكّت عليها وماتت

ومات من بعد يوم أبو الفراخ حزينا
هذي جناية طفل أضّر بالأمينا^(٢)

عمل سليم مع الفراخ الصغار، هو نموذج لقمة العبثية والتهور، في حق حياة الطيور والبشر حيث راح يلعب فيها لأن العبثية جزء من الغرائز، ومن خلال الثواب والعقاب ، يتخطى الطفل مثل هذه العبثية ، عن طريق الإقتران

١. المحفوظات الطفلية : ١٦ - ١٧

٢. المصدر نفسه : ٢ / ٢٦ - ٢٧

﴿ الفصل الثاني / البحث السادس : المضمون النفسي ﴾

الشرطي فكلما عمل مثل هذا العمل العبثي عوقب عليه، وإن عمل عملا حسنا ، كوفىء عليه ولو بالتصفيق ، فهذا في نفسه له بالغ الأثر، ومن خلاله يتعلم ما مسموح به ، وما هو غير مسموح به، ومن الطبيعي أن لا تحتل صغار الحمام أن يلعب فيها أحد فماتت من جراء عبث هذا الطفل ، وبعدها جاءت أمها الى الوكر كعادتها ، كل يوم فوجدت صغارها غير موجودة فيه فبكت عليها ثم ماتت ، ومات بعد يوم أبو الفراخ حزنا عليها، إن لمثل الانشودة أثرا نفسيا كبيرا على الصغار، يجعل كل طفل يقرؤها يلعن هذا الطفل ويلومه بشكل عنيف ، كي يرتدع كل طفل يحاول أن يعبث في شيء ليس له، وأن يضّر الأمنين لاحقا لأن الذات البشرية صغيرة كانت أو كبيرة تتلذذ أحيانا بتعذيب غيرها ، لأنها لاتعرف ماذا تريد ، وهي وإن درست أفعالها الخارجية ، وممارساتها الفعلية ، تبقى لنا مجهولة بشكل كبير، وفي ذلك يرى يونغ (١٨٧٥ - ١٩٦١م) أن الذات ((مفهوم نفساني ، بنية عليها أن تعبر عن كينونة تبقى مجهولة لنا، ماهية ما نمنح إمكانية التقاطها، لأنها تتجاوز كما نستشعر من خلال تعريفها إمكانيات فهمنا))^(١).

الندم من الحالات النفسية المؤلمة ، ويتأتى هذا بعد أن يفعل المرء عملاً خاطئاً ، أو يذهب ما يملكه من دون أن يعمل عملاً طيباً يلتمس فيه الخير لنفسه والمنفعة للآخرين ، وحسرات الندم موجعة ، ولكن لاسبيل للخلاص منها)) وهذه حال الانسان اذا أتى من المظالم بما يكره أن يطلع عليه الناس من الأمور التي لايقبلها المجتمع بنظامه المترابط))^(٢) لذا تراه يلوذ بالندم ، وإذا نظرنا ندم هذه العجوز توقفنا عندها، في أنشودة (العجوزالنادمة) قائلاً :

ذهبتُ مني نقودي والدنانيرُ الوفيرةُ
سُرِقَ المالُ فما عندي سوى هذي الحصيرةُ
كانَ لي مالٌ كثيرٌ ولقد صرْتُ فقيرةُ
قطعَ اللهُ أكفًا سرقْتُ مني الذخيرةُ ^(٣)

المرء الذي يفقد ماله ، يكاد يفقد عقله معه ، وذلك لشدة ، قسوة الحياة على من لايمتلك مالا ، حين ذهبت نقود هذه العجوز ندمت عليها ، لأنها لم تتفق منها في عمل الخير شيء ، لهذا سلط الله عليها من يسرقها ، ولو أنها أعطت ما عليها من حقوق شرعية ، لو فر لها من يحرسها ويبعد عنها أيدي السارق ، فلم يبق لديها سوى الحصيرة بعدما كان لها مال كثير فقد صارت فقيرة ، بعدها التجأت الى الله تدعوه ، أن يقطع الأكف التي سرقته، يقول أحد الباحثين ((ويطيع الهو مبدأ اللذة ، وهو لا يراعي المنطق أو الأخلاق أو الواقع)) ^(٤) لذا فان السارق عمل بما يرتضيه (الهو) تاركاً كل الاعتبارات الأخرى جانبا ، حيث وجد لذة في المال المسروق ، وتبذيره لاشباع هذه الغريزة الشاذة .

للبهجة أشكال متعددة ، وطالما يتخذ الانسان ، من تعددها سبيلا للتعبير عن مسرته وفرحه ، كالضحك بصوت

١. جدلية الأنا واللاوعي : كارل غوستاف يونغ : ترجمة : نبيل محسن، مطبعة دارالحوار، سوريا، ط١، ١٩٩٧م : ١٩٠

٢. مختصر تفسير الميزان للطباطبائي ، اعداد كمال مصطفى ، الناشر طليعة النور، قم ، ايران، ط ١٣٣٠هـ ، ١٣٩

٣. المحفوظات الطفلية للدكتور احمد حقي : ٢ / ٢٨

٤. الأنا والهو، سيجموند فرويد ، ترجمة د محمد عثمان نجاتي، مطبعة دار الشروق ، بيروت ، ط٤، ١٩٨٢م : ١٦

﴿ الفصل الثاني / البحث السادس : المضمون النفسي ﴾

عال او التصفيق أو التصفير، أما الحيوانات فتعتمد غالبا على القفز والتناطح والتقرب من الاخريات ، وهز الرأس وإخراج الأصوات وأما الطير فقد رصد بهجته الدكتور مصطفى جواد قائلاً :

رقصَ البلبلُ فوق الشجرِ يغسلُ الريشَ بماءِ المطرِ
إنما الأقفاصُ سجنِي وبها أنا قاسيْتُ عظيمَ الخطرِ
خُلِقَ الحيوانُ حرّاً مطلقاً هل عدلتُم عن جميلِ الخبرِ؟
أنا لأَرْضَى سوى عَشٍّ وقد حقَّه الزهرُ وريحُ السَّحَرِ...^(١)

بهجة الطير، لانتأتى عبثاً، بل إن وجود مؤثرخاجي، ساهم في إثارتها وإظهارها الى الحياة ، فنزول المطر تتلهف لرؤياه ليس الطيور وحدها بل جميع المخلوقات ، فهو علامة من علامات الخيرللكون أجمع، حتى الجماذ يستبشر في المطر خيرا ، كي يكتسي ثوباً جديداً به ، ويخلع عن كاهله ثوب الجذب والفاقة ، وإما الحرية بوصفها مؤثراً

داخليا ، ينمو مع الطبيعة التكوينية ، ويتزعزع بين أفيائها الظليلة ولا تكون السعادة الا بمثل هذه الحرية ، وأن السجن مؤثر خارجي ومتى وقع على من وقع ، فانه يتحول الى عائق وقيد مرعب ، لكل من تنفس بين أحشائه نسائم الحرية ، لذا عمد الشاعر عبر تتبع المنهج النفسي ، وآثاره على الطير وهو يومئذ به من طرف خفي الى البشر بقوله (هل عدلتم عن جميل الخبر) فقد كانوا يؤمنون في الحرية كمبدأ انساني ، تلتئم به الروح مع راحة الجسد بما يرضي الله جل وعلا.

وخلاصة المبحث : أن التأثير النفسي له دور فاعل في توجيه النشء ، لأن النفس يتجاذبها أمران مؤثر خارجي وآخر داخلي ، إذ تقابل الأنا الذات الواقعية ، بينما تقابل (الهو) الذات الغريزية، وتقابل (الأنا العليا) الذات المثالية الضمير الكابح ، ولأسيما أن الذات تنشأ أصلا من الأنا، عندما يبدأ الطفل في التمييز بين جسمه ، والعالم المحيط به، لذا أخذت الأناشيد في هذا المبحث منحى نفسيا مؤثرا في الحد من الظواهر السلبية التي يمارسها الأطفال وهم غافلون عن تأثيرها المؤلم على المجتمع والبيئة ، أما ظاهرة اليتيم الطبيعي وأثرها البالغ على الطفل ، فقد عالجت بعض الأناشيد طرق العون والمساعدة المادية والمعنوية التي تخفف - ولو قليلا - من وقعها على الطفل ، ثم أشارت بعض الأناشيد الى ضرورة العطف على الحيوان والمنع من تأذيته ، كونه أحد أركان الطبيعة الحية ، ثم عالجت أخرى حالة الإنكسار والندم لدى البعض حينما يفقد شيئا عزيزا عليه ، ومررت أخرى على نصائح الآباء والأمهات تجاه أبنائهم وأثرها النفسي في توجيههم وإرشادهم نحو سبل الخير والنجاح .

الفصل الثالث: أناشيد الطفولة . دراسة فنية

المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة

المبحث الثاني : الصورة الشعرية

المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة

المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة

اللغة إحدى وسائل التفاهم بين البشر، منذ أقدم الأزمنة، ولا تعدو بوصفها مجموعة من الأصوات والإشارات والعلامات التي تتفق عليها مجموعة معينة من البشر، ثم تورثها هذه المجموعة لأبنائها، إذ قال عنها ابن جني بأنها ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))^(١).

أما لغة الشعر فهي ذات اللغة، لكنها تتميز بأنها ألفاظ منتقاة بروحية شاعرية خاصة من بين المفردات، لتكون مناسبة في السياق الشعري ومؤثرة بالوقت ذاته في ذهنية المتلقي كي تنقله من عالم الإستعمال الإعتيادي الى عالم

المتعة في الإحياء ، والتأمل في صور البيان والبناء ، لهذا تكون ذات تأثير واسع وكبير عند المتأمل فيها ، وعليه فإن المقصود بالألفاظ الشعرية الكلمات ذات الأثر الفني التي يختارها الشاعر لينقل المتلقي أو القارئ الى الأجواء الشعرية التي يعيشها ، وهذه الألفاظ لا يغني غيرها عنها أو يقوم مقامها ^(٢) .

وعليه فإن لغة الشعر تضيف على اللغة رونقا وبهاء ، لم يره الناظرون إليها سابقا ، فكأنه يعطيها حياة نابضة متسقة، وموسيقى تهز المشاعر وتخلب الأسماع، فتظهر منها دلالات وإحياءات جديدة تغري الأنظار وتدفعها الى السحر والانبهار.

ولما كانت اللغة محكومة بالإيقاع وبقواعد النحو والصرف فقد أباح النقاد واللغويون للشعراء ما لم يبيحوه لغيرهم لأن ((الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أتي شاءوا ، ويجوز لهم ما لايجوز لغيرهم ؛ من إطلاق المعنى وتقنيده وتصريف اللفظ وتعقيده ، ومد المقصور وقصر الممدود، والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته)) ^(٣).

وتصريف اللفظ يتطلب مهارة في النظم، تتفاوت بين شاعر وآخر تبعا لقدرة كل منهما في التمكن التأملي والبلاغي في خلق الصور البيانية التي تنقل المتلقي الى عوالم أخرى ، لايمكن الوصول اليها إلا بوساطة هذه الصورة أو تلك بنسيج يخلقه المجاز ويرعاه الوزن فتنبعث هالة سحرية جاذبة مؤثرة ، تزرع لدى ناظرها المتعة وتثير فيه الدهشة والتأمل، لذا((فالمجازلة القدرة على التأليف بين عناصر الشعر المتنوعة بما يخلقه من علاقات جديدة بين الكلمات فهو يفجر، إمكانات اللغة الكامنة فيمنح الشاعر القدرة على الإبداع)) ^(٤).

إنّ الألفاظ لا تؤدي بمفردها سوى الدلالة المعجمية ، وبذلك يكون تأثيرها محدودا، يلبي فقط الحاجة التي دعت إليها ، أما إذا ضُمت الى ما يجاورها من ألفاظ ، فانها تستطيع أن تنقل بشكل فاعل مجمل إحساس الشاعر وعواطفه وتُظهر ببراعة ما يجيش به وجدانه من أفراحه وأحزانه ، وهنا يبرز بجلاء دور الشاعر في نظم الألفاظ الى جانب أخواتها المنتقاة بعناية فائقة ، لتشكل في مجمل صياغتها جوهرًا بديعًا تظهر في أثنائه مواطن الدقة في التعبير وبواطن الرقة في التأثير، وهذا هو جوهر نظرية النظم التي رفع عرش سموها عبد القاهر الجرجاني إذ قال: فالألفاظ

١. الخصائص ، ابن جني ، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت، ط ٢ : ٣٣/١

٢. ينظر لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، جمال نجم العبيدي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠م : ٧ - ١٣

٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب المشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م :

١٤٤ - ١٤٤٣

٤. لغة الشعر الحديث في العراق ، د . عدنان العوادي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٥م : ٩

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة ﴾

((لا تقيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها الى وجه من دون وجه من التركيب والترتيب)) ^(١) وتتكامل فائدتها بوصفها أوعية خادمة للمعاني وراعية لها .

لذا سنتعرف على الألفاظ ، وكيف استعملها شعراء أناشيد الطفولة في العراق ، وماهي الألفاظ الأكثر حضورا لديهم وأسباب ذلك التفضيل عن بقية الألفاظ الأخرى .

كانت البدايات الأولى لأناشيد الطفولة في العراق، هي لأجل إثارة الحماسة والدعوة للثورة ، ضد المحتلين الأتراك الذين أظهروا وجههم القبيح ، في ممارسة القتل والتشريد والنفي ، لكل من يرفع الصوت منددا بنهبهم للثروات ومعاداة العرب الشرفاء ، ولا زالوا على العادات نفسها ، لذا اشتملت ألفاظ الحرب على (الحرب ، السيف ، الرماح العوالي، الطعن ، المهند ، الحسام ، المشرفي) ** كما جاء ذلك في نشيد الرجولية، حيث قال :

إِنَّ إِمِّيَ لَمْ تَلْدَنِي لِسُورِ الْحَرْبِ الْعَوَالِي
وَلَدْتَنِي لِلْوَعْدِ وَالطَّعْنِ فِي يَوْمِ الرَّهَانِ
أَنَا لَيْتُ لَا أَبَالِي أَقْحُمُ الْمَوْتَ الزُّوَامِ
سَاهِرًا طَوَّلَ اللَّيَالِي مَشْهُرًا ذَاكَ الْحَسَامِ (٢)
وكقول الشاعر:
أليس نحن الأولى؟ كُنَّا دَعَاةَ الضَّيْفِ
لَنَا مَلُوكُ الْوَرَى دَانَتْ بِحَدِّ السَّيْفِ (٣)

فلفظة السيف تدور على ألسنة العرب كلهم ، عندما يحاول الأعداء ، قهر إرادتهم أو التعدي عليهم ، فهم أهل منازل وصولة ، ولهم في ميدان الحرب عنفوان وجولة ، وقد ترسخت الحرب ((في ذهن العربي الذي كان يعيش هو وأولاده وقبيلته في دوامتها وتحت كابوسها)) (٤).

فالسيف رمز القوة والبطش ، فهم يلوحون به عل بريقه ، يغري الشجعان بحمله ، كي يقارعوا به الغزاة المحتلين فالشاعر كان ثورة عارمة في ألفاظه على الأعداء ، قائلا:
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَوْمٍ فِي الْأَرْضِ كَانُوا نَجُومًا [المجتث]

١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله محمد عبده ، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ١٩١٣م : ٨٩ :

*. رب معترض عطوف كريم يقول : أما ترى من القسوة أن تبدأ لغة وأناشيد الطفولة بألفاظ الحرب؟ فأقول له : وحق عطفك عليهم ليس الأمر بأبدينا، لأن كثرة ألفاظ الحرب فرضت علينا أن نبدأ بها، والأمر كله من قدر الأيام عليهم في تلك المدة القاسية

**. ولمعرفة الألفاظ الأكثر حضورا في الاستعمال ينظر الجدول في ص ١٣٢ من رسالتنا

٢. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية ، لم يذكر شاعره : ٢٣/ ١

٣. الأناشيد الموصلية ، للشاعر داود الملاح : ١٧

٤. أدب الحرب ، حنا مينا ، ونجاح العطار، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦م : ٥٣

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول: لغة أناشيد الطفولة ﴾

إذا بَكَيْتُ عَلَيْهِم دَمًا فَلَسْتُ مَلُومًا
بِالسَّيْفِ وَالْعَدْلِ سَادُوا صِينًا وَفُرْسًا وَرُومًا
وَكَمْ أَجَازُوا بَحَارًا وَكَمْ تَعَدَّوا تَحُومًا
وَكَمْ جَلَّوْا بِالْعَوَالِي مِنْ الضَّلَالِ غُيُومًا (١)

لم يكتف الشاعر بذكر السيف ، بل تعدى الى ذكر الرماح التي كانت إحدى الأدوات الحربية ، التي يهاب وقع تأثيرها الأعداء ساعة الإلتحام والإقتحام . ورأى الشاعر أن لا مناص من السيف في مقارعة الأعداء قائلا :

العربُ ساداتُ الأمم
بالسيفِ سادوا والقلمِ^(٢)

لاشك في أن التلويع بالسيف ، لاينفي التذكير بالقلم الذي برزت علوم العرب به ، وانتشر الى كل الأمم ، وكما شاعت الألفاظ المباشرة لأدوات الحرب ، شاعت أسماء أخرى مثل (العدو ، الهيجاء ، الضُّبأ ، العدى ، القنا ، القضب اللدِّ ودُّ ، المرهفات ، الشفار ، الهندوان ، السنان ، الصهوة ، الكرب ، الأبطال ، القاطع ، المواضي ، البيارق ، وغيرها) لذا نرى أن لغة شعراء الطفولة الأوائل في العراق قد طبعت بطابع الحرب لظروف الاحتلال الظالم ، لذا كانت لغة الشعب العراقي وكذلك لغة الشعراء ((لغة حرب وجلجلة سلاح حتى في غير مجال الحرب))^(٣) ، لهذا تتصاعد لغتهم الشعرية ، في تهيج المشاعر ، وتأليب الناس ضد العدى ، كقول الشاعر :

ما في بني ماء السَّما	إن شَبَّتِ الهيجا ونا	[مجزوء الرجز]
يطربُّها وقعُ الضُّبأ	يَشمُلُها زَجُّ القنا	
هذي العدى قد أنشبتْ	أظفَارُها في مجدنا ^(٤)	

ولم يكن شاعر هذه الأبيات أقل حماسة من رعيه المكافح ضد الأعداء ، بل كان على وتيرة واحدة معهم قائلاً:

أيها الشبانُ هبّوا	أو ما يكفي الرقودُ ؟	[مجزوء الرمل]
وانبذوا هذا التواني	حطّموا تلك القيودُ	
واخلعوا أظمارَ ذلِّ	وثبوا وثبَّ الأسودُ	
واشبهوا أسيافَ علمٍ	واقطعوا هامَ اللدِّ ودِّ ^(٥)	

ينادي الشاعر بلغة قوية ، لجموع الشبان ، باظهار أسياف العلم ، وهذه استعارة في محلها كون حيازة العلوم والتحصن فيها أشد وقعا من السيف على الأعداء ، لأنها تقطع رأس الخصوم ، وتقهر غرورهم المزعوم .

١ - الاناشيد الموصلية ، للشاعر محمود الملاح : ١٦

٢. المصدر نفسه ، للشاعر اسماعيل حقي : ٤٦

٣- ينظر : الحماسة في شعر الشريف الرضي : ٢١٢

٤. المصدر السابق : ٣٤ - ٣٥ ، للشاعر قاسم الشاعر

٥. الاناشيد الموصلية ، للشاعر محمد سعيد الجليلي: ٥٢

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة ﴾

وفي نشيد الاستقلال ، ذكّرهم الشاعر بمكارم الأخلاق التي عليها أبناء جلدته قائلاً:

كم حمينا الأُمما	كم حفظنا الذمما	[مجزوء الرمل]
مذ رفعنا العُلما	بالقنا والقضب ^(١)	

فراية النصر ترف على رؤوس الرماح والسيوف ، معلنة سطوة الشجاعة ، في ميادين الحرب ضد المعتدين الغزاة ، الذين أعلنوا الحرب حتى على اللغة العربية ، فمنعواهم من التعلّم بها ، لذا كانت أشعاهم حمما نارية ، أشعلوا بها رؤوس المحتلين الغزاة ، وأرعبوهم بمحتوى لهيبها.

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية ، للشاعر عبد الرحمن البناء : ١ / ٦ - ٧

﴿ ١٦٢ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة

وهذا جدول يبين ألفاظ الحرب وتكرارها في مجاميع شعراء أناشيد الطفولة في العراق

اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها
السيف	١٧	اللذود	٢	الظبا	١	الكرب	١	الشفار	١
العدى	٩	الغزاة	٢	الهيجا	١	مرهفات	١	الهندوان	١
الأعادي	٩	الردى	٢	البيارق	١	الجلاد	١	العضب	١

الحرب	٦	منتضى	٢	الطعن	١	السنان	١		
الوغي	٦	سلاح	٢	صهوة	١	العدوان	١		
القضب	٥	الفرسان	٢	الحمام	١	القضيب	١		
القنا	٤	فارس	٢	الشجعان	١	المشرفي	١		
الحسام	٣	درع	٢	الهمام	١	الباتر	١		
الصارم	٣	السمر	٢	مقدام	١	الابطال	١		
الحصن	٣	البيض	٢	اقتتال	١	القاطع	١		
العوالي	٢	الرمح	١	اصطدام	١	المواضي	١		

يتبين من الجدول أعلاه تصدر السيف في المرتبة الأولى ، ذلك لأن الشعب كان يعيش حالة اقتتال حقيقي مع المحتلين وإن لم تظهر بوابره إلا أنه كالنار تحت الهشيم ، يتجدد في كل لحظة اشتعاله ، ثم تلتها لفظة العدى والأعادي ، وهما كالمر في السنة الشعراء تلفظه كل حين محاولين التخلص منه ، لأنه يشوي بلهيب مرارته الأفواه أما لفظة الحرب والوغي فكانت بالمرتبة الثالثة ، وبقية أسماء السيف والرمح فكانت بالمرتبة الرابعة ، وبقية الألفاظ جاءت على نسب متفاوتة، لكثرة استعمال غيرها من دونها، على الرغم من أن ألفاظ الحرب والسيف والدمار لاتروق مطلقا للأطفال إلا أن الظروف القاسية التي عاشها المجتمع آنذاك ألقت بظلال قسوتها على أخيلة الشعراء ، والطفولة هي الغصن الغض بينهم ، فانفجروا كالبراكين بوجه المحتلين، وعمدوا الى تعبئة الرأي العام لذا شملوا براءة الطفولة معهم في ذلك .

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة ﴾

﴿ ١٦٣ ﴾

ألفاظ المجد والعلى

على الرغم من انشغال الشعراء بألفاظ الحرب ، ومايستدعيه الموقف من ألفاظ أخرى تشكل سندا قويا لها ، إلا أنهم كانوا يجيلون النظر في دواعي المجد والسمو والمعالي في أنفسهم وفي بلادهم ، وكانت أعينهم تتكحل يوميا في نظرها لما تركه أجدادهم ، من مفاخر وحضارة سجد كبرياء التاريخ اعتزازا أمام صرح رفعتها، ففي نشيد العلم قال الشاعر:

[مجزوء الرجز]

برغم كلِّ الأمم نحنُ حماة العلم

يشهدُ من في الملا بعزمهم والثباتُ
شادوا صروحَ العُلا فوق ذُرى النيراتُ
نحنُ ركزنا العلمُ

قد نشروا عدلهم ما بين خاص وعام
ووزعوا فضلهم على جميع الأنام
إذا بدا طفلهم يفرغُ منه الحمامُ
بفضلِ هذا العلمِ (١)

نعم إنهم شادوا صروح العلى ، وبذلوا لأجل ذلك ما استطاعوا ، ولكن جاء دور الأجيال لتضيف فوق أمجادهم مجدا يُعلي في الآفاق شأنهم ، ويرفع من خبرهم ، بعدما نشروا عدلهم ما بين خاص وعام ، ووزعوا مكارم الفضل على جميع الأنام .

وفي نشيد النجدة العربية ، شحذ الشاعر عزائم سيرهم قائلا:

[مجزوء الرجز]

سرنا بعزمٍ باهرٍ نسعى لمجدٍ دائرٍ
من كلِّ شهمٍ قاهرٍ بالسيفِ والسميرِ الدقاقِ

أجدادكم كم شيّدوا ذكراً مجيداً يُحمدُ
والآن أنتم وقد* ما بينكم نارُ الشقاقِ (٢)

فالسعي يتواصل بهمة الرجال أهل الشهامة ، الذين سيوفهم ورماحهم على أكتافهم للدفاع لا للإعتداء ، فلا عجب إن أجهد الشاعر نفسه وخاطر بمهجته ، من أجل شعبه في تحقيق غايته في شعره لأنه ((ينبع من نفس وثابة حساسة)) (٣).

١. ديوان التمنيّات : ٥٢ - ٥٣ ، للشاعر صالح البدري

*. كذا وردت، والصحيح (وقَدُوا)

٢. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية : ١٢١ - ١٢٢ ، للشاعر الدكتور مصطفى جواد

٣. ديوان الشريف الرضي ، تح : عبد الفتاح محمد الحلو، وزارة الأعلام ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٦م : ١١٣/١

ونرى الشاعر في نشيد الاستنهاض قد حث على كسب المعالي والعلی قائلا:

[مجزوء الرجز]

يا قومنا قوموا الى كسبِ المعالي والعلی
وابنوا لنا المجدَ على اساسِ مجدٍ غابرٍ

ان شئتُموا عزَّ الوطنُ فاسعوا الى العلمِ اذنْ
فالعلمُ في هذا الزمنِ للمرءِ أقوى ناصرٍ

علمُ الاولى* والادبُ لم يحيه إلا العربُ
فالعلمُ لولا هم ذهبُ ذهابِ امسِ الدُّبرِ

كم قد كشفنا غمّةً وكم فرجنا أزمّةً
اذ نحنُ أمضى عزمّةً من الحسامِ الباترِ^(١)

يستنهض شاعرنا قومه ، كي يكسبوا المعالي والعلی ، لأن بناء المجد وعز الوطن به يكون ، كونه أقوى ناصر
لكشف كل غمة وملمة عاصفة تحيط بهم .

شدد نشيد الاستنهاض محفزا قومه قائلا:

هيا نهوضاً للعلا آل الهدى خير الملا
كي ترجعوا مجدّ الألى حازوا السّماكِ مقاما

هيا أعيدوا مجدكم بالعلم أفنوا ضدّكم
كيف ارتضيتم عبدكم منكم ينالُ مراما ؟

هيا فقد حانَ الزمنُ لنهوضكم في ذا الوطنُ
فاستنقذوه من المحنُ لا تتركوه مضاما^(٢)

يرجو الشاعر من آل الهدى (آل الرسول عليهم السلام) وقد حذف ياء النداء عنهم ، تماشيا مع الوزن فانهم
خير الملا ، كي ترجعوا مجد الأولين ، الذين بلغوا السّماك ، وهو نجم مرتفع في اعلى السماء وطلب ان يعيدوا
مجدهم ، فاباؤهم سادوا الناس ، وهم اساس الوثام والسلام .

*- كذا وردت والصحيح (الألى)

١. الأناشيد المدرسية : ٩ / ١ ، للشاعر معروف الرصافي

٢. الأناشيد المدرسية والألعاب : ١٢-١٣ ، لم يذكر شاعره

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول: لغة أناشيد الطفولة ﴾

﴿ ١٦٥ ﴾

وعند استقراء مجموع ألفاظ المجد والعلی والمعالي تبين أنها كررت حسب الجدول التالي :

اللفظة	تكرارها
المجد	١٨
العلی	١٠

وهذا يشير الى انهماك الشعراء بألفاظ الحرب التي غلقت أمام أفهامهم سبل التفكير بسواها، إلا لحظات خاطفة مرت عليهم ، فأخذوا فيها أنفاسهم وكتبوا بها عن المجد والعلو، ويمموا أنظارهم صوب المعالي فبثوا نحوها ما جاد به خاطر ولو بنزر يسير .

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة ﴾

ألفاظ الشريعة الإسلامية

مادام شعراء الطفولة في العراق ، يعيشون في بيئة مسلمة ، فمن الطبيعي أن يكون القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، معينا صافيا تنهل الأرواح منه ، دون أن تكتفي ، لذا جرى أثر الكلمات النورانية على ألسنتهم فأخذوا منه ما استطاعوا أن يزرعونه في ربيع أبياتهم الزاهية ، واشتملت على (الله - جل جلاله - الإله ، الحمد النور ، الحق ، الجليل ، الكتاب ، ملتنا ، ديننا ، مولانا ، الرسول ، النبي ، الإمام ، بضعة الزهراء ، الأمانة ، العرفان الضلال ، المهيمن ، ذو الجلال ، ربنا رب السموات ، رب الخلائق ، العليم ، سبحانك ، اللهم) وأكثر هذه الألفاظ

تكراراً هو لفظ الله عز اسمه إذ كُرر عشر مرات ، أما البقية فلم تتكرر ، وقد جمعت غالبيتها في نشيد حسن الختام قائلاً:

ياربنا ما أعظمك فجميع ما في الكون لك
أنت المهيمن ذو الجلال ربنا ما أكبرك
رب الخلائق كلها من آدمي أو ملك
في كل شيء حكمة لك ربنا ما أحكمك
أنت العليم بمن بقي في الأرض منا أو هلك
سبحانك اللهم كل الناس ترجو نِعَمَك
نرجو لنا حسن الختام مِإلها ما أعظمك (١)

يلتمس الناظر لهذه الأبيات روح الخشوع والتضرع ، وقد سلكت طريق التوسل ، لتغرف من سماح باريها جوداً وكرماً يكون عوناً على جراحات الدنيا ومنزلاقات الشيطان .
أما نشيد الختام فقد مد الشاعر يده مسبحاً وداعياً قائلاً:

نحمدُ الله المنان ما ظهر النيران
ونسبحه دوماً كل حين وزمان
هبوا ايها الشبان واستميتوا للوطان
بنعيم وجنان غداً نعيش بأمان (٢)

فحمد الله مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة ، فكيف اذا استمر المرء يلهج به حين ظهور الشمس والقمر؟ وأعطاهما من روحه قبل وقته ما يستحق به الجزاء الأوفى والثواب الأكبر . كي ينعم غداً في نعيم الآخرة .
وفي نشيد الله ، خاطب شاعره العقول قائلاً:

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من بذرة؟ وكيف صارت شجرة؟

[مجزوء الرجز]

١ - أناشيد وأدبيات الفتاة : ٦٨ ، للشاعر حسين الأعظمي
٢ - الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الاجزاء الخمسة ، طبعت على نفقة محمود حلمي ، مط العصرية ، بغداد ، ط ٤ ، ١٩٣٦ م
: ١١٦/٤ ، للشاعر ناجي القشطيني

فانظر وقل من ذا الذي يخرج منها الثمرة ؟
وانظر الى الشمس التي جذوتها مستعرة *
فيها ضياء وبها حرارة *
من ذا الذي كونها في الجو مثل الشررة ؟
ذاك هو الله الذي ويل لمن قد كفره
ذو حكمة بالغه وقدرة (١) مقدرة

انه التذكير بالقدرة الباهرة لله سبحانه وتعالى ، ابتداء من البذرة ، التي نمت وصارت شجرة ، ثم كيفية خروج الثمرة منها والى الشمس التي تتوهج كالجمرة الملتهبة ، وربط الجميع بالله صاحب الحكمة والقدرة البالغة . وعند استقراء مجموع ألفاظ الشريعة الإسلامية تبين أنها كررت حسب الجدول التالي :

اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها
الله جل وعلا	٣	أعظمك	٢
الإله	١	نعيم	١
المهيمن	١	جنان	١
سبحانك	١	أحكمك	١
ذو الجلالة	١	ذو قدرة	١
العليم	١	رب	١

وعليه فإن ألفاظ الشريعة الإسلامية جاءت موافقة مع الأفق العام للبيئة التي يعيشون فيها ، ولم تكن - على قلتها - وليدة إنفائة أو نباهة منهم ، لذا جاءت قليلة جدا في أشعارهم ، ولا نعزو سبب قلتها إلا لحالة القلق واليأس من الخلاص من الإحتلال والظروف القاسية المتوترة في عهدهم *** .

*- الجذوة :الجمرة الملتهبة : المعجم الوسيط : ١٥٠

** - خط الشاعر بين ما يقال للقمر وهو الضوء ، وبين ما يقال للشمس وهو النور

١. تمانم التربية والتعليم : ٤ - ٥

***- ورب معترض كريم يقول : ان الناس تلجأ الى الله أيام الشدائد ، والأحرى بالشعراء أن يكثر من الألفاظ الإسلامية والرجوع الى الدعاء والتوسل بالله - جل وعلا - كي يرفعها برحمته عنهم، ونقول: نعم هذا هو المفروض، لكنهم لم يرجعوا كما نتمنى اليوم فماذا نفعل وقد شحوا علينا بذلك ؟

ألفاظ الطبيعة

إن الطبيعة بشقيها الصامتة والمتحركة مثار اهتمام الأطفال ، وهم أكثر ولعا في محبة الطيور، ويصغون الى أناشيد البلابل وزقزقة العصافير، ويحاولون تقليدها، أما الحيوانات الأليفة، التي يجدون الى جانبها متعة ولذة ، فهم يلاعبونها ويلعبون معها، وأول شاعر كتب عن الطيور هو الشاعر الرصافي في نشيد أغرودة العنديل سنة ١٩٢١م التي أثارت في وقتها اعتراضات كثيرة ، من أدباء مرموقين في الوسط الأدبي كالزهاوي والرعييل الأول من شعراء الأناشيد* ، إلا إن بعد نظر الرصافي وسمو هدفه ، جعلهم يذعنون أخيرا لهذا الإتجاه ، حيث قال فيها :

سمعتُ شعراً للعندليب تلاه فوق الغصن الرطيب^(١)

وأما أول من كتب أناشيد عن الحيوان فهو الدكتور مصطفى جواد سنة ١٩٢٣م في نشيد الهر والفيران^(٢) قائلاً :

قد استبدَّ الهرُّ بالبيوتِ إذ منعَ الفأرَ اختلاسَ القوتِ

وأهم أسماء الطيور التي استعملوها (العندليب ، العصفور ، الحمام ، البلب) .

وأما من أوقف جل أناشيده عن الطيور والحيوانات فهو الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي سنة ١٩٣٠م ، وتفرّد بها

في محفوظاته الطفلية جزأياً وهي (البلب الطليق ، قطي ، غزالي) كقوله في البلب الطليق :

يا بلبلَ الروضِ الذي فوقَ الغصونِ تلعبُ

أنت طليقٌ في الفضاء تذهبُ أين ترغبُ^(٣)

وكقوله في نشيد غزالي :

غزالي الجميل أليف التلال

فحسبك عندي مثلاً الجمال^(٤)

وكقوله في نشيد قطي البيضاء :

قطي كالثلج بيضا ولها شكلٌ جميل

شعرها الناعم حلّ وكثيفٌ وطويل^(٥)

فالبلبل والغزال والقطة والديك ، كلها مما يستأنس به الأطفال ، ويمرحون معها ، وهم كثيراً مولعون بحبها ، ودائماً

مايكلمونها ظناً منها تفهم حوارهم ، وإن لم تجبهم بشيء .

ولم يتكرر إسم من أسماء الطيور أو الحيوانات سوى البلب الذي كررت أناشيده لثلاث مرات ، بسبب جمالية

تغريده وميل النفوس لرنين ترديده ، واشتغاره بألحانه الشجية والممتعة .

*. ولمعرفة وجهة نظر المعترضين عليه ينظر ص : ٧٦ من رسالتنا

١- مجموعة الأناشيد المدرسية : ٧

٢- مجلة التلميذ العراقي ، العدد ٢٢ : ٣٤٧

٣- المحفوظات الطفلية ، الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي : ٢ / ١٦ - ١٧

٤- المصدر نفسه : ٢ / ١٤ - ١٥

٥- المصدر نفسه : ١ / ٣٦ - ٣٧ ، الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة ﴾

أما الطبيعة الصامتة فأول من كتب عنها الشاعر محمد الهاشمي في نشيد الشمس في الشروق سنة ١٩١٧م :

طلعتُ شمسُ السماء كإلهٍ من ضياء

لبستُ ثوباً رقيقاً من ضبابٍ وهباء

هي مثلُ النقطةِ الحمرِاء من نونٍ وباء^(١)

وتلاه الرصافي في نشيد الشمس قائلاً :

إنما الشمسُ المنيرةُ عينُ دنيانا البصيرةُ

إنها كتلةُ نارٍ في الأعالي مستديرةُ

إنما الأحياء في الأر ضِ الى الشمسِ فقيرةً
وبفعلِ النورِ منها تُنبُتُ الأرضُ المطيرةُ (٢)
وتتبع الدكتور أحمد حقي الطبيعة بكل ما فيها ، وسجل . بكل بداعة - مارآه عن نشيد قطرة الندى قائلاً:
يا قطرةً تَلَأَلَتْ فوقَ الزهورِ الناضرةِ
رقيةً جميلةً فاتنةً وساحرةً

في العشبِ تبدينِ إذا ما الصبحُ لاحَ وابتسم
لؤلؤةً تألقتُ في شكلِكِ الحُسْنُ ارتسم

أما اذا الليلُ أتى فأنتِ بدرٌ في السّما
برّاقةً لماعةً تفاخرينِ الأنجما (٣)

وفي أنشودة كل شيء يتكلم (فما علينا إلا ان نفهم) استخلص الرصافي كوامن فكره الوقاد قائلاً :
إنّ الغراب قد غدا يقولُ (غاقٍ غاقٍ)
فكان معنى قوله في نظرِ الحدّاقِ
من قامَ مثلي باكراً لم يُبلِ بالإملاقِ

قد أخذَ العصفورُ من بعد وضوحِ الفلقِ
يقولُ قولاً واضحاً بصوته المزقزقِ
إن رمتَ رزقاً طيباً فاسعَ وجدُ ترزقِ

١- في الجزء الأول من ديوانه عبرات الغريب : ٣٩

٢- تمانم التربية والتعليم، معروف الرصافي، دراسة يوسف يعقوب مسكوني ، مطبعة المعارف ، بغداد سنة ١٩٥٧، وقد ذكر مرتضى
الشيخ حسن أنها ألُفت سنة ١٩٣٢م، في مقاله في مجلة آفاق عربية : ٩٩ في سنة ١٩٧٧م، ثم درست التمانم دراسة ثانية ، من قبل
عبد التواب يوسف سنة ١٩٨٧م ، قسم بحوث دار ثقافة الاطفال ، بغداد : ١٨ - ١٩

٣- المصدر السابق : ٢ / ١٦

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة ﴾

وضفدعُ مرتطمُ مابين ماءٍ ولثقُ *
قال بمستنقعهِ وهو ينقُ في الغسقِ
ماخابَ قطُّ من صدقٍ ولا نجا من اختلقِ (١)

إحدى نفثات الروعة الساحرة ، التي حاول فيها المزاجية بين توظيف الأصوات المختلفة ، في ايقاع القصيدة وبين
وبين بث الحكمة نهاية كل قطعة، على لسان الطير او الحيوان ، وقد جعل اختلاف القوافي سبيلا لاستيفاء الغرض
فمن قام باكرا لن يبتلي في الفقر، ومن رام رزقا طيبا فليسع ويجد ليرزق من حيث لا يحتسب.

ولم تسه أخيلة شاعرنا عن أثر الحيوانات الأليفة على الطفل ، لذا خصهم في نشيد الطفلة وكلبها الصغير قائلاً:

إنّ كلبني يحبني ولهذا يطيعني
أفتديه بمهجتي وبقلبي وأعيني
حيث أضحى قميصه ذهبياً يسرني
إنّ كلبني أعزه ولهذا يعزني
أترجي وفاءه والوفاء يهمني
هو خلّي ومؤنسي ومُحبي بموطني^(٢)

لم تكن الطبيعة غائبة عن فرائد إبداع هذا الشاعر ، لذا خصها في نشيد الزهرة قائلاً :

زهرةً الروض جميلةً حسنها يشفي العقول
ثوبها ثوبٌ لطيفٌ ولها تاجٌ جميلٌ
فهي فوق الغصن تزهو ولها الغصن يقول
قد فتنت الناس زهواً فارتدوا ثوبَ الدهول
لست ترضين مقراً غير أغصانِ الحقول
مالها في الحسنِ ثانٍ اذ بها الحزنُ يزول
ولها البلبُلُ يشدو بأناشيدِ الفصول^(٣)

ان التنوع بين المواضيع دعامة أساسية من دعائم التميز والريادة ، والناظر لهذه المجموعة ، يرى ذلك جلياً وهذا سر جماليتها وسموها المعرفي والأدبي ، والزهرة إحدى المفاتن التي تدور حولها انظار الشعراء ، وتقطر اقلامهم ودا يجري رحيقاً في ثغر تلتفها المياس ، ولوحة جمالها وسحر حسنها فتنة العقول في كل العصور لأن ((التعاطف الوجداني مع الأشياء موجود عند جميع الناس ، لكنه يكون أكثر خصوصية وأشد تكثيفاً وتهذيباً عند الشاعر في تعامله مع الأشياء))^(٤) ومنها الطبيعة الصامتة .

*. لثق : الماء والطين المختلطان : المنجد : ٧١٣

١. تماء التربية والتعليم : ٣٥ - ٣٦ للشاعر الرصافي

٢. أناشيد وأبيات الفتاة : ٤٠ - ٤١ للشاعر حسين الأعظمي

٣. المصدر نفسه : ٥٩

٤. تطور الشعر العربي الحديث في العراق : ٣٨

وعند استقراء مجموع ألفاظ الطبيعة المتحركة تبين أنها كررت حسب الجدول التالي :

اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها
العندليب	١	الهُرّ	١
الغراب	١	قطتي	١
العصفور	١	البلبل	٢
كلبي	١	ضفدعٌ	١
غزالي	١	الفأر	١

أما مجموع ألفاظ الطبيعة الصامته تبين أنها كررت حسب الجدول التالي :

اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها	اللفظة	تكرارها
الغصن	٣	القطرة	١	المهجة	١
الروض	٢	الزهور	١	قلبي	١
الغصون	١	العشب	١	أعيني	١
البيوت	١	الصباح	١	قميصه	١
الفضاء	١	للؤلؤة	١	ذهبي	١
التلال	١	الليل	١	موطني	١
الثج	١	البدر	١	العقول	١
الشمس	٢	السما	١	الثوب	١
الضياء	١	الأنجم	١	تاج	١
الضباب	١	الفلق	١	الناس	١
النار	١	الماء	١	أغصان	١
الأرض	١	المستتقع	١	الحقول	١
النور	١	الغسق	١	الفصول	١

وخلاصة هذا المبحث : أن لغة الشعر لدى شعراء أناشيد الطفولة في العراق ، توزعت حسب الظروف السياسية فاحتلت ألفاظ الحرب المرتبة الأولى ، لأن البلد كان يعاني من الاحتلال ، والصراع بين الدول الطامعة، في ثروته وسطوة النفوذ، وتلتها ألفاظ المجد والعلو، التي فخر بها هؤلاء الشعراء، وقد مثلت أمام نواظرهم أمجاد أجدادهم الكرام ولم تغادر قرائحهم ألفاظ الشريعة الإسلامية ، بوصفهم وأهلهم من المسلمين، وفي بيئة اسلامية .

أما الطبيعة بشقيها فقد تدرجت منذ سنة ١٩١٧م الى سنة ١٩٤٠م ، على يد الشاعر محمد الهاشمي من الصامته الى المتحركة وانحصرت في خمسة شعراء (محمد الهاشمي، الرصافي، الدكتور مصطفى جواد ، حسين

﴿ الفصل الثالث / المبحث الأول : لغة أناشيد الطفولة ﴾

الأعظمي ، الدكتور أحمد حقي) ، وأكثرهم إبداعا فيها هو الدكتور أحمد حقي الذي شملها بشقيها برعاية ابداعه فاستحق لذلك الإشارة والتتويه ، وكانت أناشيده فيها رائعة ومتعددة ، ومميزة بقصدية متقنة ، وبأوزان قصيرة جدا ومبتكرة ، إذ كانت مفتاحا لمن تلاه ، وتتبع خطاه .

أما علة إنحسار أشعار الطبيعة بشقيها في هؤلاء الخمسة ، فيرى الباحث أن سمو الفكر وعمقه وبعد النظر هبة ربانية يهبها لمن يؤمن بها ، ويميل بفكره وروحه حيث تميل ، لذا وهبها الله جميعا لهم من دون غيرهم في تلك المدة هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن ثلاثة من هؤلاء قد ملكوا ناصية الريادة الحقيقية لأناشيد الطفولة خلال ستين سنة متواصلة ، وتنوع أشعارهم وشموليتها ، واحد من أهم الأسباب التي قدمتهم للريادة وأخرت سواهم عنها.

المبحث الثاني : الصورة الشعرية

إنَّ طبيعة الصورة الشعرية تكمن، في كونها تتأتى من التحكم الرائع ، في العبارات المجازية ، وإيرادها في مقتضى الحال الذي يجعل منها مرآة عاكسة لروائع الجمال، والتفرد في الابهار، لذا كان طبيعيا أن يقول عنها الشاعر والناقد سي دي لويس ((بأنها رسم قوامه الكلمات المشحونة بالأحاسيس والعاطفة))^(١)، وهذا لا يخرج عما قاله أرسطو: بأن السيطرة على المجاز هي علامة النبوغ الشعري^(٢) .

وعليه فإن الصورة الشعرية كانت ولا تزال وستبقى ، مركز الإشعاع الذي يوصل الشاعر الى مقام الدقة والاجادة وهي بمثابة الروح التي تبعث الحياة ، والنشوة في الجسد الشعري كلما آل رونقه الى الذبول ، وهي انعكاس حي لأخلاقيات مبدعها ، فمنهم من زجها لتهبط في رحاب الفضيلة ، ومنهم من خالف ذلك.

وطالما تلوح للانسان حاجات كثيرة ، يرغب في التعبير عنها ، وعن العلاقة بين ما يدور حوله وبينها ، وبين ما يحمله من مشاعر ، تدفعه الى أن يلوذ في الاستعارة ، بدلا من العجز الذي يمنعه عن التعبير بصورة واضحة وجلية عنها ، لذا أصبحت الإستعارة متنفسا رائعا يمنحه القوة واختيار اللفظ المعبر عما يرومه ، بكل طلاقة وأناقة. ولشعر الاطفال منذ انبثاقه وإلى يومنا هذا أهمية مفادها ((أن يتجانس اللفظ والمعنى أي أن يكون اللفظ رقيقا في المواقف الرقيقة ، وأن يكون جزلا في مواقف الصلابة والبطولة ، وأن يناسب اللفظ المعنى ، بعيدا عن الحشو المخل ، والقصور الذي لايفي بالمعنى))^(٣).

لقد تميز غالبية شعراء أناشيد الطفولة في العراق ، بتواضع المعرفة والاطلاع ، بينما تمتع قلة منهم وهم كبار الشعراء والعلماء في الدين والعلوم الأخرى ، والمربون الافاضل بسعة النظر والقدرة في التفنن ، لهذا جاءت أشعارهم مناسبة للفئات العمرية.

لذا فإن الصورة الشعرية واضحة جلية في أشعارهم ، وكان مسهم لها مساً ملائماً ، فلا تكثير يدعو لشروذ أذهان الطفولة ، ولاتقصير في ألفاظ خجولة ، بل كانوا وسطا في أريحية مقبولة ، ورائدهم فيما ذهبوا اليه ، هو أن يقدموا لأبنائهم وأمتهم ، مايعينهم على معرفة العلوم والنطق السليم ، ونقل الثقافة بدرجات متفاوتة ، الى عقل النشء الجديد كي ينهض واعيا عارفا بما له وما عليه ، فنزلوا الى الأجيال بزد لذيق ، وشراب سائغ تعاقبت الأجيال على الإشادة بحلاوته ، والشوق بترديده ، باستعمال الأساليب البلاغية المختلفة ، ومنها الاستعارة التي تعني ((أن تريد تشبيه الشيء بالشيء ، وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به ، فتعيه المشبه وتجريه عليه))^(٤).

إذ رسم شاعر الطفولة الأول الرائد داود الملاح ، صورة موحية تعكس بلا شك ، الحال التي كانت سائدة في مجتمعنا إبان الحكم العثماني المحتل قائلا:
أرضاء بعد ذاك العزّ هذا الانتحار ؟

١. الصورة الشعرية ، سي، دي لويس ، ترجمة د أحمد نصيف وآخرون ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد، ١٩٨٢م : ٢٣
٢. ينظر بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، د محمود السمرة ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٢ : ١٤٥
٣. ادب الاطفال ، د هادي نعمان وآخرون ، وزارة التربية ، معاهد اعداد المعلمين والمعلمات ، ط ٣ ، ١٩٩٢م : ٦١
٤. دلائل الاعجاز : ٥٣

﴿ ١٧٤ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الثاني : الصورة الشعرية

حيث فاض الجهل فينا وانمحي ذاك الفخار^(١)

ففي فاض مجاز مرسل ، لأن استعمال فاض تأتي لماء الانهار أو البحار فجعلها مجازا للجهل .
أما الشاعر الرائد محمد توفيق آل حسين ، فكان رقيقا غاية الرقة في حبه لوطنه حيث يقول:

وطني المحبوبُ حيّا كَ السّنا

زاد كَ اللّهُ ازدهاءً وثنا

افتتح الشاعر انشودته ، عن وطنه المحبوب بالتحية ، وأي تحية أجمل من ان تلوح كف الضياء بروح الاشتياق لأرض العراق ، إذ حيّاه بأرق وألطف العبارات ، ففي (حياك) مجاز مرسل لأن التحية تكون من البشر الى أشياء أخرى فأجازها الى السنا وهو البرق حين يضيئ ، وهي عبارة لم يسبق أن حيا شاعر بلده بمثلها ، وهي مجاز بديع

بمنزل رفيع فقد أجاز البرق من دون أي شيء سواه ، ليجعله يلوح في التحية لبلده وكأنه جبل من نور قام عزا وفخرا لتحيته.

وقد ذهب العلماء في تعريف الصورة الشعرية ، مذاهب كثيرة يلتزمون فيها ، كشف الاسباب الكامنة وراء إطلاقها أو التأثير بها ، لذا قال أحدهم بأنها ((بنية تتشابه فيها العلاقات وتتفاعل لتنتج الأثر ، الذي يفتح على العمل ويضيء أبعاده))^(٢).

وتعد الاستعارة قمة ماترسمه أخيلة الشاعر المتمرس بريشة الفنون البلاغية، لتظهر بعدها أشد جمالا من صورتها الحسية، فتسحر العقول وتجذب الميول ، لذا قيل عنها بانها تتميز ((بإيثار التشبيه والنعوت الزخرفية والتوازن والمقابلة والانصياع لأحكام العقل والمنطق))^(٣)، ومن هذه الرؤية الفنية تجلّى فعل المربين في كونهم نواة للاستنهاض، ورقي الشعوب يبدأ من رقي شبابه ، ومدى تحصيلهم في كسب العلوم لذا التفت الشاعر محمد الهاشمي قائلا :

أيها الشبان أنتم في ربي المجد غراس
فاتركوا العجز وجدّوا واجعلوا العلم أساس^(٤)

اذ ابتدأ بمناداة الشبان في صدر البيت، لتحفيزهم ، ثم رسم عجز البيت صورة مرهفة وباسقة، فانتم غراس تشبيه بليغ حذف أداته وهي الكاف والأصل (أنتم كالغراس)، والغراس هو هيئة النبات الحسن الذي تغرسه الناس من أجل أن تجني ثماره ، ثم قال ربي المجد بدلا من الأرض فهو مجاز عقلي لأن الربي للأرض فجعلها مجازا للمجد .
أما الشاعر في نشيد الرجولية فقال :

إنّ إمي لم تلدني لسوى الحرب العوان
ولدتني للوغي والطعن في يوم الرهان
أنا ليث لا أبالي أقحم الموت الزؤام^(٥)

١- الاناشيد الموصلية : ٢٠

٢- جدلية الخفاء والتجلي ، كمال ابو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩ م : ٢١

٣- نظرية الأدب ، رينيه ويلك واوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ م : ٢٠٥

٤- الاناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ١٤

٥- المصدر نفسه : ٢٣/١

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثاني : الصورة الشعرية ﴾

إن أمه لم تلده إلا للحرب العنيفة المستمرة، فأنا ليث، وإنّ دل على الفروسية والشجاعة، اذ ولدته للحرب والطعن في يوم الرهان ، فهو تشبيه بليغ حذف أداته والأصل أنا كليث ، اتماما للصورة التي قدم لها فيما سبق من الأبيات لأن ((تأليف الشعر مبني على قوة التصوير وبعثه الأول ناحية من نواحي الحياة العديدة، وسواء أكان خياليا أم واقعا لا بد له ، من أن يصبح صورة ماثلة في مخيلة الشاعر وأن يعمد الى توصيل هذه الصورة الى قرائه بواسطة الألفاظ فيحرك خيالهم بل يسيطر عليه))^(١) .

وفي نشيد الإباء والنخوة ، كشفت عزة نفس الرصافي، لأبهى عزة ، بل وأحسنه فقال :

لو غدا الذلّ شمima في الرياض الفيح
ما تنفستُ نسima من هبوبِ الريح^(٢)

فالشميم تشبيه بليغ أو مؤكد ، أي لوغدا الذل طيبا جميلا ، تفوح به الرياض العطرة ، لما تنفست نسائمه ، وإن هبت مع الريح إلي ، وتلك المرتبة العليا لعزة النفس ، التي تفضل الاختناق ، ولاتتنفس الذل وإن كانت به الحياة والأصل لو غدا الذل كالشميم فحذفت الكاف كي يكون التشبيه بليغا .
وتتعدد طرائق التعبير عن المقصود في الصورة الشعرية، ومنها أنها ((التعبير عن المعنى المقصود بطريقة التشبيه أو المجاز أو الكناية أو تجسيد المعنى))^(٣) .

وللمجد حياة استدعاها شاعر نشيد العروة الوثقى، قائلا :

يا حياة المجد عودي للحمى طال المطال
وارحمي الشرق وجودي لبنيه بالوصال
سامه الدهر هوانا مذ بدا التفريق فيه
وبكى الحق زماناً يائساً من منصفيه

نحن بالأخلاق نرقى مثل آباء كرام
عروة الأخلاق وثقى مالها قط انفصام^(٤)

بكى الحق ، فبكى مجاز مرسل، والحق لا يبكي ولكن انعدام العدل صوره في هيئة الباكي، لأن اليأس تسرب الى طالبيه ، حين اتجهوا الى منصفيه فلم يجدوه ، والأصل أن البكاء للناس ، التي فقدت العدل والانصاف والمساواة فأجازه للحق لتحريك الضمائر الحية، وهذه الصورة تدافعت لرفع سموها سلامة الفكرة ودقة الاسلوب وروعة النظم. ويمكن أن يكون للصورة الشعرية استعمالات أخرى ، في طرائق التعبير، وفي ذلك يقول أحد الباحثين ((للصورة استخدام يتعلق بالتعبير الحسي من جهة ، وبالاستعارة من جهة أخرى))^(٥).

١- قواعد النقد الأدبي : أسل أبر كرمي ، ترجمة : محمد عوض محمد ، دارالشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٢م : ٣٢

٢- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ١٤

٣- معجم مصطلحات الأدب : ١٧١

٤- المصدر السابق : ٢ / ١٦١٥

٥- الصورة الأدبية ، د مصطفى ناصف ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٨م : ٣

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثاني : الصورة الشعرية ﴾

وحتى تتكامل صور ابداع شعرائنا في كل اتجاه ، كتب أحد المبدعين نشيدا في فائدة الدرس قائلا:

فالبس ثياب الكد ما أجمل الصبر
تحرز رداء المجد في زهرة العمر^(١)

فثياب الكد مجاز عقلي أي بذل الجهد ، ودعا الطالب أن يلبسها في صبر، وقد حذف (في صبر) لدلالة مدح الصبر عنه ، ثم ان رداء المجد مجاز عقلي، كذلك زهرة العمر مجاز عقلي أي في الشباب ، قبل أن تهرم وتصبح قواك ناحلة.

في نشيد تهنئة العراق، وجدنا روح الشاعر مظلة بحبها لبلاد العرب والمسلمين، ولدى أبيات غمرتها البلاغة والمودة

حين قال :

تغنى بأرضِ الشَّامِ الزَّمَنُ فهنَّ العراقَ وحيَّ اليَمَنُ
 وقلَّ للبحارِ ومن خلفها رويداً رويداً تزولُ المحنُ
 سننفضُ عنا غبارَ الهوانِ بكلِّ رخيصٍ وغالِ الثمنِ
 لنا أنْ نموتَ بحبِّ الديارِ وإلا لماذا خلقنا إذاً * (٢)

شمل الشاعر الجميع بهذه المحبة الغامرة، فكلمة تغنى الزمن مجاز عقلي، والأصل ان يتغنى الناس لفرح أو انتصار ثم قال : وقل للبحار ومن خلفها ، فقل من المجاز العقلي والأصل ان يقول : قل للاستعمار أو للدولة الفلانية لكنه امتنع عن التصريح مخافة العواقب ، لذا جعله تلميحاً عن طريق المجاز ، ومن كانت بلادهم خلف البحار، لذا استعار البحار، بدلا من الاستعمار لعلاقة ، أن سكانهم كانت خلف البحار ، فدلت اللفظة عليهم جميعا بلا مكابدة ثم تلاه بقوله : سننفض عنا غبار الهوان ، فغبار مجاز مرسل ، ثم قال بعدها : لنا أن نموت بحب الديار ، فكلمة حب من المجاز المرسل ، اذ قرن الموت بحب الديار ، وفيها معنيان ، أما المقصود بالديار البلاد برمتها وأما من سكن الديار أي أهلها وكلاهما رائع، لهذا فالصورة الشعرية كثيرا ماتعمد على الخيال الجامح، الذي ترسم بوساطته صورا مبهرة خفية لأن ((مادة الصورة الشعرية وأساسها الخيال ، الذي يمارس من خلالها فاعليته ونشاطه)) (٣).

إذ لازالت لمسات الابداع تترى بالتنوع ، من رحيق المبدعين ، كما في نشيد الاجتهاد قائلا :

أيها التلميذُ بادِرْ نحو احرازِ المرامِ
 واملِكْ العزمَ وغادرْ عنكَ أثوابَ الظلامِ

واكتسبْ ثوبَ الفخارِ من أيادِ العملِ
 جاهداً كلَّ النهارِ لا تكنْ ذا مللِ

١. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية: ٢٠ - ٢١

* - هو حرف جواب و جزاء او مكافأة ويجوز كتابته على شكلين (إذا، اذنْ) والاصح في هذا البيت اذن تماشيا مع القافية .

٢. المصدر السابق : ٢ / ٢٣

٣. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : د جابر عصفور، دارالتنوير، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م : ٣٤٣

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثاني : الصورة الشعرية ﴾

إنما الوقتُ كنوزٌ لايساويه ثمنُ
 فهو بالحقِّ عزيزٌ عند ذي العقلِ الحسنِ (١)

الحث على المبادرة ، أسلوب يدفع اليها ، ويحث الخطى نحو إحراز العلوم ، فكيف اذا ملكك العزم ؟ ثم غادرت عنك . وهنا يكمن المجاز المرسل - أثواب الظلام، والأصل أن يقول الجهل لكنه استفاد من المقولة التي تقول (العلم نور والجهل ظلام) ، ومثله ثوب الفخار ، وهو ثوب العلم، وانتقل الى الوقت فقال عنه : إنما الوقت كنوز ، والمشهور أنه ثمين ف (كنوز) تشبيه بليغ أو مؤكد، وهو أقوى تأثيراً من المألوف عند الناس ، لعلاقة الاعتزاز ما بينهما فالكنز عزيز والتمين كذلك ، يُقبل عليهما الوجدان ، وتميل اليهما الجوارح.

وربما يكون للصورة الشعرية تأثير واضح ومباشر على الإحساس، وفي هذا يقول ريتشاردز: في مقاله عن الصورة الشعرية ((ان تأثير الصور الحسية ليس وضوحها كصورة بقدر ما هو طبيعتها كحدث ذهني ، مرتبط على الأخص بالإحساس)) (٢) .

إن الجمال الفني المبتكر، يمثل أرقى ما وصلت إليه صور البيان البلاغية، على لسان الشعراء والأدباء، وهو بهذا التوصيف يختزل الكثير من الأقوال، ويعبر بصورة أكثر شفافية وأريحية ودقة، عما تهتز له الإحساسات لذة ومتعة فتقبل عليه النفس بكل ود وشوق ، وتأخذها أخيلته لرياض الراحة ، فتمتلاً نشوة وبهجة لشدة تأثيره فيها، وتمكنه من حدث ذهني محكم ، يترك أثره البالغ في كافة المضامين التي يقع فيها.

كان شاعر نشيد العلا محمد باقر الحلي متسامياً كألفاظه ، وجرت البلاغة في رياضه ، فقال:

وابغِ المنى متسامياً واطلبْ لك العلمَ المفيدَ
واسهرْ لقومكَ عاملاً بالرأي والفكرِ السديدَ
شمزْ ولا تكُ غافلاً واحذرْ من الجهلِ المميتِ
والعلمُ أصدقُ صاحبٍ فاصحبه مهما إن بقيتُ (٣)

ابتغاء المنى بصورة التسامي من دواعي الرفعة ، والسمو الروحي للفرد ، ولايتأتى ذلك بالقعود عن سلم الصعاب بل يتكامل بلوغها في طلب العلم ، والسعي الجاد لاكتنازه ، وإدراك سداد الفكر ، والإبتعاد عن مواطن الجهل، لأنها تमित العقل وترمي كنه الذات البشرية في مهاوي الردى ، وعليه فإن صداقة العلم وصحبته ، أجل ما يحصل عليه المرء طوال حياته من الصدق ، لأن ((معنى الكلام وصلاحه وصحته، إنما بينائه على الصدق ، وقصده إلى الجميل وظهوره بالبرهان)) (٤)، فكلمة أصدقُ صاحب ، مجاز عقلي تغري الصحبة للعلم لعلاقة الفائدة والحماية فهو خير صاحب لمن صاحبه يفيد ولا يخونه ولا يغدر به بل يحمل له دائماً ، كل خير وعز وسؤدد ، لذا وجبت مصاحبته مهما بقيت حياً اذ جسده بشراً سوياً.

١- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢٤ - ٢٥

٢- مجلة الثقافة، القاهرة ، العدد الثالث ، ١٩٦٣م ، ٣٢:

٣- المصدر السابق : ٢ / ٢٧

٤- الروض المريع في صناعة البديع، ابن البكاء المراكشي، حققه: رضوان ينشقرن، دارالنشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م:

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثاني: الصورة الشعرية ﴾

سلط نشيد أيها العربي ، للشاعر محمد مهدي البصير نظرات ثاقبة ، تداوي جسد الأمة ، وقدم ما يراه علاجاً لحالة الانسان العربي وخص شبابها لأنه عنوان نهوضها وأمل تفوقها فقال :

نرى لك أيها العربيُّ أمراً عجباً في تكيفه غريباً
ملكْتَ الخافقينِ بربعِ قرنٍ فأنهيتَ المشاكلَ والحروباً
وهُدِّبَ شعبكُ المحبوبُ حتى مزجتَ به العناصرَ والشعوباً
وهذي الشمسُ تشرقُ كلَّ يومٍ وإن لبستُ أشعثُها الغروباً (١)

يرى الشاعر إنَّ للعربي أمراً عجيباً ، وبدا في تكيّفه مع الظروف المحيطة غريباً ، وقد ملك الخافقين وهما المشرق والمغرب ، في ربع قرن ، وملت الى الاصلاح بعد أن أنهيت المشاكل والحروب ، وهذب شعبك المحبوب ومزجت بين مختلف القوميات ، فأصبحت متآخية وهذه الشمس تشرق كل يوم ، وإن لبست أشعتها الغروباً حيث استعار لبس الغروب ، لأشعتها المشرقة ، أي أنها لابسة للغروب أثناء شروقها ، وهي استعارة مكنية، لأنه جعل من الشمس كإنسان أو امرأة فحذفها وبقي شيء من لوازمها وهو اللبس ، هذا اذا أخذ ظاهر اللفظ وأما باطنه ، فقد عنى أن الأحوال مثل الشمس تتغير في كل آن ، فان سرّت أحوالها عند قوم وأشرقت في وجوههم الدنيا فلسوف تغرب لاحقاً عليهم بما لا يرغبون ، وتشرق عندنا بما نحب ، ايماناً منه في قوله تعالى (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) (٢).

ولطالما تعمل الصورة بعد رسمها ، على إثراء الشعر ، وبعث روعة الايحاء بل وزيادة المتعة الروحية والخيالية فيه حين تقوم في ((وظيفة إغناء الشعر باللون والظل والإيحاء)) (٣).

لذا نرى بأننا أدركنا مجدنا في نشيد لغة الاوطان الذي قال شاعره فيه :

لغةُ الاوطانِ يا مجدنا بين الملا
أشريقي ما بيننا كي نرى سُبُلَ العلا

فاملأينا بالرجال وادفعينا للأمام
واجعلينا ثمرأ لك مابين الانام (٤)

التعابير المجازية ، تضيف على النص الشعري بهجة ولطافة ، لذا نرى الشعراء قد مدّوا جسوراً بينهم وبينها ولغة الأوطان إحدى معالم المجد لنا بين الخلق ، والمتزنم بها يجد لذة ومتعة في تلفظها، لذا دعاها شاعرنا بقوله أشريقي وهي استعارة تصريحية، فكأنها بعينه الشمس وهي كذلك، كون حروفها هي حروف النور الإلهي، الذي نزل الى الأرض ليحييها ومتى أشرقت نرى عندها سبل العلى، فاملأنا بالرجال وادفعينا للأمام فالملأ والدفع مجاز عقلي لأن الحروف لا تملأ ولا تدفع ، واجعلينا ثمرأ لك ما بين الأنام ، فثمرأ تشبيه مؤكد، واختياره للملأ والدفع كأنها هي الحاكم المالك لرقاب الناس ، فأضفى عليها هيبة الملوك ، وسلطة الحاكم.

١ - مجلة التلميذ العراقي : العدد الأول في ١٩٢٤م : ٦

٢- سورة آل عمران : ١٤٠

٣- المذاهب النقدية ، د ماهر حسن فهمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢م : ٢٠٤

٤- الاناشيد العصرية : ١٠٢ / ٢

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثاني: الصورة الشعرية ﴾

وحقيقة الصورة الشعرية هي الشغل الشاغل لشعراء أطفال العراق، فقد أخذوا منها قدر استطاعتهم لذلك ، لأنها تشكل ((بعض نتاج الخيال الإبتكاري والخيال التأليفي أو التوليقي)) (١)، وهذا مما جعل الشاعر الرائد حسين الأعظمي يتميز بالتنوع الثري في المضامين والصور وأنشودة المدارس إحدى روائع ، هذا الشاعر المجيد ، في كل أناشيده قائلاً:

لولا المدارسُ متنا بالجهل موتاً حقيراً
فنحنُ منها رضعنا عزاً ومجداً كبيراً

إنّ المدارس نورٌ يضيئ ليلَ الجهالةِ
منها الوري تستنيرُ والنورُ يمحو الضلالةَ (٢)

ابتداءً بحرف الامتناع، فلولا المدارس متنا، فأخبر بالموت وأراد به الحياة ، فالأصل إن المدارس حياتنا، وإن أردنا متابعة الجملة التفسيرية في عجز البيت ، خرجنا بأن موتنا سوف يكون بداء الجهل ، فحذف الداء لدلالة الجهل عليه واستعان في المفعول مطلق (موتا) ليعينه على إتمام الصورة ، فنحن منها رضعنا، فرضعنا استعارة تصريحية بدل من تعلمنا، وهو يدني الى الازدهان وكأنها أم حنون منها يُرضع الأبناء ، وواقعاً هي أم لكل من يريد أن يرضع منها زاكى العلوم المختلفة، لذا استعار الرضاعة لهذه العلاقة، وأتم قوله عزا ومجدا كبيرا، وهذا مرتبط في التحصيل العلمي والأخلاقي منها، وأن المدارس نور، فنور تشبيهه بليغ أو مؤكد ، ثم قال ليل الجهالة ، وهو مجاز عقلي لأنه ملابسة له على غير الحقيقة للتدليل على أنها ظلام في ظلام ولن يضيئه غير المدارس، فمنها تستنير الخلق والنور يمحو الضلالة ، أي استعار يمحو للنور وهو مالا تقع عليه الحاسة، الى ما تقع عليه الحاسة وهي المدارس ، وهذا ينم بدوره عن الشراء اللغوي الذي ((يعمل على إخراج ما لاتقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة)) (٣).

وفي نشيد الشبان نرى الشاعر، قد أحب أن يستهض شباب وطنه فقال:

أيها الشبانُ هبّوا للعُلا شبة الاسودِ
وندا الاوطانِ لبّوا تحت أفياء البنودِ (٤)

استعار لهم لفظة الهبوب ، لعلاقة الحركة بينها وبين النهوض والأصل انهضوا ، ولكنه اختار، هبوا لأنها أبلغ في التعبير وأرقى في التصوير، ثم أنها توحى الى الاستعجال والسرعة ، نحو بلوغ العلى ، ثم لبوا نداء الاوطان اذا نادى تحت أفياء أعلامها ، والأبلغ أن يقول ، خفقات البنود، لأن أفياء توحى بالاسترخاء بينما الأمر أمر احتدام وصراع عنيف مع الاعداء من جهة ، ومع الصعاب من جهة أخرى .

ورأى باحث آخر، أن الصورة الشعرية تمثل : هندسة بناء الصور بشكل متقن قائلاً: ((وكم ستبدو اللغة الشعرية ثرثرة انشائية ، لو لم تستقرنا بصورة قافزة نشطة نابهة ، وهكذا تكون الهندسة الأتقن والأرقى ، في صنع القصيدة القوية هي هندسة بناء الصور فيها ، قبل أن تكون هندسة بناء الأفكار)) (٥) ولاندرى إن لم تبين الأفكار أولاً ، فكيف

١. في الرؤيا الشعرية المعاصرة ، أحمد نصيف الجنابي ، وزارة الاعلام العراقية ، د ت : ٤٦

٢. أناشيد وأدبيات الفتاة : ١٢- ١٣

٣. النكت في اعجاز القرآن ، ابو الحسن الرماني ، تحقيق : محمد خلف الله بالاشتراك مع دار العروبة ، الكويت : ٨١ د ت

٤. الأناشيد المدرسية والألعاب : ٧- ٨

٥. العقل الشعري : ٣٨٥

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثاني: الصورة الشعرية ﴾

تبنى هندسة بناء الصور؟ هل على ضفاف أمواج الخيال؟ إن لم تسبقها التهيئة الفكرية اللازمة ، واستنفار التراث اللغوي لدى الأديب ، والتدقيق المتقن في اختيار اللفظ الأحسن قبل صياغة هندسة بناء الصورة ؟ وهل يقدم المهندس على هندسة عمل ، من دون أن يُحضر كل معلوماته العلمية ، عن العمل ويكمل كل أدواته لذلك ، كي يخرج مبهرًا ؟!

أما نشيد تحية العلم ، فقد حث الأبطال من أبناء شعبه ، على ركوب متن الهمم ، قائلاً :

أيها الابطالُ هيّا نمطّي متنَ الهممِ

نبتغي عيشاً هنياً تحت أفياء العلم^(١)

إذ خاطب الابطال هيا نمتطي متن الهمم ، حيث استعار للهمم متناً ، ودعاهم ليمتطوه ، أي يجعلون منه مطية يركبونها عجلي ، لبلوغ العيش الهني ، وهذه من الصور التي يأنس الرقي في بلوغها ، ثم استعار للعلم أفياء ، لندرك تحتها العيش الرغيد.

وفي أنشودة الجندي همّت كلمات الشاعر الى الإقدام ، ولكن أي إقدام قائلاً:

أيها الجندي أقدم للوغى شبه الأسود
لاتخف صوت رصاصٍ إنه لحن السُعود
أيها الجندي أقدم إنَّ يومَ الحرب عيدٌ
وارفع الراية واكسر شوكةَ الخصم اللدود^(٢)

إنه إقدام نحو الموت، شبه الأسود ، أي مثلهم ، فالمشبه الجندي والمشبه به الأسود ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه في تجسيد قوة المشبه ، ودعوة أن لا يخاف صوت الرصاص ، لعلّ قال عنها ، إنه لحن السُعود ، فالأول مرعباً والثاني تأنس به النفس وكيف يكون لحناً للسعادة ؟ وقد عنى به أمرين ، الأول سعادة الدنيا بدفع الأعداء عن أرض الوطن ، والثاني سعادة الآخرة بنيل ثواب الله - جل وعلا - بنيل الشهادة دفاعاً عما أمر، لأن يوم الحرب عيد للمدافعين عن دينهم وعرضهم وأرضهم ، ويوم يؤس على الغازين المحتلين الغاصبين لحقوق الآخرين ، ثم واكسر شوكة الخصم اللدود كناية عن هزيمة الأعداء ، ودلالة الاستهانة والتهكم بهم لأن أصل الكسر للأعواد والاستفادة من التلويع به يعين الشاعر على تلافي كثير من الحرج لأن ((الواحد منا يستعير من غيره رداء ليلبسه ومثل هذا لا يقع إلا من شخصين بينهما معرفة ومعاملة ، فتقتضي تلك المعرفة استعارة أحدهما من الآخر فإذا لم يكن بينهما معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر من أجل الانقطاع))^(٣) فضلاً عن وجود المشابهة بينهما.

وقد تتبع الشاعر أحمد حقي الحلي ، البلبل بأناشيد عدة ، لكننا قطفنا ما يشع في هذا المبحث من الاستعارة التي هي إحدى ركائز الصورة الشعرية ، حيث قال:

١. الأناشيد المدرسية والألعاب : ٤٢ - ٤٣

٢. المصدر نفسه : ٤٩

٣. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، تصحيح سيد بن علي المرصفي ، مطبعة المقتطف مصر ، ١٩١٤م : ١٩٨/١

فوق الغصون بلبلاً غنى وراح يلعبُ
أنشودة الفجر تلا لها القلوب تطربُ
كم صَفَّقَ الغصنُ له والوردُ مصغٍ طربُ^(١)

فقد لمح فوق الغصون بلبلاً ، غنى وراح يلعب ، فغنى استعارة تصريحية ، بدل من صفر أو غرد انشودة الفجر وما هي انشودة الفجر ؟ إنه التنبية الى حلول الفجر ، بدليل قوله تلا ، وهو من التلاوة ، وربما عنى به تسبيح الطير لله أي تنزيه ذات الله - جل وعلا - عند الفجر بلغة الطير ، لقوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ^(٢) وهذه التلاوة تميل لها القلوب المؤمنة، وكم صَقَّ الغصن له ، وهذا من المجازات الرائعة لأنه استعار التصفيق للغصن، وهو مخصص بأيدي البشر، والورد مصغ طرب وهذه الصورة رسمت باتقان باهر فقد استعار الاصغاء والطرب الى الورد ، وعمد الى أنسنته ، فأعطاه مالا انسان من صفات والتصفيق والإصغاء والطرب تربط ربطا وثيقا علاقة الصورة الشعرية بالحواس ، وتؤثر فيها لأن الحواس رسل العقل، لكشف ما في الحياة فلحن هذا البلبل أعجب من إعجاب الناس به.

كانت بصيرة شاعرنا العلامة الدكتور مصطفى جواد نافذة ، في خفايا المجتمع ، لذا تراه قال:

أجدادكم كم شيّدوا ذكراً مجيداً يُحمدُ؟
والآن أنتم أوقدوا ما بينكم نارَ الشقاق^(٣)

الذكر المجيد الذي يُحمد، لم يأت من فراغ ، بل إن أجدادنا شيّدوه بتلاحمهم، وتوادهم، واصطفافهم الى جانب الحق والآن أوقدوا ما بينكم نار الشقاق ، فقد استعار للشقاق نارا لعلاقة التدمير الكلية ما بينهما ، فالنار اذا احترقت مكانا خفيةً أتت عليه، والشقاق كذلك.

وللصورة معان عدة منها ((إن الصورة جوهر الشعر وأداته القادرة على الخلق والابتكار، والتحوير والتعديل لأجزاء الواقع بل اللغة القادرة على استكناه جوهر التجربة الشعرية ، وتشكيل موقف الشاعر من الواقع))^(٤). وللتشبيه في أشعار أطفال العراق ، المرتبة الثانية بعد الاستعارة ، فقد ذكر ابن منظور أن ((الشِّبَّة والشِّبَّة والتشبيه: المثل والجمع أشباه وأشبه الشيء : ماثله ، والتشبيه : التمثيل))^(٥).

إذ استعمل الشعراء التشبيه ، في أناشيدهم لعقد مماثلة ، بين شيئين يرغبون في إبرازهما للنشء ، أما أغراض التشبيه ف ((إنك اذا أردت إثبات صفة لموصوف ، مع التوضيح أو وجه من المبالغة ، عمدت الى شيء آخر تكون هذه الصفة واضحة فيه ، وعقدت بين الأثنين مماثلة تجعله وسيلة لتوضيح الصفة ، والمبالغة في إثباتها لهذا كان أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى))^(٦) .

١- المحفوظات الطفلية للشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي : ٣٢/١ - ٣٣

٢- سورة النور: ٤١

٣- الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الاجزاء الخمسة : ٤ / ١٢١ - ١٢٢

٤- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، مدحت الجيار ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ م : ٦

٥- لسان العرب : مادة شبه

٦- جواهر البلاغة : ٢٥٥

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثاني : الصورة الشعرية ﴾

ولطالما تبارى العلماء الأجلاء ، في ولوج الفطنة ، وقصدوا دهاليزها الخفية ، والعالم الجليل محمود الملاح واحد منهم ، فقد وجد الصالحين من قومه ، يشعون في الأرض نورا ، فافتداهم بنفسه قائلا:

نفسى الفداء لقوم فى الأرض كانوا نجوما
إذا بكيث عليهم دماً فلست ملوما^(١)

بعد أن أحب أن يفتديهم ، شبههم بالنجوم ، دلالة على أنهم كانوا نبراس الهداية للناس ، فبهم ابتدأت الرسالة المحمدية وشعت الى باقي الأرض أنوارها السنية ، فاذا بكى عليهم دماً فلا لوم عليه ، فالمشبه واو الجماعة العائد

على القوم وهو اسم كان ، ونجوماً المشبه به ، وهو خبرها والغرض منه بيان حال المشبه ، من السمو والرفعة. وفي نشيد الشبان نرى الشاعر، قد أحب أن يستنهض شباب وطنه فقال:

أيها الشبان هبوا للعلل شبه الأسود^(٢)

نادى الشبان لبلوغ العلى شبه الأسود ، والمعروف أن التشبيه في الأسود يحمل معنيين ، الأول السرعة لأن الأسود إذا أرادت شيئاً وثبت إليه مسرعة ، والثاني يحمل معنى الشجاعة في الإقدام والبسالة عند الإحتدام ، وكلا الأمرين مرغوب فيه ، إذ يثير في الشبان الحماس والثورة فالمشبه الشبان ، والمشبه به الأسود، والغرض منه، بيان مقدار حال المشبه في تجسيد قوة المشبه.

نادى الشاعر الدكتور أحمد حقي بلبله ، وكان فوق الغصون يلعب ، قائلاً:

يابلبل الروض الذي فوق الغصون تلعب
تسابق الرياح وكم تغلبها فتغلب
أنت بأفاق السما وفي الرياض كوكب
وأي غصن تعطي فهو بك المرحب^(٣)

وهو يسابق الرياح فيغلبها مرة وتغلبه أخرى ، وهو بأفاق السما وفي الروض كوكب ، فالمشبه البلبل والمشبه به مركب من الكوكب بأفاق السما ، وفي الرياض ، والغرض منه، بيان مقدار حال المشبه من الأهمية والرفعة ، فقد حذف أداة التشبيه الكاف للمبالغة ، وعن حذف أداة التشبيه ، يقول عبد القاهر الجرجاني ((والنكتة في الفرق بين هذا الضرب الذي لابد للمجرور بالكاف ونحوها ، من وصفه بجملة من الكلام أو نحوها وبين الضرب الأول الذي هو نحو (زيد كالأسد) أنك إذا حذف الكاف هناك فقلت : زيد الأسد فالقصد أن تتبالغ في التشبيه))^(٤).

ويرى أندريه بروتون ((أن الصورة إبداع خالص للذهن ، لا يمكن أن تنتج عن مجرد المقارنة أو التشبيه ، بل هي نتاج للمقارنة بين واقعين متباعدين ، وبقدر ما تكون علاقة الواقعين بعيدة وصادقة ، بقدر ما تكون الصورة قوية ومحقة لهدف الشاعر))^(٥).

١. الاناشيد الموصلية : ١٦

٢. الاناشيد المدرسية والألعاب : ٧ - ٨

٣. المحفوظات الطفلية للشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي : ١٦ / ١٧

٤. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق ريتز ، استانبول ، ١٩٥٤م : ٢٢٨ - ٢٢٩

٥. تحديد الصورة وأهميتها في الخطاب الشعري ، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية ، فاس ، العدد ١٩٨٧، ٩٠ : ٢٠٠

أما الشاعر جميل صدقي الزهاوي فقد خص أرض أهله وماله ، بشعر بليغ قائلاً:

يا أرض أهلي ومالي فداك مالي وأهلي
ليس الحياة بعزٍ مثل الحياة بذل^(١)

وبعد أن قال مفتدياً أرض أهله ، بماله وأهله ، نفى أن تكون حياة العز ، تشبه حياة الذل ((فوجه الشبه بين طرفيه محذوف دائماً يتألف من صفات متمازجة ، ننزعها من المشبه والمشبه به ، وننخليلها صورة تجمع بينها سواء

أكانت هذه الصورة محضة أم عقلية^(٢)، لأن حياة العز تجلّ لها الكرامة في الدنيا والآخرة ، أما حياة الذل فيتخللها الخزي والندم.

وللشاعر عبد الستار القره غولي قول رائع ، حين خاطب به الفتى العربي قائلاً :

إنّ الفتى العربي لا يرضى الهوان ولايضام
هو كالحمامة للصديق وللأعادي كالحمام^(٣)

إنّ الفتى العربي لا يرضى الهوان والمذلة ، إلا قلة لا يقاس بفعلها الجميع ، وكذلك أبت نفسه الكريمة ، كل ظلم يوجه إليه لأنه تحلى بالمكرّمات ، وهذه المكارم هي نعم الوسام ، فهذا الفتى هو حمامة للصديق ، فالمشبه الفتى للصديق والمشبه به الحمامة ، والأداة هي الكاف ، والغرض منه لبيان مقدار حال المشبه في سعته وسموّه وللأعادي كالحمام فالمشبه الفتى للأعادي والمشبه به الموت، والكاف أداة التشبيه ، والغرض منه لبيان مقدار حال المشبه في تجسيد قوة المشبه ، ومعنى ذلك أنه وديع ودود كالحمامة للصديق ، وللأعادي كالموت الزؤام .

وفي أنشودة الجندي همّت كلمات الشاعر الى الإقدام قائلاً:

إن من أهم الخصائص اللغوية للغة الشعر ((تتمثل في القدرة الشعرية للغة على تكثيف المعنى بأقل الكلمات فالشعر يوجد لذاته وينتهي لذاته ، والقصدية الشعرية هي أفضل ما يقال في كلمات قليلة بأسلوب فني سواء أكانت مجازاً أو رمزا))^(٤).

وفي محاوره بين الأم وابنتها للشاعر حسين الأعظمي، سألت البنت أمها قائلة :

البنت : يا أمّ ماذي الكواكب والنورُ منهنّ ساطع ؟
كأنها من زجاج بيضاء ذات صفاء^(٥)

فالمشبه الكواكب مفرد ، والمشبه به هيئة مركبة من: بيضاء من زجاج ، ذات صفاء ، والغرض منه بيان حال المشبه لأنه غير معلوم وهذه الهيئة المركبة ، تساق لتمكين المخاطب من إدراكه.

ومن التشبيهات الجميلة تشبيه الشاعر الدكتور أحمد حقي في نشيد قطي البيضاء قائلاً:

قطي كالثلج بيضا ولها شكل جميل

١. ديوان الزهاوي : ٢٣٧

٢. أسرار البلاغة : ٢٩٧

٣. مجلة الفتوة ، العدد ٢، بغداد ، ١٩٣٤م : ١٤

٤. أدب الاطفال ، ا د كمال الدين : ١٣٥

٥. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٤٦

شعرها الناعم حلّو وكثيف وطويل
معها ألعب دوماً فهي لي نعم الخليل
قطي البيضاء حسناً مالها قط مثيل^(١)

فالمشبه القطة ، والمشبه به مركب من بيضاء، الثلج ، وأداة التشبيه الكاف ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه من الجمال.

وتأمل شاعرنا الكبير الرصافي ، في الشمس فأبدع في وصفها قائلاً:

وانظرُ الى الشمسِ التي جذوتُها مستعرةً
فيها ضياءٌ وبها حرارةً منتشرةً
من ذا الذي كَوْنُها في الجَوْمِ مثل الشرِّ ؟ (٢)

وتساءل الشاعر من ذا الذي كونها ، في الجو بهذه الهيئة ؟ اذ شبهها مثل الشرِّ ، وإن كان التشبيه تشبيه تقريبي من أجل فهم الصغار ، فهي كتلة نارية متوهجة بدرجات حرارية عالية يذوب الحديد اذا اقترب منها ، وهي إحدى معاجز الله في كونه المعجز كله ، فوجه الشبه بين طرفيه محذوف دائماً.

عمل شاعرنا المبدع حسين الأعظمي ، في نشيد العلم والجهل مقارنة بين العلم والجهل فقال :

العلمُ للنباتِ كالماءِ للنباتِ
العلمُ نورٌ شامسٌ والجهلُ ليلٌ دامسٌ
والعلمُ للإنسانِ كالروحِ للابدانِ
العلمُ سُلْمُ العُلا كم واحدٍ به علا
والعلمُ للأرواحِ كالزيتِ للمصباحِ (٣)

المشبه العلم والمشبه به الماء ، وأداة التشبيه الكاف ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه من دوام استمرارية الحياة أو عدمها ، كحال النبات مع الماء (العلم نور شامس) فالمشبه العلم والمشبه به وهو مفرد ، والمشبه به مركب من نور وصفته شامس ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه وسموه ورفعته (والجهل ليلٌ دامسٌ) فالمشبه الجهل والمشبه به : مركب من ليل وصفته دامس (والعلم للإنسان كالروح للابدان) فالمشبه العلم للإنسان والمشبه به الروح للابدان والكاف أداة التشبيه ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه ، من دوام استمرارية الحياة أو عدمها (العلم سُلْمُ العُلا) فالمشبه العلم والمشبه به سُلْمُ العُلا ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه ، وسموه ورفعته (والعلم للأرواح كالزيت للمصباح) فالمشبه العلم للأرواح والمشبه به ، الزيت للمصباح ، والكاف أداة التشبيه ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه ، من دوام استمرارية الحياة أو عدمها ، وكل هذه التشبيهات الرائعة المبتكرة ، التي لم يسمع بمثلا من قبل قد جاءت عبر فكر وخيال متألق وسليم ، أبى إلا أن يكون مترقعا عن التشبيهات فيما سبق ، ولا يرقى إليه من لحق لقوة التصوير وشدة الألق.

١. المحفوظات الطفلية : ٣٦ - ٣٧

٢. تمانم التربية والتعليم : ٤ - ٥

٣. أناشيد وأدبيات الفتاة : ١٨ - ١٩

وفي نشيد الجندي للدكتور أحمد حقي ، التفاتة كريمة تتم عن الاستعداد النفسي ، لافتداء الوطن وحمايته فقال :

أنا جنديٌّ أمينٌ أنا شبلٌ للعرينِ
ولأوطاني حقاً أنني الدرْعُ الحصينِ
فاذا في الجَوِّ طرْتُ أنا كالنسرِ أُطيرُ
واذا للحربِ سرْتُ ليس لي قطُّ نظيرُ (١)

بعد أن قدّم أنه جندي أمين وشبل للعرين ، والدرع الحصين لبلاده ، وكل هذه تشبيهات ، فمتى ما طار في الجو فهو مثل النسر الذي ينقض على فريسته هاجما ، فيميتها ويحملها بين مخالبه ، وكذلك يفعل البطل عندما ينقض على أعداء وطنه وشعبه ، فالمشبه الجندي والمشبه به النسر ، والكاف أداة التشبيه والغرض لبيان مقدار حال المشبه من القوة. خاطب الرصافي المستقبل ، بلغة واعية، ليلقيها في آذان النشء قائلا:

يامفزغ الشبان يامخزن الأمانى
لح لي من الأزمان كالبرق في الغمام^(٢)

دفع الشاعر تأمله في مستقبل الأيام ، ليلقى جزاء ما يعمل ، فناداه ب يامفزغ الشبان ويا مخزن الأمانى ، وتمنى أن يلوح له من الأزمان كالبرق في الغمام ، فالمشبه المستقبل والمشبه به البرق في الغمام ، والكاف أداة التشبيه والغرض لبيان حال المشبه لتمكين المخاطب من ادراكه.

وللشاعر محمد الهاشمي رأي في نشيد الشمس في الشروق فقال :

طلعت شمسُ السماءِ كإلهٍ من ضياءِ^(٣)

لذا نرى أن المشبه شمس السماء والمشبه به إله من ضياء ، والكاف أداة التشبيه ، والغرض لبيان حال المشبه ونرى أنه لم يوفق في هذا التشبيه ، فلو تجاوز ذكر اسم الإله ، لجاز له أن يقول ما يشاء ، كأن يقول (كامتداد من ضياء) أو كهالة من ضياء ، مع تغيير بسيط في الوزن ، والعلة في ذلك ، مخافة أن تتخذ الشمس إلهاً من دون الله كونها الوحيدة في الكون التي تحمل هذه الصفة ((فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَتْ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ))^(٤) إذ لا يزال على الأرض من يعبد الأوثان لحد الآن ، والإله الحق - جل وعلا - هو نور ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))^(٥).

نظر الشاعر المبدع الى البنت الصغيرة وحذرنا ورغبها في أن واحد قائلا :

مافتاةُ الجهلِ إلّا هي بالجهلِ حقيرةٌ

وفتاةُ العلمِ تهدي الناسَ كالشمسِ المنيرةِ^(٦)

فالمشبه فتاة العلم وهو مفرد ، والمشبه به مركب من الشمس وحالها المنيرة ، وتهدي الناس والكاف أداة التشبيه

١. المحفوظات الطفلية للشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي : ٢٧ / ١

٢. أناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١٨ / ٢

٣. ديوان عبرات الغريب : ٣٩

٤. سورة الانعام : ٧٨

٥. سورة النور : ٣٥

٦. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٣٠

والغرض لبيان مقدار حال المشبه، من السمو والرفعة .

ونرى شاعرنا المبدع شجع نظافة سهى ، وذم وساخة ساهي ، في نشيد سهى النظيفة وساهي الوسخ قائلا:
جاء الى الحديقة (ساهي) وفيها قد بصق
قد قطف الورد وقد رمى على الأرض الورق

عنه الصبايا ابتعدوا والكلُّ منه نفروا

كالبوم ولّى وحده كذا يكونُ القذُرُ (١)

صورة من صور الإرشاد ، أراد بها شاعرها ، أن يعلم النشء ، أيهما العمل الصحيح فيتبعون أحسنه ، ولموضع الشاهد سُلط الضوء على فعل ساهي ، لأنه هو المعني ، فهو يبصق على الأرض ، ويقطف الورد ويرميه على الأرض وقد ابتعد عنه جميع الأطفال ، ونفروا من فعله السيء ، لأنه صار كالبوم ، فالمشبه ساهي ، والمشبه به البوم والكاف أداة التشبيه ، والغرض لبيان مقدار حال المشبه ، من النقص والضعف . ولم يجد الباحث أثراً للمسرحية الشعرية ولا للخرافة ولا للرمز فيما كتبوه من أناشيدهم .

١. المحفوظات الطفلية : ٢ / ١٨ - ١٩

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ﴾

المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة

الشعر صناعة (١) وإبداع، غايته تحريك الوجدان والامتناع ، وأياً كان المصطلح في الصناعة أوالخلق الفني، فإن المهمة واحدة ، وهي إيقاظ الشعور بسحرية نظم الزهور ، وشاعر الطفل أكثر الشعراء تدقيقاً فيما يكتب، لخصوصية من يكتب لهم على المستوى الثقافي وإن لم يكن الشاعر، على درجة عالية من الثقافة العامة، كسدت بضاعته وحرار في تسويقها، لأنه اذا ((لم يكن الشاعر أو الأديب أو الفنان ذا ثقافة واسعة، أجهد عقله في اكتسابها، لما أتيح له أن يصوغ الآيات الفنية الخالدة)) (٢) .

وتعلم عروض الشعروهي موازينه ،لاتخلق شاعرا مبدعا، بقدرما هي قواعد ضبطية يتحدد بموجبها، عدد التفعيلات في صدر البيت وعجزه ، وعلى ضوء هذا التحديد أولاً ، يتحدد عدد المتحركات والساكنات في حروف كل تفعيلة في الصدر بما يقابلها في العجز ثانيا ، ونتيجة لهذا الضبط المتقن تنبعث موجات موسيقية هائلة ، من صدر البيت تتناغم مع عجزه لتكوّن في النهاية إيقاعا، يشد السامع ويجذبه اليه، ليلتذ المتلقي في قراءته أو سماعه، والطفل أحد هذه الأذان المرهفة ، التي يشدها نغم الشعر، وتجذبها روعة السحر، فيميل بكل جوارحه وإحساسه الفطري البرئ اليه لذا فالقصيدة الشعرية ، كالغزال الجميل الذي لاح فجأة إليك ، ودفعتك الهمة الى صيده ، فان لم تشغل التفكير وتحسن التدبير في تحضير الأدوات التي تعينك على الإمساك به ، فرّ هاربا وتواري عن الأنظار، ولم تتمكن من صيده والإمساك به حيا ، يلتمس الناظرون متعة النظر اليه .

وقصيدة الطفل أشد الغزلان نفورا في الوديان ، فإن لم يكن شاعرها فهذا متمرسا جدا في الصيد ، لن يقوى على صيدها ، وتقديمها هدية رائعة الجمال الى الأطفال ، ليكونوا أكثر سرورا بها من شاعرها ، وإول هذه الأدوات هي المعنى فان تراءى لك معنى معيّنًا فاللفظ خادمك في الوصول اليه، وتخيّر اللفظ المناسب من بين الألفاظ ، يعينك في السيطرة عليه ، وعن هذا يقول الامام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)) (إن اللفظ تبع للمعنى في النظم وأن الكلم تترتب في النطق ، بسبب ترتيبها في النفس))^(٣) لذا وجب تخيّر اللفظ المناسب والواضح للطفل ، كي يصل المعنى بلا إجهاد للمتلقي، على وفق الاسلوب التقريري، والثاني:الوزن وهو((أعظم أركان حد الشعر))^(٤) الذي قال: عنه قدامة ابن جعفر (انه قول موزون مقفى يدل على معنى) ^(٥) والشاعر الألماني برتولت برشت ((إن التزام أوزان الشعرالأصلية الراسخة بقدر من القوافي ، شرطان لاغنى عنهما في تسمية الكلام شعرا)) ^(٦)، وتطابق قول الشرق والغرب في التشديد على أهمية الوزن والقافية والتدليل على المعنى ، لدليل على بطلان قول من لايعتبرهما كذلك.

١ - أول من قال به أرسطو طاليس في كتابه في الشعر، ترجمة متي بن يونس ، تحقيق شكري عياد ، دارالكاتب العربي ، القاهرة ،

١٩٦٧م : ٢٩

٢- مبادئ علم النفس العام ، يوسف مراد ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٥٤م : ٢٤٨

٣- دلائل الاعجاز : ٣٨

٤- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٣، ١٩٦٣م : ١٣٤

٥- نقد الشعر، قدامة ابن جعفر ٣٣٧هـ ، ليدن ١٩٥٦م ، تحقيق مصطفى كمال ، القاهرة ١٩٦٣م : ١١

٦- في الشعر الأوربي المعاصر، د بدوي محمد مصطفى ، الدار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٠م : ٢١١

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث: موسيقى أناشيد الطفولة ﴾

ويذهب بيتس ((الى أن الوزن يخلق في الذهن من الغيبوبة اليقظة))^(١)، وهذا فعلا ما يفعله ، وقد لانجد تعبيراً يفي ما يفعله في الأرواح عدا النشوة والارتياح .

وأما إليوت فقد نظر الى القافية نظرة ثاقبة ، وأحكم القول عنها قائلاً ((إنّ التخلي عن القافية لا يعني النزوع الى السهولة في صناعة الشعر، بل العكس هو الواقع .. وزوال القافية يضع الشاعر مباشرة ، وجها لوجه أمام مقاييس النثر، ويسلب الألفاظ كثيرا من موسيقاها الناعمة ، ويكشف في القصيدة عن كثير من العورات))^(٢) ؛ لأن القافية تشكل اتحادا مع الوزن ، يتألق بموجبه التناغم بين موسيقى التفعيلات الداخلية ، وموسيقى وزن البحر المنظوم عليه والموسيقى المتكررة منها.

إن كل مدرسنه ودونه من شعر، بدء من العصر الجاهلي الى العصر العباسي ، لا يعدو كونه لمحة من لمحات الخاطرجاءت منهم بعفوية مقصودة أو غير مقصودة أحياناً، ولكنها جميعاً عن الأطفال وليس لهم ، بمعنى أنها تمثل حالة استدعاء الشعراء لطفولتهم ، لوصف محبتهم ، او تمنياتهم بالشجاعة والفروسية لأطفالهم ، وهم لا يزالون يحبّون على بساط تراب الأرض حبواً ، ومنهم من أسقط أبياته، في أذن ولده وهو لا يعي ما يقوله، ولسان حال طفله يقول: وربّ منتصتٍ والقلبُ في صممٍ (٣) .

والفرق شاسع بأن تكتب ، عن مشاعر الوجدان تجاه الأطفال فتسقط ما يحلو لك من أيام طفولتك ، على لسان عفويتهم أوتستشعر مآسي طفولة شعب من الشعوب ، فتندبها باكياً، وبين أن تكتب بلسان حال طفل يترنم بها وفقاً لقدرته وتوافقاً مع طبيعته الفسيولوجية ، وفي لغة بسيطة واضحة ، يتلذذ الطفل بترديدها ، كأنها لغته أو هي أقرب لفئة عمرية محددة، من سن الخامسة الى سن السابعة عشر سنة بشكل متدرج .

لذا كان كل ما ذكرناه الى العصر الحديث هو عن الاطفال ، أما بعد الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، فقد نهض ثلة مباركة من الشعراء العراقيين المربين ، والعلماء الأجلاء ، إبان الاحتلال العثماني البغيض ، بتأليف مجموعة من الأناشيد العربية ، التي سقوها سرّاً أسماع تلاميذهم واختاروا لها أيسر الألفاظ وأقصر البحور، ليسهل عليهم حفظها والتأثر بها وإدراك فحواها ، ولتنتقع غليل صبية أكرهوا ، على تعلم اللغة التركية وهم لم يعوا بعد لغتهم الأم ؟ واتسمت غالبيتها بالنزعة الوطنية والدينية والأخلاقية ، لتربي الطفل وتكون في متناول قدرته.

وهذا الشعر جديد ومستحدث ، على ساحة الأدب العربي الحديث ، في مدلولاته ومضامينه وقصديته وأوزانه ومن هنا اختط طريقه ليخاطب الفئات العمرية الطفلية ، المحددة بهم ولا يتعداها ، وعليه فان مقدرة الشعراء تقاس بمقدار النزول الى المستويات، الدنيا والتدرج صعوداً، على نقيض شعر الكبار تماماً.

ومن اهم مواطن تطور أناشيد الطفولة في العراق:

١. التطور من حيث النظرة للطفل: إذ كانت قصائد الشاعر قديماً تقال عن الطفل أي تنقل تصور الأب الشاعر في ابنه وكيف يريده ان يكون.. بينما نظرالشاعر الحديث الى الطفل ككيان مستقل بذاته له قابلياته وفهمه وإدراكه ، وله مراحل عمرية مختلفة لكل منها مستوى معيناً من العلم والمعرفة ، لذا كتب عن لسانه بما يتناسب وهذه المراحل

١. مبادئ النقد الأدبي ، ترجمة مصطفى بدوي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٣م : ١٩٩

٢. البوت (سلسلة نوايغ الفكر الغربي) دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م : ٥٤

٣. الشوقيات ، احمد شوقي ، الجزء الأول ، دار العودة ، بيروت ، دت : ١٩١

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ﴾

﴿ ١٨٩ ﴾

وهذا هو التطور الأهم في كل الرسالة .

٢. التطور في المضامين : كان الشاعر القديم يسهب القول في التفاخر بابنه ومدح بياضه أو سواده أو أصله أو الدعاء له او ترقيصه أو مناغاته أو هدهدته أو حمله السيف أو ركوب الخيل بينما أهمل الشاعر الحديث كل هذا وانطلق نحو مضامين ذات تماس مباشر في حياته اليومية وتعمل على تنمية قدرته اللغوية وتفكيره ومشاعره الوجدانية وتتوائم مع حالته النفسية وتعمل على الترويح الذي يشكل حالة البهجة والفرح لدى الطفل ، إذ تعمل بمجموعها على تطوير مشاعر الطفل نحو امه وأبيه ومدرسته وأخيه وكتابه وصفه الذي يأويه والطبيعة بكل ما فيها ، مما يبعث حالة الإرتياح لدى الطفل فيتجدد نشاطه نحو الحياة وطلب العلم اثناء قراءته النصوص الشعرية

التي تنطق عن لسانه .

٣. التطور من حيث الأوزان : إذ نظم الشعراء قديماً أشعارهم على تام الرجز وغيره ، بعدها انتقلوا الى مجزوءات البحور ، أما حديثاً فقد شدد الغالبية العظمى منهم على المجزوء والمشطور والمنهوك من البحور الصالحة لشعر الأطفال، ثم توسعوا في نظمهم على مختلف هذه البحور مثل منهوك الرجز ومخلع البسيط ومشطور الرمل ومنهوك الكامل ومجزوء الوافر والمتقارب ومشطوره والمتدارك ومنهوكه ومجزوء الخفيف ، وهذا التطور يعد نقلة نوعية في الموسيقى الخارجية .

إن الشعر العربي منذ نشأته وإلى اليوم ، تحتل موسيقاه* في دواخل فحواه ، لأن الشعر ((كلام موسيقي تتفعل لموسيقاه النفوس ، وتتأثر به القلوب))^(١).

وكل ما نظمته الأوائل لا يتعدى مجزوء الرجز وهو الغالب، وأحياناً على تامه، وندراستعمال مجزوء الرمل في العصر الجاهلي في انشودة او اثنتين ، وتام الوافر في العصر الأموي والعباسي كذلك .

أما موسيقى شعر الاطفال في العصر الحديث ، فقد توسعت توسعاً مباركاً ، واجتهد غالبية الرواد في العراق على استعمال قصار البحور بشكل حاز على إعجاب وإكبار من تلوهم في هذا الميدان ، ولأجل الوقوف على الخطى المتقدمة للرواد في هذا المجال ، لذا سنبدأ بدراسة الموسيقى الخارجية التي تشمل (الوزن ، القافية) ثم الموسيقى الداخلية المتمثلة في (التكرار ، الجناس) وإبراز نماذج تطبيقية لها.

*. وحين ندرس موسيقى شعر الأطفال، يؤلمنا جداً ان تهمل مثل هذه الدراسة ، طوال مائة وخمس وثلاثين سنة من ولادته ، كما أهمل هو ذاته، وكأن نصيب هذا الوليد النسيان والاهمال .

١- موسيقى الشعر، د ابراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط٤، ١٩٧٢م: ٢٢

٢- ادب الاطفال ، المفاهيم والاشكال والتطبيق : ١٦٤

الموسيقى الخارجية

((الوزن ، القافية))

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴾ ١٩١ ﴿

أ- الوزن

اهتم شعراء الطفولة في العراق بالوزن ، اهتماما كبيرا ، وأطالوا النظر والتفكير فيه، بوصفهم أصحاب ريادة وسبق ولم يكن الى عهدهم شعر للإطفال ، وليس بمقدورهم والاحتلال العثماني يجثم فوق تطلعاتهم الوطنية والثقافية والرعب ينقر طبوله حولهم ، كي لا يطلّعوا على تجارب الشعوب الأخرى ، لذا عمدوا الى الإجتهد والإبتكار، إذ جعلوا من الصفوف الدراسية مكانا رحبا، لتجريب أشعارهم المستحدثة ، فالذي تصغي له الناشئة بقبول حسن أثبتوه أما الذي يميلون عنه بوجوههم استبعدوه عن أشعارهم ، وأخيرا توصلوا الى ابتكار أوزان لم يسبق أن نُظم عليها في الوطن العربي ، وحين طرّقوها على مسمع أبنائهم ، طاروا بها شوقا ولهفة ، مثل (منهوك الرجز أو مشطور البسيط وغيرها) لأن للموسيقى تأثيرا سحريا على كل مسمع حي ((فالملتقي يدرك ما في الشعر من جمال الجرس قبل أن يدرك ما فيه من جمال الأخيلة والصور))^(١).

وكثيرا ما يتأثر الطفل في الموسيقى ، ويهتز انشدادا معها، من دون أن يعرف معنى ما يسمع من مفردات ، وهذه الخاصية إحدى الحسنات الكبرى للشعر الموزون ، فاذا ما أضيفت لها أشياء أخر ستشتعل المفردات برنين النغمات وعندها سيكون التأثير مضاعفا، لأن أهمية الموسيقى لن تتوقف عند حدود تأثيرها النفسي على المتلقي ، بل تتعداه الى تقريب المعنى ، فحفظ المفردة لجمال نظمها في البيت الشعري يدفع النشء للسؤال عن معناها ، فاذا ما عرفه زاده هذا الأمر ولعاً بإنشادها وترديدها، لذا فان تناغم موسيقى الشعر ((ليست حاجة نفسية ووسيلة إطراب وتخدير وحسب ، ولكنها ذات قيمة ، خاصة من حيث المعاني التي توحى بها))^(٢).

لهذا نرى أن الأطفال يبتهجون بل ويسارعون لحفظ الأناشيد ، وتأخذهم الرغبة القوية الى التسابق في حفظه ونراهم مشدودين الى الترنم به ، والبسمة لاتفارق شفاههم الندية ، وفوق هذا كله ، فقد حافظ العرب الأوائل على الوزن لأنه يمثل ((الإطار الخارجي الموسيقي الذي يحتوي ألفاظهم ، ويمنع القصيدة من التبعثر))^(٣) ولولاه عُدّ كلامهم نثرا فنيا جرّت به طباعهم المتمرسه.

ومن خلال إحصاء النصوص الشعرية التي توزعت بين (القصيدة والمقطوعة) في دواوين الشعراء ، أو المجاميع المشتركة بينهم ، التي سميت غالبيتها بـ (الأناشيد) تبين أن دراستنا في هذه الرسالة اعتمدت على :

١- مائة وأربعين قصيدة درست منها فقط ، أما التي لم تدرس فهي أضعاف مائتين .

٢- ثلاث مقطوعات فقط

١- موسيقى الشعر : ١٣

٢- تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ، بيروت ، دار المكشوف ، ط١ ، ١٩٧١م : ١١٠

٣- التجديد في الموسيقى في الشعر العربي ، د رجاء عيد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر، دت : ١٦

﴿ الفصل الثالث : المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴾ ﴿ ١٩٢ ﴾

والجدول الآتي يوزع القصائد والمقطوعات على البحور الشعرية ، وعلى المجاميع والدواوين حسب كثرة الإستعمال

جدول (١) يوضح توزيع البحور الشعرية ، ونسبتها المئوية

ت	البحر	القصائد والمقطوعات في المجاميع الشعرية	النسبة المئوية	القصائد والمقطوعات في الدواوين الشعرية	النسبة المئوية	المجموع العام	النسبة المئوية
١	مجزوء الرمل	٣٦	٢٥ , ١٨ %	١٤	٩ , ٨٠ %	٥٠	٣٤ , ٩٦ %

٢	مجزوء الرجز	٢١	% ١٤ , ٦٩	١٤	% ٩ , ٨٠	٣٥	% ٢٤ , ٤٨
٣	مجزوء الكامل	١٥	% ١٠ , ٤٩	٦	% ٤ , ١٩	٢١	% ١٤ , ٦٩
٤	المجتث	١	% ٠ , ٧	٨	% ٥ , ٥٩	٩	% ٦ , ٢٩
٥	مشطور الرمل	٣	% ٢ , ٠٩			٣	% ٢ , ٠٩
٦	مجزوء الوافر	٣	% ٢ , ٠٩			٣	% ٢ , ٠٩
٧	مشطور البسيط	٢	% ٠ , ١٥			٢	% ٠ , ١٥
٨	المتقارب	٢	% ٠ , ١٥			٢	% ٠ , ١٥
٩	منهوك الكامل	٢	% ٠ , ١٥			٢	% ٠ , ١٥
١٠	الهزج			٢	% ٠ , ١٥	٢	% ٠ , ١٥
١١	مشطور الكامل	٢	% ٠ , ١٥			٢	% ٠ , ١٥

﴿ ١٩٣ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴿

جدول (٢) يوضح توزيع البحور الشعرية ، ونسبتها المئوية

ت	البحر	القصائد والمقطوعات في المجاميع الشعرية	النسبة المئوية	القصائد والمقطوعات في الدواوين الشعرية	النسبة المئوية	المجموع العام	النسبة المئوية
١٢	مشطور المتدارك	٢	% ٠ , ١٥			٢	% ٠ , ١٥
١٣	المتدارك	٢	% ٠ , ١٥			٢	% ٠ , ١٥

١٤	الرمل	١	٧ ، ٠ %		١	٧ ، ٠ %	
١٥	الوافر	١	٧ ، ٠ %		١	٧ ، ٠ %	
١٦	الرجز	١	٧ ، ٠ %		١	٧ ، ٠ %	
١٧	مخلع البسيط	١	٧ ، ٠ %		١	٧ ، ٠ %	
١٨	مجزوء الخفيف	١	٧ ، ٠ %	١	٧ ، ٠ %	٢	١٥ ، ٠ %
١٩	باقي البحور	صفر		صفر		صفر	
٢٠	المجموع العام	٩٤	٧٣ ، ٦٥ %	٤٩	٢٦ ، ٣٤ %	١٤٣	

﴿ ١٩٤ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن

ويمكننا أن نتبين عن الجدول السابق أموراً عدة أهمها :

١- حيازة مجزوء الرمل على المرتبة الأولى لدى شعراء الطفولة في العراق ، وكانت نسبته ٢٥ % وذلك لرقعة آذان الشعراء الموسيقية ، التي تلذذت بترنم أنغام مجزوء بحر الرمل ، فهي أنغام تشد المسمع وتصنع فيه ماتصنع ، رقة تتوالى وتसारح في الرنين ، وتتابع في المتحرك والساكن ، فالرمل لغة ((هرول في مشيه))^(١) وقد علل الدكتور صفاء خلوصي كثرة استعماله في الأناشيد قائلاً ((وهذا الوزن كثير الورد في الأناشيد المدرسية في أيامنا هذه ، لأنه أشبه بالتصفيقة الشعبية))^(٢) وهو كما وُصف تماماً ، ومن هنا كان التلاميذ أشد ولعاً به ،)) فالانشودة ذات الكلمات الراقية ، والمعاني السامية ، تساعد الطفل على تذوق المعنى الجميل للكلمة ودلالاتها التصويرية والجمالية وتجعله يميز كل ما هو غير ذلك))^(٣) ، وهذه كلها تعطي انطباعاً موحياً ، بجمالية هذا الإستعمال الموفق الذي بلا أدنى شك ، أثر منذ ذلك الحين ، وإلى اليوم في مسمع الصغار ، فضلاً عن الكبار ، وحفز رغبتهم لحب الأناشيد لأن ((الإنشاد

عنصر من عناصر الجمال ، في الشعر لا يقل أهمية عن ألفاظه ومعانيه ، وحسن الإنشاد قد يسمو بالشعر ، من أحط الدرجات الى أرقاها)) (٤).

وفي انشودة العجوز النادمة ، نرى أن الشاعر قد صور حالتها أدق تصوير ، وبث لوعتها قائلاً:

ذهبتُ مني نقودي والدنانيرُ الوفيرةُ
ليتني أنفقتُ منها إنها كانتُ كثيرةُ
سُرِقَ المالُ فما عندي سوى هذي الحصيرةُ
كانَ لي مالٌ كثيرٌ ولقد صرْتُ فقيرةُ
قطعَ الله أكفًا سرقتُ مني الذخيرةُ (٥)

فاستعمال مجزوء الرمل ، وفر للشاعر مساحة واسعة، في وصف حالة العجوز، التي فقدت نقودها، وسهل استعمال المفردات الموحية بحالة الفقر مثل (حصيرة وفقيرة وضدها كثيرة وغيرها) .

وهذا شاعر آخر، نظر الى الزهرة ، فراها أحق بالتخليد والفوز بالنشيد ، في أنشودة الزهرة قائلاً:

زهرةُ الروضِ جميلةٌ حسنُها يشفي العقولُ
تخلُبُ الألبابَ حسناً ولها القلبُ يميلُ
لستَ ترضينَ مقراً غيرَ أغصانِ الحقولِ
مالها في الحسنِ ثانٍ إذ بها الحزنُ يزولُ
ولها البلبُّ يشدو بأناشيدِ الفصولِ (٦)

١. المعجم الوسيط : ٢٤٧

٢. فن النقطيع الشعري : ١٣٧

٣. ادب الاطفال ، ا د كمال الدين حسين : ١٤٦

٤. موسيقى الشعر : ١٦٢

٥. المحفوظات الطفلية : ٢٨ / ٢ ، للشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي

٦. أناشيد وأدبيات الفتاة ، للشاعر حسين الأعظمي : ٥٩

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴾

مظاهر الحسن والجمال في الزهرة ، تدفع كل شاعر للتغني بهذه الفنون السحرية ، فكيف اذا مالت على الغصون ومالت معها القلوب قبل العقول ؟.

وقد صور الشاعر نجيب الريس في نشيده (السجون) كل لوعته وحماسته ، وحبه لوطنه ، قائلاً:

ياظلامَ السجنِ خيمَ إننا نهوى الظلما
ليس بعدَ الليلِ إلّا فجرٌ ليلٍ يتسامى

إيه يادارَ الفخارِ يامقرَّ المخلصينِ
قد هبطناكِ شباباً لا يخافونَ المنونَ

وتعاهدنا جميعاً يومَ أقسمنا اليميناً
لن نخونَ العهدَ يوماً واتخذنا الصدقَ ديناً

لستُ واللهِ نسيّاً ماتقاسيه بلادي
فاشهدني يا نجمُ إني ذو وفاءٍ وودادٍ^(١)

من أجل الوطن يصبح السجن مكاناً للعزة والرفعة ، وتصبح لوعته راحة للقلوب المحبة له ، وإن قلّت تلكم الرجال المضحية ، لكنها تبقى مشاعلاً للفخر تشع في سماء الخلود ، والشاعر نجيب الرئيس واحد منهم في القول والفعل . وترنم الشاعر (علي جميل آل الخطيب) بحب وطنه ، في نشيد بلادي فقال :

إنّ عزّي في بلادي وهنائي ومرادي
أنا منها و إليها باقترابٍ وابتعادٍ
أنا إن أحيا سعيداً أو أمت يوم الجلاذ
فحياتي ومماتي لبلادي لبلادي
هي جسمي هي روحي هي عقلي ورشادي
هي درعي هي سيفي هي حصني وعمادي^(٢)

عزة البلاد هي منية كل شريف يسكن فيه ، وما قيلت قصيدة في كل الرسالة ، أرقى ديباجة وأنقى مفردة وأصدق تعبيراً مثلها في حب الوطن ، فالصدق الشعوري والفني ترافقا معا ، فأبدعا لوحة الخلود في ساحة الوجود .
٢- تبين لنا أن الوزن المستعمل يسع لكل الأغراض ، وما تجيش به النفس البشرية من ألم ولوعة ، أو حب ونشوة وهذا بدوره يدفع كل الأقوال التي ، تربط بين استعمال وزن معين ، في غرض معين ، تبعا للحالة النفسية التي يعيشها الشاعر ، والأصوب أن يقال إنّ الحالة النفسية للشاعر ، وما يتعرض له من لوعة وألم ، أو فرح أو إثارة في الحمية ، يؤثر في اختيار المفردات المعبرة ، عن مستوى ذلك التأثير كل على حدة ، وليس على الوزن ، وإلا

١ - الأناشيد المدرسية والألعاب : ٤٥ - ٤٦

٢ - الأناشيد العصرية : ٨٢ ، ٨٣ / ٢

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴾

لماذا اختلفت الأوزان الشعرية للقصائد منذ العصر الجاهلي وإلى اليوم ، وقد اشتملت كل قصيدة منها في متنها على النسيب والمدح والفخر والرياء والحماسة والحكمة والهجاء ، ولم يُخصص منذ ذلك الحين ، وزن لغرض معين؟ بل ترك للشاعر حرية اختيار ما يراه مناسباً من الأوزان ليعبر به عن جميع الأغراض .
وعليه فإن مجزوء الرمل حاز المرتبة الأولى في استعمال الشعراء .

٣- جاء مجزوء الرجز ثانياً ، وهو ما درج على استخدامه العرب الأوائل ، وتكاد الأذن العربية ، قد أنست من عهدها الأول لهذا النغم ورأت فيه روحية خاصة ، لأن الرجز وجد أصلاً ، لزيادة همة العاملين ، أو للجداء ، أو لدفع عزائم الناس للإقدام إذا دارت رحى الحرب ، وسمي الرجز رجزاً ((لاضطرابه تشبيهاً بالرجز في الناقة))^(١) واضطرابه هذا لصالح الشاعر ، لأن فيه مرونة تعين الشاعر على دفع مواطن الحرج في نظم الأبيات عليه ((وعد هذا البحر مضطرباً لجواز حذف حرفين من كل تفعيلة ، وكثرة إصابته بالزحافات والعلل والشطر والنهك والجزء ، فهو أكثر

الأبحر تقلّبا ، فلا يبقى على حال واحدة))^(٢)، وقد كانت نسبته ٦٩ ، ١٤ ٪ ، وهو متعادل النغمات في الصدر والعجز مما يضفي عليه حلاوة ورتابة تجذب السامع وتشده إليه .

فالشاعر (صالح البديري) قد أبدع في صياغة ، قصة الثعلب والغراب ، عليه قائلا :

[مجزوء الرجز]

كان غرابٌ واقفاً على أعالي الشجرة
يحملُ في منقاره قطعة جبنٍ مزرّة
فمرّ ثعلبٌ به مخادعٌ ما أمكره
فشاهد الجبنة في منقاره معقّرة
نادى بصوتٍ يا ملك الطير يا ذا المفخرة
والصوت منك رائقٌ للعقل مني سحره
فراح يشدو بنعيقٍ بشعٍ ما أنكره
وقد هوت جبنته بالحيلة المبتكرة
الى فم الثعلب في سرعةٍ منحدره^(٣)

يحتاج نظم القصة الشعرية ، مهارة في الایجاز، وسعة في الثراء اللغوي ، كي يتمكن الشاعر ، من فن التصوير وتقريب الفكرة ، وكذلك فعل الشاعر صالح البديري في هذه الأنشودة .

وللشاعر (عبد الستار القره غولي) هذا النشيد الذي أسماه ب (نشيد الفتوة العراقية) ، وهو يتأجج حماسة ، دفاعا عن العراق العزيز قائلا :

[مجزوء الرجز]

نحني ببيضِ الهندِ فوق العتاقِ الجردِ
للاوطانِ نفدي أرواحنا طامحا
تأبى امتهانَ الاوطانِ

١- المنجد في اللغة : ٢٥٠

٢- فن التقطيع الشعري والقافية : ١٢٣

٣- ديوان التمنيات : ١٢٥

تحمي الحمى الضراغم بالسمرِ والصوارمِ
يا أعيني السواجمِ بالدمعِ خاوي الربعِ
يمسي وطيدَ الأركان^(١)

وقد قيل عن الرجز ((والرجز يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشي الجمال الهوين ، ولو ركبت ناقة ومشيت بك لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماما... وربما كان شاعرهم عاشقا، فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته ، فيحدوها بأبيات على وزن الرجز))^(٢)

أما الشاعر الدكتور مصطفى جواد ، فله في نشيد النجدة العربية ، رؤى متعددة بثها قائلا :

[مجزوء الرجز]

سرنا بعزمٍ باهرٍ نسعى لمجدٍ دائرٍ
من كلّ شهمٍ قاهرٍ بالسيفِ والسمرِ الدقاقِ

هذي البلادُ ترجو الرشادُ من سعيكم وهو العمادُ
كي تبلغوا عينَ المرادِ إذ غيركم بالعلمِ فاقُ

بالعلمِ نالوا شأوهم حتى أرونا سعيهم
يا قومُ فاحذوا حذوهم أضحى بعيداً لا يُطاقُ^(٣)

وتوسع الشعراء في استعمال هذا البحر إنما كان (اعتماداً على توسع العرب فيه ، قال ابن بري وغيره : للعرب تصرف واتساع في الرجز لكثرة في كلامهم ولسهولة وعذوبته))^(٤)

في نشيد العز للشاعر حبيب العبيدي الموصلّي ، إشادة لمجد العرب ، قائلاً:

شبابنا وشيئنا في مكتبٍ ومنصبٍ
نسعى ولا يربينا شئٌ لعزِّ العربِ

فيما الكتابُ المنزلُ منّا النبيُّ المرسلُ
والخلفاءُ الأولُ في الأرضِ مثلُ الشهبِ

نحنُ على رغمِ العدى المنتهى والمبتدا
منّا انجلي نورُ الهدى في مشرقٍ ومغربٍ^(٥)

١- مختارات من ديوان الشاعر عبد الستار القره غولي : ٩٩

٢- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان : ٦١/١

٣- الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية : ١٢١- ١٢٢

٤- حاشية محمد الدمنهوري ، الارشاد الشافي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٥٧م : ٥٣

٥- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٧ / ٢ . ٨

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴾ ١٩٨ ﴿

إنَّ موسيقى مجزوء الرجز تحمل خصوصية الهدوء والرتابة ، لذا يميل لها غالبية الشعراء ، لأنها تلائم الصغير فضلاً عن الكبير، ولها فوق ذلك رنين رائع ، لذا كان الشاعر والفيلسوف الألماني نيتشه ((يقدر جانب الوزن الموسيقي في الشعر أكثر من سائر الجوانب ويفضل الشاعر الرائع الرنين الفائق الايقاع ، المسيطر على مادة الأوزان ، وكانت أعظم مناقب الشاعر عنده أن تكون سلاسل من الأناشيد الصالحة))^(١)

أما نشيد الاستنهاض للشاعر رشيد الهاشمي ، الذي حث عزائمهم قائلاً:

يالَ قحطانَ الألى سادوا على كلِّ الملا
ما بالكم نمتُم ولا تدرون ما معنى الحياة ؟

نهضاً فنيلُ العزِّ في حدِّ القضيبيِّ المشرفي
بالسيفِ نيلُ الشرفِ وفيه أسبابُ النجاة

قوموا اذكروا أجدادكم قد شيدوا مجداً لكم
فهذه أعداؤكم وأنتم في السُّبَات (٢)

وما يقال في الرجز، يقاربه جدا مجزوء الكامل، الذي جاء بعده ، مع فروقات بسيطة ، وكانت نسبته ٤٩ ، ١٠٪
وقد نظم عليه الشعراء لأغراض وأفكار متعددة .

وسارع شاعر نشيد الحكم ، للنظم عليه وشجع النشء ، عليهم يقتطفون من ثمار حكمته ما يرغبون ، قائلا :
يا أيها العربي قم وخذ الحذار ولا تنم
إني سأقربك الحكم إني أريدُ بياناً

إنهض الى رفع العلم وخذ المهند والقلم
فلكم رجوتكم وكم وكم أن تلحق اليابانا

كن عسكرياً باسلاً أو هندسياً عاقلاً
أو كن طبيباً فاضلاً أو ناصحاً معواناً (٣)

الرفعة لا تكون إلا بالعلم ، واستقلال البلاد لا يكون إلا به، كي تهيأ شبابها للعمل في مختلف الأعمال داخل البلد.
أما نشيد الأوطان للشاعر، عبد المجيد شوقي ، فقد صور مشاعره ، قائلا :

ويلي على أوطاني من غارة العدوان
قد قرحت أجفاني غوائل الأنام

[مجزوء الكامل]

١. في الشعر الأوربي المعاصر، عبد الرحمن بدوي : ١٣٢

٢. الأناشيد العصرية : ٥١- ٥ / ٢

٣. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣١ / ١

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴾ ١٩٩ ﴿

سمعتها تنادي والنار في فؤادي
هلموا يا أولادي لنذكر المرام

هلموا للمعالي ونيل الاستقلال
ورفع ذي الضلال بالصارم الحسام (١)

وكثيرا ما يكون مجزوء الرجز مشابها لمجزوء الكامل في موسيقاه ، حين تصاب تفعيلات الكامل بالإضمار، إذ
(ليس ببعيد أن بحر الرجز تطور للبحر الكامل، ذلك لأن المقاطع العربية بوجه عام قد تطورت من النوع المتحرك
الى النوع الساكن)) (٢) ، وهذا هو سبب التقارب الكبير بينهما .

حماسة نشيد سيروا بنا، للشيخ عبد المحسن الكاظمي تشد النشء بقوة ، قائلا :

سيروا بنا عنقا وشدا سيروا بنا ممسى ومغدى

[مجزوء الكامل]

سيروا فرادى أو ثنى والجمع للغايات أجدى
لايقعدن بعزمنّا يومَ يرينا الهزل جدّا
من رامَ ادراكَ المرا مِ سعى بلا مللٍ وجدّا
من لم يُعزّز بموطنٍ حرّ يكنّ للذلّ عبدا
ياحبّذا وطنٌ يُغنى باسمه أبدا ويُحدي
وطنٌ تقادم ذكره عند المكارم واستجدا
هو موطنُ القومِ الألى فصلوا الأنامَ أباً وجدّا (٣)

وبناء على ماتقدم نرى أن الرواد لم يكتفوا ، بهذه البحور الثلاثة المتقدمة ، وإنما بذلوا جهودا مضنية لاكتشافات أخرى ، أخرجوها من بين أكثر من ثماني مئة نغمة* متداخلة، ومنشرة بين البحور المختلفة، وهذا الجهد المضني قابله إغفال محقق ، وإهمال مطبق ، لأكثر من قرن مضى ، وهذه الأوزان ومازادوه عليها ، حققت كل الأغراض والأفكار والتوجهات التي أرادوا إيصالها الى النشء ببسر وسهولة بمقدار ما اجتهدوا به ، وأضحت مرجعا ، باسق القامة لمن بعدهم .

أما بقية الأوزان فقد كان نسبتها أقل من هذه الثلاثة ، وتوزعت على (المجتث ، ومخلع البسيط ومشطوره والمتدارك ومشطوره ومجزوء الوافر والهزج ، ومنهوك الرجز ومشطور الكامل والمتقارب ومجزوء الخفيف ، وكانت المفاجأة لشاعر نشيد البنات في المدرسة الثانوية ، الذي استعمل أول مرة بالأناشيد (مجزوء الخفيف) في هذه القصيدة ، الرائعة قائلا :

أصبحتُ هندُ في العلى مثلاً سارَ في الملا

١- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣١/٢

٢- الاصوات اللغوية ، د ابراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ط١٩٦١، ٣م : ٩١

٣- مجلة التلميذ العراقي: العدد ١١: في ١٨/١/١٩٢٣م : ١٦٨

*- أول من قال به الدكتور حاكم الكريطي ، إذ عدّها أكثر من ٧٠٠ نغمة وأتممناها عدّاً بعده

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الوزن ﴾ ﴿ ٢٠٠ ﴾

فلتكنْ هندُ مشعلا ولتعشُ خالدة *

حفظتْ هندُ درسها وغدى العلمُ أنسها * *

حفظَ اللهُ نفسها ولتعشُ خالدة

هدبَ الدرسُ خلقها ورأى الناسُ حذقها

لتنلْ هندُ حقها ولتعشُ خالدة

رسمتْ صورةَ العلمِ وانبرتْ تتشُدُ النغمُ

بوركتْ ربّةُ القلمِ ولتعشُ خالدة (١)

وخلاصة هذا المبحث : يمكن القول عن الأوزان التي طرقها الشعراء ، إنهم استعملوا كل وزن مجزوء ، فيه سعة للمضامين الهادفة التي أحبوا أن يقدموها للنشء ، ببسر ووضوح ، وأكثرها استعمالاً مجزوء الرمل ومجزوء الرجز ومجزوء الكامل، لأن هذه الأوزان على تنوعها فيها من العذوبة والرنين الخلاب، ما يؤثر إيجاباً لصالح ذائقة الطفل لهذا مالوا إليها وأكثروا من استعمالها ، أما بقية الأوزان فهي قليلة جداً في استعمالاتهم .

*. أسقط النساخ كلمة (وهي) من عجز البيت الذي نعتقد أن أصله كان (ولتتش وهي خالدة) ولانعتقد أن شاعر هذه الأنشودة أسقط ذلك سهواً، لأن ذلك يخل في الوزن العروضي ، وهو متمكن منه ومن البلاغة بدرجة عالية جداً، وربما أراد أن يجرب مشطور المتدارك مع البحر المستعمل وهذا مستبعد جداً ، لأن رنين مجزوء الخفيف يخلب الأسماع ولا يدنو لمزاحمته أي رنين في اللذة والإمتاع.

*. الصحيح : غدا ، المعجم الوسيط : ٣٨٢

١. مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة : ١٥

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾ ٢٠١ ﴿

ب - القافية

لم يتفق القدامى ولا المحدثون على تعريف جامع مانع للقافية، بل كل يراه من زاوية مغايرة للآخر، يقول أحد العلماء ((والقافية قد اختلفوا فيها؛ فقال الخليل : هي من آخر البيت الى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن))^(١) وهذا التعريف العروضي يجعل كلمة بأكملها ، من شعر الاطفال قافية ، وتتنازع بين تسميتين ، فاما أن تسمى ضرباً لعروض البيت أو أن تسمى قافية للبيت ذاته ، كقول الشاعر الدكتور أحمد حقي من مشطور المتدارك :

وطني وطني وطني غالي الثمن *
أفدي دوماً لك يا وطني^(٢)

فهل نحن مضطرون لمثل هذا التنازع ، والتداخل في التسميات ، وفي لغتنا سعة لأكبر من هذا الأمر وأجل؟.

وقد عرف الأخفش القافية دلاليا فقال ((هي آخر كلمة في البيت أجمع))^(٣).

ومنهم من يجعل حرف الروي هو القافية ، بعدما عرفها قاموسيا ، فالروي ((هو الحرف الذي تتعاقب

عليه أبيات القصيدة كلها ويقفوا أحدها الآخر على أثره))^(٤).

ويتفق الباحث مع كل ماسبق ، لكنه يرى في التعريف الأخير رجحانا كبيرا ، تحل به جميع الإشكالات الصغيرة والكبيرة، أي أن جميع أقسام البحور داخلية فيه بلا تداخل في التسميات ، من المنهوك والمشطور والمجزوء ، ومهما كان البيت صغيرا ، وكان صدره كلمة وعجزه كلمة ، مكونة من ثلاثة أحرف مثل كلمة (أبي).

وقد بلغ الدكتور ابراهيم أنيس ذرى الصواب عندما قال ((وأقل ما يمكن أن يراعى تكرره وما يجب أن يشترك في كل قوافي القصيدة، ذلك الصوت الذي تبنى عليه الأبيات ، ويسميه أهل العروض بالروي ، فلا يكون الشعر مقفى

١. الوافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م ٢٢٠.

*. وربما أعترض على الشاعر بأنه مال الى مخالفة أوزان الخليل في هذا، لأنه لا يعد شطرا للمتدارك بل هو تفعيلتان في كل شطر ولا تنطبق عليه تسميات الخليل . ولا موجب أومندوحة لهذا الإعتراض، كون الشطرجائز في كل البحور ومنها المتدارك ، والطعن فيه يرجح طعن القائلين : بأن الخليل سها عن المتدارك ، ولم يثبتته في البحور، فاستدركه عليه تلميذه الأخفش ، فكما جاز فيه وفي المتقارب الشطر، جاز النهك فيهما اسوة بغيرهم، ولا استثناء ورد عن الخليل فيهما من دون البحور، فلو جعلنا صدرمشطور المتدارك وعجزه بيتا واحدا ، فهل يصلح أم لا يصلح؟ فإن صلح جاز شطره وجاز نهكه، فلا استحداث ايقاعي فيه ، ولكن العرب لم تنظم على تامه كثيرا ، ولم تنظم عليه مجزوءا ولا مشطورا ولا منهوكا، لذا يستغرب المعترض ممن نظموا على غيرتامه ، ووجه علة من نظموا على مجزوءه أو مشطوره أومنهوكه، أن حاجة شعراطفولة لهذه الأوزان القصيرة أضحت ملحة جدا، لكي تكون عوناً للنشء في حفظ وفهم كل مايكتب لهم، كحاجة العرب الأوائل الى تام البحور الطويلة لركوب الأبهة في التفاخر والهجاء، ولو صوب العرب جل عنايتهم للطفولة ، لنزلوا في الأمر كما نزل المحدثون ، فوجه الغرابة مدفوع بالتزام قواعد الخليل العروضية في المتدارك وكذلك مجزوء ومشطور ومنهوك المتقارب والله أعلم.

٢. المحفوظات الطفولية : ١ / ٤ - ٥

٣. المصدر السابق : ٢٢٠

٤. العروض الواضح : ١١٣

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾

إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت ، المكرر في أواخر الأبيات ، وإذا تكرر وحده ولم يشترك مع غيره من الأصوات عُدَّت القافية حينئذ أصغر صورة ممكنة للقافية الشعرية، فيقال سينية البحرى وهمزية شوقي، ولا يكون الشعر مقفى إلا به))^(١).

وعليه فإن اختلاف العلماء في زاوية النظر للقافية ، يغني بحثها عروضيا ودلاليا وقاموسيا طلبا للتكامل. وتتعدى وظيفة القافية ، بوصفها فاعلا مهما بارزا في الموسيقى الخارجية ((بأن لها معنى ، وإنها بذلك عميقة التشابك مع السمة العامة للعمل الشعري))^(٢)، وهذا يتفق مع تعريفها الدلالي ، وكثيرا ماتأتى القوافي مساندا قويا يعين على تلافي ضعف حشو البيت ويرفع من ترهله واضطرابه ، لأنها تشكل مع القوافي السابقة لها أو اللاحقة عليها ، شعلة وهاجة تضفي من توهجها وترابط نسيجها، رونقا مترنما يتناغم مع الموسيقى الداخلية لأبيات القصيدة أجمع.

وللرصافي قول مهم عن أهمية القافية ، يقول فيه ((لما كان الشعر قد وُجد في الأصل للغناء أي للتلحين ، واللحن فيه نقرات موسيقية أو نغمات متكررة ، كان من الضروري وجود مثل هذه النقرات في الشعر ، وما هذه النقرات سوى القوافي المتكررة))^(٣) ، وهذا يتوافق مع تعريفها قاموسيا ، لأن النقرات تختص بالحروف وليس بالكلمات .

وقد راعى شعراء الطفولة في العراق القوافي كثيرا ، وصوبوا جل عنايتهم لها ، ومنحوها من ثراء مفرداتهم ، تنوعا مرموقا والتمسوا أن يكون مسهم لها مسّا رقيقا ، حتى أن الناظر لبعض أناشيدهم يفاجئ بقواف لم تخطر على بال ولم يُسمع لها مثال .

ومادامت القافية هي مجموعة أصوات ، تأتي في آخر البيت ، ويُختار لها صوت واحد ، ودائما ماتشغل السامع بتكرار حين ينتظم في كلمة معينة في قصيدة معينة ، فان ((معظم حروف الهجاء، يجوز أن تأتي رويًا ، فأشيعها الباء والداد والراء واللام والميم والنون وتليها الهمزة والتاء والجيم والحاء والسين والعين والفاء والقاف والكاف والياء وأقلها شيوعا الصاد والطاء والهاء ، والنادرة التاء والحاء والذال والزاي والشين والصاد والظاء والغين والواو))^(٤) .
وتقسم القافية على قسمين (المقيدة والمطلقة) فالمقيدة ((هي التي يكون رويها ساكنا ، فيتحرر الشاعر بذلك من حركات الاعراب في آخر القافية))^(٥)

ففي نشيد النشء الجديد ، نرى بان هذه الرباعيات ، قد اختلفت قوافيها ، تبعا لوقع المفردات التي أراد التعريف بها قائلا:

لأننثي نحنُ ولا	نقعدُ عن نيلِ المنى
حتى نكونَ للعُلا	أنموذجَ النشءِ الجديدِ

١. موسيقى الشعر : ٢٤٥

٢. نظرية الأدب : ٢٠٨

٣. الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه ، بغداد ، ١٩٥٦م : ٨٩

٤. فن التقطيع الشعري والقافية : ٢١٥ - ٢١٦

٥. المصدر نفسه : ٢١٧

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾

﴿ ٢٠٣ ﴾

شعارنا حبُّ الوطن	في السرِّ منّا والعلنُ
نحبّه مدى الزمن	حبّاً على الدهر يزيّد

فخارنا نحنُ العربُ	علمٌ وفضلٌ وأدبُ
من كلّ مجدٍ وحسبُ	لنا طريفٌ وتليذُ ^(١)

وتنوعها لم ينف عنها كونها مقيدة ، ولكنه منحها سعة في اختلاف القوافي ، الذي يشيع حالة من الارتياح ، أفاض بها ثراء المفردات المتعددة .

أما نشيد تحية العلم فكان أشد تمكنا ، في أن جعل لصدر الرباعيات قافية ولعجزها قافية ، وهذا يشيع موسيقى هائلة يبعثها هذا الجهد المستفيض ، وهو عامل مشجع ، وجاذب للنشء ، بشكل كبير وملفت للنظر قائلا :

أيها الابطال هيا نمطي متن الهم
 نبتغي عيشاً هنياً تحت أفياء العلم
 أنت رمزٌ للوئام أنت عنوان الشمم
 أنت تدعو للسلام فسلام يا علم

قد بعثت الروح فينا فنفت عنا الهجو
 وشفت داءً دفيناً بين أحشاء الضلوع (٢)

إن اختلاف القوافي يغني الجانب الايقاعي في أشعارهم، ويزرع في طبائته البهجة والسرور، وهذا لا يعني أن القافية الموحدة خالية من عامل الجذب الموسيقي، ففي نشيد (المدرسة) مضى الشاعر قائلاً :

مدرستي أحبها وحبها فرض علي
 أجلبها ، وفضلها أذكره مادمت حي
 مدرستي جديدة يا ما أحيلاها إلي
 العلم فيها زاهر يروي عقول النشء ري
 مدرستي كل المنى جميلة في ناظري
 مدرستي ركن العلى مدرستي مني إلي (٣)

نرى أن الشاعر، قد أخذ قافية الياء، وهي من القوافي الأقل شيوعاً في الشعر العربي، لكن براعته حولتها نابضة في الحياة، بل إن نسغ الحياة، يجري في عروق مفرداتها، مثل (حي ، ري ، إلي ، علي) ورغم أنها مقيدة في السكون، فإنها دقاقة في عذب العيون، فالقافية المقيدة أسهل على النشء في اللفظ والحفظ، وأرق في الإنشاد

١. مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة : ١٨

٢. المصدر نفسه : ١٣

٣. المصدر نفسه: ١١

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾ ﴿ ٢٠٤ ﴾

لأن ((القافية المقيدة أسهل تلحينا من المطلقة)) (١) .

كان نشيد (الشمس) للرصافي ، حافلاً بالالتزام في ثلاثة حروف، مع الروي التاء المربوطة ، مما جعل الموسيقى أشد وأقوى إيقاعاً وترنماً في أذن المتلقي ، قائلاً:

إنما الشمس المنيرة عينُ دنيانا البصيرة
 إنها كتلة نارٍ في الأعالي مستديرة
 إن هذي الأرض للشمس هي البنث الصغيرة
 من قديم ولدتها بعد أولاد كثيرة
 إنما الأحياء في الأر ض الى الشمس فقيرة
 وبفعلِ النورِ منها تُنبث الأرض المطيرة

إنّ هذا الجوّ بحرٌ وبه الشمسُ جزيرةٌ (٢)

أما القافية المطلقة ((التي يكون رويها محركاً ، بالضمّة أو الفتحة أو الكسرة))^(٣)، فقد شاع في شعر شعراء أطفال العراق ، الكثير من القوافي المطلقة على اختلاف أنواعها ، مما زاد من أريحية الأناشيد ، وجعل الترنم بها وإنشادها متعة في شفاه الصبية، ولذة تتردد على ألسنة المحبة ، فنشيد النصر كانت قافيته النونية ، محرّكة بالرفع وهو ثاني أقوى الحركات بعد الكسرة ، لذا أضفى على النشيد ، إيقاعاً جميلاً يتهادى مع القافية الموحدة ، ويعطيها جاذبية أكبر، إذ يقول :

لا تهنُ يا وطنُ سوف يصفوا الزمُنُ
لو بألفٍ يوزُنُ الـفردُ منّا يَزُنُ
نحن مهما اختلفَ الدينُ بنا والسنُنُ
ضامنُ النصرِ لنا هممُ لا تهنُ
أخوةٌ يجمعنا في اللهِ هذا الوطنُ^(٤)

أما نشيد الأغنياء والفقراء للرصافي ، نرى أن القافية الهمزية ، محرّكة في الكسرة ، قال فيها:

ايها الناظرُ ذا الفقـرِ بعينِ الأزْدِ راءِ
لا تَرُدْ بلواه من فعـلِكَ هذا ببلاءِ
إنه يكفيه ما يجـرُعُ من مرِّ الشقاءِ
أنتَ تغدو بكساءٍ وهومن غير كساءِ
وشواءٌ تتغذى وهو من غيرِ غداءِ

١- فن التقطيع الشعري : ٢١٧

٢- توائم التربية والتعليم : ١٥- ١٦

٣- المصدر السابق : ٢١٧

٤- مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة : ٨

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾ ﴿ ٢٠٥ ﴾

ولكم باتَ عشياً طاوياً دونَ عشاءِ
كنْ - اذا كنتَ غنياً - راحماً للفقراءِ^(١)

وتكمن أهمية القافية في أنها تعين على استمرارية النغم الموسيقي المتسق للقصيدة ، لأن ((اتساق القافية كاتساق الوزن يخلق شعوراً بوحدة الإيقاع الموائمة لوحدة المعنى))^(٢)، وبذلك تتولد حالة التكامل بين الإيقاع الداخلي المنبعث من التفعيلات مع ما يأتي من القافية.

وانشودة القمر رائية القافية ، وأما الألف فهو للإطلاق ، لأنه مما يناسب الفتحة ، التي عليها القافية ، والتزم الشاعر حسين الأعظمي ، في قافية الرأ الموحدة فقال :

انظروا البدرَ اذا ما ملأَ الآفاقَ نورا
وكسا الأرضَ قميصاً من سناه مستنيرا

أنا (بدر) أجعل الليل بأنواري منيرا (٣)

وقد يلجأ الشاعر الى استعمال القوافي المطلقة والمقيدة في النشيد الواحد، وهذا غير محبذ مطلقاً، في أناشيد الأطفال وعلة ذلك أن لسان الطفل ، اذا نطق أول بيت ، وكان مضموماً أخذ لسانه - لا أرادياً - على تلك الحركة لذا يجد معلمه وأمه أو أبوه ، صعوبة في تطويع لسانه للحركة الثانية ، إن كانت فتحة أو كسرة ، ونشيد السعادة إنموذج على هذا الأمر ، إذ يقول :

سعادة الأوطان في نهضة ساكنيها
فلننهضن للغلا لعنا نُعليها

انا * الألى مقامهم جاز السّما والفضل
سلّ الفرات تستمع منه مقالاً يحلو

لنا المعالي لم تزل تسجدُ والعوالي
نحن الألى سنّوا الإبا وأطيبِ الفعّال (٤)

قافية البيت الأول وعجزه هي الياء والهاء حرف الوصل والألف حرف الخروج ، إلا أن الرباعية الثانية ، مطلقة ومحركة بالضمّة ، أما الرباعية الثالثة فهي محركة بالكسرة .

وخلاصة هذا المبحث : أن قافية كل بيت تؤشر بقوة اختتام معنى تام للبيت ذاته ، وتوافقاً مع تفعيلاته ، إلا قليلاً خرج عن هذا في القصص الشعرية أو تعمد الشاعر تدوير المعنى في أكثر من بيت ، عند الذين يعدون البيت الشعري

١. توائم التربية والتعليم : ١٥ - ١٦

٢. فن النقطيع الشعري : ٢٢٠

٣ - أناشيد وأدبيات الفتاة : ٦٤

*. الأصح لنا

٤. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية : ١١٦ - ١١٧

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾ ٢٠٦ ﴿

وحدة مستقلة بذاتها ((فهي بمثابة القفل الذي يقفل البيت الموزون بشكل يوحدّها مع القصيدة برمتها ، وإنها من وسائل تسهيل الحفظ ، فالقصيدة الموحدة القافية أسهل حفظاً ، من الشعر المرسل الذي نجد فيه قوافي متنوعة)) (١) وهذا ما نلمسه لدى النشء بصورة عامة ، وقد دار معهم في كل عصر .

جدول (٣) يوضح توزيع القوافي الشعرية

ت	القوافي	القصائد والمقطوعات في المجاميع الشعرية	النسبة المئوية	القصائد والمقطوعات في الدواوين الشعرية	النسبة المئوية	المجموع العام	النسبة المئوية
١	النون	٦	٤٪	٤	٢٠٦٪	١٠	٦٠٦٪
٢	الذال	٥	٣٠٣٣٪	٣	٢٪	٨	٥٠٣٣٪

٣	الباء	٥	% ٣,٣٣	٢	% ١,٣٣	٧	% ٤,٦٦
٤	الراء	٤	% ٢,٦٦	٣	% ٢	٧	% ٤,٦٦
٥	التاء	٣	% ٢	٣	% ٢	٦	% ٤
٦	الميم	٣	% ٢	٢	% ١,٣٣	٥	% ٣,٣٣
٧	الياء	٤	% ٢,٦٦	١	% ٦٦,٠	٥	% ٣,٣٣
٨	اللام	٢	% ١,٣٣	٢	% ١,٣٣	٤	% ٢,٦٦
٩	الحاء	١	% ٠,٦٦	٢	% ٦٦,٠	٣	% ٢
١٠	العين	٢	% ١,٣٣			٢	% ١,٣٣
١١	الكاف	١	% ٠,٦٦	١	% ٠,٦٦	٢	% ١,٣٣
١٢	الهاء			٢	% ١,٣٣	٢	% ١,٣٣
١٣	الهمزة	١	% ٠,٦٦	١	% ١,٣٣	٢	% ١,٣٣
١٤	الضاد	١	% ٠,٦٦			١	% ٠,٦٦
١٦	الحروف المشتركة	٥٩	% ٣٩,٣٣	٣٠	% ٢٠	٨٩	% ٥٩,٣٣
	المجموع	٩٧	% ٦٤,٦٦	٥٣	% ٣٥,٣٣	١٥٠	

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾ ٢٠٨ ﴿

ويمكن إجمال معطيات الجدول (٣) بما يلي:

١- حصلت قافية النون على النسبة المئوية الأعلى ، اذ بلغت ٦٦,٦٦ % ، وقد اشتملت هذه النسبة على عشرة أناشيد متنوعة ومختلفة ، لأن حرف النون سمح لهم باستعمال مفردات مرغوبة هم يريدون إيصالها، الى النشء بكل شفافية وهي (الوطن، والعلن ، والتمن، والزمن ، والمحن ، والوسن ، والسنن ، والمهن) وبذلك حققوا ما أرادوا ، بكل سلاسة ، كما بثوا عن طريق هذه القافية كل انفعالاتهم وأحاسيسهم الوجدانية .

كقول الشاعر في نشيد النصر:

لاتهن ياوطنُ سوف يصفو الزمنُ
لو بألفِ يوزنُ الفردُ منا يزنُ
إيه أوطاني لك الأرواحُ قلَّ الثمنُ

أخوةً يجمعنا في الله هذا الوطن^(١)

٢- جاءت الدال في المرتبة الثانية ، بنسبة ٥,٣٣ % بعدما حازت على ثمانية أناشيد والدال حرف يُستدعى في الأشعار الحماسية ، لكونه يتيح للشاعر استعمال مفردات ، تتلاءم مع الفعل الحماسي مثل (الشدة ، والعدة ، والعدد والرد ، والحد ، والجد ، والسعد ، والوجد ، والمجد) الى غيرها من المفردات التي تدعم النصوص ، المراد تعريف المتلقي بها ، لذا كانت قافية الدال متنفساً للشعراء ، حلّقوا عبر مفرداتها الى عوالم العزة والمجد ، بعدما منحتهم الدال ، نغمة موسيقية مشحونة ومؤثرة ، لكونه شديد مجهور ، ويتسع لما تجيش به الصدور .

كقول الشاعر عبد المحسن الكاظمي :

سيروا بنا عنقاً وشداً	سيروا بنا ممسى ومغدى
سيروا فرادى أو ثنى	والجمع للغايات أجدى
لايقعدن بعزمننا	يوم يرينا الهزل جدّا
وطن تقادم ذكره	عند المكارم واستجدا
هو موطن القوم الألى	فضلوا الأنام أباً وجداً ^(٢)

٣- وتساوت الباء والراء في العدد ، حيث حاز كل منهما على سبعة أناشيد ، وعلى نسبة ٤,٦٦ % ، لكل منهم وذلك لكون حرف الباء يتيح لهم استعمال ، عدد من المفردات المؤثرة ، التي لها الحظوة ، لدى النشء أجمعين مثل (القلب ، والحب ، والجيب ، والعذب ، والرب ، والصحب ، والنسب ، والحسب ، واللعب ، والأدب ، والكتب) وهذه المفردات لها وقع خاص ، وترديدها يضيف على النشء ، بهجة وارتياحاً وسروراً ، كقول الشاعر الدكتور أحمد حقي في نشيد العيد :

غدا العيد صباحاً	فبه يفرح قلبي
للأراجيح أروح	مع إخواني وصحبي

١- مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة : ٨

٢- مجلة التلميذ العراقي: العدد: ١١ في ١٨/١/١٩٢٣ م : ١٦٨

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، القافية ﴾ ٢٠٩ ﴿

وسأقضي كلّ يوم	في زياراتٍ ولعبٍ
سوف تأتيني الهدايا	وبها أملأ جيبى
وسأهدي الفقراء	بعض ما يمنح ربّي
هم أعزائي حقاً	فلهم عطفي وحبّي ^(١)

أما قافية الراء ، فهي الأكثر استعمالاً في الشعر العربي ، لكنها قليلة عند شعراء الطفولة في العراق ، ويرى الباحث أن اللوعة والحرمان والظلم ، غلقت أبواب الفرح والنشوة لديهم ، لأن هذه القافية تشيع في أثنائها السرور ، بذكر (الشجر ، والمطر ، والثمر ، والزهر ، والقمر) وتندر بذات الوقت عن عظيم الخطر ، كقول الشاعر الدكتور مصطفى جواد :

رقص البلبل فوق الشجر	يغسل الريش بماء المطر
----------------------	-----------------------

وينادي بلسانٍ طلقٍ إنّ عيشي من لطيفِ الثمرِ
أنا حرٌّ بين غاباتِ الهنا وسعيدٌ ، كيف لم أفتخرِ ؟
إنما الأقفأُ سجنِي وبها أنا قاسيُ عظيمِ الخطرِ^(٢)

وخلاصة المبحث: ان بقية القوافي كانت نسبتها ضئيلة، لأن الشعراء، أفرغوا جل عنايتهم ، وتعابيراتهم المشحونة بحب الوطن واستنهاض الصبية والفتية، بعدما مُلأت السجون والمعتقلات في أهليهم الكبار، ووجدوا في القوافي المقيدة والمطلقة التي استعملوها بغيتهم ، فحققت طموحاتهم الوطنية والدينية والأخلاقية، وغطت كل ما يريدون قوله. أما علة استعمال الشعراء للقافية المقيدة، وذلك للتخلص من الحركات الأعرابية أولاً وثانياً حاجة الوزن في الوقوف على الحرف الأخير، لكي لا تمنحه الحركة حرفاً في الإشباع تزيد على الوزن، وهو خارج عن الضرورات الشعرية. أما علة استعمال الشعراء للقافية المطلقة، فهو لإتمام الوزن العروضي عن طريق إشباع الحرف الأخير بما يناسب حركة القافية المستعملة ، وللشاعر الحرية في اختيار أيهما عند الشروع بالنظم .

١. المحفوظات الطفلية : ٢ / ٢٠ - ٢١

٢. الاناشيد العصرية : ٤ / ١١٩

الموسيقى الداخلية : وتشمل ((الجنس ، التكرار))

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الجنس ﴾ ٢١١ ﴿

الموسيقى الداخلية

تعتمد الموسيقى الداخلية على البديع في المحسنات اللفظية ، لأن هذه المحسنات روافد تنهادر رقة في موسيقاها وماضمتة فحواها ، وبذلك تُكسب البيت حلاوة في الحسن وطلاوة في المعنى ، وعن طريقها تتكامل الأنغام ويصدق الترجم ، فهي عبارة عن إضاءات تخرج من بين المفردات ، وبمجموعها مع الإشعاعات الخارجية يصبح البيت مؤثرا وقويا ، ويشد السامع اليه بود وسلاسة ورقية ونفاسة ، ومن الخطأ اعتبار الطباق والتضمين والإقتباس من ضمن الموسيقى الداخلية ، لأنه خاص في المعنى * . ومن المحسنات اللفظية :

الجناس **

هو من المحسنات اللفظية الذي عُرِف بأنه ((تشابه لفظين في النطق ، واختلافهما في المعنى))^(١)، لقد أدركوا حاجة المتلقي الى وعي بمفردات اللغة التي تتشابه في لفظها، وتختلف في معناها ، لهذا كان الاحتفال فيه ، لا يقل أهمية عن سواه .

وعن أهمية الجناس للنص الأدبي قال عبد القاهر الجرجاني ((وعلى الجملة فانك لاتجد تجنيسا مقبولا ولا سجعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لاتبتغي به بدلاً ، ولاتجد عنه حولاً، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد ، عن المتكلم الى اجتلابه وتأهب لطلبه)) (٢) .

حاول الشاعر معروف الرصافي ، التقنن في إيراد كلمة بها التي تعني في داخلها ، وبين البها أي الجمال والمنظر الحسن ، للاستفادة من التناغم اللفظي الذي تحدثانه في الجناس لكنه لم يوفق ، لأنه اختلف في حرفين والقاعدة تجيز الاختلاف في واحد فقط ، وكذلك لم يوفق في التجنيس بين (حارتي ومهارتي) في نشيد المعمار الصغيرقائلاً:

لي قطع من خشبٍ ألهو بها في اللعبِ

أبني لكم داراً بها حاويةً كلَّ البها

جميعُ أهلِ حارتي تعجبهم مهارتي (٣)

أما الشاعر اسماعيل حقي فقد جانس بين العَلَم أي الراية ، وبين العَلَم الثانية أي الجبل وهو جناس تام في نشيد العرب ، الذي قال فيه :

العربُ ساداتُ الأممِ بالسيفِ سادوا والقلمِ

من مَكَّة حملوا العَلَمَ حتى علا أعلى عَلمَ (٤)

*. أول من قال به : أ ، د قيس الخفاجي في مقابلة شخصية في ١٥ / ٣ / ٢٠١٥م

** رب معترض كريم يقول : شرعت بدراسة الجناس والتكرار ولم تنوه أو تشرألى دراسة الحروف المهموسة والشديدة لأنها تزيد موسيقى الحروف جمالا، ونقول أن الحروف المهموسة والمجهورة والشديدة داخلة في عناية الشاعر بالجناس الذي يعمد الى التقارب بين الأصوات

١. جواهر البلاغة : ٤١٠

٢. أسرار البلاغة : ١٠

٣. الأناشيد المدرسية : ٦ / ٢

٤. الأناشيد الموصلية : ٤٦

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الجناس ﴾ ٢١٢ ﴿

وغايته توفير نوع خاص من النغم بين مفردتين تشابهت حروفهما تماما ، وإدراك المعنى من خلال الرجوع الى الكلمات التي سبقتهما في السياق فهي وحدها تحدد معنى كل منهما، وفي هذا تحريك الى ذهنية المتلقي في التدقيق والمتابعة.

وآثر الشاعر محمد صادق الملائكة أن يجانس بين ربوضا ، وبين نهوضا ، لكنه لم يوفق، لأنه اختلف في أمرين والقاعدة تجيز الاختلاف في واحد فقط ، في نشيد الجعفرية ، قائلاً:

كنا ربوضا ثرنا نهوضا (١)

حظي نشيد البنات في المدرسة الثانوية ، على التميز في الوزن والبديع قائلاً:

أصبحتُ هُندُ في العُلَى مثلاً سارَ في الملا

هَدَّبَ الدرسُ خلقها ورأى الناسُ حذَقها

لتنلُ هُندُ حقها ولتعشُ وهي خالدة

حفظتُ هُندُ درسها وغدا العلم أنسها (٢)

إذ حاول شاعره التجنيس بين أشياء عدة ، بين العُلى والملا ، فلم يوفق لأنه اختلف في أمرين ، وبين خلقها وحذقها وحققها فنال التوفيق في التجنيس بين (حذقها وحققها) ولم يوفق بين درسها وأنسها لأنه اختلف في أمرين ، والغاية من هذا كله هو الإفادة القصوى مما للجناس من دلالات ، في التقارب بين الأصوات، وتوفير نوع خاص من النغم كذلك سرعة الإستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه ، لذا خرجت هذه الإنشودة تقطر الروعة من خفاياها حلا بهية ونفائس بديعية.

وفي نشيد ياليوث الوغى الذي قال شاعره فيه :

ياليوث الوغى خصمنا قد طغى
اخلعوا ثوبَ الجمود واذكروا عهدَ الجدود^(٣)

تمنى الشاعر التجنيس في أكثر من كلمة ، بين الوغى وطغى ، وبين الجمود والجدود فوفق لذلك .

أما نشيد (امرأة الشهيد تتوم ابنها) ، الذي قال الرصافي فيه :

عش يا بني كريما وكن رؤوفاً رحيماً
إذا رأيت يتيماً فكن أخاه المعاون^(٤)

فقد حاول التجنيس بين ثلاث كلمات ، فابتعد يتيماً عما يروم ، وتم له السداد بين (كريما ورحيماً) لأنه جناس اختلاف في نوع الحروف وفي أمر واحد، وغايته سرعة الإستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه ، والتقارب بين الأصوات .

١. الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية : ١١٧/٤

٢. مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة : ١٥

٣. المصدر نفسه : ٢

٤. تمانم التربية والتعليم : ٩ - ١٠

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الجناس ﴾ (٢١٣)

وحاول الدكتور أحمد حقي التجنيس بين البديعة وسريعة ، فلم يوفق لأنه اختلف في أمرين ، في نشيد دراجتي قائلاً:
دراجتي البديعة بسيورها سريعة^(١)

أما نشيد الأم ترشد ابنتها للشاعر حسين الأعظمي، فقد حاول التجنيس بين جازعة وهارعة ، فلم يوفق لأنه اختلف في أمرين، فقال فيه :

يابنتُ مالكِ جازعة وعن الخياطة هارعة ؟^(٢)

ونرى في نشيد الاستنهاض ، أن الشاعر رشيد الهاشمي عمد الى التجنيس فيه قائلاً:

يالَ قحطانِ الألى سادوا على كِلِّ الملا
قوموا خذوا في ثأرهم وامشوا على آثارهم^(٣)

إذ جانس بين الألى والملا ، وبين ثأرهم وآثارهم ، فكان موفقاً فيهما معا ، وهو جناس اختلاف في نوع الحروف والغرض منه سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه ، وتوفير نوع خاص من النغم بين الكلمات المتجانسة .

وبدا نشيد العز ، للشاعر حبيب العبيدي الموصلي ، مرصعا بالبديع قائلاً:

شبابنا وشيئنا في مكتبٍ ومنصبٍ
تأريخنا مذهبٌ منقحٌ مهذبٌ (٤)

حيث جانس بين شبابنا وشيئنا ، وبين مذهب ومهذب ، وهو جناس اختلاف في نوع الحروف ، وغرضه سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه ، والتناغم بين المفردات المتجانسة .
وحاول الشاعر الرائد معروف الرصافي في نشيد العلم والسيف التجنيس بين ثلاث كلمات (رفيعة وبديعة والطبيعة) قائلا:

أنفسنا حرّة رفيعة تصبوا إلى الصورة البديعة
تزيدنا في العلى نشاطاً محاسن الكون والطبيعة (٥)

فتم له التجنيس بين (بديعة والطبيعة) وامتعت رفيعة من ذلك ، وهدفه من ذلك سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه والتقارب بين الأصوات .

وفي نشيد العلم والجهل حاول الشاعر حسين الأعظمي التجنيس فيه بين العلاء (من السمو والرفعة) وبين علا (أي ارتفع) الذي قال فيه :

العلم سلّم العلاء كم واحدٍ به علا

١. المحفوظات الطفلية : ١٢ - ١٣

٢. أناشيد وأدبيات الفتاة : ٢٧

٣. الاناشيد العصرية : ٥٠ - ٥١

٤. الاناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٧ - ٨

٥. الاناشيد المدرسية : ١ - ٧

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الجناس ﴾ ٢١٤ ﴿

العلم للنبات كالماء للنبات (١)

أي جانس بين الإسم وفعله ، فلم يوفق لأنه اختلف في أمرين ، وبين النبات والنبات ، فتم له التسديد في ذلك وغايته المثل من ذلك ، سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه .

أما الشاعر عبد الرحمن البناء ، فقد جانس بين أرضى (من الرضا) وبين أرضا (أي الأرض) وهو جناس تام في نشيد الحماسة ، قائلا :

بلادي عنك لا أرضى سماء لا ولا أرضا (٢)

وغرضه توفير نوع خاص من النغم والتقارب بين الأصوات .

وجانس الشاعر الدكتور أحمد حقي بين فصيح ويصيح ، وهو جناس اختلاف في نوع الحروف ، في نشيد الديك الفصيح فقال فيه:

كان لي ديكٌ فصيحٌ إن بدا الصبحُ يصيحُ
قو قو يقو قو قو يقو ايها الناس أفيقوا (٣)

وهدفه التقارب بين الأصوات لتبليغ ما أراد تبليغه ، والتلذذ في حلاوة التناغم بين المفردات المتجانسة .

وجانس الشاعر بين فخرا وذخرنا، وهو جناس اختلاف في نوع الحروف في نشيد الملوك المحبوب ، الذي قال فيه :
يا فيصلُ ملكنا لك الفدا أنفسنا
قرّة عينِ العربِ وفخرنا وذخرنا (٤)
والغرض منه سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه .

وفي نشيد دار المعلمين، حاول الشاعر الرصافي التجنيس بين ثلاث مفردات، نتركه وندرکه ونملكه، وبين الوطن وقطنا قائلا :

العلم لا نتركه بل إنما ندرکه
في بذلِ مانملكه من كلِّ غالٍ وثمانٍ
نحنُ نعرُّ الوطناً ومن به قد قطنا (٥)

فلم يتمكن من المجانسة بين (الوطن وقطنا) لأنه اختلف في أمرين ، وابتعدت كلمة نملكه عن التجانس مع أختيها وأحسن تمام الإحسان في المجانسة بين (نتركه وندرکه) وهو جناس اختلاف في نوع الحروف ، وغايته منه سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه والتقارب بين الأصوات.
وأراد شاعر نشيد الروضة ، التلذذ بالمجانسة في أمور عدة قائلا :

١. أناشيد وأدبيات الفتاة : ١٨ - ١٩

٢. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ٣١

٣. المحفوظات الطفلية : ١ / ٣٤ - ٣٥

٤. المصدر نفسه : ٣

٥. مجموعة الأناشيد المدرسية : ١٧

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، الجناس ﴾

﴿ ٢١٥ ﴾

اقطف زهوراً جميلةً من بين تلك الخميّة
هذي الرياضُ البديعةُ في الحسنِ حلّت رفيعةُ
قد ألبستها الطبيعةُ ثوباً جميلاً محبّب (١)

إذ جانس بين جميلة والخميّة فلم يتمكن ، وبين البديعة والطبيعة فتمكن منه، لأنه اختلف في حرف واحد وخرجت رفيعة عن ذلك .

ورغب الشاعر محمد الهاشمي أن يجانس بين سعدوا وصعدوا ، فمكنه التوفيق من ذلك ، وهو جناس اختلاف في نوع الحروف في نشيد الشبان قائلا :

سُعدوا بالعلم حتى صعدوا فوق السماء (٢)

وغايته التقارب بين الأصوات ، لأن السعادة في العلم كانت سببا في الصعود الى ذرى المعالي .
والجناس يحمل غايتين ((احدهما: صوتية ، وهي توفير نوع خاص من النغم والتقارب بين الأصوات، والأخرى معنوية وهي سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه)) (٣).

وقد استعمل شعراء الطفولة في العراق الجناس في الغائيتين ، فبدا للعيان حلاوة اختيارهم وبداعة اصرارهم ، وأثره الرشيد في النشء الجديد ، فتلمسوا روعة فعلهم وتحسسوا متعة صنعهم ، ولومن خلال التأمل البعيد في الأجيال اللاحقة.

وخلاصة المبحث : أن الجناس لديهم معينا تتناغم أجراس روعته بين مفرداتهم ، وتترنم أنغام بهجته في تصوراتهم فأخذوا منه ما تيسر لهم الإفادة فيه ، من أجل إثراء النشاء بالمفردات التي تتشابه حروفها تماما أحيانا ، ويختلف معناها، وبين المفردات التي تختلف في حرف عن بعضها. والغرض منه التقارب بين الأصوات المهموسة والمجهورة والشديدة ، وإشعار المتلقي بضرورة التمييز بين الكلمتين وإدراك المعنى ، وإن تقاربًا في الحروف .

١. المحفوظات الطفلية : ٣٤ - ٣٥

٢. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ١٤

٣. أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي: د محمد زغلول ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦١م : ٧٤٤

﴿ ٢١٦ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الثالث موسيقى أناشيد الطفولة ، التكرار

التكرار

لم يشر له البلاغيون الأوائل ، أو درجوه ضمن تصانيف البلاغة ، لكن ابن أبي الأصبع المصري (٦٥٤هـ) هو أول من ذكره في كتابه * ، والتكرار يقع في الألفاظ ، إذ يبيت الشاعر كل ما يجيش من خلجات نفسه ، وانفعالاتها عبر موسيقى ترديده ، فهو يسرق السمع ويطرق بالنفع ، لذا يلتمس الطفل في انشاده رغبة وحلاوة ، ويكرره بلهفة فممه ما يقع في الحرف وهو تكرر أكثر من حرف معين داخل البيت الشعري ، فيعطي هذا الحرف (المكرر) قيمة صوتية ، فضلا عما يضفيه من نغمة موسيقية ، تكشف عن عناية الشاعر بها، وهذه النغمة من شأنها تعميق أثر الكلمة في النفوس ، وتبين قوة المعنى وروعة النغم^(١).

وقد يعمل المكرر في بداية النشيد ، الى شد انتباه النشاء لما يأتي بعده ، فيكون بذلك قد هيا النفس والأذن لما سيأتي بعده من ألفاظ وأبيات .

وقد يكون تكرارا للضمير أو للمقطع أو لشطر البيت ، وحضور التكرار في النص تتباين غايته ، فقد يؤتى به للتوكيد وإزالة الشك ، أو لزيادة التحذير والتهويل، والوعيد ، وقد يراد به التضخيم والتعظيم ، وقد يؤتى به طربا وتلذذا بذكر المكرر^(٢).

لقد انتفت شعراء الطفولة المبدعون في العراق الى كل ماتقدم ، وأحسوا بأهميته ، كأنهم يعيشون معنا اليوم ، لذا عملوا جهدا مباركا واهتماما بفنون البلاغة والبديع، فكانت أناشيدهم رسل معرفتهم للحياة المشرقة ، ولالأجيال اللاحقة

وبدا للبحث أن الجهد الأكبر في هذا الفن البديعي ، هو الدكتور أحمد حقي ، الذي طرز ديوانيه بالبديع وفي نشيد وطني ، كرر كلمة وطني قائلاً:

وطني وطني غالي الثمن^(٣)

وغايته التلذذ بذكر كلمة وطني التي كررها ، حبا منه لوطنه العزيز .

وكرر في نشيد علمي ، كلمة علمي ورفرف قائلاً:

علمي علمي زاهي المنظر

رفرف رفرف كل يفخر^(٤)

وغرضه تعميق أثر هاتين الكلمتين لدى النشء ، كي يحافظوا على علمهم الذي يمثل رمز وطنهم السامي بين البلدان .

وفي نشيد كل شيء يتكلم للرصافي ، كرر فيه غاق قائلاً:

إن الغراب قدغدا يقولُ(غاقٍ غاقٍ)

*- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر ، تحقيق حقي محمد شرف ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٨هـ : ٢٥٣/٢

١- ينظر: لغة الشعر في القصيدة العربية الأندلسية ، بشرى محمد طه ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠م : ٨٢

٢- أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (١١٢٠هـ) ، تحقيق : شاكِر هادي شكر ، النجف : ٢٤٥

٣- المحفوظات الطفلية : ١ / ٤ - ٥

٤- المصدر نفسه : ١ / ٦

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، التكرار ﴾

فكان معنى قوله في نظر الحذاق

من قام مثلي باكراً لم يُبل بالأملاق^(١)

فحرف القاف كرر أكثر من سبع مرات ، لأنه يتناسب مع صوت الغراب وهو النعيق ، والغرض من هذا التكرار

إتمام الوزن والقافية ، وإيصال الحكمة المراد تبليغها الى النشء في البيت الثالث.

وكرر الشاعر الدكتور أحمد حقي كلمتين امدحوه ، كرموه ، طمعا في تشجيع صاحب الفعل الحسن بهما معا

في نشيد التلميذ المجتهد قائلاً :

امدحوه امدحوه أيها الأطفال جمعا

كرّموه كرمّوه إنه للمجد يسعى^(٢)

وذلك لتعميق أثر المدح والتكريم في النفوس ، لكي يسعى الباؤون سعي الذي حاز على المدح والتكريم .

أما في نشيد العصفور الصغير ، فقد كرر مقطعا كاملا ، حيث قال :

أنا عصفورٌ صغير أنا عصفورٌ صغير

قتل الصياد أمي ليس لي اليوم نصير^(٣)

وذلك لتوكيد المقطع ذاته ، لاستجلاب عطف الأطفال إليه ، لأنه صغير جدا وليس له معين أو نصير يعمل على إنقاذه.

وفي نشيد الطيارة ، كرر الصدر للعجز لكلا البيتين قائلاً :

مثل النسر مثل النسر

دَوّت تجري دَوّت تجري (٤)

وغايته تقريب التشابه بين الطائرة والنسر ، فكلاهما يطير في الفضاء ، ولكل منهما جناحان ، وهما يتحركان بحرية تامة . ثم رأينا في نشيد هيا الى السبح ، أنه كررالى السبح قائلا:

فقولوا أيها الصحبُ ليحيا السبحُ في الشطِّ
الى السبح الى السبح بهذا الماء كالبطِّ (٥)

والغرض من المكرر زيادة الترغيب في السبح ، لأنه يفتح المسامات المغلقة في الجسم ، فينشط بعدها . وفي نشيد غزالي كرر هذا الأسم المحبب غزالي قائلا:

غزالي	غزالي	مثال	الجمال
أراك	نفورا	تحب	القفار
تعال	إليّ	لماذا	النفار (٦)

١- تنائم التربية والتعليم : ٣٥ - ٣٦

٢- المحفوظات الطفلية : ٣٠ - ٣١ / ١

٣- المصدر نفسه : ١٦ - ١٧ / ١

٤- المصدر نفسه : ١٠ - ١١ / ١

٥- المحفوظات الطفلية : ٣٢ - ٣٣ / ٢

٦- المصدر نفسه : ١٤ - ١٥

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، التكرار ﴾ ﴿ ٢١٨ ﴾

وغايته تعميق أثر كلمة غزالي في النفوس ، لأنه محبوب لدى الجميع .

أما نشيد لعبة القطط (بالتمثيل) فقد كرر الشاعر به مفردات عدة قائلا:

دعنا نمشي قرب الشطِّ	امش امش امش امش
مثل القطّ مثل القطّ	امش امش امش امش
فرأى سداً طفر السدا	اطفر اطفّر اطفّر اطفّر
ورأى فأراً هجم القطّ	اهجم اهجم اهجم اهجم
ورأى جذعاً صعد الجذعا	اصعد اصعد اصعد اصعد
سقط الجذع كُسِر الضلع	ضلعي ضلعي ضلعي ضلعي (١)

والغرض الأسمى من التكرار ، هو معرفة القيمة الصوتية ، للأفعال المكررة لأكثر من مرة ، ثم التعرف على طريقة رسم الكلمة ، وتمييز الفرق بين رسم الأفعال وكتابة الأسم ، ونظرا لشدة ولع الدكتور أحمد حقي ، وابداعه المتفرد في التكرار فقد أبدع من بنات خياله الخصب لعبة القطط هذه ، التي أراد منها ، تلقين مجموعة من الأفعال الى النشء ، لغرض معرفتها وحفظها ، والتمييز بينها ، حيث جعل من الصدر انطلاقة يذكر فيها الفعل ، وفي العجز تكرار ذلك الفعل ، حتى يتمكن من التتابع الحركي والزمني له في ذهنية المتلقي الذي يرددها معه .

أما نشيد البدر الفخور ، فقد كرر أنا البدر قائلا:

أنا البدر أنا البدر لي المدح لي الذكر (٢)

وغايته شد الإنتباه الى تفرد البدر في الجمالية ، الذي تعاقبت الأدباء على مدى الأجيال في الإشادة في حسنه وجماله.

وفي نشيد العجوز والدجاجة ، كرر دجاجتي :

دجاجتي دجاجتي فقدتها واحسرتي^(٣)

وغرضه زيادة التحذير والتهويل من فعل السرقة ، وضرورة الحفاظ على الممتلكات من أيدي السراق. وإجمالاً يمكن القول ، بأن التكرار مرتبط ارتباطاً وثيقاً، في الحالة النفسية وبعد النظر للشاعر، فإن داهمته الرغبة في إيصال مفردة معينة يرى في تكرارها أثراً مفيداً للمتلقى، فيعتمد الى تكرارها ، حيث تعددت أشكال التكرار فمنه في الحرف ومنه في الكلمة، ومنه في الشطرومنه في البيت برمته .

إنّ التكرار أحد طرائق التعبير القرآني ، الذي توخى الخالق منه فوائد ظاهرة ، وأخرى خافية ، أدرك خالق النفس وباريها شدة تأثيرها على المخلوق، ففي سورة الكافرون كرر- جل وعلا - ((ولا أنتم عابدون ما أعبد))^(٤) مرتين ، ولو لم يكن هناك أثر نفسي وبلاغي ومعنوي، لما كررت مع غيرها من الآيات ، وكقوله تعالى في سورة الرحمن (فَبِأَيِّ

١- المحفوظات الطفلية: ٢ / ١٤ - ١٥

٢- المصدر نفسه : ١ / ٤٠ - ٤١

٣- المصدر نفسه : ١٨ - ١٩

٤- الآية : ٣ - ٥

﴿ ٢١٩ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى أناشيد الطفولة ، التكرار

آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ^(١) التي كررت لأكثر من عشر مرات في السورة ، مع آيات أخر في الكتاب المقدس .
وخلاصة المبحث: يمكننا القول : بأن الشعراء استعملوا التكرار لإغناء القيمة الصوتية للمكرر، وتوفير أكبر طاقة نغمية تعمل شحنتها على تعميق أثر الكلمة في المتلقي، لتكشف عن قوة المعنى المقصود ، وشد الإنتباه إليه أو التحذير منه أو تهويله أو تضخيمه أو تعظيمه، لكي يكون له وقع الصدمة المفاجئة ،على ذهنية المتلقي التي تبعث فيه اليقضة الخلاقة، كي يستجمع تركيزه نحو ما كرر اليه ، لغرض التلذذ في فهمه، وإدراك أهميته أو أخذ الحذر منه وتجنبه .

﴿ ٢٢٠ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الريادة والأوزان المستعملة ﴿

موسيقى الريادة والأوزان المستعملة وغير المستعملة في أناشيد الطفولة

قبل هذه الرسالة ، ادعى ريادة شعر الأطفال كثيرون ، وما قدمناه في الفصول السالفة أجابهم جميعا من دون استثناء ، سواء كانوا باحثين من العراق ، أو من الوطن العربي .

وفي هذا المبحث نجيب عن ريادة شعراء العراق ، في موسيقى شعر الأطفال ، بدقة متناهية ، لا يدخلها الشك أو الزعم ، واعتمدنا سنة نشر الأشعار معيارا دقيقا ، لكل الشعراء في العراق والوطن العربي ، كي لا يدّعي بعد هذا مدع ويزعم زاعم لا وجود لزعمه على واقع روضة شعر الأطفال شيئا ، لهذا جعلنا استشهادنا من جميع الرواد في العراق والوطن العربي كي نعطي صورة متكاملة ، عن الريادة الحقيقية في الجانب الموسيقي بصورة عامة ، لكل شعراء الطفولة ، وحسب سنة تاريخ نشر دواوينهم ، لكي تتبين الريادة الحقّة جلية ، دون تحيز لهذا لأنه من بلدي ، ورفض ذلك لأنه من بلد كذا ، فالعدل يسع الجميع والظلم لا يسع لشيء ، حيث أثبتنا بدقة متناهية لكل شاعر ، حقه الصريح الصحيح ، فالجميع موضع اعتزاز وفخر للأمة من دون استثناء .

وهناك خصوصية لموسيقى شعر الأطفال ، أحببنا أن نشير إليها ، وهي أن شعراء الطفولة في العراق والوطن العربي بأسره لا يعلمون ماهية الأوزان الصالحة لشعر الأطفال كما أثبتناه في الرسالة ، من بحور الخليل عامة ، من تامها أو مجزئها أو مشطورها أو منهوكها ، ولا يعرفون غالبيتهم سوى ما أشيع استعماله عند أحمد شوقي ومحمد الهراوي وليس لديهم دليل على الأوزان القصار المستعملة ، ولا يعرفون من هم الشعراء الأوائل الذين ابتكروها؟ وماهي قصائدهم على هذه الأوزان؟ لا لقصور في علمهم أو معرفتهم بل لأن الأمر لم يبحث بشكل مفصل سابقا مطلقا ، لذا رأى الباحث

أن من واجبه العلمي والأخلاقي ، أن يبسط القول فيه مفصلاً ، طمعاً في فتح الآفاق أمام جميع المبدعين ليتحفوا الطفولة بما ينعشها ويفرحها الآن أو لاحقاً، لأن ما يصلح وزنه في العراق ، يصلح في الوطن العربي والإسلامي كله. وفي هذا المبحث سنبرز للعيان الأوزان المبتكرة ومبتكريها، وهي دراسة تطبيقية مقرونة بالدليل والإثبات المتقن ولم نتعجل بها إلا بعد جمع واستقراء كل ما كُتب من أشعار الطفولة من ١٨٨٠م حتى ١٩٤٠م في العراق والوطن العربي*، لذا حصر البحث موسيقى أشعارهم في ثلاثة أقسام** :

أ- البحور التي تصلح بوزنها التام*** : (المتدارك ، المتقارب ، الهزج ، المجتث)

والسبب في ذلك كما يرى الباحث ، أن هذه البحور جميعاً، لا تتجاوز حروف تفعيلاتها أكثر من عشرين حرفاً، بل هي تنقص بسبب الزحافات الداخلة عليها ولا تزيد، وهذا بدوره يشكل خفة على لسان الطفل، تساعد في تلفظ المفردات المنظومة، على هذه البحور بلا تلثم فيها بل بسهولة تغنيها.

١- المتدارك ووزنه المستعمل : فعلن أربع مرات في الصدر ومثلها في العجز

*- آثرنا ذكر الشعراء العرب في الهامش وأسماء قصائدهم كي نقطع نزاع القوم بالإدعاء ، ونبرز للعيان الرائد في كل وزن مبتكر، لأن المتن خصص للشعراء العراقيين.

** - إن بحور الشعر ليس لها دلالة معنوية، بل هي موازين حسابية، تحسب فيها عدد حركات وسكنات التفعيلات في الصدر، ومقابلتها بالمثل في العجز، وفي شعر الأطفال خصوصية مانعة ، تمنع أن تكون هذه البحور جميعها صالحة له ، كما هو في شعر الكبار، لذا وجب تركية العلم في إظهار ذلك لمدرّك الفهم.

*** - شذ عدد قليل من الأناشيد عن قواعد موسيقى شعر الأطفال التي سنذكرها، وذلك بسبب شهرتها وكثرة ترديدها من قبل الأجيال المختلفة .

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾

وهو أسرع بحر في تدفق أنغامه ، حتى سمّته العرب (ضرب الناقوس، قطر الميزاب، الرقاصات)^(١)، لتلاحق أنغامه وسرعة تواليها .

ويأتي على ثلاث هيئات الأولى (فعلن) أي فاصلة صغرى ، والثانية (فعلن) أي من سببين خفيفين ، والثالثة مشتركة بينهما) وللشاعر حرية الاختيار، على أيهم ينظم أناشيده وما يراه مناسباً ، ويستخدم هذا البحر تاماً* ومجزؤاً*** ومشطوراً*** ، ومنهوكاً**** .

فأما التام كقول^(٢)، وقول الشاعر الشيخ محمد مهدي البصير في نشيد الشرق :

وطني والحق سينجده مازلتُ بحبي أعبدُه

سيصوغُ العدل لدولته تاجاً واللّه سيعقده

سنعيدُ الشرق لسلطته ووجدُ السيفِ نجده^(٣)

أما مشطور المتدارك كقول^(٤)، وقول الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي في نشيد وطني:

وطني وطني غالي الثمن^(٥)

أفدي دوماً لك يا وطني

أما المجزؤ والمنهوك من هذا البحر، فلم نجد من نظم عليهما، في الوطن العربي كله ***** .

٢- المتقارب ووزنه فعولن أربع مرات في الصدر ومثلها في العجز

وهو متقارب الأوتاد والأسباب ، خفيف الموسيقى ، نقي النغم ، يتهادى متلاحقا ، لقلة حروفه ، وهو لا يأتي دائما بتمام التفعيلات ، بل إن تفعيلته الرئيسية فعولن ، تنقص دائما فتصبح فعول ، وهذا يعين على السهولة في اللفظ

١. العروض الواضح : ٧٨

*. وهو البحر الذي يأتي بتمام تفعيلاته من دون زحاف أو علة ، ويسمى أحيانا بالوافي اذا استوفى تفعيلاته ، لكن قد يكون مصابا بعلة أو زحاف ، المصدر نفسه : ٣٩

** وهو اسقاط العروض والضرب من البيت ، أي حذف آخر تفعيلة من آخر كل شطر ، المصدر : فن النقطيع الشعري والقافية : ٣٩

*** - ماسقط منه شطره ، المصدر : الوافي في العروض والقوافي : ١١٦

**** - مذهب ثلثاه ، وهو من قولهم نهكه المرض ينهكه ، وغير المرض اذا بالغ في الأخذ منه : المصدر نفسه : ١١٦

٢. كقول أحمد شوقي في أنشودة النيل :

النيل العذب هو الكوثر والجنة شاطئه الأخضر ، المصدر : ديوان الشوقيات : ٤ / ١٩٥ ، وهو أول من نظم عليه - كما يزعمون - سنة ١٨٩٨م

٣. الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ١٦ وهو ثاني شاعر ينظم عليه سنة ١٩٢٠م

٤. الشاعر المصري محمد الهراوي في نشيد وصف الهر :

هرّي مصري عالي القدر

وله وجهٌ مثل النمر ، المصدر : ديوان سمير الاطفال للبنين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م ، ١ / ١٧ ، وهو أول من نظم عليه لأنه دقيق جدا .

٥. المحفوظات الطفلية : ١ / ٤ . ٥ ، وهو ثاني شاعر ينظم عليه بتمكن وسلاسة ، سنة ١٩٣٠م

***** - يوجد من نظم عليهما في العراق ، لكنه خارج السقف الزمني للرسالة ، أي عند الرعيل الذي جاء بعدهم ، لذا امتنعنا عن ذكره ، حفاظا على خصوصية كل جيل وإبداعه ، إذ ان شعراء الطفولة في العراق أبدعو في كثير من قصائد البحور ، وهم أول من نظم عليها في بادئ الأمر .

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾ ٢٢٢ ﴿

ويأتي مجزوءا ومشطورا ومنهوكا ، كقول أحد الأدباء من التام في نشيد تهنئة العراق :

تغنّى بأرض الشام الزمنُ فهنّ العراق وحيّ اليمنْ

لنا أن نموت بحبّ الديار وإلا لماذا خلّقنا إذن ؟ (١)

أما المجزوء والمنهوك فلم نجد عليه ، وأما المشطور فقد نظم عليه الدكتور أحمد حقي نشيد غزالي :

غزالي الجميل أليف التلال

فحسنك عندي مثال الجمال (٢)

وفراسة النظم الشعري للاطفال ، تكمن في سهولته ومعناه ، وأن لاتتخلخل موسيقاه ((لأن الغناء للطفل يجيء دائما بالكلام الموزون المقفى ، فان طبيعة التلقي عن الصغير ، تحتاج الى وزن عروضي ، من نوع مميز له وقافية سهلة ، أهم ما يميزها موسيقية الايقاع النغمي والصوتي ، ولذلك تلائم البحور المجزوءة ، هذا اللون من الشعر الغنائي المقطعي)) (٣).

٣- الهزج ووزنه : مفاعيلن مفاعيلن مرتان في الصدر ومثلها في العجز

وانسيابية هذا البحر تتأتى ، من كونه متشابه في التفعيلتين ، وذو رتبة في موسيقاه ، تخلق الأسماع اذا وقعت لأول وهلة واستمرت الى النهاية ، ويأتي المنهوك منه فقط ، لأنه مجزوء أصلا . فمن التام (٤) وقول الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي في نشيد البدر الفخور :

أنا البدرُ أنا البدرُ لي المدحُ لي الذكرُ
أنا الحاكمُ في الليلِ لي النهيُ لي الأمرُ (٥)

٤- المجتث ووزنه مستفعلن فاعلاتن مرتان في الصدر ومثلها في العجز

وهو خافت الموسيقى ، لذا نظم عليه قلة من الشعراء أناشيد قليلة ، ولايستخدم الا بهذه الهيئة.
كما في قول^(٦) وقول الشاعر محمود الملاح في نشيد نفسي الفداء :
نفسى الفداء لقوم في الأرض كانوا نجوما
إذا بكيث عليهم دماً فلست ملوما (٧)

١- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣٧ / ١ وهو أول من نظم عليه سنة ١٩٢٠م

٢- المحفوظات الطفلية : ١٤ - ١٥ وهو أول من نظم عليه سنة ١٩٣١م

٣- ادب الطفولة ، اصوله ، مفاهيمه ، رواه : ١٣٣

٤- كقول أحمد شوقي في نشيد المدرسة :

أنا المدرستُ اجعلني كأمٍ لاتمل مني

ولا تفرغ كماخوذ من البيت الى السّجن، المصدر: ديوان الشوقيات: ٤ / ١٩٦، وهو أول من نظم عليه - كما يزعمون - سنة ١٨٩٨م

٥- المحفوظات الطفلية : ٤٠ - ٤١ ، وهو ثاني شاعر ينظم عليه سنة ١٩٣٠م

٦- احمد شوقي في نشيد ثعالة والحمار :

أتى ثعالة يوماً من الضواحي حمارُ

وقال ان كنت جاري حقاً ونعم الجارُ، المصدر: ديوان الشوقيات: ٤ / ١٨١، وهو أول من نظم عليه - كما يزعمون - سنة ١٨٩٨م

٧- الاناشيد الموصلية : ١٦، وهو ثاني شاعر ينظم عليه سنة ١٩٠٧م

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾ ٢٢٣ ﴿

وقول (١) وقول الشاعر محمد جميل صدقي الزهاوي في نشيد أمّاه :

أمّاه إني ضريرُ والقلبُ مني كسيرُ

أعمى فلستُ أرى يوماً ما يراه البصيرُ (٢)

ب - البحور التي لاتصلح بوزنها التام (الرجز ، الكامل ، البسيط ، الرمل ، الوافر ، الخفيف)

هناك أناشيد كتبت على تام الرجز والكامل والرمل في بداية النشأة ، لكنها بمرور الأيام كان نصيبها الفشل والاختفاء من الكتب المنهجية والذائقة العامة ، والدليل أن غالبية الشعراء القدماء ، حينما كتبوا أشعارهم عن أطفالهم بداية كتبوها على تام الرجز ، ولكنهم سرعان ما أكثروا من مجزؤه ، وهذا يدل على أنهم أدركوا بفطرتهم المعهودة ، بأن أبناءهم غير مستعدين لحفظ أراجيزهم التامة* ، وأن هناك صعوبة لاحت على ألسنة صغارهم ، منعتهم من الاستمرار فيه ، هذا فيما يخص القدماء .

أما المحدثون فتوصلوا الى نتائج القدماء نفسها ، حين ابتدأ داود الملاح شاعراً لأطفال الأول في الوطن العربي كتابة أول أنشودة لهم نظمها على مشطور البسيط ، أي نزل الى أقصى حد يمكن السيطرة عليه ، وهذه خطوة رائدة لم يسبق أن طرقها القدماء ، فكانت بداية الطريق ، ثم جاء من بعده من مشى على المسار نفس ، أو غير قليلا .

أما محمد عثمان فقد ترجم العيون اليواقظ عن خرافات لافونتين سنة ١٨٩٤م ، وكانت كلها على تام الرجز ، إلا قلة على مجزؤه ، فقد تحول الأطفال عنها ، بعد مدة قصيرة من تعميمها على مدارس المبتديان في مصر لأنها ليست لهم .

ثم طرق الشاعر أحمد شوقي باب الرجز التام ، في (٥٤) أنشودة ، مترجمة عن خرافات لافونتين أيضا** فلم يفلح ، وتوقف بعدها أربعين سنة للمراجعة والتفكير ، وتوصل أخيرا الى كتابة ديوان خاص للصغار ، أسماه (ديوان الأطفال) ألحق في الصفحات الأخيرة من الجزء الثالث لديوان الشوقيات ، كتب له عشرة أناشيد ، خلت جميعها من أي بحر تام من الرجز أو غيره ، سوى ما قلنا أنه يصلح تاما بعدما تيقن برهافة حسه ودقة تصوره ، عدم صلاحية كل ما كتب لهم سابقا.

وقد كتب الشاعر محمد الهراوي بعده ثلاثة*** أناشيد ، على تام البحور فلم تتجح ، نجاح أخواتها من قصار البحور وهما يقينا لم يدريا شيئا عن الشاعر داود الملاح ، واستعماله لمشطور البسيط أو عن الشاعر محمود الملاح ، الذي كتب للأطفال في منهوك الرجز .

وبناء على ماتقدم ، فان البحور الستة المشار إليها بعدم صلاحيتها في وزنها التام ، يجري عليها حكم ، ما جرى على بحر الرجز ، ودرجة صلاحيتها تكمن ، في مجزواتها ومشطوراتها ومنهوكاتها ، وسوف ندعم قولنا بما جرى من أقلام شعرائنا المبدعين.

*. عند استقراء أكثر أشعارهم في الكتب التي أشرنا إليها سابقا ، تشير الى إكثارهم من مجزوء الرجز وعزوفهم عن تامه

١- محمد الهراوي في نشيد الطبيب

انا الطبيبُ النطاسي لي بالمريضِ اعتناء

أعالجُ الداءَ حتى يتمَّ فيه الشفاءُ ، المصدر: سمير الاطفال للبنين : ٢/ ٧ ، ثالث من نظم عليه سنة ١٩٢٣م

** . ينظر في أدب الأطفال : ٣٥١

٢. ديوان الزهاوي : ٢١٧

*** . في سمير الاطفال بنين ج ا وهي: طفل يخاطب امه ، العطف الأخوي ، وصف بستان ، فقللها الى واحدة في ج ٢ هي انشودة تلميذ.

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾

١- الرجز ووزنه مستفعلن مستفعلن في الصدر ومثلها في العجز

أما المجزوء منه فهو مستفعلن مستفعلن

كما في قول^(١) وقول الشاعر الشيخ قاسم الشعار في نشيد نار على أعدائنا :

الى متى يا قومنا نحسو أفأويق العنا ؟

تذكروا ما قد جرى من الألى أسلافنا^(٢)

وقول الشاعر حبيب العبيدي الموصلي في نشيد العز :

شبابنا وشيبنا في مكتب ومنصب

نسعى ولا يربينا شئ لعز العرب^(٣)

وقول الشاعر عبد المجيد شوقي في نشيد الأوطان :

ويلي على أوطاني من غارة العدوان

قد قرحت أجفاني غوائل الأنام^(٤)

وقول الشاعر رشيد الهاشمي في نشيد الاستنهاض :

يا آل قحطان الألى سادوا على كل الملا

مبالكم نمتم ولا تدرون ما معنى الحياة ؟^(٥)

أما المنهوك فهو كما في قول : العالم محمود الملاح في أنشودة دينية للأطفال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَجَلُ

مَلَّتْنَا خَيْرُ الْمَلِئِ (٦)

وقول الشاعر في نشيد رأس السنة : (٧)

٢- الكامل ووزنه متفاعِلُنْ متفاعِلُنْ متفاعِلُنْ للصدر ومثلها للعجز :

وزن المجزوء منه ، متفاعِلُنْ متفاعِلُنْ

١- أحمد شوقي في نشيد الأم :

لولا النقي لقلت : لم يَخْلُقْ سواكِ الولدا !

إن شئت كان العير، أو إن شئت، كان الأسد، المصدر: ديوان الشوقيات: ٤/ ١٩٢، سبقه محمد عثمان جلال الى النظم عليه

في ترجمة حكاية الثعلب والعنب في ديوان العيون اليواظ : ٤٩ سنة ١٨٩٤م

٢- الاناشيد الموصلية : ٣٤ - ٣٥ ، وهو ثاني شاعر ينظم عليه سنة ١٩٢٠م

٣- الاناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ٧ - ٨ سنة ١٩٢٠م

٤- مجلة التلميذ العراقي : العدد : ١٨ في ١٩٢٣م : ٢٧٢

٥- الاناشيد العصرية في ١٩٢٣م : ٢ / ٥٠ - ٥١

٦- الاناشيد الموصلية : ١٤ - ١٥ ، وهو أول من نظم عليه سنة ١٩٠٧م

٧- محمد الهراوي في نشيد رأس السنة :

رَأْسُ السَّنَةِ ما أحسنه

هو غرّة في الأزمنة المصدر: ديوان سميرالاطفال للبنين : ٢ / ٣٩ ، وهوثاني شاعر ينظم عليه سنة ١٩٢٣م

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾

كما في قول الشاعر في نشيد ولد الغراب : (١)

والآخر في العظة الثانية من نشيد الغراب والبلبل : (٢)

وقول الشاعر في نشيده في طاعة الله والوالدين : (٣)

وقول : الشاعر محمد الهاشمي في أنشودة الزهور الذابلة :

يا طفلي لا تضجري من عيشكِ المتكّر

كلُّ يُغيّرُ غير ربِّكِ ليس بالمتغير (٤)

وقول : الشاعر محمد باقر الحلي في نشيد العلا :

سرُّ للعلا بتعاضدٍ يأيها النشء النبيل

واعمل لشعبك صادقاً بالقول والفعل الجميل (٥)

وقول (٦) وقول الشاعر محمد تيسير ظبيان في نشيد الشهداء :

يادهرُ مالك كالحاً ؟ أذكيت نارا في الضلوع

جرعتني غصص الجوى فطفقت أسبح في الدموع (٧)

وقول : الشاعر عبد الستار القره غولي في نشيد الفتى العربي :

إن الفتى العربي لا يرضى الهوان ولايضام

متحلياً بالمكرما تِ وأنها نعم الوسام (٨)

أما المشطور فلم نجد عليه أناشيدا منظومة، ووجدنا على المنهوك منه في نشيد العرب للشاعر اسماعيل حقي فرج :
العربُ ساداتُ الأمم

١- أحمد شوقي في نشيد ولد الغراب :

وممهد في الوكر من ولد الغراب مزقق

كرويهب متقلّس متأزّر متتنقّ المصنوع: ديوان الشوقيات: ٤/ ١٩٣ وهو أول من نظم عليه - كما يزعمون - سنة ١٨٩٨ م
٢- للشاعر ابراهيم بك العرب

سكن الغراب وبلبل داراً بها خلّت الاقامة

وكلاهما قد ضمّه قصص الحفاوة والكرامة، ينظر مقدمة كتاب اداب العرب، ابراهيم بك العرب، المطبعة الاميرية بالقاهرة، ١٩١٣ م: ٥

٣- علي فكري في نشيده في طاعة الله والوالدين :

أطع الاله كما أمر واملأ فؤادك بالحنز

واطع اباك لأنه ربك من عهد الصغر ، ينظر مقدمة ديوان النصح المبين ، بقلم المؤلف ، مطبعة مجلة الشباب ، ١٩١٦ م

٤ - ديوان عبرات الغريب ، دمشق ، ١٩١٩ م : ٤١

٥- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١/ ٢٧ في سنة ١٩٢٠ م

٦- محمد الهراوي في نشيد محبة الوالد :

كم ياأبي لك من يدٍ عندي وكم لك من أثرٍ

أنت الذي ربّيتني ورعيتني منذ الصغر ، المصدر: سمير الاطفال للبنين ٢/ ٢١ في ١٩٢٣ م

٧- الأناشيد المدرسية والألعاب : ٤٤ في سنة ١٩٢٩ م

٨- مجلة الفتوة ، العدد ٢، بغداد ، ١٩٣٤ م : ١٤

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾

من مَكَّة حملوا العَلَمَ (١)

وقول : الشاعر محمد صادق الملا تكة في نشيد الجعفرية :

هذي بلادي رغم الأعادي

بالجعفريّة تفخرُ (٢)

٣- البسيط ووزنه مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ للمصدر ومثلها للعجز :

ويستعمل هذا البحر على هئتين الأولى مخلع*، والثاني مشطور، فأما المخلع فقد كتب به الرصافي نشيد العلم والسيف:

ما العلمُ والسيفُ عند قومي إلاّ طريقانٍ للتعالي

لم تبتنِ العربُ بيتَ مجدٍ إلاّ على العلمِ والعوالي (٣)

وقول : الشاعر سعيد صالح جريو في نشيد بغداد :

بغدادُ يا هيكلَ الرشيدِ وياقرارَ الفخرِ والتليدِ (٤)

أما المشطور فقد نظم الشاعر داود الملاح فيه قائلاً:

يا أمةً فخرتُ أمّ العلى فيها **

أما لأيامنا يُرجى تلافيتها ؟ (٥)

وقول : الشاعر الرصافي في نشيد العليا :

نفسى الى العليا تطوي مداها

ما أنحس المخيا لولا مناها (٦)

وقول : الشاعر صالح البدري في نشيد العلم :

برغم كلِّ الأمم نحنُ حماةُ العلم (٧)

٤- الرمل ووزنه فاعلاتن فاعلاتن فاعلن للصدر ومثلها للعجز :

ووزن المجزوء منه فاعلاتن فاعلاتن

١- الاناشيد الموصلية : ٤٦ وهو أول من نظم عليه سنة ١٩٠٨م

٢- الاناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الاجزاء الخمسة : ٤ / ١١٧ في ١٩٣٦م

*. وزنه مستقعلن فاعلن فعولن للصدر ومثلها للعجز

٣- الاناشيد المدرسية : ٧ / ١ ، وهو أول من نظم عليه سنة ١٩٢٧م

٤- الاناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٢ / ٣١ - ٣٢ في سنة ١٩٢٠م

*. * ورب معترض على أن هذا الوزن مستحدث ، فلو جعلنا البيت الأول كله صدرا وجعلنا البيت الثاني عجزا ، فهل يصلح البيتان أم لا ؟ فإن صلحا كبيت من أبيات البحر البسيط ، فإنهما يصلحان كذلك لمشطوره ، وكذلك مع نشيد العليا للرصافي فإن عروضه (فعلن أو فاعل) وضربها أصيبت بعلّة الحذف فصارت (فا) ولازمته في جميع الأبيات ، وهذا من أساسيات علم العروض الخليلي ، ولم نتوقع أن الرصافي كان غافلا عن هذا ، وكذلك فعل الذي يليه الشاعر صالح البدري إذ جعل عروضه فاعلن وضربه مثلها ، فلا خروج في كل ماذكرنا عن العروض المألوف.

٥- الاناشيد الموصلية : ١٧ ، وهو أول من نظم عليه سنة ١٨٨٠م

٦- الاناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ٢٢ - ٢٣ في سنة ١٩٢٠م

٧- ديوان التمنيات ج ١ ، صالح البدري ، ط ١ : ٥٢ - ٥٣ ، ألف في سنة ١٩٣٩م

كما في قول^(١) وقول الشاعر الرائد محمد سعيد الجليلي في نشيده الى الشبيبة :

معشرَ الشَّبَّانِ يكفي ما دهاننا من جمود

فانبذوا عاداتِ سوءٍ واقتفوا إثرَ الجدود (٢)

وقول : الشاعر طه الراوي في النشيد الفيصلي :

أشرقَتْ شمسُ النجاحِ وانجلي فجرُ الفلاحِ

وبدا صبحُ الصلاحِ في سماءِ العربِ (٣)

وقول^(٤) : وقول الدكتور سعيد بك طليع في نشيد الاحرار المخلصين :

يا زمانَ الغدرِ ماذا كانَ ذنبُ النازحين ؟

أترى يادهرُ هذا هو أجرُ المخلصين ؟ (٥)

وقول : الشاعر علي جميل آل الخطيب في نشيد بلادي :

إنَّ عزِّي في بلادي وهنائي ومرادي

أنا منها وإليها باقترابٍ وابتعادٍ (٦)

وقول : الشاعر الصحافي المضطهد في نشيد تحية العلم :

أيها الابطالُ هيّا نمتطي متنّ الهمم

أنّت تدع للسلام فسلام ياعلم (٧)

وقول : الشاعر نجيب الرئيس في نشيد السجون :
ياظلام السجن خيمَ إننا نهوى الظلاما
ليس بعدَ الليلِ إلّا فجرُ ليلٍ يتسامى^(٨)
وقول : الدكتور خالد بك الخطيب في نشيد السجون :

- ١- احمد شوقي في نشيد الهرة والنظافة :
هرّتي جدُّ أليفةً وهي للبيت حليفةً
هي مالم تتحرّك دميةً البيتِ الظريفةً ، المصدر : ديوان الشوقيات : ٤ / ١٨٨ ، وهو أول من نظم عليه - كما يزعمون - سنة ١٨٩٨ م
- ٢- الاناشيد الموصلية : ٥٢ ، وهو ثاني شاعر ينظم عليه في سنة ١٩١٤ م
- ٣- الاناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ١ / ٤ - ٥ سنة ١٩٢٠ م
- ٤- محمد الهراوي في انشودة لركوب الحصان :
ياحصاني يا حصاني أنت زينُ الحيوان
لك سرجٌ بركابٍ ولجامٌ بعنانٍ ، المصدر : سفير الاطفال للبنين : ١ / ١٣ في سنة ١٩٢٢ م
- ٥- الاناشيد العصرية : ٢ / ٨٢ ، ٨٣ في سنة ١٩٢٣ م
- ٦- الاناشيد العصرية : ٢ / ٤٢ - ٤٣
- ٧- الاناشيد المدرسية والألعاب : ٤٥ - ٤٦ في سنة ١٩٢٩ م
- ٨- المصدر نفسه : ٤٥

- إسجنونا كبلونا لانبالي بالقيود
عزّمتنا عزّم شديدٌ للمعالي كالحديد^(١)
وقول : الدكتور مصطفى جواد في نشيد نداء العراق
يارجال العربِ مالي قد أراكم نائمين؟
أرداءُ الذلِّ يبقى ؟ ليس قومٌ ناهضينا^(٢)
أما المشطور فهو كما في قول : الشاعر محمد توفيق آل حسين في نشيده وطني المحبوب :
وطني المحبوبُ حيّا كَ السّنا
زادك اللهُ ازدهاءً وثنا^(٣)
وقول : الشاعر حسين الأعظمي في نشيد محاورة في الشعر :
هند : كيف يا أختي تعلمتِ القريض ؟
سعاد : مثلما أنتِ تعلمتِ الخياطة^(٤)
أما المنهوك فهو كما في قول الشاعر في أنشودة فتية المدارس :^(٥)
٥- الوافر ووزنه مُفاعَلَتُنْ مُفاعَلَتُنْ فَعولُنْ للصدر ومثلها للعجز ، أما المجزوء فوزنه مفاعلتن مفاعلتن
كما في قول : الشاعر عبد الرحمن البناء في نشيد الحماسة :
بلادي مهبطي وطني عليكِ جوارحي مرضى
بني وطني بني وطني أفيقوا وانهضوا نهضا^(٦)

وقول الشاعر في نشيد تلميذ ونجار: (٧)

وقول : الشاعر الذي كتب بدلا عن اسمه حرف (ع) في نشيد كتابي :

كتابي أنتَ محبوبي ومطلوبي ومرغوبي
وأنتى سرُّ مصحوبي ففيك العزُّ قد سطرنا (٨)

١- الأناشيد المدرسية والألعاب : ٤٥

٢ - الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الاجزاء الخمسة : ٤/ ١٢٣ - ١٢٤ في سنة ١٩٣٦م

٣- الأناشيد الموصلية : ٣٢ ، وهو أول من نظم عليه في سنة ١٨٩٤م

٤- أناشيد وأدبيات الفتاة : ٥٣ - ٥٤ في سنة ١٩٢٦م

٥ - محمد الهراوي في انشودة فتيّة المدارس :

نحن فتيّة نطلبُ الأدب

كلُّ واحدٍ يحملُ الكتبُ ، المصدر : سمير الاطفال للبنين : ١/ ٥ في سنة ١٩٢٢م

٦- الأناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية : ٣١/٢ في سنة ١٩٢٠م وهو أول من نظم عليه

٧- محمد الهراوي في نشيد تلميذ ونجار:

أنا في الصبح تلميذٌ وبعد الظهر نجارٌ

فلي قلمٌ وقرطاسٌ وإزميلٌ ومنشارٌ ، المصدر: سمير الاطفال للبنين : ١/ ٩ في سنة ١٩٢٢م

٨- مجلة التلميذ العراقي العدد ١٢: ١٨٩ في ١٩٢٣م، كتب تحتها (ع) ونتوقع انها للشاعر عبد الستار القره غولي وهذا الحرف بداية اسمه

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾ ٢٢٩ ﴿

وقول : الدكتور أحمد حقي الحلي في نشيد أنا العربي :

أنا العربيُّ ذو الحسبِ كريمُ الأهلِ والنسبِ

شعاري الجدُّ والعملُ لرفعة أمة العرب (١)

ولم نجد على المنهوك منه شعرا.

٦- الخفيف ووزنه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن للصدر ومثلها للعجز

أما المجزوء فاعلاتن مستفعلن

كما في قول : الشاعر حسين الأعظمي في نشيد الطفلة وكلبها الصغير :

إنَّ كلبِي يحبني ولهذا يطيعني

أفتديه بمهجتي وبقلبي وأعينِي (٢)

وقول : الشاعر المجهول في نشيد البنات في المدرسة الثانوية :

أصبحتُ هندُ في العلى مثلاً سارَ في الملا

فلتكنْ هندُ مشعلا ولتعشْ وهي خالدة (٣)

ج - البحور التي لاتصلح (الطويل ، والسريع ، والمديد ، والمضارع ، والمقتضب ، والمنسرح)

إن تعجيلات هذه البحور، غالبيتها سباعية متداخلة فيما بينها ، وموسيقاها تتكامل عندما تكون تامة ، ولا تعطي مجالا لأن تكون بحالة أخرى ، لذا لم نجد من الأقدمين أوالمحدثين ، في كل ما درسناه قد اقترب منها، أو وجد فيها ما لم يجد غيره . وعلتها كما يرى الباحث : أن اللسان يستقل التحول من التفعيلة الخماسية الى السباعية*

كون العادة جرت في التحول من السباعية الى الأدنى ، لأن ذلك يريح عضلة اللسان ، كما تستصعب عضلة القدم الصعود على الجبل من السفح وتستريح عند النزول منه .

وفي ضوء ماتقدم يمكننا القول ، بأن البحور العشرة الصالحة ، فيها من تامها ومجزؤها ومشطورها ومنهوكها مايغني الشعراء في التنقل بين رياضها ، والتنعيم بروافد أنغامها ، دون الخوض فيما لا يغني عن شيء ، وقد حاول أحد الشعراء في الأردن** ، أن يدخل من باب خالف تعرف ، علّه يجد نافذة أخرى من البحور ، غير المستخدمة سابقا ، وحاليا من قبل شعراء الطفولة ، لكنه وبالأأسف دخل ولم يخرج ، إلا بيت أو بيتين أرهقا جهده واستنزفا كدّه إذ قال : (وكي نكون أكثر واقعية، نقول مسبقا أن كل الأوزان الشعرية تصلح لأغنية الطفل)^(٤)، وساق بيتين من أشعاره لدعم أفكاره ، وابتدأ في مشطور الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن للصدر وللعجز قائلا:

١- المحفوظات الطفلية : ٢ / ٨ - ٩ ، نظم عليه في سنة ١٩٣٢م

٢ - أناشيد وأدبيات الفتاة : ٤٠ - ٤١ وهو أول من نظم عليه في سنة ١٩٢٦م

٣- مجموعة الاناشيد المدرسية المقررة : ١٥ في سنة ١٩٣٤م

*. كما في الطويل على سبيل المثال ولا ينطبق هذا على جميع البحور ، وهذه النتيجة جاءت من استقراء جميع حالات البحور
**. نعجب أن الباحثة انعام عباس ، نقلت في رسالتها الطفولة في الشعر العربي في ص: ١١٤ ، ١١٥ ، أقواله دون مراجعة أو تدقيق وسلمت بها ، مع لجنة المناقشة ، وكان الأمر حقيقة واضحة ، وسنثبت لاحقا بطلان الكثير منها ، فضلا عن نفي غاليبتها .
٤. دراسات في أغنية الطفل، الأوزان الشعرية التي تصلح لأغنية الطفل، محمد الظاهر من ١٩٩٣ - ١٩٩٦م، وزارة الثقافة الأردنية: ٢٣

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾

لعصفورة تأتي صباحاً الى بيتي
فتملاً لي وقتي بتغريدها الجميل

بدء العصفورة لاتغرد لغة، ولو قال بليلي لصح قوله ، ولكن الوزن يستجيب للعصفورة ولايستجيب للبلبل ، فضحى بالمعنى لغرض الوزن وهذا لايجوز، إنما العكس تماما هو المباح بشكل محدد ، ضمن حدود الزحافات والعلل والضرورات الأخرى ، لأن الغرض المهم من شعر الطفولة ، هو ايصال مضمون معين بعرض بسيط ، بعيدا عن التعمية هذا أولا وثانيا لماذا طرح بيتين من أشعاره فقط ، ولم يأت بست أبيات بعدهما ، لتكون دليلا على سلامة هذا الاستعمال ، ومرونة موسيقاه كي يرى ، بأن عينه نجوم الليل وهو لم يكملها ، وامتناعه عن دعم رأيه بقصيدة دليل عجزه ، وعدم مطاوعة الوزن له بما يريد قوله ، ولو فعل لكنا جميعا نقندي به، ونمشي خلف رايته ، وثالثا عجزالبيت الثاني (بتغريدها الجميل) التفعيلة الأولى (بتغريدها) صحيحة والثانية خاطئة (دها الجميل) فهي ليست على مفاعيلن مطلقا، بل على مفاعلتن وهذه لبحر الوافر فهل انتبه الكاتب الى ذلك قبل التصريح بغير الصحيح!؟. وبعدها قال: فاذا ما انتقلنا الى بح رالمديد الذي ... واستطعنا أن نكوّن ايقاعا جديدا، من فاعلاتن فاعلن ، نكون قد أثرينا ، الجانب الايقاعي ببعد ايقاعي جديد ، وساق لدعم قوله بيتا يتيما واحدا قال فيه :

كلنا نحمي الحمى إن دعا داعي الوطن^(١)

ولا ندري لماذا تجاهل الكاتب ، أن هذا الوزن مستعمل عند شعراء الطفولة ، في العصر الحديث ؟ وكان شاعرنا أحمد شوقي أول من استعمله ، وهو ذاته في مجزوء الرمل، الذي وزنه (فاعلاتن فاعلن) وهذا تداخل بين الاوزان

مرفوض وممتنع عنه ، من كل أبناء الأمة ، لأنه أصل في الرمل فرع في المديد ، ثم قال : ((أما بحر البسيط فانه من أغنى البحور ايقاعا اذا ما تم التعامل مع مجزؤه أو قوافيه الداخلية مثال :
في وسط قريتنا تزهو حديقتنا بالعطر والزهر))^(٢)

ونقول : إن شعر الأطفال وُجد ، عبر خصوصية تفرّد بها عن سواه ، ألا وهي مراعاة قابلية الطفل ومداراته ومساعدته على التلطف السليم ، وأنشودة تتكون من ثلاثة مقاطع لجديرة بان تقطع أنفاسه ، وتميت رغبته وإحساسه وتجعله يفر من الشعر وممن قالوه ، حفاظا على سلامة أنفاسه ، وتجاوبا مع رقة ذوقه ، الذي يميل الى البسيط الجميل وتألّق الشعراء يُقاس في كتابة المنهوك ، الذي ينهك قدراتهم ويجهدهم كثيرا ، لأجل تبسيط ما يقدم الى الطفل وإغرائه بقبوله والتلذذ به ، لا لإرهاقه فيه ، ثم لاتوجد قواف داخلية بل هي من الموسيقى الخارجية.

وقال أيضا: ((وقد برع شوقي في استخدام أوزان بحر السريع))^(٣).

وحين قلّنا ديوان شاعرنا لم نجده قد كتب قصيدة واحدة على هذا البحر ، لا في ديوان الحكايات ، ولا في ديوان الأطفال وقال ايضا: ((وفي مجال قصائد الأطفال كتب على مجزوء الرمل ، ومجزوء الكامل والمتدارك والهزج والوافر ويمكن القول : إن تجربة شوقي في هذا المجال ماتزال متقدمة على غيرها في المجال الايقاعي لشعر

١- ينظر دراسات في أغنية الطفل : ٣١

٢- المصدر نفسه : ٣١

٣- المصدر نفسه : ٣١

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الزادة والأوزان المستعملة ﴾

الاطفال))^(١). ونحن نؤيد ماجاء في هذا النص ، لكننا لانوافقه فيما قاله بعد هذا ، حيث ذكر ((اذ يصعب أن تجد شاعرا آخر استطاع أن يضيف الجديد ، الى تلك التجربة ، فقد عاد الشعراء المعاصرون الى البحور الصافية ، فكتبوا على مجزوء الرمل والمتقارب والمتدارك والرجز والكامل والهزج ، ولم تكن لهم أية مغامرة ايقاعية خارج هذا النطاق))^(٢).

ونحيب عما أثاره الكاتب ، فنفي الإضافة عن جميع المبدعين في الوطن العربي دون التثبت ، من عدم وجود من أضاف هو إجحاف وعدم إنصاف بحق المبدعين الذين أضافوا ، وعدم بذل الجهد من قبل صاحب المقال سا عد في تجاهلهم وغمط حقهم ، ولو تكلف العناء وطرق - على سبيل المثال - باب دار الكتب والوثائق العراقية - وطلب ضالته لوجد منها المزيد المزيد ، مما يبتغي ويريد ، لكنه - عافاه الله - فضّل الكتابة عن هذا الموضوع ، وهو تحت ظلال وزارة الثقافة الاردنية الشقيقة .

ولكي نثبت عدم دقة ماقاله ، سنورد ابداعات شعراء الطفولة في العراق ، وغيرهم من الوطن العربي ، ممن سبقوا الشاعر أحمد شوقي ، وممن عاصروه ، ليعرف ومعه أمة الضاد أن أبناء الرافدين ، هم هم أبناء أولئك الرجال الذين أسسوا أولى الحضارات ، والقوانين والعمران في العالم ، ولم تتوقف حُلل ابداعاتهم ، ونبل أفكارهم وشُعل براعتهم الى الآن .

فممن سبقوا الشاعر أحمد شوقي ، في استعمال وزن جديد الشاعر الأول داود الملاح الذي استعمل مشطور البسيط* ودعم قوله بقصيدة تامة المعنى ، وهذا الوزن مقترح لأول مرة ، وسار على هذا المنوال ، من جاء بعده والشاعر محمد توفيق ، الذي استعمل مشطور الرمل** ، وأما من عاصروه ، فهذا العالم محمود الملاح قد استعمل

منهوك الرجز ***، والشاعر اسماعيل حقي الذي حاول النظم على جميع البحور التي يراها صالحة لشعر الأطفال
قد استعمل منهوك الكامل ****، والشاعر الرصافي قد استعمل مخلع البسيط ***** والشاعر عبد الرحمن البناء
الذي استعمل برهافة حسه لأول مرة مجزوء الوافر ***** والشاعر المجهول الذي استعمل المتقارب *****
والشاعر محمد الهراوي الذي استعمل منهوك المتدارك ***** والشاعر حسين الأعظمي الذي استعمل

١- ينظر دراسات في أغنية الطفل : ٣١

٢- ينظر المصدر نفسه

- *- في نشيده يأمة فخرت أول مرة في سنة ١٨٨٠م
- ** - في نشيد وطني المحبوب أول مرة في سنة ١٨٩٤م
- *** - في انشودة دينية للأطفال أول مرة في سنة ١٩٠٧ م
- **** - في نشيد العرب سادات الأمم أول مرة في سنة ١٩٠٨م
- ***** - في نشيد العلم والسيف أول مرة في سنة ١٩٢٠م
- ***** - في نشيد الحماسة أول مرة في سنة ١٩٢٠ م
- ***** - في نشيد تهنئة العراق أول مرة في سنة ١٩٢٠م
- ***** - في نشيد وصف الهر أول مرة في سنة ١٩٢٢م

﴿ ٢٣٢ ﴾ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴿

مجزوء الخفيف* وكذلك قام الدكتور أحمد حقي الحلي باستعمال مشطور المتقارب* .
وهذه كلها اضافات جديدة ، قد سبقت أو عاصرت ، شاعرنا شوقي، لكن الكاتب لم يبحث عنها مطلقا فلا ذنب لها
ولا لأهلها، الذين قدموا عصارة أفكارهم فيها، وكلها لشعراء العراق إلا واحدة عربية فقط .
أما قوله البحور الصافية*** فلا معنى له ، لعدم وجود بحور عكرة ، حتى تقابلها أخرى صافية، وغالبية البحور
متداخلة فيما بينها في التفعيلات ، وهذا لا يعني أن تداخلها يعكر صفوها بل يزيدها روعة وجاذبية ، وإن جاءت
على نسق تفعيلة واحدة تتكرر في مرات محددة، فهذا لا يعني صفوها مطلقا، بل إن موسيقاها ضربت قديما في آذان
أجدادنا فكتبوا أشعارهم عليها، وجاء الامام الخليل بن أحمد الفراهيدي، فأثبت أنغامها كما وجدها ماثلة في المنظوم
لذا فإن ما قدمه هؤلاء الرواد هو أشد صعوبة عليهم، وعلى جميع الشعراء الذين جاؤوا من بعدهم ، من التي خاض
فيها شاعرنا أحمد شوقي، وهي ليست - كما وصفها- مغامرات ايقاعية متقدمة في هذا النطاق، بل شذرات ابداعية
متقدمة ومتناغمة ، قدّمها شعراء الطفولة في العراق في هذا السياق ، وكانت ضمن السقف الزمني لرسالتنا من
سنة ١٨٨٠م حتى ١٩٤٠م ، ولولا هذا القيد الذي لايسمح لنا بتجاوزه مطلقا ، لقدّمنا لعالمنا العربي ابداعات الجيل
الذي جاء بعدهم في العراق ، ونُظهر للملأ كيف توسّعوا في استعمال البحور التي أشرنا لها بالصلاح وقدّموا أشعارا
وافرة ومبتكرة، في هذا الخصوص.

إن عناية شعراء الطفولة في العراق ، بموسيقى الشعر بلغت درجات متقدمة في الوطن العربي ، ولم يسبقهم
فيما استعمل من الجديد سابق، لأنهم أدركوا بفطنتهم أن الوزن للشعر كالمح إلى الزاد ، وبدونه يصبح ماسخالا
لذة فيه ، واهتموا كذلك في الصور الشعرية ، لأن الوزن والصورة الشعرية ، يتناوبان على إيقاظ شعور المتلقي
بالنشوة فالإلهام وحده لاينتج شعرا ، وشعرا مميّزا للأطفال ما لم تتضافر معه عوامل عدة ، وجب على الشاعر

بذل الجهد في اقتنائها ، لأن الإلهام ومضة حائرة متى هبطت من المحل الأرفع على المرء تلقاها، ووجهها بما يملك من علم ودراية ودربة ، نحو الوزن الذي يراه مناسباً ، ليغني الفكرة الأولى للإلهام في بيتها الأول ، ثم تترى الأبيات عجل على بعد هذا لإتمام الفكرة وإغنائها ، لأن الأوزان قوارب تختارها الكلمات لتبحر بها الى عوالم اللذة الروحية والمتعة النفسية عبر فضاءات الخيال الجامح.

((وهناك فكرة قديمة ترجع الى واضع علم العروض العربي نفسه (الخليل بن أحمد) شاعت واستفاضت ، وهذه الفكرة تذهب الى تحديد طابع نفسي لكل وزن ، أو مجموعة من الاوزان الشعرية فبعض الاوزان يتفق وحالة الحزن وبعضها يتفق وحالة البهجة، وما الى ذلك من أحوال النفس))^(١) .

ولكن هذا الحكم لا يحمل صفة العموم ، ولا يتحكم في الاوزان الشعرية مطلقاً ، وإنما صدر لكون بعض الشعراء

*- في نشيد الطفلة وكلبها الصغير أول مرة في سنة ١٩٢٦م

*- في نشيد غزالي أول مرة في سنة ١٩٣١م

***- ورب معترض كريم يقول : ربما عنى الكاتب بالصافية الخالية من الزخافات ، ونقول : الزخافات ضرورات لمقتضى سلامة البيت في الوزن ، وهي تكسب البيت خفة في اللفظ وترنما في الموسيقى ، وعليه فهي ليس لها تعكير أو صفاء في البيت ، وماعناه أن تكون من جنس واحد.

١- التفسير النفسي للدب ، د عز الدين اسماعيل ، دارالعودة ، بيروت ، ١٩٦٢م : ٥٩

﴿ الفصل الثالث / المبحث الثالث : موسيقى الرادة والأوزان المستعملة ﴾

القدماء بثوا أحزانهم ، في أوزان اختلفت عن سواها من حيث الاتمام أو القصر ، لهذا اعتقد الامام الفراهيدي - رحمه الله . أن قصر الاوزان جاء موافقاً لحالة حزن الشاعر ، وأن حالة اتمام البحور ، جاء موافقاً للشعور بالغبطة والفرح. ويرى الباحث أن مبعث ذلك أمور أخرى ، لعبت وتلعب في قصر الاوزان الشعرية أو اتمامها ، ألا وهي (الفيض الفكري) و(هاجس الإلهام) و(لحظة الشروع) لأن الوزن القصير الذي ، قيل عن مناسبه للحزن تراه بذاته ، يفيض

بهجة وسرورا عند شاعر آخر ، وكم من قصائد على تام البحور ، أبكت الأولين وأغرقت ببحر لوعتها المتأخرين . أما أن يحاول الشاعر ، ويترصّد للبحث عن وزن وقافية ، أو شكل يصب فيه أفكاره ، ليخرج بقصيدة ما ، فليس من الشعر في شيء لأنه ((ذائع مستفيض أن الشاعر ، حين يريد أن يقول شعراً ، لا يحدد لنفسه بحراً بعينه ، وإنما هو يتحرك مع أفاعيل نفسه ، فيخرج الشعر في الوزن الذي يصدف له من الأوزان))^(١) ، لا ليس يصدف له ، بل هو يختاره ، لكونه يناسب الكلمات والقوافي التي يريد قولها ، فلو صادف أن العروض ، جاءت في بيته الأول وطني فهو مخير في بحرين ، أما البسيط أو المتدارك ، لأن الفاصلة الصغرى السالمة ، من أي زحاف أو علة حصرت بهما وهكذا بقية البحور الشعرية .

وفي مقالة ألحقت في كتاب فن الشعر لأرسطو ، يقول المعلم الثاني الفارابي (٣٣٩هـ) ((إن جل الشعراء في الأمم الماضية والحاضرة ، الذين بلغنا أخبارهم ، خالطوا أوزان أشعارهم بأحوالها ، ولم يرتبوا لكل نوع من أنواع المعاني الشعرية وزناً معلوماً إلا اليونانيون فقط ، فإنهم جعلوا لكل نوع من أنواع الشعر نوعاً من أنواع الوزن ، مثل أوزان المدائح غير أوزان الأهاجي وأوزان الأهاجي غير أوزان المضحكات ، وكذلك سائرها))^(٢)

وخلاصة المبحث : أن ريادة موسيقى أناشيد الطفولة في العراق متحققة فعليا في هذا المبحث ، وحسب ما ذكرناه في الصفحات السالفة ، ولم نغفل حق أي شاعر في الوطن العربي بل ذكرناه بكل أمانة وعلمية وحيادية، لم يملكها كثير من الباحثين الذين غمطوا كثيرا من حقوق المبدعين وتحدثوا عن المشهورين منهم، إذ كان لهم السبق الحقيقي فمن سبقوا الشاعر أحمد شوقي، في استعمال وزن جديد الشاعر الأول داود الملاح الذي استعمل مشطور البسيط ودعم قوله بقصيدة تامة المعنى، وهذا الوزن مقترح لأول مرة ، والشاعر محمد توفيق ، الذي استعمل مشطور الرمل وأما من عاصروه ، فهذا العالم محمود الملاح الذي استعمل منهوك الرجز، والشاعر اسماعيل حقي الذي استعمل منهوك الكامل ، والشاعر الرصافي الذي استعمل مخلع البسيط والشاعر عبد الرحمن البناء ، الذي استعمل برهافة حسه لأول مرة مجزوء الوافر، والشاعر المجهول الذي استعمل المتقارب، والشاعر حسين الأعظمي الذي استعمل مجزوء الخفيف ، وكذلك قام الدكتور أحمد حقي الحلي باستعمال مشطور المتقارب .

ولم نصل الى هذه النتيجة الدقيقة إلا بعد جمع كافة أشعار شعراء الطفولة في العراق والوطن العربي بأسره .

١- الاسس الجمالية في النقد العربي د عز الدين اسماعيل ، مطبعة الاعتماد مصر، ١٩٥٥م : ٣٧٦

٢. قوانين صناعة الشعراء ، أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان ، فن الشعر لأرسطو، ترجمة وتحقيق ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م : ١٥٢

﴿ ٢٣٤ ﴾ الخاتمة

الخاتمة

بعد أن اطلعنا على جهود شعراء الطفولة في العراق من سنة ١٨٨٠م حتى ١٩٤٠م تبين لنا ما يأتي:

١- إنَّ أهل العراق من علماء وشعراء وأدباء ومربين ، هم أهل سبق وحضارة ، لكل بادرة ومنازة ، في ميادين الشعر والأدب والعلم واللغة والفن عموما ، وما دفعنا لمثل هذا القول طوارق الانحياز، بل أخذت بلبنا حقائق الإنجاز فملنا حيث شخص ذلك جليا ، إذ تبين لنا أن لهم الريادة في أناشيد الطفولة في كل الوطن العربي بلا منازع، ولأكثر من ثماني عشرة سنة في السابق.

٢- تضافرت جهود علماء دين ولغة ، وشعراء كبار وقضاة ومربين، في إيجاد شعر يناسب الأطفال ويرعى ذائقتهم من دون أن يرهقهم في قراءته أو يشق عليهم فهمه ، وكان ذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي.

٣- شق هؤلاء النخبة من الفضلاء طريقهم ، في إيجاد أوزان شعرية قصيرة جدا ، ومبتكرة وغير مستعملة ، ولم يسبقهم لمثل هذا العمل سابق بحيث صارت ريادتهم الشعرية ، وكذلك الموسيقية قدوة للأجيال اللاحقة ، وقطب الرchy الذي تدور حوله الأناشيد ، وفي صفحات الريادة الموسيقية ما يغني القول عن الأوزان المستعملة أول مرة من يد براعتهم وذائقتهم الندية .

٤- كانت الطبقة الأولى من الرعيل الأول ، أقل تنوعا في الموضوعات ، إذ شددت على الجانب الوطني والديني والأخلاقي، وجاءت الطبقة الثانية فأكملت ماسهت عنه الطبقة الأولى، ثم جاء الرعيل الثاني والثالث ، فكانوا أكثر انفتاحا على كافة الموضوعات والمضامين الهادفة والأغراض النبيلة السامية .

٥- تبين لنا أن أكثر من اثنين وعشرين مؤلفا ، ما بين ديوان منفرد أو مجاميع مشتركة ، حوت جميعها أكثر من خمس مائة وخمسين نشيدا ، ولم يؤلف ربع هذا الجهد في كل الوطن العربي ، حتى بعد أن انتشر خبر هذا الوليد الجديد (شعر الطفولة) على صفحات الجرائد والمجلات في كل الوطن العربي.

٦- اشترك عدد من العلماء في اللغة مثل الدكتور مصطفى جواد ، والعالم في التأريخ الاسلامي مثل محمود الملاح وفي الدين مثل الشيخ قاسم الشاعر، مع كبار الشعراء مثل الرصافي والشاعر الزهاوي ، مع الدكتور أحمد حقي الحلي ، والدكتور خالد الخطيب ، في إيجاد مثل هذا الشعر المستحدث ، ورعايته ورفده ، لدليل على بطلان قول العاجزين : من أن شعر الاطفال لا يتجه له إلا من كان عاجزا عن مخاطبة الكبار، وأثبت هؤلاء وغيرهم جميعا العكس تماما من أن مخاطبة الصغار، والنزول الى ساحة فهمهم، وواحة ذوقهم أشد صعوبة من مخاطبة الكبار أضعافا مضاعفة ، لذا وجدنا من ضمن مؤلفات هؤلاء النخبة الخيرة ، قصائد لم يقو شاعرها على ليّ عنقها لتكون مطوعة للصغار، فأخرجت من دفة الصالحات للصغار، الى واحة الكبار وذلك لصعوبة التطويع للمتمكن الضليع.

٧ - الإتكاء على بعض المضامين الموضوعية ، كما في المضمون الحماسي بوصفه حبا للوطن ، والإعتزاز بالذات والحالة السياسية لما مر به العراق، من ظروف جعلت أغلب الشعراء ينشدون في القضايا التنويرية السياسية لاستشعار الناس ، وحثهم على مقاومة الاستعمار، وإن كان الطفل هو الوسيلة القصدية لذلك ، وعرجوا على المضمون الوجداني فبثوا فيها أطف مشاعرهم المرفهة ، ونقلوها بأصدق التعابير رقة ودلالة ، وكانت المضمون الترفيهي بمثابة فسحة لراحة البال وتهنئة الأحوال من آلام الحياة المريرة ، فمسوها- وهم يزرحون تحت أعباء القهر والاحتلال - مسًا خفيفا وبسطوا خفتها للنشء الجديد ، لأن الأناشيد للتعليم وللترويح معا .

أما المضامين التعليمية والاجتماعية والنفسية فوظفوا أشعارهم لخدمة النشء ، في هذه الجوانب المهمة من حياتهم لذا كانت أفكارهم سابقة لدهرهم الذي عاشوا فيه ، حيث كان الاحتلال العثماني والانكليزي جاثما كالصخرة الجلود فوق صدورهم ومن تلك الصدور الصابرة ، خرجت تلك الأشعار الثائرة والأبيات النادرة ، لتشكل بمجموعها شلالا دافقا روى جيلهم وزاد عليهم ، ليروينا والأجيال القادمة بعذبه النмир وحسنه النضير .

٨- في اللغة الشعرية شددوا في أشعارهم على ألفاظ الحرب التي حازت على المرتبة الأولى ، وحاز السيف على المرتبة الأولى في سبع عشرة مرة ، والعدى تسع مرات والوعى ست مرات، وعلى الرغم من أن مثل هذه الألفاظ غير

محبذة في أدبهم ، لكن الحظ رسم خط الشروع في النشأة ، مع خط الحرب والثورة على المحتل، فجَزَتْ أقلام الشعراء بما يشير الحمية ويدفع للقتال .

أما ألفاظ المجد والعلی فقد كرر المجد إحدى عشرة مرة ، والعلی ثماني مرات ، والمعالي ست مرات ، وألفاظ الشريعة الإسلامية كرر منها لفظ الجلالة عشرمرات ، والبقية ذكرت مرة واحدة .

واستعملت ثلة مرهفة الحس من هؤلاء الشعراء ، ألفاظ الطبيعة بشقيها الصامته والمتحركة وهم (محمد الهاشمي والرصافي والدكتور مصطفى جواد وحسين الأعظمي ، والدكتور أحمد حقي) وأكثرهم إبداعا هو الدكتور أحمد حقي الذي كتب معظم قصائده فيها .

٩- كانت الصور الشعرية لهؤلاء الرواد ، منتقاة بروحية وعلمية ، بحيث تكون في متناول ذائقة الطفل ومهوى ما يحب وتبين لنا أنهم على دراية كبيرة بعلمي البلاغة والبدیع ، ويمتلكون ثراء في المفردات بنسب متفاوتة أهلّتهم لانتقاء المناسب للمتلقى المخاطب لذا شددوا جل أشعارهم على الإستعارة والتشبيه ، لإنهما يقدمان صورا من المتعة الروحية والفن الرفيع .

١٠- في الموسيقى الخارجية ، حظي وزن مجزوء الرمل المرتبة الأولى بنسبة ٩٦،٣٤٪، وتلاه مجزوء الرجز بالمرتبة الثانية بنسبة ٤٨،٢٤٪ ، وحاز مجزوء الكامل المرتبة الثالثة بنسبة ٦٩،١٤٪، وجاءت بقية البحور بنسب مختلفة.

﴿ الخاتمة ﴾

وكان للقوافي حضور فاعل في تنوع موسيقاها ، لذا حظيت قافية النون بالمرتبة الأولى بنسبة ٦٦،٦٦ % ثم جاءت بعدها الدال بنسبة ٣٣،٥ % بالمرتبة الثانية ، وحازت الباء والراء بنسبة ٦٦،٤ %، على المرتبة الثالثة ثم بقية الحروف بنسب مختلفة.

١١- أما الموسيقى الداخلية فقد حاز الجنس على المرتبة الأولى ثم التكرار ثانيا .

١٢- تبين لنا أن نظرة الشاعر القديم مختلفة عن الشاعر الحديث ، تبعا لطبيعة البيئة والثقافة لكل عصر، إذ كان الشاعر القديم يعد طفله ويشجعه ، على القتال والمبارزة وركوب الخيل والتباهي بحمل السيف وعدة الحرب الأخرى والسعي للمفاخرة .

وحين كتب شعرا لطفله كتبه عنه وليس له أي ما يريده هو من ابنه لا ما يريده ابنه منه، بينما نظر الشاعر الحديث للطفل على أنه كيان مستقل بذاته له قابلياته ورغباته، ويتحكم بحب ما هو قريب منه من الأدب وينفر مما لا يستسيغه وله مراحل عمرية متدرجة تتفجر طاقاته تبعا لبلوغها ، ويتمشى نموها العقلي مع نموها البدني ، لذا كتب له أشعارا تتناسب مع كل مرحلة ، كي تكون في متناول ادراكه ، ويقوى على قراءتها وحفظها وفهمها.

١٣- وبناء على ما تقدم ، واعتمادا على ما أثبتته الدكتور عمر أحمد الطالب عن مسرح الطفل ، وما أثبتته مسار البحث عن أناشيد الطفولة ، فإن الربع الأخير، من القرن التاسع عشر الميلادي وتحديدا سنة (١٨٨٠م) هو الميلاد الحقيقي لأدب الأطفال في العراق والوطن العربي في العصر الحديث على يد شعراء الطفولة في العراق.

﴿ ٢٣٧ ﴾ مسرد بأسماء شعراء الطفولة في العراق

مسرد بأسماء شعراء أناشيد الطفولة في العراق من ١٨٨٠م حتى ١٩٤٠م وقد رتبت حسب الأقدمية في النشر

- | | | |
|----------------------------------|--------------------------------|------------------------|
| ١- داود عبد الله الملاح آل زيادة | ١٥- الشيخ عبد المحسن الكاظمي | ٢٩- علي جميل آل الخطيب |
| ٢- محمد توفيق آل حسين أفغان | ١٦- العلامة الدكتور مصطفى جواد | ٣٠- ناجي القشطيني |
| ٣- العالم محمود عبد الله الملاح | ١٧- العلامة محمد رضا الشبيبي | ٣١- صالح البديري |
| ٤- اسماعيل حقي فرج | ١٨- عبد المجيد شوقي | |
| ٥- محمد سعيد الجليلي | ١٩- رشيد الهاشمي | |
| ٦- محمد الهاشمي | ٢٠- حسين الظريفي الأعظمي | |
| ٧- الشيخ قاسم الشعار | ٢١- الصحافي المضطهد | |

٨. عبد الرحمن البناء
٩. معروف عبد الغني الرصافي
١٠. سعيد صالح جريو
١١. طه الراوي
١٢. محمد مهدي البصير
١٣. حبيب العبيدي الموصلي
١٤. محمد باقر الحلي
٢٢. جميل صدقي الزهاوي
٢٣. الدكتور أحمد حقي الحلي
٢٤. الأنسة سلوم
٢٥. محمد صادق الملائكة
٢٦. الدكتور خالد الخطيب
٢٧. عبد الستار القره غولي
٢٨. نجيب الرئيس

المصادر والمراجع

﴿٢٣٩﴾

﴿المصادر والمراجع﴾

*. القرآن الكريم

﴿أ﴾

- آثار ابن المقفع ، مطبعة بيروت ، د ت

- آداب العرب ، ابراهيم بك العرب ، المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ١٩١٣م

- الأذان والمؤذنون ، بحث فقهي تاريخي اجتماعي ، لبيب السعيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م

- أبو بكر الصولي ، احمد العمري ، هيئة الكتاب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م

- أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي : د محمد زغلول ، دارالمعارف ، مصر، ط ٢ ، ١٩٦١ م

- أحادية الآخر اللغوية، جاك دريدا ، ترجمة وتقديم ، د عمر مهيل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٨م

- أدب الاطفال، د هادي نعمان وآخرون، وزارة التربية ، معاهد اعداد المعلمين والمعلمات ، العراق ط ١٩٩٢، ٣

- أدب الأطفال بين احمد شوقي وعثمان جلال ، د احمد زلط ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٩٩٤م

- أدب الاطفال في العراق ، د عمر أحمد الطالب ، دار ثقافة الاطفال، العراق ، ط ١ ، ١٩٨٩م

- أدب الاطفال ، المفاهيم والاشكال والتطبيق ، ا. د كمال الدين حسين، دار العالم العربي ، مصر، ط ١، ٢٠٠٩م

- أدب الحرب ، حنا مينا ، ونجاح العطار ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦م

- الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه ، معروف عبد الغني الرصافي ، بغداد ، ١٩٥٦م

- أدب الطفولة ، اصوله ، مفاهيمه ، رواه ، د أحمد زلط ، الشركة العربية للنشر، القاهرة ، ط ١، ١٩٩٠م

- الادب العصري ، رفائيل بطي ، قسم المنظوم ، ج٢، المكتبة العربية ، بغداد ، ط ١، ١٩٢٣م

- الادب المقارن ، د محمد غنيمي هلال ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١م

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ابن عبد البر القرطبي ، مطبعة مصطفى محمد بمصر، ط٢، ١٩٣٩م

- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق ريتز، استانبول ، ١٩٥٤م

- الاسس الجمالية في النقد العربي ، د عز الدين اسماعيل ، مطبعة الاعتماد مصر، ١٩٥٥ م

- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د مجيد عبد الحميد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ،

ط١، ١٩٨٤م

- الأسس والمعايير التي يقوم عليها كتاب الاطفال، في مختلف فئاته العمرية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ،

تونس ، ١٩٩٤ م

- الإصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين العسقلاني (ابن حجر) مطبعة مصطفى محمد بمصر، ١٩٣٩م

﴿ ٢٤٠ ﴾ المصادر والمراجع

- اصول الفكر التربوي في الاسلام ، د عباس محجوب ، دار بن كثير، دمشق ، بيروت ، ط ١، ١٩٨٧م

- أطفالنا في عيون الشعراء ، احمد سويلم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٨٧ م

- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، عمر رضا كحالة ، الطبعة الهاشمية دمشق ، ١٩٥٩م

- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١،

١٩٨٦م

- أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، احمد أبو سعدة ، دار العلم للملايين

بيروت ، ط١، ١٩٧٤ م .

- الإقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي ، دار النمير، دمشق سوريا ، د ت

- الالتزام في الشعر العربي ، احمد ابو حاقه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م

- ألف ليلة وليلة ، د سهير القلماوي ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦م

- أليوت (سلسلة نوابغ الفكر الغربي) دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٦م

- أنباء نجباء الأبناء ، ابن ظفر الصقلي ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الأوقاف الجديدة ، ط ١ ، ١٩٨٠م

- الأنبا والهو، سيجموند فرويد ، ترجمة د محمد عثمان نجاتي، مطبعة دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٢م

- أناشيد الرعاة لفرجيل ، ترجمة أمين سلامة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠م

- أناشيد العربية لتلامذة المدارس العراقية ج ١ ، ج ٢ ، طبعت على نفقة جامعها عبد الكريم خضر الكتبي ، مكتبة الشرق ، سوق السراي ، بغداد ، مطبعة دنكور (الفلاح) سنة ١٣٤٠ هـ .

- أناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية الجزء الاول والثاني : محمود حلمي ، مطبعة دارالسلام بغداد ، ١٩٢٣م

- أناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية ، الأجزاء الخمسة ، طبعت على نفقة محمود حلمي ، المطبعة العصرية بغداد ، ط ٤ ، ١٩٣٦م .

- أناشيد المدرسية ، ج ١ ، ج ٢ مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٢٧م

- أناشيد المدرسية والألعاب ، عنيت بنشرها مكتبة التجدد ، بغداد ، ١٩٢٩م

- أناشيد الموصلية للمدارس العربية ، محمد سعيد الجليلي ، مطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل ، بجزأيه ، ط ٢ ،

١٩١٣م / ١٩٥٣م

- أنساب الأشراف ، احمد بن يحيى البلاذري ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٣٨م

- أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدرالدين بن معصوم المدني (١١٢٠ هـ) تحقيق: شاكراهادي شكر ، النجف د ت

﴿ ٢٤١ ﴾ _____ ﴿ المصادر والمراجع ﴾

﴿ ب ﴾

- البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات ، والمناهج ، والاعراض) ا د هادي نهر ، دار الأمل ، الاردن ، ٢٠٠٥ م

- بدر شاکر السياب ، الأعمال الشعرية الكاملة الجزء الأول والثاني ، دار الحياة ، القاهرة ، ٢٠١١م

- البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٩م

- بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر

الإسلام ، أبو الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور ، اعتنى به وفهرسه بركات يوسف هبود ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط ٢٠٠٠م

- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ، د محمود السمرة ، مطبعة مخيم ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٢م

- البلاغة والتطبيق ، د أحمد مطلوب ، د كامل حسن البصير ، مطابع بيروت الحديثة ، ٢٠١١م

- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٤٨م

﴿ ت ﴾

- تاريخ الأدب اليوناني ، محمد صقر خفاجة ، القاهرة ، ١٩٥٦م
- تاريخ الخميس ، حسين ديار البكري ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت د.ت
- تاريخ النقد الأدبي - من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، طه أحمد ابراهيم ، دارالحكمة ، بيروت ، دت
- التجديد في الموسيقى في الشعر العربي ، درجاء عيد، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر، دت
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر ، ابن أبي اصبع المصري (٦٥٤هـ) تحقيق حقي محمد شرف ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٨هـ
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق، دعلي عباس علوان، منشورات وزارة الأعلام ، الجمهورية العراقية، ١٩٧٥م
- التفسير النفسي للادب ، د عز الدين اسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٦٢ م
- توائم التربية والتعليم معروف الرصافي ، دراسة يوسف يعقوب مسكوني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٧م
- تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ، بيروت ، دار المكشوف ، ط١ ، ١٩٧١ م

﴿ث﴾

- ثقافة الاطفال د هادي نعمان ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٩٧٨م
- ثقافة الطفل العربي ، جمال ابو رية ، دارالمعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ م

﴿ج﴾

- جدلية الأنا واللاوعي: كارل غوستاف يونغ : ترجمة : نبيل محسن، مطبعة دارالحوار، سوريا، ط١٩٩٧، ١م
- جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٦٠م

﴿ح﴾

- حاشية محمد الدمنهوري ، الارشاد الشافي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، ط٢، ١٩٥٧م
- الحدس والابداع ، د عبد اللطيف محمد خليفة ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٠م
- حديث الاربعاء ، د طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، ط٢، دت
- الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨م حتى عام ١٩٥٧م ، د صالح أبو أصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم احمد الاصبهاني، مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ، مصر، ١٩٣٥م

- حماسة البحتري (ابوعبادة الوليد بن عبيد ٢٨٤هـ ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ط١ ، ١٩٢٩م
- الحماسة في شعر الشريف الرضي، محمد جميل شلش ، المكتبة العالمية ، دار الرشيد للنشر بغداد، ط١، ١٩٧٤م

﴿خ﴾

- الخصائص ، ابن جني ، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ، ط٢ ، دت
- الخطط التوفيقية ، علي باشا مبارك ، بولاق ، ط١ ، ١٨٧٨م

﴿د﴾

- الدافعية والانفعال : ادوارد ج ، موارى ، ترجمة د احمد عبد العزيز ، د محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م
- الدراري في نكر الذراري ، لابن العديم الحلبي ، حققه علاء عبد الوهاب محمد ، دارالهداية ، ط١ ، ١٩٨٤م
- دراسات في أغنية الطفل ، الأوزان الشعرية التي تصلح لأغنية الطفل ، محمد الظاهر ، وزارة الثقافة الأردنية من ١٩٩٣ - ١٩٩٦م.
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق رشيد رضا ، شركة الطباعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١ م
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، صحح أصله محمد عبده ، تصحيح وتعليق : محمد رشيد رضا ، دار المنار ، مصر ، ١٩١٣م

﴿٢٤٣﴾ _____ ﴿الصادر والمراجع﴾

- ديوان اناشيد وادبيات الفتاة ، حسين علي زهير الظريفي، المطبعة العصرية، بغداد ، محمود حلمي، ط١، ١٩٢٦م
- ديوان التمنيات ج١، صالح البديري ، مطبعة الزعيم ، بغداد ، ط١ ، ١٩٥٩م
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق د نعمان محمد ، دارالمعارف ، القاهرة المجلد الاول ، دت
- ديوان الرافعي ، الجزء الأول ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٠٣م
- ديوان رؤية (مجموع أشعار العرب) اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م.
- ديوان الرصافي ، شرح وتعليق مصطفى علي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية ، بغداد ، ج٢ ، ١٩٧٤م
- ديوان الزهاوي ، المطبعة العربية ، مصر ، القاهرة ، ١٩٢٤ م
- ديوان سمير الاطفال للبنين ، الجزء الأول ، محمد الهراوي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٢م
- ديوان سمير الاطفال للبنين ، الجزء الثاني ، محمد الهراوي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٣م

- ديوان الشريف الرضي ، تح : عبد الفتاح محمد الحلو ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٦م
- ديوان الشريف الرضي (محمد بن الحسين الموسوي ت ٤٠٦هـ) دار صادر ، بيروت ، ١٩٦١م
- ديوان الشوقيات ، الجزء الثالث ، دار العودة ، بيروت ، ٢٠٠٠م
- ديوان عبرات الغريب ، محمد الهاشمي ، دمشق ، ١٩١٩م
- ديوان عنصرة بن شداد ، طبع على نفقة خليل خوري ، مطبعة الاداب ، بيروت ، ط٤ ، ١٨٩٣ م
- ديوان محمد الهاشمي البغدادي ، جمع واعداد: د. عبد الله الجبوري ، العراق ، دار الشؤون الثقافية ١٩٧٧م
- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ، تحقيق عبد الله كنون ، معهد مولاي حسن ، تطوان ، ١٩٥٨م
- ديوان النصح المبين في محفوظات البنين ، علي فكري ، مطبعة مجلة الشباب ، ١٩١٦م

﴿ذ﴾

- ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى ، احمد المحب الطبري ، مصر ، ١٩٦٥م
- الذريعة في أحكام الشريعة ، الباب الخامس والعشرون ، دت

﴿ر﴾

- الرؤية والعبارة (مدخل الى فهم الشعر) عبد العزيز موافي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٨م

﴿٢٤٤﴾ المصادر والمراجع

- الروض المريع في صناعة البديع ، ابن البكاء المراكشي ، حققه : رضوان ينشقرن ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥م

﴿س﴾

- سبيل الايمان ، محمد تقى المدرسي ، دار محبي الحسين (عليه السلام) ، ط ١ ، ٢٠٠٤م
- السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د نعمان محمد أمين ، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر ، ط١ ، ١٩٧٨م
- السخرية ، لغتها ، أشكالها ، ودوافعها ، أ . د أبو القاسم رادفر ، الشبكة الدولية للانترنت
- سيرة ابن هشام ، تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد ، تقويم محمد حسين هيكل ، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٣٧م
- سيكولوجيا الابداع في الحياة ، د عبد العلي الجسماني ، مطبعة الدار العربية للعلوم ، بيروت ط١ ، ١٩٩٥م
- سيكولوجيا الدافعية والانفعالات ، د محمد محمود بني يونس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٩م

﴿ش﴾

- شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، نشره احمد أمين وعبد السلام هارون ، بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٣ م .
- شرح ديوان الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣١ هـ ، شرح التبريزي ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت ٥٠٢هـ) ، ١٩٦٧م
- شرح ديوان الحماسة (المرزوقي ابو علي أحمد بن محمد بن حسين ، ت ٤٢١هـ) لجنة التأليف القاهرة ، ط ١ ، د ت
- شرح صحيح البخاري ، للحافظ شهاب الدين ابي الفضل العسقلاني ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ
- شعر الحرب في أدب العرب ، د زكي المحاسني ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١م
- شعر الفتوح الاسلامية ، النعمان القاضي ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥م
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة : محمد ابراهيم الشوش ، منشورات مكتبة منيمنة ، بيروت ، ١٩٦١م
- الشعر والشعراء في العراق، دراسات ومختارات ١٩٠٠. ١٩٥٨ م . أحمد ابو سعد ، دارالمعارف ، بيروت ، د ت
- الشعر وطوايعه الشعبية ، د شوقي ضيف ، القاهرة ، د ت

﴿ص﴾

- صحافة الأطفال في العراق ، نشأتها وتطورها، هادي نعمان الهيتي ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٧م

﴿٢٤٥﴾

﴿المصادر والمراجع﴾

- صحيح البخاري بشرح الكرمانى ، الكرمانى (محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين، ت ٧٨٦ هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨١
- الصورة الأدبية ، د مصطفى ناصف ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٨م
- الصورة الشعرية ، سي ، دي لويس ، ترجمة د أحمد نصيف وآخرون ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م
- الصورة الشعرية عند ابي القاسم الشابي ، مدحت الجيار ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور ، دار التنوير ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨٣م

﴿ط﴾

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، تقديم د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٥م
- الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، المقتطف ، مصر ، ج ١ ، ١٩١٤م
- الطفل العربي وثقافة المجتمع ، ذكاء الحر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٤م
- الطفولة في الشعر العربي الحديث ، د ابراهيم محمد صبيح ، دار الثقافة ، قطر ، ط ١ ، ١٩٨٥م

﴿ظ﴾

- ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي ، أحمد خليل ، دار طلاس ، سوريا ، ط ١ ، ١٩٨٩م

﴿ع﴾

- العروض الواضح ، د ممدوح حقي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ١٤ ، ١٩٧٠م

- العقل الشعري ، خزعل الماجدي ، الكتاب الأول ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٤م

- العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط ٣ ، د ت

- العنوان في الثقافة العربية (التشكيل ومسالك التأويل) محمد البازي ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دارالأمان ، الجزائر ، ٢٠١٢م

- العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ ، محمد عثمان جلال ، تحقيق عامر محمد بحيري ، القاهرة ١٩٦٣م ، هيئة الكتاب ١٩٧٨م

﴿ف﴾

- فن التقطيع الشعري والقافية ، د صفاء خلوصي نشر مكتبة المثني ، بغداد ، ط ٥ ، ١٩٧٧م

- فنون التصوير البياني ، د توفيق الفيل ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٧م

- في ادب الاطفال ، د علي الحديدي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مقدمة ، ط ٢ ، ١٩٧٦م

﴿الصادر والمراجع﴾ (٢٤٦)

- في ادب الاطفال ، د علي الحديدي ، مكتبة انجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٩٢م

- في الرؤيا الشعرية المعاصرة ، أحمد نصيف الجناي ، وزارة الإعلام العراقية ، د ت

- في الشعر ، أرسطو طاليس ، ترجمة متي بن يونس ، تحقيق شكري عياد ، دارالكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م

- في الشعر الأوربي المعاصر ، د بدوي محمد مصطفى ، الدار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٠م

﴿ق﴾

- قصائد الاطفال في سورية ، محمد قرانيا ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، ١٩٩٦م

- القصة الشعرية في ادب الاطفال ، د طاهرة داخل ، دارالشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠١٣م

- قضايا النقد الأدبي ، ا د بدوي طبانة ، دارالمريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٨٤م

- قواعد النقد الأدبي: أسل أبركرمي، ترجمة: محمد عوض محمد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٢م

﴿ك﴾

- الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس المعروف بالمبرد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د ت

- كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د مهدي المخزومي ، د ابراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، الجزء الثامن ، ١٩٨٥م
- كليلة ودمنة ، عبد الله بن المقفع ، تحقيق د عبد الوهاب عزام ، د ت
- كليلة ودمنة وانوار السهيلي ، دراسة مقارنة ، د رمضان عزيز نجاد ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٧ م
- كنوز سليمان ، رايد هاجرد ، ترجمة : أمين خيرت الغندور ، مطبعة جورجى غرزوزي بالاسكندرية ، ١٩١٤م
- كيف أفهم النقد ، د جبرائيل سليمان جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣م

﴿ل﴾

- اللغة ، فندريس ، ترجمة الدواخلي والقصاص ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٠م
- لغة الشعر الحديث في العراق ، د عدنان العوادي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٥م
- لغة الموسيقى (دراسة في علم النفس اللغوي) د امال احمد مختار ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٨م
- لسان العرب : للامام ابي الفضل جمال الدين محمد بن منظور ، دار صادر لبنان ، د ت
- لطائف الاقوال في القصص والامثال ، بوناونتورا جيرورو ، مطبعة الالباء المرسلين اليسوعيين ببيروت ، ١٨٨٣م
- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، د .علي الوردي ، بغداد ، ١٩٧٢م

﴿م﴾

- مابعد الحداثة دراسة في المشروع الثقافي الغربي ، باسم خريسان ، دارالفكر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٦م
- مبادئ علم النفس العام ، يوسف مراد ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ١٩٥٤م
- مبادئ علم النفس الفرويدي : س كالفن هول ، ترجمة دحام الكيال ، مكتبة دار المتنبي ، بغداد ١٩٨٨م
- مبادئ النقد الأدبي ، ترجمة مصطفى بدوي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٣م
- المتخيل السردى ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت
- الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٠م
- مجموعة الاناشيد المدرسية ، معروف الرصافي ، جامعها وناشرها خليل طوطح ، القدس ، ١٩٢١م
- مجموعة الأناشيد المدرسية المقررة ، مطبعة الحكومة ، وزارة المعارف ، بغداد ، ١٩٣٤م
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، الراغب الاصفهاني ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٦١م
- المحبر ، لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، برواية أبي سعيد السكري ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، د. ت

- المحفوظات الطفلية ، ج١، ج٢، الدكتور أحمد حقي الحلبي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٤م
- مختارات من ديوان الشاعر عبد الستار القره غولي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٥م
- مختصر تفسير الميزان للطباطبائي ، اعداد كمال مصطفى ، الناشر طليعة النور ، قم ، ايران ، ط ١٢٣٠، ٤هـ
- المدخل الى علم اللغة ، د رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥ م
- مدخل الى مناهج النقد الأدبي، النقد - التحليلي - النفسي، مارسيل ماريني، ترجمة د رضوان ظاظا مجلس الثقافة ، الكويت ١٩٧٨م
- المذاهب النقدية ، د ماهر حسن فهمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢م
- المرجعيات الثقافية الموروثة في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين ، د حسين مجيد رستم الحصونة ، ط١، مؤسسة دار الإسلام ، ٢٠١٤ م
- المزهر في علوم اللغة ، عبد الرحمن السيوطي ، شرحه وضبطه محمد احمد جاد المولى وآخرون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٨م
- مسامرات البنات ، علي فكري ، مطبعة اللواء ، القاهرة ، ١٩٠٣م
- المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين الأبيشي، قدم له وشرحه د. صلاح الدين الهواري ، دار البحار ، ط١، ٢٠٠٠م
- مشكلة الانسان ، د زكريا ابراهيم ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، د ت

- مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد ، القاهرة ، دارالمعارف ، ١٩٥٦م
- معجم البلدان ، لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، طهران ، د . م . ط ، ١٩٦٥م
- معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ، كوركيس عواد ، مطبعة الارشاد بغداد ، ١٩٦٩م
- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧١م
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١، ١٩٨٤م
- المعجم المفصل في اللغة والادب ، د اميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٩٨٧م
- المعجم الوسيط ، د نصار سيد احمد وآخرون ، دار احياء التراث العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٨م
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، أ. د أحمد مختار عمر ، عالم الكتاب ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٨م
- المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى وآخرون ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، مصر ، د ت
- معروف الرصافي آثاره في النقد والأدب جمع وتقديم ا د داود سلوم وآخرون ، دار الجمل ، بيروت ط١، ٢٠١٤م
- معروف الرصافي ، حياته وآثاره ، محمود العبطة ، دارالشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٢م
- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي ، دار القلم ، بيروت لبنان ، ١٩٧٨ م

- مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك ، ترجمة د محمد عصفور ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، ١٩٧٨م
- المفضليات ، المفضل الضبي ، ضبط حسن السندوبي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط١ ، ١٩٢٦م
- مقدمة في النقد الادبي ، د علي جواد الطاهر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣م
- مقدمة ابن خلدون ، مطبعة دار الشعب ، القاهرة ، د.ت
- من أغاني المهد في الكويت ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي ، الدوحة ، ١٩٨٦م
- المنجد في اللغة والأعلام ، تأليف لويس معلوف ، الطبعة الحادية والعشرون ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٧م
- المنمق في أخبار قریش ، محمد بن حبيب البغدادي ، خورشيد أحمد فاروق ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط ١ ، ١٩٦٤م
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تح : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب المشرقية تونس
- ١٩٦٦م ،
- موسيقى الشعر ، د ابراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط ٤ ، ١٩٧٢م

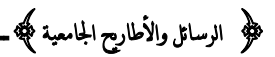
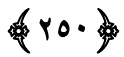
﴿ن﴾

- نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة ، د عبد العظيم رهيف السلطاني ، دارالشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٠م
- نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، د عبد الواحد وافي ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣م
- النص القرآني وآفاق الكتابة ، أدونيس ، دار الآداب ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠١٠م
- نظرية الأدب ، رينيه ويلك واوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١م
- النقد الأدبي الحديث من المحاكاة الى التفكير ، د ابراهيم محمود خليل ، دار المسيرة ، عمان ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م
- نقد الشعر ، قدامة ابن جعفر ٣٣٧هـ ، ليند ١٩٥٦م ، تحقيق مصطفى كمال ، القاهرة ١٩٦٣م
- نقد الشعر في المنظور النفسي ، ريكمان ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ج ١ ، ١٩٨٩م
- النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، دار نهضة مصر ، د ت
- النكت في اعجاز القرآن ، ابو الحسن الرماني ، تحقيق : محمد خلف الله بالاشتراك مع دارالعروبة ، الكويت ، د ت
- النماذج المثالية في الشعر ، مود بودكن ، د ت
- نهضة مصر ، د انور عبد الملك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٣م

- نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة ومطبعة المصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمود نصار الحلبي وشركائه ، الطبعة الأخيرة ، د.ت



- الوافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي ، تحقيق د فخر الدين قباوة ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٧٥م
- وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، حياة جاسم ، وزارة الثقافة والإعلام ، مطبعة الجمهورية ، بغداد، ١٩٧٢م



الرسائل والأطاريح الجامعية

- أثرالدين والتراث في الشعر الموجه للناشئة في العراق من ١٩٤٥. ١٩٩٨م ، سليمة سلطان نور، رسالة

ماجستير، جامعة بغداد ، كلية العلوم الاسلامية ، ٢٠٠٠م

- الاحتجاج العقلي في النحو العربي ، محمد جواد الطريحي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ، كلية

الآداب ، ١٩٩٠م

- التيار الاجتماعي في الشعر العراقي بين الحربين العالميتين (١٩١٤-١٩٤٥) ابتسام عبد الستار، رسالة

ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م

- ثنائية الذات والآخر في شعر السياب ، علي عبد الرحيم كريم ، رسالة ماجستير، جامعة بابل ، كلية التربية

للعلوم الانسانية ، ٢٠٠٧م

- جدلية الذات والآخر في شعر سجون العصرين الأموي والعباسي، رائد حميد مجيد ، اطروحة دكتوراه ، جامعة

البصرة ، كلية الآداب ، ٢٠١١م

- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني ، د علي هاشم طلاب ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بابل كلية التربية

للعلوم الانسانية ٢٠١٣م

- شعر حكام الأندلس ، دراسة في المضمون والفن) هادي طالب محسن ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بابل ، كلية

التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٠٩ م

- شعرالطفولة في الادب المصري الحديث ، قضاياه ، اتجاهاته رواده ، احمد زلط ، اطروحة دكتوراه ، آداب

بناها ١٩٨٦م

- شعر الطفولة في العراق من ١٩٠٠- ١٩٦٨م ، منى صالح حسن الدجيلي ، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية

التربية للبنات ، ٢٠٠٧م

﴿ ٢٥١ ﴾ الرسائل والأطاريح الجامعية ﴿

- الطفولة في الشعر العراقي الحديث ، انعام عباس محمود ، رسالة ماجستير، كلية تربية ابن رشد ، جامعة بغداد ،

١٩٩٩م

- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، جمال نجم العبيدي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ١٩٩٠م

- لغة الشعر في القصيدة العربية الأندلسية ، بشرى محمد طه ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد

١٩٩٠م

- منهج البحث النحوي عند الجرجاني ، محمد كاظم البكاء ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية الآداب، ١٩٨١م

- الوطن في شعر السياب ، الدلالة والبناء ، كريم مهدي المسعودي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد، كلية الآداب

٢٠٠٧م،

الدوريات و المجلات

- أدب الأطفال بين المرونة والتعصب ، د هادي نعمان الهيتي ، مجلة الطفولة والتنمية ، المجلس العربي للطفولة والتنمية ، العدد الأول ، ٢٠٠١م
- ادب الأطفال في العراق ، د جميل حمداوي، مجلة ديوان العرب الالكترونية على الانترنت في ٢٠٠٩م ثم اعد نشره في سنة ٢٠١٣ م
- أصالة الإبداع عند الشاعر محمد الهراوي ، د مختار الوكيل، جريدة منير الشرق ، القاهرة ، في ١٠/٤/١٩٤٦م
- تحديد الصورة وأهميتها في الخطاب الشعري ، أندريه بروتون ، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية ، فاس، ١٩٨٧م
- تداعيات المعاني في شعر الطفولة ودلالاتها الرمزية في الشعر العراقي الحديث ، ا م د جمال جليل اسماعيل
- أدب الأطفال بيم الهراوي وكامل الكيلاني ، د زكي مبارك ، صحيفة البلاغ ، القاهرة في ٨/٩/١٩٣١م
- الشعر المدرسي ، سعيد فهيم ، مجلة التلميذ العراقي ، مطبعة دار السلام ، بغداد، ١٩٢٢م
- الشعر في أدب الاطفال ، كاظم سعد الدين ، مجلة آفاق عربية ، العدد السابع ، ٢٠٠٠ م
- الصورة الشعرية ، ريتشاردز ، مجلة الثقافة ، القاهرة ، العدد الثالث ، ١٩٦٣م
- العراق رائد ادب الاطفال العربي ، د شفيق مهدي، مجلة الزمار ، دار ثقافة الاطفال ، العراق ، العدد الأول ، السنة السادسة والعشرون ، ١٩٩٦م

- في الأدب كقانون ، مجلة اكسنت ربيع ١٩٤٦م ، نقلا عن كتاب مقالات معاصرة في النقد ، ويلبرس سكوت ترجمة د عناد غزوان ، وجعفر صادق الخليلي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م
- قوانين صناعة الشعراء ، أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان ، فن الشعر لأرسطو، ترجمة وتحقيق ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣م
- القصيدة ك ، توفيق صايغ ، مجلة شعر ، العدد : ١٦، ١٩٦٠م
- مجلة روضة المدارس ، دراسة تحليلية ، محمد عبد الغني حسن ، د محمد عبد العزيز الدسوقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م
- مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠١م
- المسرحية التعليمية في العراق ، د عمر أحمد الطالب ، مجلة آداب المستنصرية ، العراق ، ١٩٨٦ م
- ملف العام الدولي للطفل ، هيئة التحرير ، مجلة المنهل ، السعودية ، ١٤٠٥ هـ
- الهوية الثقافية للأطفال ، د هادي نعمان الهيتي، مجلة الطفولة والتنمية ، العدد الثاني ، ٢٠٠٠م

ABSTRACT

The poetic texts that came smooth-spoken out of the mouths of children's song poets to be poured in the ears of our dear children are verily worth of studying and contemplation to explore the contents which they followed in order to nurture our young generations who are considered the basic edifice for each society in terms of spiritual nurturing and a good mentality promoting their thought when young and aiding them in old age.

As a result of feeling of the importance of these children's songs for the child's taste and for winning his desire and care, the researcher opted that the topic of the thesis will be (Children's Poetry in Iraq) . But after a discussion with the supervisors and for objective reasons , it has been agreed to have the topic as (Children's Songs in Iraq :an objective and artistic study) which is a part of Children's poetry so that we could shed light on children's songs in Iraq from 1880-1940.,to show Iraqi people and the whole nation ,about the pure poets and religious men and feeding parents and linguistics and a group of famous Iraqi poets, for their efforts in poetry concerning national ,religious moral and

scientific for new generation and giving high patron ship and pure for proud hearing and know the methods they use for targeted direction .

The reason behind our stop for the year 1940 A.D is that; we should identify the beginning because it was unknown ,since there were no preceding theses to determind this period,to start from where it had finished,after we had deeply discussed in this thesis ,we should stop in the limit of the aspects which should be very clear,this was because this thesis is the only one in Iraq which is specialized in children's songs,and we put a beginning in the year 1880 A.D,when we calculate sources that fit the requirements for the thesis up to the year 1940 A.D,we stop to the overcoming of the different aspects , because past sixty years enriched the thesis and covered all what we need,if add other information ,there is a need for another thesis, because of the big efforts which were neglected and not studied.

There are several reasons make us choose this title ,thus we seek all narrating works written concerning children's songs before we

apply for postgraduate study this was the first.

Secondly the necessity of revealing and showing in different theses in Iraqi and Arab universities,to know the names of those poets and their efforts in this modern literature which was mentioned previously throughout this thesis

Thirdly ;knowing their writings and distributions in this literature and their participation with others in editing poetic groups relating to children's songs and their efforts in this field

Fourthly ,attaching senior of the Iraqi children's poets and their verse ,they passes through this verse simply not deeply.in such that one of the famous Egyptian researchers in children's literature (Dr Ahmed Zalad) could not distinguish the senior between (Al rusafi and Mustafa Jawad) in his thesis in children's literature)(origins, concept ,pioneers)168

Fifthly ;necessity of knowing the figures of speech which Iraqi children's poets had deeply discussed and how they make benefit from these styles to serve the new generation and the effort done by each one

sixth;Sheding light on the methods of using story , poetic play ,myth ,symbol..as could we get away and would they study these things in their verse during their beginning.

Seventh;determine the poetic pioneering for each group pf poets and know the most important artistic criteria

Eighth;Explaing the ambiguity for many researchers and university theses and distinguishing between poetry .

As such, the thesis has been assigned a preface in which we have studied songsidiomatically and conventionally as well as their roots in Arabic poetry . We have traced the origination in classical Arabic poetry and the development in modern Arabic poetry, and we have discussed the viewpoints of both Iraqi and Arab scholars. We have also uncovered many views that have no tangible reality.

Chapter one has been devoted to the origination of children's songs in Iraq and their development in Ottoman and British rule and upon the formation of the Iraqi state till the actual formation down to 1940.

Chapter two is about the vision or objective goals where we have studied the enthusiastic, sentimental,educational,sociable,psychological and entertaining goals.

Chapter three has been devoted to the technical study in which we dealt with the language of the songs, their forms and music. We have presented a detailed study regarding the musical leadership of the Iraqi poets of children's songs supporting our argument with poetic texts.

The research has arrived at the following findings:

1. The people of Iraq being scholars, poets, men of letters and educators had for each of them an initiative and a minaret in the fields of poetry, literature, science, language and art in general. We havenot been motivated to assert this out of prejudice and partiality , rather we have been impressed by the facts of achievement. It has become, therefore, clear for us that they had the leadership in the children's song throughout the whole Arab world and for eighteen good years.
2. The efforts of men of religion, linguists , great poets , judges and educators have been exerted to find poetry that was fit for children nurturing their tastes without exhausting them in its reading or its being hard for understanding . All this was around the last quarter of the 19th century A.D.
3. Those noble prominent people forced their way to find very short , original and newly-used meters . They were preceded by none to such an extent that their poetic and musical leadership became the model for coming generations and the pole molar around which the songs evolved.
4. The first category of the first generation was less varied in topics because it stressed the national, religious and moral aspect while the second category came to complete what the first overlooked. Then the second and third

generations came and so on and so forth. They were more open-minded to all constructive topics , contents and noble sublime purposes.

5. It has been manifested that more than twenty two works in forms of a single collection of poetry or joint collections have contained more than one hundred and fifty songs . A quarter of this effort has not been achieved by the whole Arab world even after its publication in the Arab journals and papers.
6. Great linguists such as Mustafa Jawad and Islamic historians such as Mahmood Al-Mallah and Sheikh Qassim Al-Sha'ar have joined hands with great poets such as Ar-Russafi and the philosopher Az-Zahawi to produce this innovated poetry . This renders invalid the claim that children's poetry attracted only the weak and incapable poets. Rather, the converse was true.
7. Reclining on some objective visions (goals) such as the enthusiastic vision in its being the love of homeland was one of the findings in the research. This also included feeling proud of self- esteem and the political life in Iraq and urging the people to resist colonialism.
8. As far as poetic language is concerned, they laid emphasis in their poetry on war utterances which won the first place . As for the utterances of glory and pride , the word glory has been mentioned eleven times and pride eight times while other words were mentioned in less frequency.
9. The poetic images for those pioneers were carefully selected in special spirit and scientifically so that it could be at the disposal of the child's taste. The poets were found to be acquainted with all forms of rhetoric devices.
10. As regards the external music, the acatalectic ramal meter occupied the first rank followed by the acatalectic rajaz and kamil respectively, while other meters followed them. The rhymes had also similar presence where the nun rhyme won the first place.
11. For internal music , the alliteration won the first place followed by the repetition.
12. As for the methodology (trends), they touched upon it in a transparent way. They aimed at the deliberate use of educational, social and psychological matters.
13. It has become manifest that the vision of the ancient classical poet was different from the modern one according to the environment and culture for each age . The ancient poet wrote for his child while the modern poet looked at the child as an independent entity with capabilities and desires
14. Accordingly and as Dr. Omar Ahmed Al-Talib has proved as regards the child's theatre and what the research has proved, the last quarter of the 19th century and specifically the year 1880 was the real birth of children's literature in Iraq

and the Arab homeland in general under the leadership of Iraqi children's song poets.

ترجمها: م. كاطع نعمة رسن الحلفي/ قسم اللغة الانكليزية/ جامعة المثنى

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Muthanna University/ Faculty of Education for Humanities

Arabic Department



Children's Songs in Iraq

1880 -1940 A.D

An objective and artistic study

A Thesis Submitted by the Candidate

Hussein Atiyah Alwan Al-Sultani

**To the Council of the Faculty of Education for Humanities /
Muthanna University as Part of the Requirements for
Obtaining the Master Degree in the Arabic Language and
Its Literature/ Literature**

Supervised by

Asst. Prof. Dr. Ali Hashim Tallab Al-Zirjawi

2015 A.D.

1437 A.H